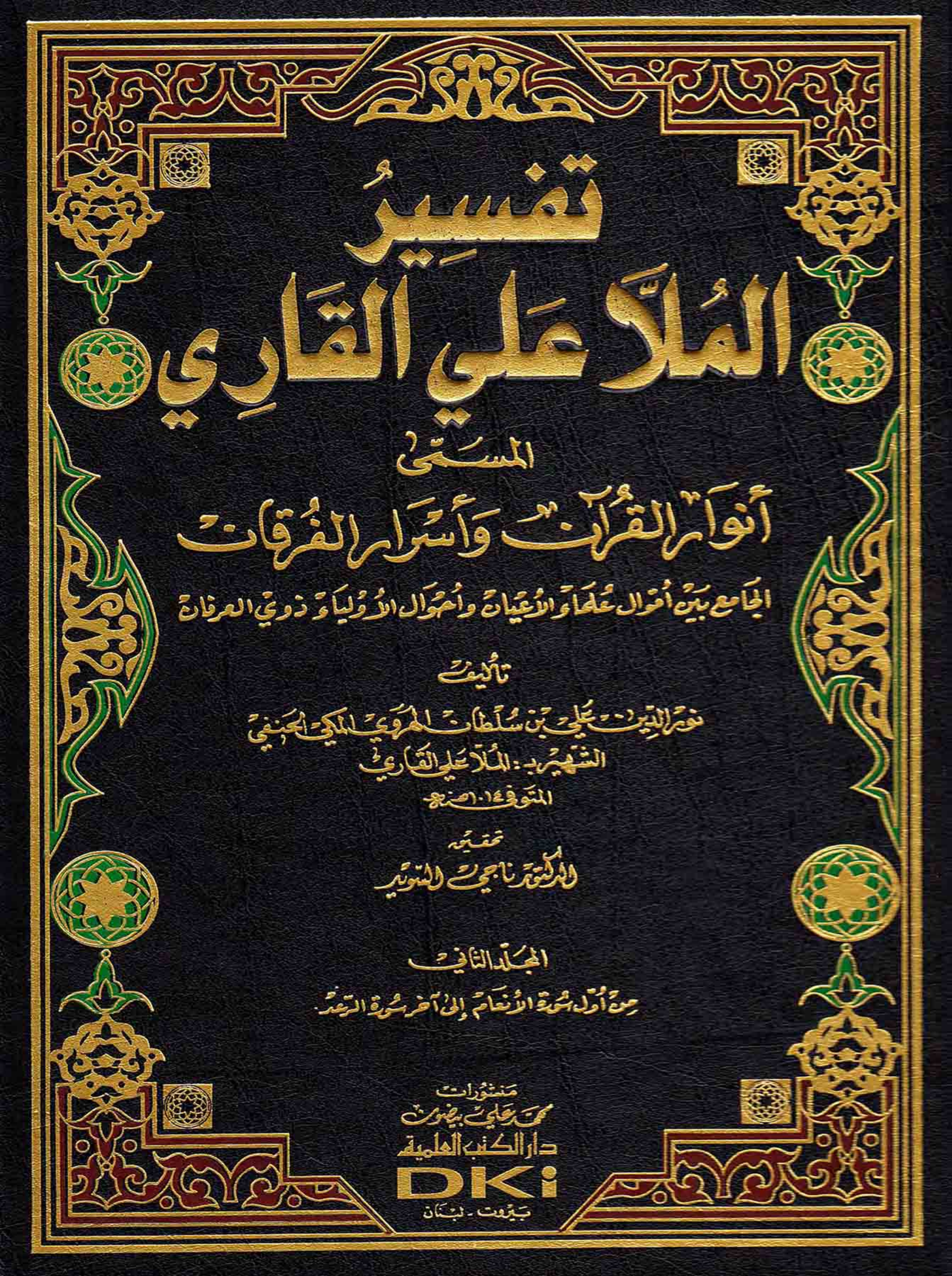

تفسير
المُلا علي القارِي
المسمّى
أنوار القرآن وأسرار الفرقان
الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان
تأليف
نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي
الشهير بـ: المُلا علي القاري
المتوفى ١٠١٤هـ
تحقيق
الدكتور ناجي السويد
المجلد الثاني
من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الرعد
منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
DKi
بيروت - لبنان

تفسير الملا علي القاري

المسمى

أنوار القرآن وأسرار الفرقان

الجامع بين أقوال علماء الأعيان وأحوال الأولياء ذوي العرفان

تأليف

نور الدين علي بن سلطان الهروي المكي الحنفي
الشهير بـ: الملا علي القاري
المتوفى ١٠١٤هـ

تحقيق

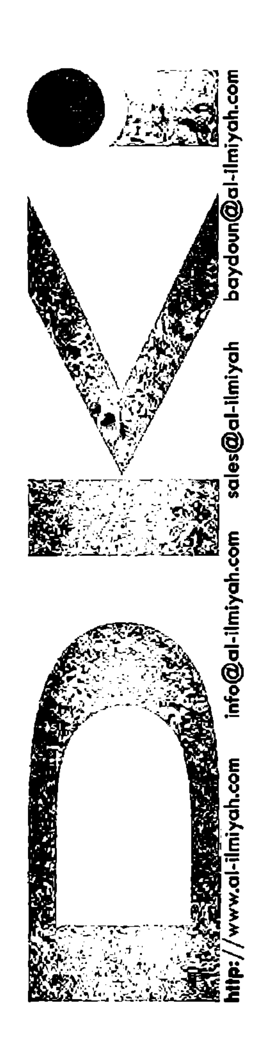
الدكتور ناجي السويد

الجزء الثاني

من أول سورة الأنعام - إلى آخر سورة الرعد



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : تفسير الملا علي القاري

Title : TAFSIR AL-MULLĀ ʿALĪ AL-QĀRĪ

AL MULLA ALI AL-QARI'S EXEGESIS OF THE HOLY QUR'AN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Holy Qur'an

المؤلف : الملا علي القاري (ت ١٠١٤ هـ)

Author : Al-Molla Ali Al-Qari (D. 1014 H.)

المحقق : الدكتور ناجي السويد

Editor : Dr. Naji As-souwayd

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (5 Volumes) 2592 عدد الصفحات (٥ مجلدات)

Size 17x24 cm قياس الصفحات

Year 2013 A.D -1434 H. سنة الطباعة

Printed in : Lebanon بلد الطباعة : لبنان

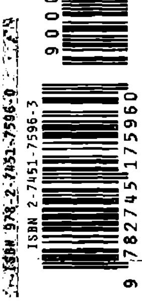
Edition : 1st (2 Colors) الطبعة : الأولى (لونان)

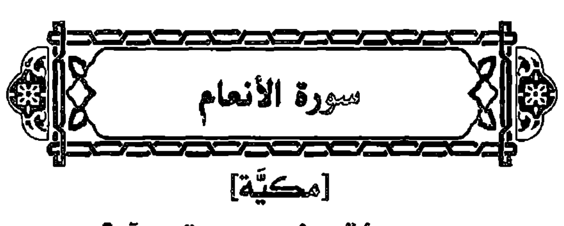
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٠٥٨٠٤٨١٠/١١/١٢ +٩٦١
فاكس: ٠٥٨٠٤٨١٣ +٩٦١
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧


ISBN 978-2-7451-7596-3



سورة الأنعام

[مكيَّة]

وهي مئة وخمس وستون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أنه سبحانه باسمه استنارت القلوب واستقلت وباسمه زالت الكروب واضمحلت وبرحمته عرفت الأرواح وارتاحت وبالهيبة انخسفت العقول فطاحت ويقال بسم الله نال كل مؤمل سؤله وبرحمة الله وجد كل واجد وصوله.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام، الآية: 1] أي: وجد العلويات والسفليات وجمع السموات والأرض وهي مثلهن في الطبقات لظهور تعددها ولأن طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وزمانها.

وفي «**دقائق الحقائق**» قيل السموات سموات المعرفة والأرض أرض الخدمة وقيل حمد نفسه بنفسه حين علم عجز الخلق عن بلوغ حمده وقيل: حمد نفسه على ما بدا للخلق من مصالحهم ومعايشهم لغفلة الخلق عن ذلك ويشير إليه قوله ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الآية: 1] أي: أنشأها وأحدثهما وفيه تنبيه على أن الظلمة والنور لا يقومان بأنفسهما رداً على المثنوية[1] وجمع الظلمات لكثرة أسبابها من الأجرام الحاملة لها فإن لكل جرم ظلمة ولو في الجملة وليس لكل جرم نوراً ولأن المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد كما يومىء إليه قوله سبحانه ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: 257] وتقديمها لتقدمها في الوجود كما يشير إليه قوله

(1) الذين يثبتون إلهين اثنين إله النور وإله الظلمة. انظر: شرح منظومة الإيمان (1/ 155).

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: 37] ويدل عليه قوله ﷺ إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره/ فمن أصابه منه فقد اهتدى ومن أخطأه فقد ضل وغوى[1]. 238/ب

وقال بعضهم: إبداء الظلمات في الهياكل والأشباح والنور في القلوب والأرواح وقيل الظلمات الجهل والنور المعرفة وقيل جعل الظلمات في التدبير والنور في التفويض وتحقيق ذلك في كتاب التنوير لإسقاط التدبير ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 1] عطف على خلق على معنى أنه خلق الله ما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم به يسوون ما لا يقدر على شيء مما يظنون كما قال تعالى ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: 191] ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: 21] وثم لاستبعاد عدولهم بعد وضوح قدرته عند عقولهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بدأ بالثناء على نفسه فحمد ذاته بثنائه الأزلي وأخبر عن سنائه الصمدي وعلائه الأحدي فالذي إشارة وخلق السموات والأرض عبارة واستقلت الأسرار بسماع الذي لتحققها بوجوده ودوامها بشهوده واحتاجت القلوب عند سماع الذي يلي سماع الصلة لأن الذي من الأسماء الموصولة لكون القلوب تحت ستر الغيوب فقال ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: 1] أي: خلق ظلمة الليل وضياء النهار ووحشة الكفر والشرك والعصيان ونور الاستبصار والإيمان والعرفان والإيقان والإحسان ويقال جعل الظلمات نصيب قوم لا بجرم سلف والنور يصيب قوم لا لاستحقاق سبق ولكنه حكم به جرى قضاؤه ثم ويقال جعل ظلمة العصيان محنة قوم ونور العرفان نزهة قوم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الآية: 2] أي: بدأ خلقكم منه فإنه المادة الأولى وإن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه أولاً أو خلق أباكم منه أولاً ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا﴾ [الآية: 2] أي: قدر مدة الموت لكل أحد وهو القيامة الصغرى فإن من

(1) تفسير البغوي (3/ 126)، وتفسير الرازي (1/ 110)، وتفسير النيسابوري (3/ 240).

مات فقد قامت قيامته[1] ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الآية: 2] لا يعلمه إلا هو وهو أجل القيامة الكبرى كذا فسره ابن عباس وغير واحد من السلف وقال الحسن الأول ما بين الخلق والموت من مدة العمر والثاني ما بين الموت والبعث من مدة البرزخ فإن الأجل كما يطلق لآخر المدة يطلق للجملة وقيل: الأول النوم والثاني الموت وقيل: الأول لمن مضى والثاني لمن بقي/ ولمن يأتي وقيل: أجلاً مدة 239/ أ الدنيا وأجل مسمى عمر الإنسان كما روي عن ابن عباس ومجاهد ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الآية: 2] في أمر الساعة تشكون وثم استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت أنه خالقهم وخالق أصولهم ومحييهم إلى آجالهم فإن من قدر على خلق المواد وجمعها وإبداع الحياة فيها وإبقائها ما يشاء أولاً كان قادراً على جميع تلك المواد وإحيائها ثانياً فالآية الأولى دليل التوحيد والثانية برهان البعث.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت القوالب من الطين وأودعها عجائب السر وأظهر عليها ما لم يظهر على مخلوق فالعبرة بالوصل لا بالأصل الوصل قربة والأصل تربة الأصل من حيث النطفة والقطرة والوصل من حيث القربة والنصرة ثم قال وجعل للامتحان أجلاً ثم جعل للامتنان أجلاً فأجل الامتحان في الدنيا وأجل الامتنان في العقبى ويقال: ضرب للطلب أجلاً وهو وقت المهلة ثم عقبه بأجل بعده وهو وقت الوصلة فالمهلة لها بدء ومنتهى والوصلة بلا بدء ولا منتهى فوقت الوجود له للابتداء وهو حين تطلع شمس التوحيد ثم يتسرمد فلا غروب لها بعد الطلوع.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 3] الضمير لله أو للذي خلق والله خبره وقوله ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 3] متعلق باسم الله باعتبار المعنى الوصفي الذي ضمنه اسم الله وهو مقولية هذا الاسم عليه خاصة والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: 84] ولولا هذا الاعتبار لم يصح أن يقال هو الله لأنه هو راجع إلى الله ولا يصح أن يقال الله الله إلا باعتبار معنى وصفي ومن أجل دفع هذه الشبهة قيل ضمير هو للشأن لا أنه

---

(1) المقاصد الحسنة (1/ 670) رقم (1183)، وكشف الخفا (2/ 279) رقم (2618).

راجع إلى الله ومحل معناه هو المعبود فيها أو المعروف بالإلهية فيها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه هو الله الذي هو معبود من في السماء ومقصود من في الأرض وهو الموجود قبل كل سماء وفضاء وظلام وضياء وشمس وقمر وعين وأثر وغير ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 3] من خيركم وشركم فيجازيكم بما ينفعكم ويضركم قيل أريد بالسر والجهر ما يخفى ويظهر من أحوال الأرواح وبالمكتسب أعمال الجوارح من الأشباح.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 4] من الأولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض وقيل: للتبيين والمعنى ما يظهر/ لكم دليل قط من الأدلة الواضحة في البرهان أو معجزة من المعجزات في مقام التبيان أو آية من آيات الله القرآن ﴿إِلَّا كَانُوا۟﴾ [الآية: 4] أي: الكفار ﴿عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الآية: 4] أي: تاركين للنظر فيها غير ملتفتين إليها قيل: آياته في خلقه أولياؤه وأهل صفوته وعلماؤه كذا في السلمي. 239/ ب

وقال الأستاذ: أي لا يزيدهم كشفاً ولطفاً إلا قابلوه جحداً وكفراً وعنفاً ولا يوليهم إقبالاً إلا قابلوه بإعراض يقتضي إدباراً وإملالاً ولا يلقيهم بسطاً إلا جازوه قبضاً.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 5] أي: بالكلام الصدق ﴿لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [الآية: 5] وهو القرآن أو بالنبي الصادق وهو نبي آخر الزمان حيث كذبوا به وبكتابه واستهزؤا بخطابه وتخويف عقابه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية: 5] أي: سيظهر لهم ما كانوا يستهزؤون به عند نزول العذاب بهم في الدنيا أو العقبى أو عند ظهور الإسلام وارتفاع أمر كلمته العليا.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ [الآية: 6] أي: مبتدأ من قبلهم ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ [الآية: 6] أي: من أهل زمان بعض القرون والقرن مدة أغلب أعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل: ثمانون وقيل: مائة وهو الأظهر وعليه الأكثر ويدل عليه أنه عليه السلام قال في شأن أحد من الصحابة أن يعيش قرناً فعاش مائة وقيل: القرن أهل عصر فيه نبي أو فائق في العلم قلت المدة أو كثرت ﴿مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

[الآية: 6] جعلنا لهم فيها مكاناً أو قررنا لهم فيها شأناً أو آتيناهم من الآلات والقوى ما تمكنوا بها من أنواع التصرف فيها ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾ [الآية: 6] أي ما لم نجعل لكم في السعة وطول المدة يا أهل مكة أو ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والأسباب ثم الالتفات في الكلام لدفع الإبهام ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم﴾ [الآية: 6] أي: المطر أو السحاب أو المظلة فإن مبدأ المطر منها ﴿مِّدْرَارًا﴾ [الآية: 6] مقداراً كثير الدر والصب ويستوى فيه المذكر والمؤنث ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ﴾ [الآية: 6] عاشوا في الخصب والريف بين الأنهار والأزهار والأشجارل والأثمار ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم﴾ [الآية: 6] أي: بأنواع من العذاب كالقحط والصواعق وغيرها ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 6] أي: بسببها ولم يغن عنهم شيئاً تمكنهم فيها ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ [الآية: 6] أي: أحدثنا ﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الآية: 6] بدلاً من المهلكين فليخافوا أن نفعل بهم كما فعلنا بهؤلاء الكافرين/. 240/أ

وقال الأستاذ: يعني من تقدمهم كانوا أشد تمكناً من إمهالنا وأكثر نصيباً في الظاهر من نوالنا، سهلنا لهم أسباب المعاش ووسعنا عليهم أبواب الانتعاش فحين وطنوا على كواذب المنى قلوبهم وأدركوا من أحوال الدنيا محبوبهم ومطلوبهم فتحنا عليهم من مكامن التقدير وأبرزنا لهم من غوامض الأمور ما قرعوا عليه من الندم وذاقوا دونه طعم الألم وأنشأ من بعدهم قرنا آخرين وأورثناهم مساكنهم وأمكناهم أماكنهم فلما انخرطوا في الغي عن مسلكهم ألحقناهم في الإهلاك بهم سنة منا في الانتقام وأمضيناها عن أعدائنا وعادة في الكرام أجزيناها لأوليائنا.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ [الآية: 7] مكتوباً في ورق ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 7] أي: مسوه بأعضائهم وأدركوه بأجزائهم وتقييده بالأيدي لدفع التجوز فإنه قد يطلق على الفحص كقوله ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: 8] وتخصيص اللمس دون الاستماع والإبصار لأن التزوير لا يقع فيه غالباً فلا يمكنهم أن يقولوا إنما سكرت أبصارنا والحاصل أن اللمس أبلغ في إيقاع العلم من المعاينة فإن أكثر السحر والتزوير في المرئي ﴿لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الآية: 7] في علم الله على ما أصروا ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 7] لتعنتهم وعنادهم في الدين قيل نزلت

حين قالوا: لن نؤمن بك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملك يشهدون أنه من عند الله.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخبر عن كمال قدرته في بدء ما يريدونه بعد ما قضى لهم الضلال فلو أشهدهم كل دليل وأوضح لهم كل سبيل ما ازدادوا إلا تمادياً في الضلال والنفرة وانهماكاً في الجهل والغيبة.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ [الآية: 8] أي: هلا أنزل معه ملك يكلمنا أنه نبي كقوله ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 7] ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية: 8] أي: أمر هلاكهم واستئصالهم فإن سُنَّة الله جرت بذلك فيمن قبلهم وهو أن من اقترح آية ولم يؤمن بها استؤصلوا بالعذاب بعد نزولها أو لعدلوا إلى اقتراح أمر آخر يؤيد الأول قوله ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الآية: 8] أي: بعد نزوله طرفة عين لا يمهلون وقيل معناه لماتوا من هول رؤية الملك لِضعف القدرة البشرية عن رؤيتهم في الصورة الملكية وإنما/ رآهم كذلك أفراد الأنبياء بأقدارهم القدسية وأنوارهم الإنسية ويؤيده قوله: 240/ب

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا﴾ [الآية: 9] أي: لو قدرنا الرسول الذي أنزل معه ملكاً يشهد على صدقه ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الآية: 9] أي: في صورة رجل لعدم قدرتهم إلا على رؤية صورتهم كما مثل جبريل على شكل دحية في نظر الصحابة وقيل نزل جواباً لقولهم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة ويدل عليه قوله ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الآية: 9] أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [يس: 15].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن العبرة بالقسمة دون الاعتبار والحجة فما لا يغني السراج عن فقد الصبر كذلك ما يغني الحجج عمن فقد عناية الأزل ومن لم يقدس سره لبس عليه أمره.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 10] أي: استهزاء قومك بك بنحو الاقتراح منك مع التصميم على عنادك ﴿فَحَاقَ﴾ [الآية: 10] أي: أحاط ﴿بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم﴾ [الآية: 10] أي: من الرسل أو من الكفار ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ

﴿يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية: 10] حيث أهلكوا لأجله أو نزل بهم وبال استهزائهم وفي هذا تسلية له ﷺ وعلى ما يرى من قومه ووعيد لأعدائه.

وقال الأستاذ: أي سبقك يا محمد من كذب كما كذبت فحق لهم نصرنا فانتقمنا ممن ناوأهم فعاد إليهم وبال كيدهم.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 11] أي: بالأقدام أو بالفكر في الأعلام ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ [الآية: 11] أي: نظر اعتبار ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الآية: 11] كيف أهلكهم الله بعذاب الاستئصال كي تعتبروا بالأحوال قيل معناه إباحة السير للتجار وسائر السالكين وإيجاب النظر في آثار الهالكين.

وقال الأستاذ: يعني قيل لهم دوخوا[1] الأرض وسيحوا بسيركم منها الطول والعرض ثم انظروا هل أفلت من حكمنا أحد وهل وجد من أمرنا ملتحداً ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 12] أي: ملكاً وملكاً وخلقاً وهو سؤال تبكيت في معرفة الخلاق ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ [الآية: 12] تقرير له وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه سائلهم هل له في الدار دياراً وهل للكون في التحقيق عند الحق مقداراً فإن بقوا عن جواب يشفي فقل الله في الربوبية يكفي ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الآية: 12] أي: أوجبها على ذاته وأثبتها في صفاته والتزمها من تفضلاته فمن أقبل إليه مع عظم ذنبه قبله وقربه/ لديه وفي الآية إيماءٌ 241/ أ إلى الحديث القدسي والكلام الأنسي من قوله سبقت رحمتي غضبي[2] والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ويشمل أهل الكوفين ومن ذلك الهداية إلى معرفته والعلم بتوحيده بإنزال الكتب ونصب الأدلة وإرسال الرسل وإظهار المعجزة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر وحكم وأراد على حسب ما علم فمن تعلق بنجاته علمه وسبق بدرجاته حكمه ومن علمه في آزاله أنه يشقى فبقدر شقائه في البلاء يبقى ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ [الآية: 12] أي: في القبور ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾

---

(1) سبق تخريجه.

(2) استولوا عليها.

[الآية: 12] أي: وقت البعث والنشور فيجازيكم بأعمالكم على وفق أحوالكم ﴿لَا رَيْبَ فِيهِۚ﴾ [الآية: 12] أي: في اليوم أو الجمع ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الآية: 12] بتضييع رأس مالهم من صرف أنفاسهم بغير ما ينفعهم في مآلهم لما ورد ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها والموصول مبتدأ خبره قوله ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 12] والفاء للدلالة على أن عدم إيمانهم مسبب على خسرانهم.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ [الآية: 13] أي: ولله سبحانه ما استقر في الأزمنة المتضمنة للأمكنة فسكن من السكنى وتعديته بفي كما في قوله ﴿وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ [إبراهيم: 45] أو المعنى ما اشتمل الملوان عليه أو من السكون والمعنى ما سكن فيهما وتحرك واكتفى بأحد الضدين عن الآخر كما في قوله تعالى: و﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل: 81] أي: والبرد ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 13] بِكل مسموع ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية: 13] بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من موجود ومعدوم.

وأفاد الأستاذ: في إشارة الآية أن الحادثات لله ملكاً وبالله ظهوراً ومن الله بدءاً وإليه رجوعاً ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 13] لأنين المشتاقين ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ [الآية: 13] بحنين الواجدين.

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ [الآية: 14] نصب غير على أنه مفعول أول لاتخذوا والتقديم لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي والمراد بالولي المعبود لأنه رد لمن دعاه إلى الشرك ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 14] أي مبديهما ومبدعهما ومخترعهما لا عن مثال سبق فيهما وجره على أنه بدل من الله أو نعت له فإنه بمعنى الماضي ولذلك قرأ فظرف الإضافة معنوية فيكون معرفة فجاز أن يكون صفة لمعرفة.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى المراد أَبَعْدَ ما أكرمني بجميل ولايته اتخذ ولياً غيره وأَبَعْدَ ما وقع علي نظر عنايته أنظر في الدارين إلى أحد سواه إن هذا

241/ب محال من الظن والتقدير/ في حق أهل التحقيق من أرباب التعبير ﴿وَهُوَ يُطۡعِمُ

﴿وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الآية: 14] أي: يرزق ولا يرزق أو ينفع ولا يجري النفع عليه وتخصيص الطعام لشدة الاحتياج إليه وإلا فلا أحد إلا أنه يحتاج لديه وهو غير محتاج إلى أحد حتى في افتقار ما سواه إليه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه له نعت الكرم فلذلك يطعم وله حق القدم فلذلك لا يطعم ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الآية: 14] أي: من هذه الأمة أو من البرية حيث قال في الميثاق الأول قبل كل أحد بلى عند قوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: 172] أو في العهد الأول كما يشير إليه قوله كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد(1) ولقوله أول ما خلق الله نوري أو روحي ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 14] عطف على أمرت أي: وقيل لي ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 14] بي شركاً جلياً ولا خفياً والمراد تثبيته أو الخطاب والمقصود أمته.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 15] مبالغة أخرى في قطع طمعهم من أن يكون مثلهم في شركهم وعصيان ربهم والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجواب الشرط محذوف دل عليه الجملة.

وقال الأستاذ: إني بعجزي متحقق ومن عذاب ربي مشفق وبمتابعة أمره متحقق ﴿مَّن يُصْرَفْ﴾ [الآية: 16] أي: العذاب ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ [الآية: 16] أي: الله بمعنى أنعم عليه ونجاه وقرأ حمزة والكسائي وشعبة يصرف مبنياً للفاعل على أن الضمير فيه لله وقد قرىء بإظهاره والمفعول وهو العذاب محذوف أو يومئذٍ بحذف المضاف ﴿وَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 16] أي: الصرف والرحمة بمعنى الإنعام ﴿ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الآية: 16] أي: الظفر الظاهر عند أرباب اليقين.

وأفاد الأستاذ: أن من أدركه سابق عنايته صرف عنه لاحق عقوبته.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية: 17] أي: يصبك ببلية موحية لصبر كمرض وفقر ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ [الآية: 17] فلا قادر على كشفه وإزالته ورفعه ﴿إِلَّا هُوَ﴾

---

(1) سبق تخريجه.

[الآية: 17] ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ [الآية: 17] أي: بنعمة مقتضية لشكر كصحة وغنى فلا قادر على بقائه ولا ارتفاعه إلا هو وترك هذا الظهور بتقديره ولدلالة نظيره وإذا كان الأمر كذلك من غير تغيير ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 17] أي: من مس الضر ورفعه ومس الخير ودفعه فلا يقدر غيره على تغييره كقوله تعالى: ﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: 107] وفيه إيماءً إلى أنه الداء والدواء وما سواه كالهباء في الهواء.

وأفاد الأستاذ: أنه إنما ينجيك من البلاء من يلقيك في العناء إذ المنفرد بالإبداع واحد فالأغيار كلهم أفعال وأن/ الإيجاد لا يحصل من الأفعال. 242/أ

وفي «نفائس العرائس» أي: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ بضر الحجاب فلا كاشف لضره بك إلا ظهور مشاهدة جماله لك قلت ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ﴾ بخير الخطاب فلا دافع لخيره بك إلا ظهور مشاهدة جلاله لك.

وقال الجنيد: معبودك أول خاطر يخطر لك عند نزول ضر وعناء أو ظهور بلاء إن رجعت فيه إلى الله فهو معبودك وهو الذي يكفيك وإن رجعت إلى غيره تركك وما رجعت إليه.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية: 18] تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة في جميع بلاده والمعنى أن قهره استعلى عليهم فهم مسخرون مقهورون فيما ينسب إليهم ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية: 18] في أمره وتدبيره ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية: 18] العالم بجميع ما يجري على وفق قضائه وتقديره قيل قهرهم على الإيجاد والإبداء كما قهرهم على الموت والفناء وقيل الآمر بالطاعة من غير حاجة والناهي عن المعصية من غير كراهة والمثيب من غير عوض والمعاتب من غير غرض لا يتشفى بالعقوبة ولا يتعزز بالطاعة كذا في «**حقائق الدقائق**».

وقال الأستاذ: علت رتبة الأحدية صفة البشرية فهذا لم يزل وهذا لم يكن فحصل ومتى يكون بقاء للحدثان مع وضوح سلطان التوحيد وما معه من البرهان.

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الآية: 19] نزل حين قالت قريش يا محمد لقد

سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله نقله محيي السُنَّة والواحدي وغيرهما[1] والشيء يقع على كل موجود لا على المعدوم خلافاً للمعتزلة ويطلق عليه سبحانه بناءً على أن الشيء مصدر بمعنى الفاعل فالله شاء أراد ويقال أنه شيء لا كالأشياء.

قال الحسين: لا شهادة أصدق من شهادة الحق لنفسه بما شهد في الأزل به ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ﴾ [الآية: 19] أي: هو شاهد ﴿بَيْنِى وَبَيْنَكُمْۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾ [الآية: 19] أي لأخوفكم بالقرآن أيها الحاضرون أو أهل مكة الموجودون ﴿وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الآية: 19] أي: وسائر من بلغه القرآن من الأسود والأحمر إلى يوم المحشر واكتفى بذكر الإنذار عن ذكر البشارة لأن المقام مقامه أو من باب الاكتفاء بذكره عن ذكر ضده أو بناء على الإشارة إلى البشارة في ضمنه.

وأفاد الأستاذ: أنه غلبت شهادة الحق سبحانه على كل شهادة فهم إذا أقبلوا يشهدون فلا يحيط بحقائق الشيء علومهم والحق سبحانه هو الذي/ لا 242/ ب يخفي شيء من أمورهم وفهومهم ثم أخبر أنه مبعوث إلى الكافة ومن سيوجد إلى يوم القيامة ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰۚ﴾ [الآية: 19] تقرير لما سبق وإنكار واستبعاد للعدول عما تحقق ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُۚ﴾ [الآية: 19] بما تشهدون من الأمر المتعدد ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الآية: 19] أي: وأنا له عابد بل ولا لغيره مشاهد ﴿وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 19] أي: به معه في العبادة واعتقاد الربوبية.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 20] أي: من اليهود والنصارى ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ [الآية: 20] أي: الرسول الجليل بنعته المذكور في التوراة والإنجيل ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [الآية: 20] أي: بصفاتهم وأنبائهم والمعنى أنهم متحققون في معرفته بحيث لا يشكون في رسالته فعدم إيمان بعضهم لعنادهم وحسدهم ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 20] حيث هجروا كتابهم وتركوا خطابهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية:

---

(1) تفسير الرازي (6/ 241)، تفسير أبي السعود (3/ 118)، تفسير البيضاوي (1/ 398).

20] واختاروا عذابهم وحجابهم.

وأفاد الأستاذ: أنه أحاط علمهم بصدق المصطفى في نبوته لكن أدركتهم الشقاوة الأزلية فعقدت ألسنتهم عن الإقرار برسالته فجحدوه جهراً وعلموا صدقه سراً.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 21] كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ [الآية: 21] أي: بكتبه وخوارق عاداته والمعنى لا أظلم ممن ذهب إلى أحد الأمرين فكيف بمن جمع بين الوصفين ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 21] أي: الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 21] فكيف يفلح الأظلم منهم.

وأفاد الأستاذ: أن شؤم الخذلان بلغ بالنكاية فيهم ما جسرهم على الإصرار على الكذب على الله ثم لم يستحيوا من اطلاعه ولم يخشوا من عذابه.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية: 22] أي: العابد والمعبود وإنسهم وجنهم ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 22] تأكيداً وحال أي: مجتمعين والظرف منصوب باذكر مقدراً ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾ [الآية: 22] أول ما نعاتبهم ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ [الآية: 22] أي: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية: 22] أي: تزعمونهم شركاؤهم حينئذٍ يشاهدونهم في غاية من المهانة فالسؤال عنهم تقريع وتوبيخ لهم وقيل: تقديره أين شركاؤكم الذين تزعمون أنها تشفع لكم عند الإله حيث كانوا يقولون في حق الأصنام هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

وأفاد الأستاذ: أنه يجمعهم يوم الحشر والنشر ولكنه يفرقهم في الحكم والأمر فالبعث يجمعهم لكن الحكم يفرقهم.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [الآية: 23] أي: عاقبة كفرهم وشركهم في الدنيا أو معذرتهم/ التي يتوهمون أن يتخلصوا بها في العقبى أو مآل محبتهم الأصنام ومآل إليه الهوى ﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 23] أي: إلا التبري عن سوى المولى وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتأنيث وفتنتهم بالرفع

243/أ

على أنها الاسم والباقون بالنصب وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو بكر بالتأنيث والنصب على أن الاسم أن قالوا والتأنيث للخبر وحمزة والكسائي بالتذكير والنصب وكذا بنصب ربنا على النداء أو المدح والحاصل أنهم يكذبون من فرط الحيرة والدهشة ويحلفون عليه مع علمهم بأنه لا ينفع في تلك الحالة كما يقولون ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون مع أنهم بالخلود موقنون وحينئذٍ يختم على أفواههم وتشهد عليهم ألسنتهم وجميع أعضائهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الذي أخبر عنهم غاية التمرد حيث جحدوا ما كذبوا فيه أقسموا ولو كان لهم بالله علم لتحققوا بأنّ الله يعلم سرهم ونجواهم ولا يخفى عليه شيء من أولاهم وعقباهم لكن الجهل الغالب عليهم استنطقهم بما فيه فضائحهم.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 24] أي: في العقبى بنفي شركهم في الدنيا ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ [الآية: 24] أي: غاب وبطل في نظرهم ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 24] في حال كفرهم من إثبات الآلهة أو ادعاء الشفاعة والمعنى أن الخبرة أوقفتهم في عدم التمييز بين ما ينفعهم وما لا ينفعهم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 25] حين تلاوة ما نزل عليك ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 25] أي: قلوب المستمعين أو قلوب جميعهم ﴿أَكِنَّةً﴾ [الآية: 25] أغطية ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ [الآية: 25] أي كراهة أن يفهموه ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الآية: 25] أي: ثقلاً وصمماً مانعاً عن أن يسمعوه.

قال الواسطي: منهم من يستمع إليك أي: بنفسه ويتردد في ظلمات حسه ومنهم من يستمع منك نبأ فهو يتقلب في أنوار أنسه قال ابن عطاء: لأنه لم يجعل له سمع فهم الصواب وإنما جعل له سمع الخطاب.

وقال الأستاذ: بين أن السمع في الحقيقة سمع القبول وذلك عن عين اليقين يصدر لا من سمع الظاهر فلا عبرة به عند أرباب البصائر ويقال من ابتلاه الحق بقلب مطبق ووضع فوق بصيرته غطاء مغلق فالتلبيس لم يزده في ذلك إلا نفرة على نفرة ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ [الآية: 25] لفرط

عنادهم واستحكام تقليدهم بعد مشاهدتهم أنواع المعجزة للبشر كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الأصابع وتسبيح الحجر وغيرها مما لا يحصى ولا يحصر.

243/ب قال الأستاذ: يعني/ من أقصته القسمة الأزلية لم ينعشه الحيلة الأبدية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ﴾ [الآية: 25] أي: بلغ تكذيبهم الآيات المفهوم من قوله ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إلى أنهم ﴿إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ [الآية: 25] في حق الكتاب المبين ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 25] أي: أباطيل المتقدمين وأكاذيب السابقين.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الآية: 26] أي: عن الإيمان أو القرآن ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾ [الآية: 26] ويتباعدون عن ما يؤديهم إلى الإيقان والعرفان أو ينهون عن التعرض لرسوله وينأون عنه بعدم الإيمان به كأبي طالب ونحوه وهذا يدل على أنم مقهورون وفي أسر تصرفنا مسخرون ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ﴾ [الآية: 26] أي: ما يهلكون بذلك ﴿إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 26] أي: وبال ضررهم لا يتعداهم إلى غيرهم أو ما يميزون بين ما ينفعهم وما يضرهم فالبهائم أحسن منهم.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه الآية إشارة صعبة لمن يدعو إلى الحق جهراً ثم لا يأتي ذلك سراً ويقال لما خالفت أحوالهم قضايا أقوالهم أجراهم من ألقى حبالهم على غابرهم ويقال من أبعده عن القسمة فضله لم يقر به فعله.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الآية: 27] أي: حالهم عند الحساب ﴿إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 27] أي: عاينوا ما فيها من العذاب أو دخلوها وذاقوا أنواع العقاب لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً شنيعاً ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ [الآية: 27] تمنينا الرجوع إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 27] عطف على نرد أو حال من الضمير فيه فيكون في حكم المتمني فالمعنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين وقوله الآتي.

﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية: 28] راجع إلى مفهوم التمني من إرادة الإيمان وما تضمنه من الوعد به ونصبهما حمزة وحفص على الجواب بإضمار أن بعد الواو كما بعد الفاء وقرأ ابن عامر برفع الأول على العطف ونصب الثاني على الجواب.

وقال الأستاذ: يعني به حين ينجز للعبد ما وعده له من القربة ويشغل من شاء بنوع من القلة حتى لا يطلع أحد على محل الأسرار الإلهية ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 28] أي: إضراب عن إرادة إيمانهم المفهوم من تمنيهم والمعنى أنه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وقبائح أعمالهم فتمنوا ذلك ضجراً لا عزماً على أنهم لو رودا لآمنوا ﴿وَلَوْ رُدُّوا﴾ [الآية: 28] أي: إلى الدنيا بعد الوقوف على عقوبة العقبى/ وظهور أمر المولى ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الآية: 28] من الكفر والمعاصي لما سبق لهم من الشقاء بحكم القضاء ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الآية: 28] فيما وعدوا من أنفسهم بالقيام بحق الوفاء وترك الجفاء. 244/أ

وفي «**الحقائق**» أي: ظهر لهم من عيوب أسرارهم ما كان يخفيه عنهم فإنه علمهم أي: وهم ما علموا أنفسهم ولا عرفوا ربهم.

وأفاد الأستاذ: أن عذاب يوم الكشف ينتهك الأستار ويظهر الأسرار فكم من مجلل بثوب تقواه وحكم له معارفه أنه زاهد في دنياه راغب في عقباه محب لمولاه مفارق لهواه ينكشف الأمر على خلاف ما توهموه وافتضح عندهم بغير ما ظنوه وكم من منهتك ستره بما أظهر عليه ظن الكل أنه خليع العذار رهين الإعلال مشوش الأسرار ظهر لذوي البصائر جوهره وبرز من خفايا السر حقيقته ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الآية: 28] أخبر عما علم أنه لا يكون أنه لو كان كيف كان يكون فقال: لو ﴿رُدُّوا﴾ أهل العقوبة إلى دنياهم ﴿لَعَادُوا﴾ إلى جحدهم وإنكارهم فكذلك لو ردّ أهل الصفاء والوفاء إلى دنياهم لعادوا إلى أحسن أعمالهم أقول بل عادوا إلى أحسن أفعالهم وأقوالهم وأنهم لصادقون في أقوالهم.

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ﴾ أي الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الآية: 29 في العقبى.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ [الآية: 30] أي: سوء حالهم وقبح مآلهم ﴿إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 30] أي: حين سؤاله عن أفعالهم وتوبيخهم على أعمالهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ [الآية: 30] أي: البعث للثواب والعقاب ﴿بِالْحَقِّ﴾ [الآية: 30] بالأمر الثابت

على وفق الصواب ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ﴾ [الآية: 30] إقرار مؤكد باليمين بعد البلاء وانجلاء الأمر غاية الجلاء فلا يدفع عنهم العناء ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 30] ليوم الحساب.

قال الأستاذ: يا حسرة عليهم من موقف الخجل ومحل مقاسات الوجل وتذكر تقصير العمل فهم واقفون على أقدام الحسرة يقرعون أسنان الندم حين لا ندم ينفعهم ولا شكوى تسمع منهم ولا رحمة تنزل عليهم.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 31] إذ فاتهم نوال النعيم وأدركهم نكال الجحيم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية: 31] غاية للتكذيب لا للخسارة لأن خسرانهم ليس له غاية ومن مات فقد قامت له القيامة ﴿قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا﴾ [الآية: 31] أي: تعالي فهذا أوانك لنتأسف ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الآية: 31] أي: قصرنا في أمر الساعة بعدم الإيمان بها وفقد الاهتمام بشأنها ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ﴾ [الآية: 31] / تمثيلاً لاستحقاقهم أثقال الآثام أو تمثل ذنوبهم من بين الأنام بأقبح صورة وأنتن رائحة فتركب عليهم وتسوقهم إلى النار كما روي في بعض الأخبار والآثار ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الآية: 31] أي: بئس شيئاً يزورونه وزرهم. 244/ب

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يخسروا مالاً ولا مقاماً ولا حالاً ولكن كما قيل:

لعمري لئن أنزفت دمعي فإنه لفرقة من أفنيت في ذكره عمري[(1)]

المصيبة لهم والحسرة على غيرهم ومن لم يعرف جلال قدره متى يتأسف على ما يفوته من حديثه وأمره.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ﴾ [الآية: 32] أي: وما أعمالها إلا لعب ولهو لأهلها تمنعهم عما يعقب منفعة أبدية وتلهيهم عما يوجب لذة حقيقية.

قال محمد بن علي: لعبٌ لمن جمعه لهو لمن يرث عنه بعده.

وأفاد الأستاذ: أن ما يشغل عن الحق كونه فغير مبارك لونه.

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 224).

﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ [الآية: 32] أي: لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها بتمامها وقرأ الشامي ولدار الآخرة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 32] أي: يجتنبون المناهي والملاهي ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 32] أي: لا يتأملون ولا يميزون بين الخير والشر فيما يفعلون وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على خطاب المخاطبين أو تغليب الحاضرين على الغائبين ولذا قال بعض العارفين فيه تعزية للفقراء بما حرموا عنها وتقريع للأغنياء بما ركنوا إليها.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ﴾ [الآية: 33] أي: الشأن ﴿لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ [الآية: 33] أي: فينا أو فيك أو في كتابنا ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ [الآية: 33] وقرأ نافع والكسائي بالتخفيف من الإكذاب والمعنى لا ينسبونك إلى الكذب لعلمهم بصدقك ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الآية: 33] أي: يكذبون بكتابنا لما فيه من الآيات الدالة على وحدانيتنا وظلموا أنفسهم بإنكار آياتنا.

وأفاد الأستاذ: أن هذه تعزية للرسول ﷺ وتسلية فقال قد نعلم ما قالوا فيك وإنما قالوا ذلك بسببنا ولأجلنا ولقد كنت عظيم الجاه فيهم قبل أن أوقعنا عليك هذا الرقم وكانوا يسمونك محمد الأمين وإنما أصابك ما يصيبك لأجل تحديثنا فغير ضائع لك هذا عندنا وحالك فينا كما قيل:

أشاعوا لنا في الحي أشنع قصة ... وكانوا لنا سلماً فصاروا لنا حرباً(1)

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 34] أي: على منوالك ﴿فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الآية: 34] فتأس بهم واصبر فإن النصر مع الصبر ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 34] أي: لمواعيده/ التي من جملتها قوله: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿171﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿172﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: 171 ـ 172 ـ 173] وقيل: لا مغير لما أجرى به في الأزل بتغيير ظهورها في الأبد إذ الأزل الأبد عنده واحد بل ولا أزل ولا أبد حقيقة ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 34] أي: من أجنادهم ما يكفي للمعتبر بآثارهم. 245/أ

وقال الأستاذ: يعني أن من سلك سبيلنا وصبر على ما أصابه من حديثنا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 224) و(3/ 64) و(5/ 71).

فلا خسرت فينا صفقتهم ولا خفيت علينا حالتهم.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ﴾ [الآية: 35] أي: شق وعظم لديك ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ [الآية: 35] أي: عن الإيمان بك وبما أنزل إليك ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 35] أي: تطلب سرباً ومنفذاً تنفذ فيه إلى جوف الأرض أو تحت الثرى ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 35] أي: مصعداً تصعد فيه إلى السماء والثريا تأتيهم بآية أي: فتطلع لهم من الأرض أو فتنزل من السماء آية ملجئة لإيمانهم فافعل والمقصود بيان حرصه البالغ على إسلام قومه أنه ولو قدر أن تأتيهم بآية من تحت الأرض أو فوق السماء بها رجاء لهدايتهم وفيه إيماءٌ إلى أن الأمر كله لله كما أعقبه بقوله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 35] وفقهم على سبيل رضى المولى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الآية: 35] أي: الغافلين عن هذا المعنى.

وأفاد الأستاذ: أنه ﷺ لفرط شفقته عليهم استقصى في التماس الرحمة من الله لهم وحمل على قلبه العزيز بسبب ما علم من سوء أحوالهم ما أثر فيه من فنون الأحزان فعرفه أنهم مبعدون عن القربة منكوبون بسالف القسمة ولو أراد الحق سبحانه أن يخفف عنهم أو لو شاء أن يهديهم لكان لهم مقيل في صدر الانبساط ومثوى على البساط ولكن من كبسته العزة لم تنعشه الحيلة.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 36] أي: إنما يجيب دعوتك ويقبل (نبوتك) الذين يسمعون كتابنا بفهم وتأمل نشأ لهم من أسماعنا وإحياء قلوبهم بنا وهؤلاء كالموتى غافلون عنا ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 36] أي منهم ومن غيرهم ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 36] فينتبهون ويعلمون ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 36] أي: إلى إجزائه وحكمه ﴿يُرْجَعُونَ﴾ [الآية: 36] .

قال ابن عطاء: أخبر الله تعالى أن أهل السماع هم الأحياء وهم أهل الخطاب والجواب وأخبر أن الآخرين هم الموتى لقوله: ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 36] .

245/ب وأفاد الأستاذ: أن من فقد الأسماع في سرائره عدم توفيق/ الاتباع لظواهره والاختيار السابق في متعلقاته غالب أي: فهو اللاحق.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية: 37] أي: آية معينة أو معجزة مقترحة لقولهم ﴿حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ [الإسراء: 90] الآيات ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الآية: 37] وقرأ ابن كثير بالتخفيف أي: آية مما اقترحوه بلسانهم أو آية ملجئة تضطرهم إلى إيمانهم كنتق الجبل لمن قبلهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 37] أن الله قادر على إنزالها وأن إنزالها يستجلب عليهم وبالها.

وأفاد الأستاذ: أنهم من جهلهم استزادوا من المعجزات ولم يعلموا أن المانع لهم من الإيمان بالآيات ما سكرت من بصائرهم لا ما توهموه من عدم دلائلهم.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 38] تدب على وجهها أو جوفها إلى ما تحت الثرى ﴿وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الآية: 38] أي: في جانب الهواء وجهة السماء ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الآية: 38] محفوظة أحوالها مقدرة أرزاقها وآجالها وإتيان الصفة لدابة وطائر لزيادة التعميم والمبالغة المفهومة من من الزائدة بحيث لا يبقى وهم خروج شيء من الأفراد لكون الواصفين من أوصاف الجنس دون النوع فيشعر بأن القصد فيهما إلى الجنس ولذا جمع الأمم لِلحمل على المعنى مع أفراد لفظ الدابة والطير فكأنه قال وما من دواب وطيور إلا أمم أمثالكم في أن أحوالها تشبه أحوالكم.

وقال الأستاذ: تساوت المخلوقات وتماثلت المصنوعات في الحاجة إلى المنشىء في حال الابتداء ثم في حال البقاء وكذلك في جميع الصفات النفسانية والنعوت الذاتية توقفت على الإيجاد والاختيار فما من شيء وأثر ورسم وطلل إلا وهو على وحدانيته شاهد ظاهر وعلى كونه في نفسه مخلوقاً دليل باهر ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الآية: 38] ما أهملنا في اللوح المحفوظ شيئا ما مما يجري في الأرض ولا في السماء من جليل وقليل وقبيح وجميل وجماد وحيوان وملك وإنسان أو في القرآن فإنه دون فيه ما يحتاج إليه من أمر الدين مفصلا أو مجملاً أو مجملاً لقوم يعلمون ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾

[الآية: 38] أي: إلى جزائه وحكمه على وفق قضائه يبعثون ويجمعون جميع الأمم
246/أ فينصف بعضها من بعض بمقدار الألم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ/ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: 5] وكما ورد في الأحاديث أنه يأخذ للجماء من القرناء ما روي عن ابن عباس وغيره إن حشر البهائم موتها محمول على أن موتها يعقب حشرها لقوله تعالى حكاية عن الكفار أنهم حين يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد تراباً ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: 40] .

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 39] أي: المتلوة أو المصنوعة وقيل: المعنى لم يصدقوا إظهار كرامتنا على المقربين في حضرتنا ﴿صُمٌّ﴾ [الآية: 39] عن سماع آياته بسمع قبول ﴿وَبُكْمٌ﴾ [الآية: 39] أي: عن نطق بحق وصدق ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الآية: 39] أي: خابطون في ظلمات أنواع الكفر أو في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد وهو كناية عن عمى البصيرة فكأنه قال وعمي عن مشاهدة الحق وهذه الصفات حقيقة في حقهم يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء: 97] والله أعلم.

وأفاد الأستاذ: إن الذين فاتتهم العناية الأزلية سد الحرمان أسماعهم وغشّى الخذلان أبصارهم والإرادة لا تعارض والمشيئة لا تزاحم والله المتعال غالب في جميع الأحوال ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ﴾ [الآية: 39] أي: يخذله فيميته على الكفر ويعذبه بنار الفرقة والحرقة ﴿وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 39] أي: يرشده إلى الهدى ويحفظه من الردى ويميته على الإيمان فيدخله الجنة ويقربه إلى مقام الوصلة.

﴿قُلْ﴾ [الآية: 40] أي: للكفرة ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ [الآية: 40] أي: أخبروني عن هذا الأمر القريب والشأن العجيب ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 40] أي: كما أتى من قبلكم ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الآية: 40] أي: نفخة القيامة بالفرض والتقدير عندكم ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ [الآية: 40] أي: في صرف العذاب عنكم وهو متعلق الاستخبار والمتضمن للتوبيخ والإنكار ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية: 40] أن الأصنام آلهة فأخبروني لم لا تدعونها في تلك الحالة ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الآية:

41] أي: بل تخصونه بالدعاء كما حكي عنهم في مواضع من نحو قوله: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: 32] وتقديم المفعول لإفادة التخصيص وبل للانتقال من حال إلى حال بدون الإبطال ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 41] أي: ما تدعونه إلى كشفه ودفع ضره ﴿إِن شَاءَ﴾ [الآية: 41] أن يتفضل عليهم في الدنيا ولكن لم يشأ كشف عذابهم في العقبى كما أخبر عنه بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ/ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ 246/ ب [النساء: 48] ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 41] أي: ما تشركون مع الله أو تتركون حينئذٍ عبادة ما سواه.

قال الجريري: مرجع العارفين إلى الحق أوائل البدايات ومرجع العوام إليه بعد الإياس من الحق في أواخر النهايات.

وقال الأستاذ: يعني إذا مسكم ضرٌّ أو نابكم أمر مرٌّ فممن ترومون كشفه ومن الذي تأملون لطفه أمخلوقاً شرقياً أو شخصاً غربياً أو ملكاً سماوياً أو عبداً أرضياً ثم قال: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ [الآية: 41] أي: أنكم وإن ترددتم بنفوسكم أو فكرتم طويلاً بقلوبكم لم تجدوا من دونه أحداً ولا عن حكمه ملتحداً فتعودون إليه في استكشاف الضر واستلطاف الخير والبر كما قيل:

وترجعني إليك وإن تناءت ... دياري عنك معرفة الرجال[1]

وكما قيل:

قد تركناك والذين تريد ... فعسى أن تملهم فتعود[2]

وإذا جربت الكل وذقت الحلو والمر أفضى بك الضر إلى بابه والالتجاء إلى جنابه فإذا رجعت بنعت الانكسار وشواهد الذل والاضطرار فإنه يفعل ما يريد ويحكم ما شاء إن شاء أتاح اليسر وأزال العسر وإن شاء ضعف الضر وعوض الأمر وإن شاء ترك الحال على ما قبل السؤال والابتهال ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ [الآية: 42] أي: رسلاً ﴿إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية: 42] أي: إلى طوائف

(1) نسب إلى مسلم بن الوليد. انظر: زهر الآداب (1/ 451)، والتذكرة الحمدونية (2/ 54).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (4/ 48).

كائنة من قبل ظهورك ومقدمة من قبل نورك والفاء في ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾ [الآية: 42] فصيحة أي: فكفروا وكذبوا رسلهم ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ﴾ [الآية: 42] أي: بشدة الفقر والحاجة والضراء أي: مضرة المرض والآفة ﴿وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الآية: 42] يتذللون لنا ويتنادون بنا ويعتمدون علينا.

وقال ابن عطاء: أخذنا عليهم الطرق كلها ليرجعوا إلينا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخبر عن سالف سُنَّته في إبداء الأمم وما أوجب لمن أطاعه منهم من النعم والكرم وما أحل بمن خالفه من أنواع الألم وأصناف النقم.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ﴾ [الآية: 43] معناه نفي تضرعهم لديه مع قيام ما يدعوهم إليه ﴿وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 43] أي: ما رقت فيما تضرعت لأن قساوة القلب توجب مباعدة الرب ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 43] فأصروا عليه فلا يتوبون.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما أظلهم البلاء فلو رجعوا بجميل التضرع والثناء وحسن الابتهال/ والتملق بالدعاء لكشفنا عنهم المحن ولأتحنا لهم المنن ولكن صدهم الخذلان عن العقبى فأصروا على تمردهم في متابعة الهوى فقست قلوبهم بترك عبادتهم وتضاعفت أسبات شقاوتهم. 247/أ

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 44] من البلاء الموجب للولاء ولم يتعظوا بالبأساء ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 44] من أنواع النعماء مراوحة عليهم بين نوبتي الضرّاء والسرّاء وامتحاناً لهم بالشدة والرخاء وابتلاء بالقبض والبسط والفناء والبقاء ورتبة بصفة الجلال ونعت الجمال من إظهار الكرم والكبرياء أو استدراجاً ليكون الأخذ أفظع والهلاك أشنع لما روي أنه عليه السلام قال مكروا ورب الكعبة[1] ويؤيده قوله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ [الآية: 44] أي: أعجبوا بما أعطوا وحسبوا أنهم أكرموا ولم يقوموا بحق النعمة والشكر عليها كما

(1) انفرد به الملّا علي.

لم يستقيموا في وقت المحنة حيث لم يصبروا فيها ولم ينظروا في كل حالة إلى المبلى بها ﴿أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الآية: 44] فجأة تعقب حسرة ﴿فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الآية: 44] متحيرون في وادي الغفلة وآيسون من بوادي الرحمة وقانطون من حصول التوبة لما خامر قلوبهم من وصول الوحشة.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ﴾ [الآية: 45] أي: أصلهم أو آخرهم بحيث لم يبق منهم عين ولا أثر ولم يرو عنهم حديث ولا خبر ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 45] على إهلاك الظالمين الذين من شؤمهم يقطع الرحمة على العامة حتى تحزن الطير في وكره والسمك في بحره والبوم في بره ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾ [الآية: 46] أخبروني ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ﴾ [الآية: 45] بأن أصمكم وأعماكم ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ [الآية: 45] بأن أغواكم في طريق هواكم ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ﴾ [الآية: 45] أي: بما أخذ من الأعضاء ويخلصكم من البلاء والعناء.

قال الترمذي: إن أخذ الله سمعكم عن فهم خطابه وأبصارهم عن الاعتبار بصنائع قدرته وختم على قلوبكم بسلب معرفته عنكم هل يقدر أحد فتح باب من هذه الأبواب سواه كلا بل هو المبدي بالنعمة فضلاً والمتم في الانتهاء كرماً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفهم محل عجزهم وحقيقة حاجتهم في القدرة القديمة لدوام فقرهم وضرهم فقال: إن لم يدم عليهم نعمة أسماعهم وأبصارهم ولم يوجب لهم ما ألبسهم من القوافي لكل وجه في كل لحظة فمن الذي يهب/ ما سلبه أو يضع ما منعه أو يعيد ما نفاه أو يرد ما أبداه كلا بل هو الله ولا رب سواه قلت ولهذا المعنى ورد في الدعاء اللّهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا(1) 247/ ب

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الآية: 46] نكررها ونبينها تارة من جهة المقدمات العقلية والنقلية وأخرى من جهة الترغيب والترهيب في الأمور الدينية

---

(1) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (2/ 351) رقم (445)، والطبراني في الدعاء (1/ 535) رقم (1911).

والأخروية ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ [الآية: 46] أي: يعرضون عنها ولا ينتفعون منها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَنكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً﴾ [الآية: 47] أي: فجأة من غير مقدمة بل على غفلة ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ [الآية: 47] معاينة بظهور أمارة وعلامة وقيل: ليلاً ونهاراً ﴿هَلْ يُهْلَكُ﴾ [الآية: 47] أي: ما يهلك به ﴿إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 47] أي: على أنفسهم بالكفر والمعصية.

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ [الآية: 48] المؤمنين بالجنة والقربة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ [الآية: 48] الكافرين بالحرقة والفرقة ﴿فَمَنْ ءَامَنَ﴾ [الآية: 48] اتقن علمه ﴿وَأَصْلَحَ﴾ [الآية: 48] عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 48] من حلول العذاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 48] بفوات الثواب وقال بعضهم من أخلص باطنه وأصلح ظاهره فلا خوف عليهم من القنوط عن الوصلة ولا هم يحزنون من جهة القطيعة.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية: 49] يصيبهم ألم العقاب وندم الحجاب ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 49] بسبب خروجهم عن الطاعة من كل باب.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 50] مقدوراته في خلقه أو خزائن رزقه فأعطيكم ما تريدون ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الآية: 50] أي: ما لم يوح إليّ فأخبركم بكل ما سيكون وهو عطف على عندي والمعنى ولا أقول أعلم الغيب فلا زائدة لتأكيد النفي والمبالغة وقيل: عطف على لا أقول ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الآية: 50] أي: من جنس الملائكة أو أقدر على ما تقدرون عليه بحسب العادة ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الآية: 50] أي: تبرأ عن دعوى ما تستبعده العقول الرضية من دعوى الألوهية والملكية وادعى النبوة التي هي من الكمالات البشرية... لاستبعادهم دعواه وتصميمهم على فساد مدعاه.

وقال الأستاذ: يعني قل لهم إني لا أتخطى خطي ولا أتعدى حدي وإنما يقال لي بلغت وما حمّل علي أوصلت ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية: 50] مثل للضال والمهتدي أو الجاهل والعالم.

وقال الأستاذ: هل يتشاكل الضوء والظلام وهل يتماثل/ الجحد والتوحيد ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 50] فتهتدوا بأنهم لا يستون. 248/ أ

﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾ [الآية: 51] أي: خوف بما يوحى إليه وهو القرآن الذي أنزل عليه ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 51] أي: هول يوم حشرهم وطول وقوفهم لحسابهم واحتمال عذابهم وهم المؤمنون المفرطون فيما يعملون فإن الإنذار ينفعهم فيتعظون لا المنكرون ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ﴾ [الآية: 51] يتولى أمرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الآية: 51] يشفعهم بغير إذنه إن أراد العذاب بهم والجملة في موضع الحال من ضمير أن يحشروا ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 51] لكي يتقوا عن كفرهم وكفرانهم.

قال أبو عثمان: أهل المعاملات وأرباب الصدق في المجاهدات خائفون في ذلك مما يبدو منهم من الإيمان والعرفان والتوكل والإيقان وأنواع والبر والإحسان وعرض ذلك على ربهم يشغلهم خوفه عن رؤية شيء من أعمالهم في آمالهم أو من التلذذ بها أو الاعتماد عليها.

وقال أبو سعيد الخراز: أي أنذرهم أن يحيلوا إلى وسيلة غيري أو شفيعاً إلى نفسي سواي.

وأفاد الأستاذ: أن الإنذار إعلام بمقام الخوف وإنما خص الخائفين بالإنذار كما خص المتقين بإضافة الهدى إليهم حيث قال ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 2] لأن الانتفاع والاتباع بالتقوى والإنذار أخص بهم ويقال: الخوف هاهنا العلم وإنما يخاف من علم فإن القلوب التي هي غطاء الجهل فلا تباشرها طوارق الخوف وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الآية: 51] يعني كما أنه لا ناصر لهم من الأغيار فلا معتمد لهم من أفعالهم ولا مستند من أحوالهم ولا يؤملون شيئاً سوى صرف العناية وخصوص الرحمة.

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الآية: 52] أي: شوقاً إليه واعتماداً عليه ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الآية: 52] أي: يذكرونه على الدوام أو يصلون المكتوبات في الليالي والأيام ولا يشغلهم شاغل من الأنام ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ

﴿ٱللَّهِ﴾ [النور: 37] والحضور عن الحضرة في الغدوة بعزم خدمته إلى العشية وفي العشية بعزم خدمته إلى الغدوة حتى تكون أوقاتهم مسرمدة بغير فترة فكانوا أصحاب المراقبة وأرباب المشاهدة.

وفي «**العرائس**» فيه لطيفة شريفة حيث وصفهم بالحضور بالغدو والآصال لا على تسرمد الأحوال لترويحهم سويعات بأحكام الظاهر لإصلاح البال وهذا منّة منه كي لا يحرقهم بنيران محبتهم ولا يزيلهم حدة إرادتهم ﴿يُرِيدُونَ/ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية: 52] أي: يدعون ربهم حال كونهم مخلصين موحدين ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 52] أي: حسابهم عليهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾ [الآية: 52] بالنصب على جواب النفي أي: فتبعدهم من قربك ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 52] جواب النهي روي أن كفار قريش وصناديد المشركين قالوا: لو طردت هؤلاء الأعبُد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وجناباً جلسنا إليك وحادثناك فقال: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 114] قالوا: فأقمهم عنا إذا جئناك قال: نعم وروي أن عمر رضي الله عنه قال له: لو فعلت حتى تنظر إلى ماذا يصيرون فدعى بالصحيفة وبعلي كرّم الله وجهه ليكتب فنزلت هذا وسئل أبو يعقوب النهرجوري عن المريد قال صفته ما ذكر الله في كتابه المجيد ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الآية: 52] الآية وهو دوام ذكر وإخلاص عمل من البداية إلى النهاية وقد أوصى الله بهذه الآية أكابرهم في التعطف عليهم والصفح عن زللهم والتلطف بهم.

248/ب

وأفاد الأستاذ: أن هذه وصية له ﷺ في باب الفقراء والمستضعفين وذلك أنه لما قصر لهم لسان المعارضة واستدفاع ما كانوا بصدده من إخلاء الرسول عليه السلام مجلسه عنهم سكنوا متضرعين لقلوبهم بين يدي الله داعين له بحسن الابتهال فتولى الحق سبحانه خصميتهم فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية: 52] أي: لا تنظر يا محمد إلى حرقتهم على ظواهرهم وانظر إلى حرقتهم في سرائرهم ويقال: كانوا مستورين بحالتهم فشهرهم بأن أظهر قصتهم ولولا أنه سبحانه قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الآية: 52]

فشهد لهم بالإرادة وإلا فمن كان يتجاسر أن يقول: إن شخصاً مخلوقاً يريد الحق سبحانه والتحقيق أن الإرادة اهتياج يحصل في القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل إلى الله فصاحب الإرادة لا يهدأ ليلاً ولا نهاراً ولا يجد من دون وصوله إليه سبحانه سكوناً ولا قراراً ويقال: تقيدت دعوتهم بالغداة والعشي لأنهما من الأعمال الظاهرة والأعمال الظاهرة مؤقتة ودامت إرادتهم فاستغرقت جميع أوقاتهم لأنها من الأحوال الباطنة والأحوال الباطنة/ مسرمدة غير مؤقتة ويقال: 249/ أ أصبحوا ولا سؤل لهم من دنياهم ولا مطالبة من عقباهم ولا هم سوى حديث مولاهم فلما تجردوا لله تمحضت عناية الحق لهم فتولى حديثهم وقال: ولا تطردهم يا محمد قال: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 52] لا تطالب بحسابهم ولا يطالبون بحسابك بل كل يتولى الحق سبحانه وتعالى حسابهم فإن كان أمره خيراً فهو ملاقيه وإن كان شراً فهو مقاسيه.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 53] أي: كما فتنا أحوال الناس في أمر الدنيا ﴿فَتَنَّا﴾ [الآية: 53] أي: ابتلينا ﴿بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 53] في أمور الدين فقدمنا هؤلاء الفقراء على أكابر الكفار والأغنياء ﴿لِّيَقُولُوٓاْ﴾ [الآية: 53] أي: الرؤساء ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 53] أي: الضعفاء ﴿مَنَّ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 53] أنعم عليهم ﴿عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الآية: 53] بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا وهو إنكار منهم بأن يخص هؤلاء من بينهم بإصابة الحق وسبق الخير لهم في طريق الصدق كقولهم لو كان خيراً ما سبقونا إليه واللام للعاقبة أو العلة ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 53] أي: بمن يقع منه الشكر والإيمان فيوفقه وبمن يصدر منه الكفر والكفران فيخذله.

قال الحسين: قطع الخلق بالخلق عن الحق فقال فتنا بعضهم ببعض.

وقال أبو بكر الورّاق: هو فتنة الرجل بولده وزوجته والاشتغال بهم وبأسبابهم وقد ذكر عن بعض السلف أنه قال ما شغلك عن الله فهو شؤم وهو بلاء وفتنة وسبب به ملوم.

وقال الأستاذ: أما الفاضل فليشكر وأمّا المفضول فليصبر.

وفي «**نفائس العرائس**» الفقير الصادق إذا امتنّ الله عليه بمعرفته وكشف

مشاهدته وكساه رداء هيبته يكون مبجلاً عند جميع خلقه لبروز نور جلال الله من وجهه فحيث يحيي يقوم العالم بحقه لصولة حاله وغلبة وجده ولطائف كلامه وشرائف مرامه ويكون سالب قلوب الخلق بما يجري علي أحكام ربوبيته فيظهر لهم منه سنى كراماته ولطيف آياته فيحسد عليه أهل الدنيا من المغرورين بمزخرفاتها الواقعين في ورطاتها ويقولون عند العامة أهؤلاء الذين لهم آية وكرامة وأرادوا بذلك صرف وجوه الناس عنه إليهم حسداً عليهم فأجاب الله رغماً لأنوفهم ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 53] أي: هو تعالى يعلم صدقهم وإخلاصهم في كرمهم وجودهم وبذل وجودهم شكراً لإنعامه وحمداً/ لما منّ عليهم من إكرامه حيث خصهم بالدرجات الرفيعة والحالات الشريفة المنيعة وفي الآية نكتة أخرى وهي أن فتنة الفقير طمعه إلى الغني وفتنة الغني بغضه للفقير لئلا يؤدي حقه. 249/ ب

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 54] أي: بالقرآن ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الآية: 54] أي: أمرهم بأن يبدأهم بالتسليم عليهم ويبلغ سلام الله إليهم ويبشرهم بسعة رحمة ربه وكمال فضله لهم بعد النهي عن طردهم إيذاناً بأنهم الجامعون بين فضيلتي العلم والعمل بسبب الإيمان والقرآن ومن كان كذلك ينبغي أن يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا وبالرحمة في العقبى.

قال الواسطي: برحمته وصلوا إلى عبادته لا بعبادتهم وصلوا إلى رحمته وقيل: سلم أنت على الذين يؤمنون بآياتنا فإنا نسلم على الذين آمنوا بنا بلا واسطة وذلك قوله ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: 58].

وأفاد الأستاذ: أن السلام السلامة أي: فقل لهم سلام عليكم منا سلمتم في الحال عن الفرقة وفي المآل عن الحرقة ثم أن وكل بك من كتب عليك الذلة فقد تولى بنفسه لك كتابة الرحمة وكتابته لك أزلية وكتابته عليك وقتية والوقتية لا تبطل الأزلية ﴿أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا﴾ [الآية: 54] أي: سيئة وهو استئناف لتغير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالفتح على البدل منها وقوله:

﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾ [الآية: 54] في موضع الحال أي: من عمل سيئة جاهلاً بحقيقة ما يتبعه من المضرة ومتلبساً بفعل الجهلة ﴿ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [الآية: 54] أي: بعد العمل أو السوء ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ [الآية: 54] أي: عمله أو أخلص توبته وأحسن أمله ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 54] أي: يغفره ويرحمه البتة فجواب الشرط محذوف والمذكور دليله أقيم مقامه وقرأ الشامي وعاصم بالفتح على إضمار مبتدأ أو خبر أي: فأمره أو فله غفرانه البتة وعلى كل دلت الآية على أن لزوم المغفرة لا يكون إلا بالتوبة وأما المغفرة من غير التوبة فهي تحت المشيئة.

وأفاد الأستاذ: يعني من تعاطى شيئاً من أعمال الجهال ثم سوف في الرجوع والأوبة في الحال أو الاستقبال قابلناهُ بحسن الإمهال وجميل الإفضال فإذا عاد بتوبته وحسرته أقبلنا عليه بلطف وقبول في رحمته.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 55] أي: مثل/ ذلك التفصيل الواضح والتبين اللائح ﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية: 55] التي يحتاج الناس إلى بيانها في الأوقات في القرآن المبين ببيان صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والأوابين ﴿وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الآية: 55] أي: نفصل الآيات ليظهر الحق للكاملين ولتستبين سبيل المجرمين وقرأ نافع بالخطاب ونصب سبيل أي: ولتستوضح يا محمد سبيلهم وتعرف طريقتهم فتعامل كلاً منهم بما يحق له وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحفص برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء والرفع على تذكير السبيل ومن هنا كان عليه السلام يبدر أصحابه بالسلام[1] رواه الترمذي. 250/ أ

وقال الأستاذ: نزيل الإشكال ونوضح طريق الاستدلال وتطلع شموس التوحيد وتمد أهله بحسن التأبيد وتسم قلوب الأعداء بوسم الخذلان ونذيقهم شؤم الحرمان لئلا يبقى لأحدٍ عذر في حال ولا في الطريق إشكال.

﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ﴾ [الآية: 56] أي: صرفت وزجرت بما نصب لي من أدلة

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 154) رقم (1430)، والطبراني في المعجم الكبير (22/ 155) رقم (414).

التوحيد وبما كشف لي من حقائق التفريد ﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 56] أي: عن عبادة ما سواه بخلاف من اتخذ إلهه هواه ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾ [الآية: 56] أي: لا أوافق آرائكم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ [الآية: 56] أي: إن اتبعت رضاكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 56] في أمر الدنيا والدين.

وقال الأستاذ: يعني صرح بالاعتراف بجميل ما خصصناك به من وجوه العصمة وصنوف النعمة وأخبرهم أنك في كنف الإيواء تتقلب وفي قبضة الصون تتصرف فلا للهوى علي سلطان ولا لي في محل التحقيق تباعد ولا عن الحضور غيبة.

﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ [الآية: 57] أي: بصيرة واضحة وحجة لائحة من الحجج العقلية والأدلة النقلية ﴿مِّن رَّبِّى﴾ [الآية: 57] أي: من جهته أو من معرفته ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 57] أي: بربي حيث أشركتم به غيره أو بما بين لي من توحيده وتفريده.

وقال الأستاذ: قل الله سبحانه لم يغادرني في فقر الطلب والتماس التحير وأغناني عن كد الاستدلال وروحني بشموس التحقيق ولئن بقيتم في ظلمة الالتباس فليس لي قدرة على إزالة ما ابتليتم به من التحير ونفي ما امتحنتم به من الجهالة والتردد ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 57] يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: 70] ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الآية: 57] أي: في إنزال العذاب وإيصال الثواب ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 57] أي: يبينه ويظهره/ ويميزه ويعينه ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الآية: 57] أي: الفارقين بين الخطأ والصواب وما يتفرع عليهما من العقاب والثواب وقرأ أبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي يقص الحق من القضاء وهو مرسوم بدون الياء والمعنى يقضي القضاء الحق ويحكم الحكم الصدق بما يقضي ويحكم من تأخير وتعجيل وهداية وتضليل وهو خير الحاكمين وأرحم الراحمين. 250/ ب

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى﴾ [الآية: 58] أي: في قدرتي ومكنتي ﴿مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 58] من العذاب ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 58] قبل يوم

الحساب ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 58] أي: ما يليق لهم من حصول الإمهال أو نزول العقاب.

وقال الأستاذ: يعني لو قدرت على إبداء ما طلبتم من إقامة البراهين لكم لأجبتكم إلى كل ما اقترحتم علي شفقة عليكم لكن المتفرد بالحكم هو الله فلا يعارض فيما يريد مما سواه.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية: 59] أي: خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن أو ما يتوصل به إلى المغيبات مستفاد من المفاتح الذي هو جمع مفتح بكسر الميم وهو المفتاح ويؤيده أنه قرىء مفاتيح.

وفي البخاري(1) مفاتيح الغيب خمس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾ [لقمان: 34] الآية والمعنى أن التوصل إلى المغيبات المحيط علمه بها.

﴿لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الآية: 59] فيظهرها على ما اقتضت حكمته وتعلقت به مشيئته.

وأفاد الأستاذ: أن المفتاح ما يرتفع به الغلق فالذي يحصل به مقصود كل أحد قدرة الحق فإن التأثير لها في الإيجاد عندما تعلقت المشيئة بالمراد ويقال عندك مفاتح الغيب وعنده مفاتح الغيب فإن آمنت بغيبه أسبل السجف(2) على غيبك.

﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾ [الآية: 59] أي: يتعلق علمه بالمشاهدات كما يختص علمه بالمغيبات ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا﴾ [الآية: 59] أي: لا تسقط إلا بعد تعلق الإرادة بها فهو مبالغة في إحاطة علمه بالجزئيات ﴿وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 59] أي: مما تحت الأرض السابعة من السفليات أو من البذور المدفونة في أرضي الزراعات ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ﴾ [الآية: 59] أي: من جميع الكائنات والثلاثة معطوفة على ورقة وقوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الآية: 59]

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4778)، وأبو يعلى في المسند (9/ 345) رقم (5459)، وأحمد في المسند (2/ 24) رقم (4766).

(2) في تفسير القشيري: مد الشمس.

أي: اللوح المحفوظ صفة المذكورات كما أن قوله: ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الآية: 59] صفة ورقة ويؤيده أنها قرئت بالرفع على الابتداء والخبر ﴿ إِلَّا فِي/ كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية: 59] . 251/أ

وقال أبو سعيد القرشي: في هذه الآية ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ﴾ أي ورقة خضراء معلقة من تحت العرش فإذا يبست الورقة وقعت بين يدي ملك الموت عليه السلام مكتوب عليها اسمه واسم أبيه يعلم ملك الموت أنه قد أمر بقبض روحه.

قال صاحب «العرائس» وفي الحديث المروي عن النبي ﷺ قال: ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ورق فلان ابن فلان وذلك قوله في محكم كتابه ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾ [الآية: 59] الآية.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الآية: 60] أي: يميتكم فيه وعبر عن الإنامة بالتوفي لأن النوم أخو الموت ولما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس والتمييز ففيه نوع من الاستعارة ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الآية: 60] أي: كسبتم فيه من الأوزار ﴿ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ﴾ [الآية: 60] أي: يوقظكم ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 60] في النهار ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الآية: 60] أي: أجل الحياة إلى الممات والمعنى يستوفي مدة آجالكم وتنقضي جملة أفعالكم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ﴾ [الآية: 60] أي: مآلكم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 60] أي: يجازيكم بأعمالكم على وفق أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أنه يتوفى الأنفس في حال النوم وفي حال الوفاة فكما أنه لا يعاقبك بالليل ولا يعذبك إذا توفاك على ما جرحت بالنهار مع علمه بأفعالك فبالحري أن لا يعذبك غداً إذا ما توفاك على ما علمه من قبح أحوالك.

وفي «النفائس» توفاهم بالليل لطيران أرواحهم في أسرار الملكوت وسيرانها في أنوار الجبروت ليزيد شوقها إلى معادنها وتعرف ما يجازي به

بأعمال الأشباح التي كسبتها بالنهار من الثواب والعقاب وتعلم قدرة الله بالإحياء والإماتة مباشرة ومعاينة لتحيى عليها وقت انقطاعها من الحدثان إلى مشاهدة الرحمن.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية: 61] أي: الغالب على عباده في مراده فهو تصوير لقهره وعلوه بالقدرة والقوة.

وأفاد الأستاذ: أنه فوق عباده بالقهر والغلبة وللرفعة وفوقهم بالقدرة على أن يعذبهم من فوقهم بإنزال العقوبة عليهم والسخطة ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الآية: 61] ويحفظ أبدانكم كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 11] أو يحفظ أعمالكم وهم الكتبة الكرام/ البررة 251/ ب ولعل الحكمة فيه أن المكلف إذا علم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الأشهاد لديه كان أزجر عن السيئات وأفخر في العبادات فإن العبد إذا وثق بلطف سيده وبره اعتمد على لطفه وستره واغتر بفضله وكرمه فلم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين على علمه وعمله ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ [الآية: 61] أي: حان أجله وانقطع أمله وارتفع عمله ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الآية: 61] أي: ملك الموت وأعوانه وقرأ حمزة توفاه بألف ممالة ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الآية: 61] فإنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ﴾ [الآية: 62] أي: جميع الخلق ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 62] أي: إلى حكمه وجزائه وهو متولي أمرهم وحاكم بالعدل في حقهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه ردهم إلى نفسه فما غابوا عن القبضة لحظة ولا خرجوا عن المشيئة نفساً ولا لمحة والرد إلى من رباك وأولاك خير من البقاء مع من أبلاك وأقماك وقال بعضهم هي أرجى آية في كتاب الله لأنه لا مرد للعبد أعز من أن يكون مرده إلى مولاه ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [الآية: 62] أي: أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الآية: 62] حيث لا يحتاج إلى ضرب وقسمة وفكر ورؤية فيحاسب الخلائق في مقدار ساعة.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم﴾ [الآية: 63] أي: يخلصكم ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الآية:

63] أي: شدائدها أو من الخسف والفرق بها ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾ [الآية: 63] جملة حالية ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 63] أي: إعلاناً وإسراراً أو معلنين ومسرين وقرأ أبو بكر بكسر الخاء حيث جاء ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية: 63] أي: يقولون لئن أنقذتنا من هذه الشدة المبتلى بها في تلك الحالة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 63] لا من الكافرين وقرأ الكوفيون نجانا.

وأفاد الأستاذ: أن تذكير النعمة يوجب زيادة في المحبة فإنه إذا عرف جميل ما أسدى إليه ربه تمكن في قلبه حبه.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم﴾ [الآية: 64] بتشديد الجيم للكوفيين وهشام ﴿مِّنْهَا﴾ [الآية: 64] أي: من هذه الشدة ﴿وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الآية: 64] أي: أعم سواها بما ينزل بالقلب ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 64] ولا تشكرون الرب كما هو حق العبد وتعودون إلى الشرك ولا تفون بالعهد.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الآية: 65] كما فعل بقوم نوح ولوط وعاد وثمود وأصحاب الفيل ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الآية: 65] كما/ أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل: ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الآية: 65] أكابر ظلمتكم وأرباب حكومتكم و﴿مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الآية: 65] عبيدكم وخدمكم وسفلتكم ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الآية: 65] يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى فيقوم القتال بينكم ﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الآية: 65] أي: يقاتل بعضكم بعضاً ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ [الآية: 65] أي: نوضحها ونبينها بالوعد والوعيد ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 65] لكي يفهموا ويتدبروا ويعملوا بما يعملون.

252/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه لا طعم أدوى للإنسان من طعم الإنسان إن شئت في الولاية وإن شئت في العداوة والبغضة فمن مني بالبغضة مع أشكاله تنغص عليه عيشه في الدنيا ومن مني بمحبة أمثاله تكدر عليه حاله مع المولى ومن صانه الله عن الخلق فهو المحفوظ المعافى.

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ [الآية: 66] أي: بالعذاب أو بالكتاب ﴿قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 66] أي: الصدق والصواب ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: 66] أي: بموكول إلى

أمركم إنما أنا منذر لكم والله هو الولي المتصرف فيكم.

وقال الأستاذ: يعني قل لهم إنما على تبليغ الرسالة فإما تحقيق الوصلة بالوجود والحالة الرضية فمن خصائص القدرة القوية وأحكام المشيئة الأزلية.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الآية: 67] أي: لكل خبر من الأخبار وقت استقرار ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 67] بعضه في الدنيا وبعضه في العقبى وفيه تهديد شديد ووعيد أكيد.

قال الواسطي: لكل دعوى كشف وقال بعض الأخيار.

سوف ترى حين ينجلي الغبار أفرس تحتك أم حمار[1]

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ [الآية: 68] بالتكذيب لها والاستهزاء بها والطعن فيها ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 68] واترك المجالسة معهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الآية: 68] أي: غير ما ذكر من الآيات أو أعاد الضمير على معنى الآيات وهو القرآن.

وقال الأستاذ: لا توافقهم في الحالة ولا ترد عليهم ببسط القالة ذرهم ووحشتهم بحسن الأعراض عنهم وتصاون عن الإصغاء إلى تهاوشهم بحسن الانقباض منهم ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ [الآية: 68] أي: بأن يشغلك بالوسوسة حتى ينسيك النهي عن المجالسة وقرأ ابن عامر بالتشديد ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى﴾ [الآية: 68] أي: بعد أن تذكره وهو مصدر وألفه للتأنيث ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الآية: 68] أي: معهم فإنهم ظلمة بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام.

﴿وَمَا عَلَى/ الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 69] أي: ما على المتقين شيء من حساب آثام الخائضين ﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ [الآية: 69] أي: ولكن عليهم أن ينكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض مرة أخرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 69] أي: يجتنبون الخوض حياءً منهم لكرامتهم أو كراهة لمساءتهم روي 252/ب

(1) سبق التعليق عليه.

أنه لما نزل النهي عن مجالستهم قال المسلمون إذا لم نستطع أن نجلس في الحرم ونطوف البيت المكرم فإنهم يخوضون أبداً فنزلت رخصة لهم في القعود بشرط التذكير.

وقال كثير من السلف: هذا منسوخ بآية النساء المدنية وهي قوله ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: 140] وفي رواية قال المسلمون نخاف الإثم حين نتركهم ولاتها هم ولاتها هم معنى الآية ولكن عليكم التجنب ويذكر النهي ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 69] حين يرون إعراضكم عنه وصح عن سعيد بن جبير على ما نقله ابن أبي حاتم عنه إنما عليكم إن تخوضوا في آيات الله شيء من حسابهم إذا تجنبتم وأعرضتم عنها فالمعنى عليكم الإعراض والحاصل أنه إن كان المراد بالآية رخصة مجالستهم بشرط وعظهم فهو منسوخ فإن آية سورة النساء مدنية متأخرة وإن كان المراد رفع الإثم عن المتقين بشرط التجنب عن صحبتهم حين خوضهم فهو عين ما في سورة النساء فلا نسخ وعليه كلام سعيد بن جبير والله أعلم بحقيقة الحال.

وأفاد الأستاذ أن من كان نقي الثوب عن ارتكاب الأجرام كان بمعزل يوم نشره من ملاقاة تلك الآلام.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الآية: 70] أي: بنوا أمر دينهم على التشهي وأسسوا بنا تعنتهم على التلهي وتدينوا بما يضرهم أجلاً بما ينفعهم عاجلاً كعبادة الأصنام وتحريم نحو البحيرة من الأنعام والمعنى أعرض عنهم ولا تنظر إليهم في إدبارهم وإقبالهم ولا تبال بأقوالهم وأفعالهم ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الآية: 70] حتى اطمأنوا بها عن العقبى ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ [الآية: 70] أي: عظهم بالقرآن وأحكام المولى ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الآية: 70] مخافة أن تفضح أو تحبس وترهن أو تسلم إلى الهلاك بسوء ما عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾ [الآية: 70] يتولى أمرها في جميع الأبواب ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الآية: 70] يدفع عنها العذاب ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ [الآية: 70] أي: تَفْدِ النفس كل فداء لدفع بعض بلاء ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا﴾ [الآية: 70] / أي: لا ينفعها ولا يدفع شيئاً عنها 253/أ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ [الآية: 70] من العقائد الفاسدة والأعمال الكاسدة ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [الآية: 70] تأكيد وتفصيل متضمن لتهديد ووعيد والمعنى هم بين ماءٍ مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بأبدانهم بسبب كفرهم وكفرانهم فلهم حجاب الفرقة وعذاب الحرقة والحجاب أشد العذاب.

وفي «النفائس» اترك البطالين الذين شغِلوا عنا بحظوظ الكونين حتى لا يزاحموا مجالس الصديقين فإنهم محجوبون بحظوظهم من لذة خطابنا وحقائق كتابنا ولذة صحبة أحبابنا.

وقال الأستاذ: أي كلهم وما اختاروهُ لأنفسهم فإنا أعتدنا لهم من خفي مكرنا فيهم ما إذا أحللناه بهم كسرنا عليهم خمار الغفلة وكشفنا عنهم خمار الوهم والغلطة.

﴿قُلۡ أَنَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا﴾ [الآية: 71] أن عبدناه ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الآية: 71] إن تركناه والمعنى ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾ [الآية: 71] بارتكاب الشرك والمعصية ﴿بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 71] بتوفيق الإيمان والطاعة والمعنى لا يقع شيء من ذلك فإن المخالف لما هنالك ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الآية: 71] وقرأ حمزة أستهويه بألف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد أي: ننكص مشبهين الذي استهوته الشياطين وذهبت به مرد الجن والغيلان وأضلته ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ﴾ [الآية: 71] أي: في المهامة والمهالك حال كونه متحيراً ضالاً عن طريق الهداية واقفاً في سبيل الغواية ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ﴾ [الآية: 71] أي: لهذا المستهوي رفقة ﴿يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى﴾ [الآية: 71] أي: من طريق الهوى ويقولون ﴿ٱئۡتِنَاۗ﴾ [الآية: 71] أي: اتبعنا في طريقتنا واسلك سبيل تحقيقنا فلا يلتفت إليهم ولا يعرج عليهم ويتبع الغول فيهلك لديهم.

قال صاحب «الانتصاف»: ومن أنكر استهواء الجن واستيلائهم على بعض الإنس بقدرة الله الملك المتعال فهو ممن استهوته الشياطين في مهامه

الغفلة والضلال ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 71] أي: الذي هدى به من شاء من عباده ﴿هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 71] وحده وما عداه ضلال لكن على وفق مراده.

وقال الأستاذ: في معنى الآية قل لهم يا محمد أتؤثر الضلالة على الهدى بعد طلوع شموس البرهان وندع الطريقة المثلى بعد ظهور البيان ونترك ساحة الجنة وقد نزلناها ونطلب في الجحيم مثوى بعدما كفيناها أن هذا بعيد من العقول ومحال من ظنون الفحول.

253/ب وفي «**نفائس العرائس**» أي/أن هدى الله الذي بسط شرائعه وحقائقه وطرائقه للأنبياء والأولياء والصديقين والمقربين وذلك طريق عرفانه والوصول إلى جنان مشاهدته وعيانه وذلك الطريق لأهل اصطفائه يدل لأصفيائه على الرضا بقضائه والصبر في بلائه والشكر على نعمائه والتسليم لمراده بحيث لا يكون لهم معارضة في بلاده وهذا معنى قوله ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 71] من جملة القول عطف على أن هدى الله واللام بمعنى الباء أي: بأن نسلم ونختار الهداية ونخلص له العبادة.

قال أبو عثمان: أمر العبد بالتسليم والتسليم ترك التدبير في التأخير والتقديم والرضى بمجاري القضاء.

﴿وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [الآية: 72] عطف على التسليم أي: وأمرنا بالإسلام والاستسلام وبإقامة الصلاة وسائر الأحكام وبالاتقاء عن الآثام قبل إقامة الصلاة وحفظ حدودها والدخول فيها بشرط الحرمة والقيام بها على سبيل الهيبة والمناجاة بلسان الافتقار والذلة والخروج منها على رؤية التقصير والحرقة فهذه إقامة صلاة المعبود الترسم بمجرد الركوع والسجود ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 72] أي: تجمعون وعلى وفق أعمالكم مجزيّون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 73] أي: قائماً بالعدل والحكمة في الخلق ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ﴾ [الآية: 73] .

قال الأستاذ: يعني أنه لا يعتاص على قدرته سبحانه حدوث مقصود ولا يتقاصر حكمه عن تصريف موجود ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية: 73] أي: الواقع الصدق

النافذ في الخلق.

قال الحسين: هو الحق ولا يظهر من الحق إلا الحق قال الله قوله الحق ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الآية: 73] أي: ظاهراً وباطناً ويكون ظهور ذلك النور ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ﴾ [الآية: 73] حين يقول الملك الجبار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾ [الآية: 73] أي: هو عالم ما غاب وظهر للعباد ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية: 73] بما يقع في البلاد من الصلاح والفساد على طبق ما قضاه وأراد والجملة بمنزلة الفذلكة للآية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾ [الآية: 74] عطف بيان لأبيه سواء يكون اسمه أو لقبه واسمه تارخ على ما في التواريخ ومنع صرفه للعجمة ويؤيده أنه قرأ يعقوب من العشرة آزر بالضم على النداء ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الآية: 74] من دون الله الذي استحق/ العبادة ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية: 74] أي: في ضلالة ظاهرةٍ عن طريق اليقين في أمر الدين وأفاد الأستاذ أن الأصل منهمك في الجحود والنسل متصف بالتوحيد والحق سبحانه يفعل ما يريد أي: تارة كذا وأخرى كما فعل عكس ذلك في قضية نوح وولده البليد وإليهما الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّۚ﴾ [النساء: 95] ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 75] أي: مثل هذه الإرادة الآتية ﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 75] أي: عجائبها وبدائعها أو دلائل الربوبية وصنائعها. 254/أ

وفي «البحر» عن علي رضي الله عنه مرفوعاً قال: كشف الله عن السموات والأرض حتى العرش وأسفل الأرضين[1].

وقال أبو سعيد الخراز: أراه ذلك ليطيق الهجوم على عظمته ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الآية: 75] في أمر الدين وقيل: التقدير ليستدل وليكون من الموقنين بأن لها صانعاً وقيل: أراه ملكوت السموات والأرض أنها محدثة وأن لها مدبراً فصار من الموقنين بأن لا دافع ولا نافع سوى الله وقيل: أرى الخليل الملكوت فاشتغل بالاستدلال للخلق على الحق فلما كشف له تبرأ عن الكل إجمالاً فقال

(1) تفسير البغوي (3/ 158)، وتفسير أبي السعود (3/ 152).

لجبريل أما إليك فلا[1].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لاطفه بسابق العناية ثم كاشفه بلاحق الهداية فأراه من دلالة توحيده ما لم يبق في قضاء سره شظية من غبار الريب فلما صحا من غيم التجوز سماء سره قال: بنفي الأغيار جملة وتبرأ عن الجميع ولم يغادر منها تهمة.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾ [الآية: 76] أي: أظلم عليه وستر حاله بظلامه لديه ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ [الآية: 76] نورانياً منسوباً إليه ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ [الآية: 76] أي: هذا الحادث ربي وهو محتاج إلى رب مثلي أو على زعمكم فإنهم كانوا يعبدون الأصنام والكواكب العظام ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ [الآية: 76] أي: غاب ونزل ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ [الآية: 76] فضلاً عن أن أعبدهم كالغافلين فإن الانتقال من حال الكمال إلى حال الزوال واحتجاب الأنوار تحت الأستار يعارض المرتبة الألوهية ويناقض الرتبة الربوبية ولم يستدل بطلوعه على أنه ليس يريه مع أن تغيره بظهوره كتغيره بغروبه لأن في الطلوع نوع عظمة وإشراق نور وسطوة لا سيما في حال ظلمة ووقت غفلة ولأن حال الزوال أظهر في مقام الاستدلال بالنسبة إلى أرباب/ 254/ب الضلال أو أراد تعدد الدلالة عند الانتقال والله أعلم بالأحوال.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الآية: 77] أظهر عجز نفسه في التحقيق واستعان بربه في إدراك الحق على جهة التوفيق وأرشد قومه إلى طريق الحقيق.

قال الواسطي: لئن لم يعنّي ربي على الهداية التي شاهدتها بأعلام أنواره لأكونن من القوم الضالين في نظري إلى نفسي من بقائي وصفاتي.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا﴾ [الآية: 78] أي: الشيء الطالع ﴿رَبِّي﴾ [الآية: 78] فذكر اسم الإشارة صيانة للرب عن شبهة التأنيث في العبارة أو لتذكير الخبر ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الآية: 78] أي: جرماً وأضاء فالضلالة أكثر ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ

(1) سبق تخريجه.

﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 78] أي: من الأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به من طلوعها وغروبها.

وقال السلمي: برئ من الاستدلال بالمخلوقات على الخالق العلمي بأن لا دليل على الله سواه ثم لما تبرأ عنها توجه إلى موجدها الذي دلت هذه الممكنات وسائر الكائنات على إبداعه لها فقال:

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الآية: 79] أي: وجه ذاتي وتوجه صفاتي ﴿لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية: 79] أي: أبدع العلويات والسفليات من الموجودات ﴿حَنِيفًا﴾ [الآية: 79] حال كوني مائلاً عن الشرك إلى التوحيد وعن رؤية الغير إلى التفريد ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 79] أي: بالله بإشراك ما سواه لا جلياً ولا خفياً في أمر الدين وبحث اليقين.

قال الإمام جعفر الصادق: يعني أسلمت قلبي للذي خلقه وانقطعت إليه من كل شاغل وشغل للذي فطر السموات والأرض فإن الذي رفع السموات بغير عمد وأظهر منها بدائع صنعه قادر على حفظ قلبي من الخواطر المذمومة والوساوس التي لا تليق بالحق.

وأفاد الأستاذ: أن الخليل الجليل أحاط به سجوف الطلب ولم ينجل له بعد صباح الوجود فطلع نجم العقول فشاهد الحق سره بنور البرهان فقال هذا ربي ثم زيد في ضيائه فطلع له قمر العلم فطالعه بشرط البيان فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الآية: 78] ثم أسفر الصبح ومقع النهار وطلع شموس العرفان عن برج شرفها فلم يبق للطلب مكان ولا للتجويز حكم ولا للتهمة قرار فحينئذٍ/ قال: 255/ أ ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 78] إذ ليس بعد شهود الغيب ريب ولا عقب الظهور ستر ويقال قوله عند شهود الكواكب والشمس والقمر ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الآية: 78] أنه كان يلاحظ الآثار والأغيار بالله ثم كان يرى الأشياء لله ومن الله ثم طالع الأغيار محوا في الله فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ [الآية: 79] الآية أي: أفردت قصدي لله وظهرت عقدي عن غير الله وحفظت عهدي في الله لله وأخلصت وجدي بالله فإن الله بالله بل محو في الله وبالله ولله.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ [الآية: 80] أي: جادلوه في التوحيد وخاصموه في التفريد ﴿قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ﴾ [الآية: 80] وقرأ نافع وابن عامر بخلاف عن هشام بتخفيف النون أي: أتجادلونني في وحدانيته وصمديته ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ [الآية: 80] أي: دلني على توحيده وهداني إلى تمجيده ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 80] أي: معبوداتكم في وقت من أوقاتكم لأنها لا تنفع ولا تضر بنفسها ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ [الآية: 80] أن يصيبني من جهتها ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ﴾ [الآية: 80] أي: أحاط به علماً كما أحاط به حكماً ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 80] أي: تتعظون فتعتبرون فتؤمنون ولا تكفرون.

وقال الأستاذ: يعني قال لهم: أترومون ستر الشموس بإسبال أكمامكم عليها أو تريدون أن تجروا ذيولكم إليها وقد تعالى سلطانه وتوالى بيانه.

﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ﴾ [الآية: 81] وهو لا يملك نفعاً ولا ضراً ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 81] وهو خالق الخير والشر والنفع والضر طراً ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ﴾ [الآية: 81] أي: بإشراكه ﴿عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ﴾ [الآية: 81] أي: حجةً وبرهاناً لا من جهة النقل ولا من طريق العقل فإن العقل السليم لم يجوز إشراك المصنوع بالصانع وتسوية المقدور العاجز بالقادر الضار النافع ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ [الآية: 81] أي: من الموحدين والمشركين ﴿أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 81] أي: تميزون بين الحق والباطل.

وقال الأستاذ: وأي خوف يقع على قلبي ظله ولم أُلِمّ بشرك ولم أجنح قط إلى جحد وأنتم ما شممتم رائحة التوحيد في طول عمركم ولا ذقتم طعم الإيمان في سالف دهركم ثم بسوء ظنكم تجاسرتم وما ارعويتم وخسرتم فما باليتم فأينا أولى بأن يلاحظ بعين سره ما هو بصدده من سوء مكره وعاقبة أمره ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الآية: 82] أي: ولم يحفظوه بشرك سابق ولا بشك لاحق/ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ [الآية: 82] من العذاب ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الآية: 82] إلى طريق الصواب وسبيل الثواب. 255/ب

وفي «تفسير السلمي» ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الآية: 82]

أي: لم يرجعوا في النوائب والمهمات إلى غير الله في جميع الحالات أولئك لهم الأمن من الآفات وهم مهتدون إلى معرفة الذات والصفات حيث رجعوا إلى من إليه المرجع والمآب وفي المنافع والمضرات.

وأفاد الأستاذ: أنهم الذين أشاروا إلى الله ثم لم يرجعوا إلى غير الله فإن من قال الله ثم رجع لتضل عند حاجاته أو مطالباته أو شيء من حالاته إلى غير الله فخصمه في الدنيا والعقبى هو الله والظلم في التحقيق وضع الشيء في غير موضعه وأصعبه حسبان الحدثان مما لم يكن فكان فإنّ المنشىء الله والمجري الله ولا إله إلا الله وسقط ما سوى الله.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 83] أرشدناه إليها وعلمناه إياها وأظهرناها له وبيناها قومه أي: حجة عليهم إن لم يقبلوها وهدية إليهم أن قابلوها ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ [الآية: 83] وقرأ الكوفيون بالتنوين فمن نشاء مفعول ودرجات منصوب بنزع الخافض أي: إلى درجات أو مصدر أي: نرفعه رفعات أو ظرف أي في درجات عاليات ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 83] في رفعه وخفضه ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 83] بحال من يرفعه ويخفضه واستعداده له.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أشار إلى ترقيه من شهود آياته إلى إثبات ذاته وكذلك الترتيب لأهل السلوك في وصولهم إلى الله فإنما هو تحقق بالآيات التي هي أفعاله وهذه مرقاة لهم وهي الأولى ثم إثبات صفاته وهي الرتبة الثانية ثم التحقيق بوجوده وذاته وهي غاية الوصول فبرسوله يعرف العبد نعوته وبنعوته يعرف ثبوته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ﴾ [الآية: 84] ولده ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ [الآية: 84] حافده ﴿كُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا﴾ [الآية: 84] إذ الهداية سبب النجاة به وباعث العبادة وموجب السعادة ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 84] أي: من قبل إبراهيم وعد هدايته نعمة على إبراهيم من حيث أنه جده وشرف الوالد يتعدى إلى ولده ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ [الآية: 84] أي: وهدينا من ذرية نوح أيضاً ﴿دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ

﴿وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية: 84] أي: وكانوا في مقام الإحسان وكمال العرفان.

256/ أ ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ [الآية: 85] أي: ابن مريم/ أي إلى أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَإِلۡيَاسَۖ﴾ [الآية: 85] وهو من أسباط هارون أخي موسى ﴿كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية: 85] أي: الكاملين في الصلاح العاملين بالفلاح.

﴿وَإِسۡمَـٰعِيلَ﴾ [الآية: 86] خص بالذكر منفرداً عنهم إشارة إلى أنه جد الفرد الأكمل منهم وهو نبينا عليه السلام وعليهم ﴿وَٱلۡيَسَعَ﴾ [الآية: 86] أي: ابن أخطوب بن العجوز أو يوشع بن نون وقرأ حمزة والكسائي اليسع وعلى القراءتين علم أعجمي دخل عليه اللام كما دخل على اليزيد في قوله: رأيت الوليد بن اليزيد مباركاً ﴿وَيُونُسَ﴾ [الآية: 86] أي: ابن متى ﴿وَلُوطٗاۚ﴾ [الآية: 86] وهو ابن هاران أخي إبراهيم ﴿وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ [الآية: 86] وفيه دليل فضلهم على من عاداهم من الخلق أجمعين فيدخل فيه ملائكة المقربين وفي البحر أن الله ذكرهم على ست مراتب السلطنة والقدرة لداوود وسليمان والبلاء والشدة لأيوب والجمع بين الابتلاء والوصول إلى الملك ليوسف وقوة المعجزة والصولة لموسى وهارون وزيادة الزهد والعصمة ليحيى وعيسى وإلياس وعدم بقاء أهل التبعية لإسماعيل واليسع ويونس ولوط.

﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ﴾ [الآية: 87] يعني وفضلنا بعض آبائهم أي: أصولهم ﴿وَذُرِّيَّـٰتِهِمۡ﴾ [الآية: 87] أي: فروعهم ونبينا عليهم السلام فرداً أكملهم ﴿وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ﴾ [الآية: 87] أي: حواشيهم وأتباعهم ﴿وَٱجۡتَبَيۡنَـٰهُمۡ﴾ [الآية: 87] أي: اخترناهم للنبوة والولاية ﴿وَهَدَيۡنَـٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية: 87] أي: طريق موصل إلى وصول الرعاية وحصول العناية.

قال الجنيد: أخلصناهم لقربتنا وأدبناهم لحضرتنا وذللناهم على الاكتفاء بنا عما سوانا ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 88] إشارة إلى ما هم عليه ﴿يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الآية: 88] إليه ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ [الآية: 88] أي: هؤلاء الأنبياء مع علو شأنهم بالفرض والتقدير لتحقق عصمتهم في إيمانهم ﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ

﴿يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 88] أي: لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم وسقوط أحوالهم في حالهم ومآلهم.

وقال الأستاذ: ذكر عظيم المنّة على كافتهم صلوات الله وسلامه عليهم وبين أنه لولا تخصيصه إياهم بالتعريف وتفضيله له على ما سواهم بغاية التشريف وإلا لم يكن لهم استيجاب ولا استحقاق ثم قال ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 88] إلى آخره يعني لو لاحظوا غيراً أو شاهدوا من دوننا شيئاً لتلاشى ما أسلفوه من عرفانهم وإحسانهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ/ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 89] يريد بهم الجنس ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ [الآية: 89] أي: الحكمة أو الحكومة بمعنى فصل القضية ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الآية: 89] وهي أعم من الرسالة ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ [الآية: 89] أي: بهذه الثلاثة أو بالنبوة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 89] يعني بعض قريش فالإشارة الأولى للتعظيم وهذه للتحقير ممن علم الله منهم التقصير ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ [الآية: 89] أي: وفقنا بمراعاتها ﴿قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 89] يعني المهاجرين والأنصار والتابعين لهم إلى يوم الدين رضي الله عنهم أجمعين أو يريد الأنبياء والمرسلين أو الملائكة المقربين أو أهل الفرس المتفرسين أو أهل اليمن المباركين. 256/ ب

وقال الأستاذ: يعني أن أعرض قومك يا محمد فليس كل من أثبتناهم فعلى الجحود أظهرناهم بل كثير من عبادنا نزهنا عن الجحود قلوبهم وعجنّا بماء السعادة طينتهم فهم لا يحيدون عن التوحيد لحظة ولا يزيغون عن التحصيل شمّة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [الآية: 90] يريد بهم الأنبياء الذين تقدم ذكرهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الآية: 90] بهاء السكت وأثبتها في الدّرج نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم إجراء للوصل مجرى الوقف وحذفها حمزة والكسائي في الوصل على الأصل وقرأ ابن عامر بها الضمير إلا أنه أشبعها في رواية عن ابن ذكوان فهو كفاية عن المصدر والمعنى اختص طريقهم بالاقتداء فإن الاهتداء في متابعة الأنبياء والمراد ما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين ومكارم الأخلاق

المجمع عليها دون الفروع المختلف فيها.

وقال الأستاذ: أولئك الذين طهر الله عن الجحد أسرارهم ورفع على الكافة أقدارهم فاقتف يا محمد هديهم وآثارهم قلت: ومن جملتها قوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ﴾ [الآية: 90] أي: على التبليغ ﴿أَجْرًا﴾ [الآية: 90] أي: جعلاً من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين بل إن أجري إلا على رب العالمين وفيه إيماءً إلى أن الأنبياء وأتباعهم من العلماء الأولياء العاملين لم يكونوا في الخلق طامعين ﴿إِنْ هُوَ﴾ [الآية: 90] أي: التبليغ ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الآية: 90] أي: تذكير وموعظة لهم في أمر الدين.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 91] أي: ما عظموه حق عظمته أو ما عرفوه حق معرفته في الرحمة والإنعام على الأنام ﴿إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الآية: 91] من الكتاب والوحي والإلهام مع تضمن بعثته عظائم رحمته وجلائل نعمته أو في السخط على الكفار والقهر بهم حتى/ جسروا على هذه المقالة وتصمموا على هذه الحالة. 257/ أ

ولذا قال السلمي: لو عرفوا ذلك لذابت أرواحهم وفنيت أشباحهم والقائلون هم اليهود والبالغون في الجحود كما يدل عليه نقض كلامهم وإلزامهم بما لا بدّ لهم من الإقرار به من مرامهم ﴿قُلْ﴾ [الآية: 91] أي: لهم ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ﴾ [الآية: 91] أي: ذا قراطيس أو القراطيس ﴿تُبْدُونَهَا﴾ [الآية: 91] أي: تظهرون ما تحبون ﴿وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الآية: 91] مما لا تشتهون مثل نعت محمد ﷺ وآية الرجم روي أن قائله مالك بن الصيف قاله لما أغضبه النبي ﷺ بقوله: أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين؟ قال: نعم، قال: فأنت الحبر السمين[1].

وقراءة الجمهور بالخطاب في الأفعال الثلاثة يؤيد أن الآية في اليهود اللّهم إلا أن يقال أن قريشاً واليهود والنصارى يتشاركون في إنكار القرآن فلم

(1) المقاصد الحسنة (1/ 207)، وكشف الخفا (1/ 248)، تفسير الطبري (11/ 521).

يبعد أن يكون الكلام الواحد بعضه خطاب مع قريش وبقيته مع اليهود والنصارى كأنهم طائفة واحدة وأما على قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالغيبة فهو التفات من الخطاب إلى الغيبة عند من يقول الآية في اليهود إهانة بهم وقيل: هو حمل على ما قالوا وما قدروا وقال ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير أن الآية نزلت في قريش وهم يسمعون كتاب موسى من اليهود ويسلمونه ويقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم[1].

والحاصل أن صدر الآية مناسب لأن تكون نازلة في المشركين وجعل التوراة قراطيس متعين أن يكون في حق اليهود ويمكن الجمع كما تقدم والله أعلم ويؤيده خطاب العموم بقوله سبحانه: ﴿وَعُلِّمْتُم﴾ [الآية: 91] على لسان محمد أو بسبب القرآن ﴿مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ [الآية: 91] زيادة على ما في التوراة والإنجيل وخبر من قبلكم ونبأ من بعدكم ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 91] أنزله أو أنزله الله أمره بأن يجيب عنهم ولا ينتظر الجواب منهم إشعاراً بأن هذا الجواب هو الصواب وتنبيهاً على أنهم تحيروا حتى لم يقدروا على الجواب والمعنى قل هذا الكلام لهم ﴿ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ﴾ [الآية: 91] أي: اتركهم في أباطيلهم ﴿يَلْعَبُونَ﴾ [الآية: 91] في أضاليلهم حيث لا يعملون بما يعلمون ويحسبون أنهم يحسنون ثم هذه العبارة التفسيرية ما تنافي/ الإشارة الصوفية حيث قالوا: قل الله 257/ ب ثم اترك ما سواه كما لا يخفي على أهل الانتباه وفي معناه استغفر الله مما سوى الله.

وأفاد الأستاذ: في قوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 91] أن من توهم أن العلوم تحيط بجلاله فالإحاطة غير سائغة في نعته كما أن الإدراك غير جائز في وصفه وكما أن الإشراف محال على ذاته ثم قال: ﴿مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 91] أي: سألهم عن الأحوال وخاطبهم في معاني أحكام الرسوم والأطلال ثم بقوا في ظلمة الحيرة ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الآية: 91] يعني صرح بالإخبار عن التوحيد ولا يهولنك تماديهم في الأباطيل فإن تمويهات الباطل لا

(1) تفسير الطبري (12/ 243) رقم (14190).

تأثير لها في «**الحقائق**».

وقال صاحب «**العرائس**» قطع الله بقوله ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 91] أطماع الحدثان عن إدراك كنه قدمه وعزة أزله لأن الحدثان لا يبقى أثرها في جمال سطوات غيرة الرحمن كيف يعرف قدره من لا يعرفه وكيف يعرفه من لا يعرف نفسه وكيف يعرف نفسه من لا يكون خالق نفسه وكيف يكون خالق نفسه والأزلية منزهة عن الأضداد والأنداد لأن سطوات عظمته لا يبقى للحدثان أثر في ساحة كبريائه.

﴿وَهَٰذَا﴾ [الآية: 92] القرآن ﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية: 92] جامع البيان ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية: 92] أي: على قلب عليّ الشأن ﴿مُبَارَكٌ﴾ [الآية: 92] كثير البركة والمنفعة للإنسان ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية: 92] مطابق لما في التوراة وموافق لما في الكتب السماوية قبله ليتباركوا فيه وليؤمنوا بجميع ما جاء من عنده ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية: 92] ولتخوف أهلها من المشركين ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الآية: 92] من أهل الشرق والغرب أجمعين وسميت مكة أم القرى لأنها مشتملة على مكان اجتماعهم وموضع حجهم واعتمارهم أو لأن الأرض دحيت من تحتها فهي أصلها ولأن فيها قيام العالم ونظام بني آدم وقرأ شعبة بالغيبة أي لينذر النبي أو الكتاب ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 92] في العاقبة ثم بين الإيمان بالنبي والكتاب نوع من الملازمة ولذا اكتفى بتوحيد الضمير في به ﴿وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ [الآية: 92] أي: وسائر عباداتهم ﴿يُحَافِظُونَ﴾ [الآية: 92] وخصت الصلاة لأنها أم العبادات وأساس الطاعات الموجبة للصلاة.

وأفاد الأستاذ: أن كتاب الأحباب عزيز الخطر جليل الأثر فيه سلوة عند/ غلبة الوجد والجذبة ومن بقي عن الوصول تذلل للرسول كما قيل: 258/أ

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي وفيها شفاء للذي أنا كاتم
كأني ملحوظ من الجن نظرة وهن حوالي الرقى والتمائم[1]

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 93] فزعم أنه بعث نبياً كمسيلمة

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 272).

والأسود العنسي أو اختلف عليه أحكاماً من السوائب وغيرها كعمرو بن لحي.

وفي معناه من كذب في رؤياه أو في دعواه بما ليس في مبناه.

وقال سهل: من ذكر بالغفلة فقد افترى على الحضرة ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الآية: 93] جملة حالية من فاعل قال كمسيلمة فإنه كان يدعي الوحي والنبوة على ما قاله عكرمة وقتادة أو كعبد الله بن أبي سرح كان يكتب لرسول الله فلما نزلت ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: 12] وبلغ قوله ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون: 14] قال عبد الله تبارك الله أحسن الخالقين تعجباً من تفصيل خلق الإنسان فقال عليه السلام اكتب فتبارك الله أحسن الخالقين فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحى إليه ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال ثم تاب ومات مسلماً ساجداً أو كان ما ظهر له انعكاساً من مرآة النبوة في مقابلة الحضرة فتوهم أنها مكاشفة له مستقلة ولم يعرف أنها عارية مردودة وأو في الآية للتنويع أو بمعنى الواو ولذا قال: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 93] كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وتسميته إنزالاً مجاز والمعنى سأنظم كلاماً يماثل ما ادعيتم أن الله أنزله أو هو من قبيل المشاكلة والمقابلة.

قال الأستاذ: يعني الذين يتنزلون منزلة المحدثين ولم يلق إلى أسرارهم خصائص خطاب المحققين فالحق عنهم بريء والمتتبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور وفي معناه أنشدوا:

إذا اشتبكت دموع في خدود تبين من بكى ممن تباكى[1]

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الآية: 93] أي: لو ترى زمان سكرات الظلمة وشدائد حالهم من ظلمة المعصية والغفلة لرأيت أمراً في غاية الفظاعة ونهاية من الشناعة ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 93] لتعذيب أشباحهم بضرب مقامعهم أو لقبض/ أرواحهم كالمتقاضي المسلط عليهم وقد 258/ ب ورد أن أرواح الكفار تتفرق في أجسادهم وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة

(1) سبق التعليق عليه.

بمقامعهم حتى تخرج رواه ابن أبي حاتم وغيره[1] ويؤيده قوله: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ﴾ [الآية: 93] أي: يقولون أو قائلين لهم اخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظاً لهم وتعنيفاً عليهم أو أخرجوها من العذاب وخلصوها من أيدينا تهكماً بهم ﴿ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية: 93] يريد به وقت الإماتة أو زمن القيامة أو الوقت الممتد من الإماتة إلى ما ليس له نهاية ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الآية: 93] أي: الذل والهوان والمراد به العذاب المشتمل على المذلة والإهانة ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 93] من إدعاء الولد والشريك مطلقاً ودعوى النبوة والوحي والرسالة كاذباً ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: 93] فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون بها فالهوان والصغار جزاء الاستكبار والاستحقار جزاءً وفاقاً وعلى وفق أحوالهم طباقاً.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ [الآية: 94] للحساب والجزاء بالثواب أو العقاب في العقبى ﴿فُرَٰدَىٰ﴾ [الآية: 94] منفردين عن الأموال والأولاد والشفعاء وسائر ما آثرتموه علينا من الدنيا ﴿كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 94] وقد كنتم تنكرون ذلك بالمرة وهو بدل من فرادى أي: على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد أو حال من الضمير في فرادى أي: مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلاً بُهْماً ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن العقبى وغفلتم بسببه عن المولى ﴿وَرَآءَ ظُهُورِكُمْۖ﴾ [الآية: 94] أي: ما قدمتم منه شيئاً يسيراً ولا قدمتم فيه منه نقيراً ولا قطميراً بل جئتم مفلسين مبلسين ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ﴾ [الآية: 94] أي: من الأصنام ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾ [الآية: 94] أي: شركاء لله في تربيتكم واستحقاق عبادتكم ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الآية: 94] أي: تقطع وصلكم وتحقق فصلكم وقرأ نافع والكسائي وحفص بالنصب على إضمار الفاعل فأسند التقطع إلى ضمير الأمر لتقرره في النفوس أي: تقطع الأمر بينكم وأصله لقد تقطع ما بينكم كما قرىء به ﴿وَضَلَّ عَنكُم﴾ [الآية: 94] أي: ضاع وبطل وغاب منكم ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الآية: 94] أنها شفعاء ولا بعث ولا جزاء قال بعضهم أجمل مقام العبد إظهار إفلاسه من جميع حالاته والرجوع إليه خالياً

(1) تفسير ابن كثير (3/ 302).

عن عبادته وجميع طاعاته وقيل لأبي حفص بماذا تقدم على الله؟ قال: وما للفقير أن يقدم/ على الغني سوى فقره قال الله: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾ [الآية: 94] خالين عن أعمالكم وأحوالكم. 259/ أ

وقال الأستاذ: دخلت الدنيا بخرقة وخرجت منها بخرقة ألا وتلك الخرقة أيضاً لبسة وما دخلت إلا بوصف التجرد ولا خرجت إلا بحكم التفرد ثم الأثقال والأوزار والأحمال والأوضار لا يأتي عليها حصر ولا مقدار فلا مالكم أغنى عنكم ولا حالكم يرفع منكم ولا لكم شفيع يخاطبنا فيكم فقد تقطع بينكم وتفرق وصلكم وتبدد شملكم وتلاشى ظنونكم وخانكم في التحقيق وسعكم وفنونكم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الآية: 95] أي: شاقهما وخالقهما بسبب نبات الزرع في الحال والأشجار والأثمار في المآل.

وقال ابن عطاء: مظهر ما في حبة قلب الأحباء من الإخلاص والرياء ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ﴾ [الآية: 95] أي ما ينمو من الحيوانات والنباتات ﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 95] مما ينموا كالنطف والبذريات ﴿وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الآية: 95] أي: ومخرج ذلك من الحيوان والنبات وهو عطف على ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ﴾ [الآية: 95] فإن قوله ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ﴾ [الآية: 95] وقع موقع البيان له ﴿مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية: 95] لا يصلح أن يكون بيانه لأن فلق الحب إلا لإخراج الحي من الميت ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 95] أي: فاعل هذه الأشياء هو الله فلا تعبدوا إلا إياه ﴿فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [الآية: 95] أي: فكيف تصرفون عنه إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن موجد ما في العالم من الأعيان والآثار والرسوم والأطلال يسلط العدم على ما يريد من مصنوعاته ويحكم بالبقاء لما يريد من مخلوقاته فلا لحكمه رد ولا لحقه جحد.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الآية: 96] أي: هو شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل المحتاج إلى المصباح والإصباح في الأصل مصدر أصبح إذا دخل في الصبح سمي به الصبح ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الآية: 96] يسكن الشخص إليه ويستأنس به

ومنه قوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: 21] ويستريح فيه ومنه قوله ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ [يونس: 67] واعمل اسم الفاعل لأنه بمعنى الدوام التجددي نحو ولقد أمر على اللئيم يسبني لا بمعنى الثبوت الدائمي كمالك يوم الدين وقال القاضي نصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فإنه في معنى الماضي ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملاً على معنى المعطوف عليه فإن فالق بمعنى فلق ولذلك قرىء به ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الآية: 96] عطف على محل الليل ويدل عليه أنه قرئ بالجر ﴿حُسْبَانًا﴾ [الآية: 96] بنزع الخافض لقوله ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: 96] أي: يجريان بحساب معين لأدوالٍ مختلفة على أطوار مؤتلفة يحسب/ بهما الأوقات والأزمنة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 96] أي: ما ذكر من الفلق والجعل أو كل واحد منهما ونحوه ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ [الآية: 96] الغالب على أمره ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ [الآية: 96] بقضاءه وقدره. 259/ ب

وقال الأستاذ: كما فلق صبح الكون فأشرقت الأقطار كذلك فلق صبح القلب فاستنار به الأسرار وكما جعل الليل سكناً لتسكن فيه النفوس من كدّ التصرف عن أسباب المعاش كذلك جعل الليل سكناً لروح الأحباب يسكنون فيه إلى روح المناجاة إذا هدأت العيون من الأغيار وجعل الشمس والقمر يجريان بحسبان معلوم على حد مفهوم والشمس بوصفها مذ خلقت لم تنقص ولم تزد والقمر لا يبقى ليلة واحدة في حالة واحدة بل أبداً في النقصان والزيادة على جري العادة فلا يزال ينمو حتى يصير بدراً ثم يتناقص حتى لا يرى قدراً ثم يأخذ في الظهور به كذلك دأبه أبداً إلى أن تنقض عليه العادة يعني في مقدمات يوم القيامة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ [الآية: 97] أي: ظاهرة ﴿لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الآية: 97] أي: في ظلمات الليل فيهما والإضافة لملابستها إليها أو مشبهات الطرق وسماها الظلمات على الاستعارة.

قال أبو علي الجوزجاني: جعل الله الليل مطية ودليلاً بالمطية يركبها في التلف حال الابتلاء والدليل يستدل به إلى أبواب الرضاء قال الله ﴿لِتَهْتَدُواْ بِهَا﴾

[الآية: 97] الطريق إلى الجنة العليا.

وقال الأستاذ: كما أن نجوم السماء يهتدى بها في الفلوات كذلك نجوم القلب يهتدى بها في معرفة رب الأرضين والسموات ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الآية: 97] بيناها فصلاً فصلاً أو مفصلاً لا مجملاً ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 97] فإنهم المنتفعون.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الآية: 98] هو آدم خلق منها حواء ثم خلق منهما أولادهما.

قال الأستاذ: ذكرهم وصفهم حين خلقهم من آدم عليه السلام ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الآية: 98] أي: ذلكم استقرار في الأصلاب أو فوق الأرض واستيداع في الأرحام أو تحت الأرض أو موضع استقرار واستيداع فيها وقرأ ابن كثير وأبو عمر بكسر القاف على أنه اسم فاعل والمستودع مفعول أي: فمنكم قارّ ومنكم مستودع لأن الاستقرار منا دون الاستيداع لنا ولا يجوز أن يكون المستقر فتح القاف اسم مفعول لأن/ استقر فعل لازم ولا يبنى المفعول إلا من المتعدي 260/أ والتحقيق أن الاستقرار والاستيداع حالان يعتوران على الإنسان في الزمان والمكان من الظهر إلى الرحم إلى الدنيا إلى موضع البلى إلى العقبى إلى النار أو الجنة العليا ففي كل رتبة يحصل له استقرار واستيداع استقرار بالإضافة إلى ما قبلها واستيداع بالإضافة إلى ما بعدها كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: 42] كما أن منه أمر المبتدأ ولعلهم قالوا النهاية هي الرجوع إلى البداية لهذا المعنى.

وقال الأستاذ: كما أن للنفوس والأشباه مستقراً ومستودعاً فللأسرار والضمائر مستقر ومستودع فمن عبد مستقر قلبه أوطان الشهوات والمنى ومن عبد مستقره موقع الزهد والتقى ومن عبد مستقره حيث لا مسكن ولا مثوى وراء الورى.

وفي «**نفائس العرائس**» أنه سبحانه أنشأ الكل من جوهر الفطرة وجوهر الفطرة منشؤه نور فعل الخاص ومنشؤ نور فعل الخاص ظهور الصفة وظهور

الصفة بظهور الذات تجلى القدم فأخرج الكل من العدم وتخصيص لطائف الكتاب بالإشارة إلى نفس واحدة أي: بظهور نفس وحدانية أزلية أبدية منزهة عن الاجتماع والافتراق فبعض القلوب مستقرها عالم الملكوت ومستودعها عالم الجبروت وبعض العقول مستقرها الآيات ومستودعها الصفات وبعض الأرواح مستقرها الصفات ومستودعها الذات بنعت البقاء في الصفات بنعت والفناء في الذات لأن القدم منزه أن يحيل في الحدث وأيضاً مستقر القلوب المقامات ومستودعها الحالات ومستقر العقول العبادات ومستودعها الكرامات ومستقر الأرواح أنوار المعرفة من تجلي الصفات ومستودعها أنوار التوحيد من تجلي الذات ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 98] الفقه تدقيق النظر فهو أليق بالاستدلال بالأنفس لدقته بخلاف الاستدلال بالآفاق لظهوره.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [الآية: 99] أي: من جانب السماء ما طهوراً ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ [الآية: 99] على تلوين الخطاب بالالتفات من الغيبة إلى التكلم بصيغة العظمة تعظيماً للقضية به أي: بسبب الماء أو بسبب إنزاله ﴿بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 99] أي: نبت كل صنف مما ينبت والمراد إظهار القدرة في إثبات الأنواع المقننة والأصناف المختلفة بماء واحد كما قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: 4] ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ [الآية: 99] أي: من النبات والماء ﴿خَضِرًا﴾ [الآية: 99] أي: شيئاً أخضر وهو الخارج من الجنة المتشعب زرعاً وشجراً ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ [الآية: 99] من الخضر أو الماء ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ [الآية: 99] بعضه على بعض كسنابل البر وغيره ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾ [الآية: 99] أي: وأخرجنا من النخل نخلاً ﴿مِن طَلْعِهَا﴾ [الآية: 99] وهو أول ما يخرج من ثمرها ﴿قِنْوَانٌ﴾ [الآية: 99] أي: عراجين جمع قنوٍ كصنوان جمع صنو ﴿دَانِيَةٌ﴾ [الآية: 99] قريبة من المتناول سهلة للمجتني لقصر النخل اللاصق عروقها بالأرض أو ملتفة قريب بعضها من بعضها وهو من باب الاكتفاء عن نقيضها وإنما اقتصر على ذكرها ولم يذكر مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها ﴿وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ﴾ [الآية: 99] عطف على نبات كل شيء أو على خضراً أو حباً وهو أقرب ثم المراد من الأعناب إن كان الكروم تسمية للشجر باسم الثمر فلا حاجة إلى

تقدير وإلا فلا بد أن يقدر من نبات أعناب لأن البستان لا يكون من العنب نفسه بل من الأشجار ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾ [الآية: 99] أي: شجرها وهو عطف على جنات ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ [الآية: 99] حال من الرمان أو من الجميع أي: بعض ذلك مشتبه ببعض آخر منه وبعضه غير متشابه في الهيبة والقدر واللون والطعم والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً يقال اشتبه وتشابه واستويا وتساويا ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ [الآية: 99] أي: إلى ثمر كل واحد مما ذكر وقرأ حمزة والكسائي بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب أو ثمار ككتاب وكتب ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الآية: 99] أي: إذا أخرج ثمره كيف يثمر حينئذٍ لا يكاد ينتفع به ﴿وَيَنْعِهِۦٓۚ﴾ [الآية: 99] أي: وإلى حال نضحه أو إلى نضجه كيف يعود ضخماً وذا نفع ولذة والمراد به نظر استدلال واعتبار حيث صار عنباً ورطباً بعدما كان نباتاً وحطباً ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 99] أي: في ما ذكر لكم ﴿لَأٓيَٰتٍ﴾ [الآية: 99] دلالات على كمال قدرته ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 99] بوحدانيته في إلهيته.

وقال الأستاذ: تجانست أجرام الأرض وتفاوتت أقطار الكون واختلفت الأشياء وتباين النبات في الطعم واللون فدل كل مخلوق بلسان فصيح وبيان صريح أنه بنفسه غير مستقل في فعله.

﴿وَجَعَلُواْ﴾ [الآية: 100] أي: صيروا وهم مشركو مكة ﴿لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ﴾ [الآية: 100]أي: الملائكة وعبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جناً لاجتنانهم واختفائهم من أعين الإنس تحقيراً لشأنهم والشياطين لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالى أو عبدوا الأوثان بتسويلهم وإغوائهم فكأنهم عبدوهم أو قالوا الله خالق الخير وكل نافع كالنور والشيطان خالق الشر وكل ضار/ كالظلمة كما هو رأي الثنوية ومفعولاً جعلوا شركاء الجن ولله متعلق بشركاء قدم للاهتمام ﴿وَخَلَقَهُمْۖ﴾ [الآية: 100] حال بتقدير قد يعني وقد علموا أن الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق فالضمير إلى الكفار أو الضمير إلى الجن أو إليهم جميعهم ففيه تنبيه نبيه على أن المخلوق لا يصلح أن يكون شريكاً لخالقه وهذا هو الأظهر فتفكر وتدبر.

261/أ

قال الأستاذ: سدت بصائرهم فاكتفوا بكل منقوص أن يعبدوه وتلك عقوبة أرباب الغفلة عن الله عجلت لهم ﴿وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ﴾ [الآية: 100] أي: وقرأ نافع بالتشديد للمبالغة والمعنى افتروا واختلقوا له ﴿بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ﴾ [الآية: 100] فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب: الملائكة بنات الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۚ﴾ [الآية: 100] أي: من غير رؤية ودلالة بل عن جهالة وضلالة من جهة تلك المقالة ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الآية: 100] أي: سبح سبحانه ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الآية: 100] أعداؤه به وهو بأن له ولداً أو شريكاً في ملكه.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [الآية: 101] من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها أي: هو بديع سمواته وأرضه أو إلى الظرف فالإضافة حقيقية بمعنى في أي أنه عديم النظير فيها أو هو مبدعها ومحدثها على غير مثال سبق عليها وهو قول مجاهد والسدي وغيرهما ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [الآية: 101] أي: من أين أو كيف يكون له ولد ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ﴾ [الآية: 101] يكون منها الولد والولد إنما يكون بين المتجانسين ولا يناسبه شيء فإنه خالق الأشياء وأين الخالق من المخلوق في باب الأكفاء ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: 1 ـ 4] .

وأشار إليه بقوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 101] لا يخفى عليه خافية من موجود وعديم.

وأفاد الأستاذ: الواحد يستحيل له الولد لاقتضائه البعضية والتوحيد ينافيه يعني لدلالة وجود الولد على الإثنينية ولأن القديم لا يكون محلاً للحوادث الكونية.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ [الآية: 102] أي: الموصوف بما ذكر لكم من صفات الكمال وهو مبتدأ وقوله: ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 102] أخبار مترادفة أو التقدير هو خالق كل شيء ﴿فَٱعْبُدُوهُۚ﴾ [الآية: 102] إذ لا يستحق العبادة غيره ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الآية: 102] أي: موكول إليه أمر كل شيء فكِلوا الأمور إليه وتوكلوا واعتمدوا في جميع الأحوال عليه.

وقال الأستاذ: تعرف إليهم بآياته ثم تعرف إليهم/ بصفاته ثم كاشفهم 261/ ب بحقائق ذاته فقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ [الآية: 102] تعريف للسادة والأكابر وقوله ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الآية: 102] تعريف للعوام والأصاغر.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الآية: 103] أي: لا تراه حاسة البصر والعين التي هي النظر في دار الدنيا الفاني حين وجود غبار الأغيار تراه العين الباقية في دار القرار الذي هو محل مشاهدة الآثار ولا يحيط به الأبصار فإن الإدراك أخصّ من الإبصار فيؤول حكماً إلى معنى قوله ولا يحيطون به علماً أو لا يراه جميع الأبصار لاحتجاب الكفار في دار البوار كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: 15] مفيداً أنه تعالى يتجلى على قوم هم عنده محجوبون أو لا يراه أحد على ما هو عليه لا بشر مرسل ولا ملك مقرب لديه لكن إذا تجلى بوجه يمكن رؤيته تدركه الأبصار على ما فسره ابن عباس ونقل عنه الترمذي وابن أبي حاتم وصححه الحاكم على شرط الشيخين ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾ [الآية: 103] أي: يحيط علمه بها ويراها بكمالها.

قال ابن عطاء: لا تحيطه وهو يحيط بها.

وقال أبو يزيد: أن الله احتجب على القلوب كما احتجب على الأبصار فإن أوقع التجلي فالبصر والفؤاد واحد أقول بل حينئذٍ جميع الأجزاء مشاهد ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ [الآية: 103] أي: بالأبرار والأخيار ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الآية: 103] أي: العالم بالأخبار فيدرك ما لا يدركه الأبصار كالإبصار وجواز أن يكون من باب اللف والنشر أي: لا تدركه الأبصار لأنه اللطيف وهو يدرك الأبصار لكونه الخبير.

قال الحسين: لطف عن الكنه فاني له الوصف ومن لطفه ذكره لعبده في الدهور الخالية إذ لا سماء مبنية ولا أرض مدحية.

وقال الأستاذ: تقدست الصمدية عن كل لحوق ودرك فأنّى بالإدراك ولا حد له ولا طرف ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ﴾ [الآية: 103] الذي لا يخفى عليه شيء ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الآية: 103] الذي أحاط علمه بكل معلوم.

ومن «**نفائس العرائس**» لا تدركه الأبصار إلا بالإبصار مستفادة من أبصار

جلاله وكيف يدركه الحدثان ووجود الكون عند ظهور سطوات عظمته عدم وهو يدرك الأبصار ببصره القديم تنزه عن المشابهة بالحدثان بأن يكسيها أنوار صفاته ليراها به لا بنفسها لأنه بلطف ذاته ممتنع عن مطالعة خلقه مع علو شأن علمه وإحاطته بجميعهم وجوداً وعدماً فقوله ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الآية: 103] من لطف جماله انجذب القلوب بنعت العشق إلى ضياء وجهه الكريم عجزاً واضطراراً من لطفه غرقت الأرواح في بحار محبته وفنيت الأسرار في فضاء هويته ودهشت القلوب في معارك أشواقه واضمحلت العقول في بيداء ألوهيته من إدراك غوامض علمه.

262/ أ ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ/ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 104] البصائر جمع البصيرة وهي للقلب كالبصر للقالب سميت بها الدلالة لأنها تجلى بها الحق والمعنى قد جاءتكم الآيات القرآنية والدلالات الفرقانية التي هي للقلوب كالبصائر ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ [الآية: 104] الحق وشاهد الصدق ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [الآية: 104] أبصر ونفعه له أظهر ﴿وَمَنْ عَمِىَ﴾ [الآية: 104] عن الحق الحقيق وضل عن سوء الطريق ﴿فَعَلَيْهَا﴾ [الآية: 104] وباله في التحقيق.

قال الخواص: أنزل الله البصائر فطوبى لمن رزق بصيرة منها وأدنى البصائر أن يبصر الإنسان رشده في الظواهر والسرائر ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ [الآية: 104] أي: أحفظ عليكم فأجازيكم فإنما أنا منذر والله تعالى هو الحفيظ لأعمالكم والمجازي على وفق أحوالكم وهذا الكلام وارد على لسانه عليه السلام.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أوضح السبيل وألاح الدليل وأزاح العلل وأنار السبل ولكن قيل:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته إذا استوت عنده الأنوار والظلم[1]

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الآية: 105] أي: ومثل ذلك التبيين نبينها ونكررها ونعينها.

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: خزانة الأدب (1/ 275)، والتذكرة الحمدونية (2/ 57).

وقال الأستاذ: أوقع الفتنة في قلوبهم فجنس عليهم الأحوال فمن شبهة داخلتهم ومن حيرة ملكتهم ومن تحقيق أدرك قوماً ومن تعريف توقف على آخرين ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ [الآية: 105] صرفناها واللام لام العاقبة والدرس التعلم والقراءة أي: ﴿وَلِيَقُولُواْ﴾ [الآية: 105] أي: المشركون من أهل الجحود درست وتعلمت من اليهود ثم تزعم أنه نزل عليك من عند الملك المعبود وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست أي دارست أهل الكتاب وذاكرتهم في الخطاب وقرأ ابن عامر دارست من الدروس أي: قدمت هذه الآيات وعفت واندرست هذه البينات كقولهم أساطير الأولين ﴿وَلِنُبَيِّنَهُ﴾ [الآية: 105] اللام هنا على أصله لأن التبيين مقصود والتصريف والضمير للآيات باعتبار أنه القرآن أو للمصدر ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 105] فإنهم المنتفعون فهم المقصودون بالذات في تصريف الآيات وإن كان بحسب الظاهر سبب شقاوة قوم مدبرين وسعادة جمع مقبلين كما قال عزَّ وجلَّ يضل به كثيراً أو يهدي به كثيراً ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: 82] فالقرآن حجة لك أو عليك فإنه شافع مشفع أو ماحل مصدق[1]/ فهو كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين. 262/ ب

قال ابن عطاء: لقوم يعلمون حقيقة البيان وهو الوقوف معه حيث وقف والجري معه حيث جرى.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية: 106] أي: باعتقاده والعمل به.

وقال الأستاذ: أي انظر ما الذي يرد على قلبك به الإشارة فلازمه ودع أقاويل الأغيار في طي العبارة إذ الواجب عليك في الوقت الكون بحكم الوقت قلت وما هنا قيل الصوفي أبو الوقت وابن الوقت والأول أكمل فتدبر وتأمل ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 106] اعتراض أكد به الاتباع واجتناب الابتداع ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 106] أي: لا تلتفت إلى أقوالهم ولا تحتفل بآرائهم.

---

(1) سبق تخريجه.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 107] أي: توحيدهم وعدم إشراكهم ﴿مَآ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآية: 107] وهو دليل على أنه لا يريد إيمانهم لأن مراده واجب الوقوع.

وقال الأستاذ: العجب ممن أقر بقصور حاله عن استحقاق المدح ببقائه عن مراده كيف يصف معبوده بجواز أن يرتفع في ملكه مراده ﴿وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [الآية: 107] رقيباً على أعمالهم حافظاً لأفعالهم ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية: 107] تقوم بأمورهم وأحوالهم والمعنى لست مأموراً منا بأن تكون حفيظاً عليهم ولا أنت من تلقاء نفسك وكيلاً للنظر إليهم فأعرض عنهم ولا تخضع لديهم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 108] أي: من جملة النصائح أن لا تذكروا بالقبائح آلهتهم التي يعبدونها من غير الله ويدعونها ممن سواه ﴿فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا﴾ [الآية: 108] أي: تجاوزا عن الحق إلى الباطل ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية: 108] جاهلين بالله وبما يحب أن يذكر به روي أنه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا: لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك فنزلت على [ما] رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي(1) وروى عبد الرزاق عن قتادة أن المسلمين كانوا يسبونها وهم يسبون الله عدواً فنهوا عنه لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله سبحانه وفيه دليل على أن أداء لطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة على معصية أخرى وجب تركها فإن ما يؤدي إلى الشر شر والمعنى إن سب آلهتهم وإن كان حقاً فيه فائدة لكن فيه عظيم مفسدة.

وقال الأستاذ: يعني خاطبهم بلسان الحجة وإلزام الدليل ونفي الشبهة ولا تكلمهم على موجب نوازع النفس والعادة فيجعلهم ذلك على ترك الإجلال/لذكر ذي الجلال ويقال: لا تطابقهم على قبيح فعلهم فيزدادوا جرأة في غيهم فيكون فعلك سبباً وعلة لزيادة كفرهم وفسقهم أقول ولا يبعد أن يقال فيه الإيماء إلى مقام الفناء وهو الاشتغال بذكر الله والنسيان لما سواه كما قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: 24] أي: نفسك وغيرك 263/أ

(1) تفسير الطبري (12/ 34)، تفسير البغوي (3/ 176).

وكما قال سبحانه ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: 91] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 108] أي: مثل ذلك التزيين لهم ﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الآية: 108] أي: من الخير والشر بإحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقاً وتخذيلاً ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ﴾ [الآية: 108] وعد لمحسنهم ووعيد لمسيئهم ﴿فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 108] أي: فيجازيهم بأعمالهم على وفق أحوالهم.

قال الواسطي: زينت الأعمال عند أربابها فأسقطوا عن درجة المحققين لأبوابها إلا من عصم بنور مشاهدته على وجه البيان فشاهد منه التوفيق بل شاهد المنان وقيل سهلنا ويسرنا له ما هو فيه وإليه حتى يستوفي ما قدرنا له وعليه.

وقال الأستاذ: لبسنا عليه حقائق الأشياء حتى ظنوا القبيح جميلاً ولم يروا لسوء حالهم تبديلاً فركنوا إلى الهوى ولم يميزوا بين العافية والبلاء.

وفي «**نفائس العرائس**» أن الله سبحانه وتعالى ابتلى العموم بالدنيا وأعمالها في نفع الجاه والمال وسائر أغراضها وابتلى الخصوص برؤية معاملات العقبى وحصول أعواضها فمن كان من غير أهله أبقاه في أعماله وحجبهم بها عن لذة قربه ووصاله ومن كان أهله من العارفين رفعها عن عينه حتى لا يرى لها وزناً ومقداراً عند رؤية امتنانه بما سبق لهم من اصطفائيته بالولاية والمعرفة وزين للبطالين سرور أعمالهم النفسية حتى يروها مستحسنة قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 104] وزين للمجاهدين أعمالهم في العبادة حتى يزيد رغبتهم فيها فكل حزب بما لديهم فرحون وسبحان من أقام العباد فيما أراد.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [الآية: 109] أوكدها وأغلظها وأشدها ﴿لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ [الآية: 109] آية من مقترحاتهم كجعل الصفا ذهباً ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الآية: 109] من غير توقف فيها ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الآية: 109] أي: في قدرته لا تحت إرادتي حتى آتيكم بها متى أريدها بل هو قادر عليها يظهر ما يشاء منها متى شاء ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ [الآية: 109] استفهام إنكار أي: وما يدريكم ﴿أَنَّهَا﴾

[الآية: 109] أي: الآية المقترحة ﴿إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية: 109] أي: لا تدرون أنهم لا يؤمنون والله يعلم/ ذلك ولذا لم ينزلها ففيه إنكار السبب مبالغة في نفي المسبب مع التنبيه على أنه تعالى إنما ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر بالكسر على أن الكلام قد تم قبله كأنه قال: وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بما علم فيهم والخطاب للمؤمنين فإنهم كانوا متمنين في مجيء الآية لهم طمعاً في إيمانهم أو للمشركين إذ قرأ ابن عامر وحمزة لا يؤمنون بالخطاب فتقديره وما يشعركم ما يكون منكم.

263/ ب

وأفاد الأستاذ: أنهم وعدوا من أنفسهم الإيمان لو شاهدوا البرهان ولم يعلموا أنهم تحت قهر حكم السلطان بتسليط الشيطان وما يعني وضوح الأدلة لمن لم يساعده سوابق الرحمة ولواحق العصمة بموجبات القسمة.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [الآية: 110] عن الحق فلا يقهرونه ولا يبصرونه فلا يؤمنون بها ﴿كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 110] بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الآية: 110] من انشقاق القمر وسائر المعجزة أو كما لم يؤمنوا بما أنزل على سائر الأنبياء لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۖ﴾ [القصص: 48] أو فلا يؤمنون لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا كما لم يؤمنوا به أول مرة في الدنيا لقوله سبحانه ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: 28] ﴿وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الآية: 110] ونتركهم في ضلالتهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين.

قال أبو حمزة: أقبل على قلوب فأقبلت عليه وأعرض عن قلوب فأعرضت عنه.

وقال الأستاذ العجب من يبقى على قلبه شبهة في مسألة القدر والحق سبحانه يقول.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ﴾ [الآية: 110] لا بل من حقائق التقليب بقاء إشكال هذا الأمر مع وضوحه على قلوب من هو من جملة العقلاء فسبحان من يخفى مثل هذا الأمر مع وضوحه هذا هو قهر القادر وحكم الواحد.

﴿وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الآية: 110] أي: فرأوهم عياناً ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ [الآية: 111] بأن شهدوا لك بياناً ﴿وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الآية: 111] أي: جمعنا لهم كل شيء من الطيور والسباع والدواب ﴿قُبُلًا﴾ [الآية: 111] بضمتين جمع قبيلة بمعنى جماعات أو مصدر بمعنى مقابلات لقراءة نافع وابن عامر بكسر وفتح والمعنى أنهم لو أتوا بجميع ما اقترحوا من قولهم لولا أنزل علينا الملائكة وقولهم فيأتوا بآياتنا ونحو ذلك ﴿مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ﴾ [الآية: 111] لما سبق عليهم من القضاء الذي ضاق معه/ الفضاء ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 111] استثني من 264/ أ أعم الأحوال والمعنى لما آمنوا في حال من أحوالهم إلا حال مشيئة الله إيمانهم وإرادته إيقانهم فيبدل طبعهم عن تمرنهم في كفرهم وقيل: الاستثناء منقطع ولكن مشيئة اللّه إذا تعلقت آمنوا وهذه حجة واضحة وبينة لائحة على المعتزلة وسائر المبتدعة في أن كفرهم وابتداعهم تحت المشيئة واضطر الزمخشري هنا وتعسف بقوله: أراد المشيئة بالآية الملجئة ﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَجۡهَلُونَ﴾ [الآية: 111] أي: لا يعلمون ﴿وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ﴾ [الأنعام: 25] فيقسمون ﴿بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ [المائدة: 53] على ما لا يشعرون.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن الآيات وإن توالت وشموس البرهان وإن تعالت فمن قصمته العزة وكبسته القسمة لم يزده ذلك إلا حيرة وضلالاً ولم يستجد إلا للشقوة حالاً ومآلاً ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 112] أي: كما جعلنا لك عدواً من المشركين ﴿جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا﴾ [الآية: 112] من المجرمين ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ﴾ [الآية: 112] بدل من عدو الإنس بمعنى الأعداء والمراد منهم مردة الفريقين ﴿يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [الآية: 112] أي: يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس أو بعض الجن إلى بعض منهم وبعض الإنسان إلى بعض منهم ﴿زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ﴾ [الآية: 112] أي: الأقوال المزخرفة والآراء المزينة والأهواء المموهة ﴿غُرُورٗاۚ﴾ [الآية: 112] أي: للغرور وحال كونهم مغترين والمعنى أن الشياطين يغرون الضالين بالاعتقادات الكاسدة والخيالات الفاسدة وفي الحديث الصحيح أن أبا ذر سأل هل للإنس شياطين؟ فقال: نعم هم شر من شياطين الجن ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية: 112] إيمانهم أو عدم وجود عدو لهم ﴿مَا فَعَلُوهُۖ﴾ [الآية:

112] أي: ما وقع منهم ما ذكر من معاداة الأنبياء وإيجاد زخرف الأبناء وفيه أيضاً حجة على المعتزلة ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 112] أي: افتراءهم وكفرهم ولا تبال بأمرهم.

وأفاد الأستاذ: أن كل ما كان المحل أعلى كانت البلايا أوفى والمطالبات أقوى فلما كانت رتبة الأنبياء عليهم السلام أشرف وأسعد كانت العداوة معهم أصعب وأشد.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 113] عطف على غروراً بناءً على جعله مفعولاً له أي: ليغتروا بأحوالهم ولتميل إلى زخرف أقوالهم ﴿أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية: 113] أي: قلوب المائلين إلى العاجلة العادلين عن الآجلة ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ [الآية: 113] ليحبوه لأنفسهم ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾ [الآية: 113] أي: ليكتبسوا ﴿مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الآية: 113] من آثامهم.

264/ب وقال الأستاذ: وكلت/أسماع الكفار باللغو وقلوبهم بالسهو فرضوا لأنفسهم أخص الأنصباء أي: لكونهم من الأغبياء في صورة الأغنياء.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الآية: 114] أي: قل لهم أفغير الله أطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل للحق منا من المبطل منكم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الآية: 114] مبيناً فيه الحق والباطل.

وقال الأستاذ: قل لهم أترون أني بعد ظهور البيان ووضوح البرهان أذر اليقين وأوثر التخمين وأفارق الحق واختار الحظ إن هذا محال من الظن ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 114] أي: من اليهود والنصارى ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ﴾ [الآية: 114] أي: القرآن ﴿مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 114] لأن وصفه مذكور فيما بينهم ومسطور في كتبهم مع أنه ﷺ لم يخالط علماءهم ولم يمارس كتبهم ولا أبناءهم وإنما وصف جميعهم بالعلم بناءً على أكثرهم والمراد بهم فقهاؤهم حيث لم يعتبر سفهاؤهم وقرأ ابن عامر وحفص منزل بالتشديد أي إلى نزوله منجماً ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الآية: 114] أي: الشاكين في كونهم عالمين وهو من باب التهييج والتحريض كقوله ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: 14] وكقوله:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [يونس: 94] الآية فقال ﷺ حين نزوله لا أشك ولا أسأل وقيل: المراد نهي الأمة على أن الخطاب لكل أحد بناءً على أن الأدلة لما تعاضدت على صحته فلا ينبغي لأحد أن يمتري في حجته.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية: 115] بلغت الآية الغاية من أخباره وأحكامه ومواعيده وآثاره ﴿صِدْقًا﴾ [الآية: 115] في أخبار ما سبق ومواعيد الأنام فيما لحق ﴿وَعَدْلًا﴾ [الآية: 115] في الأقضية وأحكام الحق فيما بين الخلق قيل صدقاً للأولياء تفضلاً عليهم وعدلاً على الأعداء لأخذهم بميزان العدل فيهم ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 115] لا رادّ لقضائه ولا مغير لحكمه ولا مخلف لوعده.

وقال الأستاذ: تقدس عن التغير ذاته وتنزه عن التبدل صفاته فالتمام ينفي النقصان وكل نقص فمن الحدوث أصله وأتى بالنقص والصدق وصفه وقرأ الكوفيون كلمة ربك أي: ما تكلم به أو القرآن المشتمل على البرهان ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 115] بأسرارهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 115] بأخبارهم فيمهلهم في ديارهم ولا يمهلهم في إيثارهم.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 116] أي: أكثر الخلق من الجن والإنس وهم/ طوائف الكفرة والمشركين كقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: 103] أو المراد بهم الجهال أو أتباع الهوى والضلال ﴿يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 116] أي: عن الطريق الموصل إلى رضاه قيل من نظر إلى سوء الحق خاب وضل بين الخلق ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الآية: 116] أي: لا يرجعون في عقائدهم إلى علم يقين بل يبنون دينهم على ظن وتخمين من جهالتهم في آرائهم وتقليدهم لآبائهم وتتبعهم لأهوائهم. 265/ أ

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية: 117] أي: بمن يضل عن سبيل الحق ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 117] إلى صوب الصواب والصدق فلا تغتر بكثرة السفهاء البطالين ولا تهتم بقلة العلماء العاملين لقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ

عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] وقوله سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ﴾ [صَ: 24].

وأفاد الأستاذ: إن أهل الله قليلون عدداً وإن كانوا كثيرين وزناً وخطراً ومدداً وأما الأعداء ففيهم كثرة فإن لاحظتهم فتنوك وإن صاحبتهم منعوك من الحق وقبلوك وتقاصر علوم الخلق عن إدراك غيبه إلا بقدر ما عرفهم من أمره.

﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 118] مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام بالظن والتخمين والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله عليه ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره أو مات حتف أنفه ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 118] فإن الإيمان بها يقتضي استباحة ما أحل الله واجتناب ما حرم الله تعالى لا إحلال شيء وتحريمه بموجب الطبيعة والظن والهوى.

وأفاد الأستاذ: هذه الآية في حكم التفسيرية تختص بالذبيحة وفي معنى الإشارة منع من الأكل بحال الغفلة فمن أكل على الغفلة فما دامت تلك القوة باقية في الأبدان فخواطره إما هواجس النفس أو وساوس الشيطان.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 119] أي: وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا من ذكر اسمه وحده عليه وتأكلوا من غيره كالميتة وما لم يذكر اسم الله عليه وما ذكر عليه اسم غيره وخلاصته مالكم أن لا تجعلوا مأكولكم من اللحم منحصراً فيما ذكر اسم الله عليه ﴿وَقَدْ فَصَّلَ﴾ [الآية: 119] أي: بين الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بصيغة المجهول أي: والحال أنه عين ﴿لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 119] مما لم يحرم بقوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ [المائدة: 3] الآية وقرأ نافع/وحفص حرم بصيغة الفاعل ﴿إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِۗ﴾ [الآية: 119] أي: مما حرم عليكم فإنه أيضاً حلال لكم حال الضرورة فما موصولة والاستثناء من ضمير حرم. 265/ب

وقال الأستاذ: يعني أي شيء عليكم لو تركتم الغفلة وما الذي يضركم لو استدمتم على الذكر في الحضرة برفع الغيبة وقد تبين لكم التفرقة بين أنس

الذكر ووحشة الغفلة في الوقت والحال إلى أن تعرفوا حكم الثواب والعقاب في المآل ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾ [الآية: 119] بتحليل الحرام وتحريم الحلال وقرأ الكوفيون بضم الياء أي ليضلون غيرهم من نحو أبنائهم ﴿بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية: 119] أي: بتشهيهم غير متعلقين بدليل يفيد العلم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ أي: المتجاوزين الحق إلى الباطل والحلال إلى الحرام.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الآية: 120] أي: اتركوا ما يعلن وما يسر من الذنوب أو ما بالجوارح والقلب وقيل الزنى في الحوانيت واتخاذ الأخدان في التوابيت وقيل: ظاهر الإثم حظوظ النفس وباطن الإثم حظوظ القلب وقيل: ظاهر الإثم رؤية الأعمال وباطنه الركون إليها في سر الأحوال وقيل: ظاهر الإثم طلب الدنيا وباطن الإثم طلب الجنة ونعيم العقبى إذ هما جميعاً يشغلان عن المولى وما يشغل عن المولى فهو بالإثم أولى.

وأفاد الأستاذ: أن ظاهر الإثم ما للأغيار اطلاع بوجه إليه وباطن الإثم ما هو سر بينك وبين الله ولا وقوف لمخلوق عليه ويقال باطن الإثم خفي العقائد ومسترقات الألحاظ ويقال: باطن الإثم ما تلبسه على نفسك بنوع تأويل ويقال باطن الإثم على لسان المجاهدات الركون إلى تتبع المرخصات ويقال باطن الإثم على لسان أهل المحبة روم التفصّي عن مطالبات المحبة قال قائلهم:

وإن قلت وما أذنبت قال مجيبه وجودك ذنب لا يقاس به ذنب[1]

ويقال أسبغت عليكم النعم ظاهرة وباطنة فذروا الإثم ظاهراً وباطناً فإن من شرائط الشكر استعمال النعمة فيما لا يكون فيه الإثم والمخالفة.

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية: 121] أي: أكل ما لم يذكر اسم الله عليه ﴿لَفِسْقٌ﴾ [الآية: 121] أي: خروج عن الطاعة فالضمير مما

(1) في دواوين الشعر (85/ 203) اللفظ عنده في صدر البيت: وإن قلت ما ذنبي إليك أجبتني.

266/ أ على تقدير مضاف والآية ظاهرة في تحريم متروك/ التسمية عمداً أو نسياناً وذهب إليه ابن عمر ونافع وعامر ومحمد بن سيرين وهو اختيار أبي ثور وداوود الظاهري وعن أحمد مثله وذهب بعض السلف كابن عباس وأبي هريرة إلى أن التسمية مستحبة وهو مذهب الشافعي وقالوا الآية فيما ذبح لغير الله وقيل: الواو في ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌۗ﴾ [الآية: 121] حالية والفسق ما أهل لغير الله بدليل قوله ﴿أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ﴾ [الأنعام: 145].

وقال بعض منهم: المراد من الآية الميتة كما رواه أبو زرعة عن عطاء بن السائب وذهب أكثر السلف كعلي وابن مسعود وغيرهما وهو المشهور عن مذهب مالك وأحمد وعليه أبو حنيفة وأصحابه وقيل: الإجماع منعقد على أن ترك التسمية نسياناً لا يضر وأما عمداً فالذبيحة حرام واستثناء النسيان لحديث ورد بذلك ويحمل عليه ما تعلق به الشافعي من حديث ذبيحة المسلم حلال وإن لم يذكر اسم الله عليه إذ لا دلالة فيه على جواز تعمد ترك التسمية لديه ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [الآية: 121] من الإنس والجن ﴿لَيُوحُونَ﴾ [الآية: 121] لَيُوسْوِسون ويلقون ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الآية: 121] من الكفار ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ﴾ [الآية: 121] بِقولهم تزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك والصقر والكلب حلال وما قتله الله حرام كما روى هذا التفسير أبو داوود وابن ماجه وابن جرير عن السدي عن ابن عباس وغيره(1) واتفق أكثر المفسرين على ذلك وقال أبو عثمان المغربي يلقون على ألسنة المدعين ما يقطعون به الطريق على المحققين ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ [الآية: 121] في استحلال ما حرم ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الآية: 121] فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد أشرك به.

وأفاد الأستاذ: أن ما كان مكتسبه من الأموال عاصياً أو لربه ناسياً فتوقّيه شرط عند أصحاب المراعاة ثم قال ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الآية: 121] فهذا يدل على أن ممن توقى ذلك اتحدت لله خواطره وانقطع عنه خواطر الشيطان فأصل كل قسوة متابعة الشهوة ومن تعود متابعتها فليودع

(1) فتح القدير الجامع بين فني الرواية (2/ 22).

صفوة القلب وحالتها.

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الآية: 122] بالجهل والكفران وقرأ نافع بالتشديد ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الآية: 122] بالعلم والإيمان ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ [الآية: 122] بالإسلام والقرآن ﴿يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الآية: 122] أي يهتدى به كيف يسلك ويتصرف فيما بينهم ﴿كَمَن مَّثَلُهُ﴾ [الآية: 122] أي: صفته أنه كائن ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الآية: 122] أي: في ظلمات الحالات أو في شدائد/ الواقعات ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الآية: 122] والحاصل أنه سبحانه مثل به من هداه الله المتعال وأنقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الحادثات ويتميز بين الحق والباطل في الواقعات وبين المحق والمبطل من أرباب الكائنات ومن بقي في تيه المفازات وتاه في ميدان الجهالات والضلالات لا يفارقها بحال من الحالات ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 122] أي: كما زين للمؤمنين إيمانهم ﴿زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 122] مما يقتضي كفرانهم والآية نزلت في عمر أو عمار أو حمزة وأبي جهل.

266/ ب

وقال جعفر الصادق: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الآية: 122] عنا ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الآية: 122] بنا وجعلناه إماماً يهتدي بنوره الأجانب والأقارب في جميع المراتب كمن ترك مع شهوته وهواه واشتغاله بما سواه ولم يؤيد بروائح مطالعة قرب الأنس وفوائح مؤانسة حضرة القدس.

وقال ابن عطاء: أو من كان ميتاً بحياة نفسه وموت قلبه فأحييناه بإماتة نفسه وإحياء قلبه وسهلنا عليه سبيل التوفيق وكحلناه بأنوار القرب والتحقيق فلا يرى غيرنا ولا يلتفت إلى ما سوانا وقيل: أي ميتاً بالاعتماد على الطاعة فأحييناه وجعلنا له نور التضرع والمعذرة.

وقال القاسم: أحيا أولياءه بنور الانتباه كما أحيا (الأمشاج) بالأرواح.

وقال ابن عطاء: من كان ميتاً بالانقطاع عنا فأحييناه بالاتصال بنا وجعلنا له نوراً إلى غاية الألماع كمن تركناه في ظلمة الانقطاع.

وقال شاه الكرماني: علامة الحياة ثلاثة وجدان الأنس بفقدان الوحشة

والامتلاء من الخلق بإدمان الذكر في الحضرة واستشعار الهيئة بخالص المراقبة.

وأفاد الأستاذ: أن الإيمان عند هؤلاء القوم حياة القلب بالله فأهل الغفلة إذا ألهموا الذكر فقد صاروا أحياءً بعد ما كانوا أمواتاً وأرباب الذكر لو اعتراهم نسيان فقد ماتوا بعد الحياة والذي هو في أنوار القرب وتحت شعاع العرفان وفي روح الاستبصار لا يدانيه من هو في أسر الظلمات وقيد الشهوات ورهين الآفات.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ [الآية: 123] أي: كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها ليمكروا فيها بصد الناس عن الهدى وحملهم على متابعة الهوى وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه أكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني أي: صيرنا/ مجرى كل قرية رؤساءها ومترفيها أو أكابر مجرميها بالإضافة هي المفعول الأول والمفعول الثاني في كل قرية ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 123] لأن وباله يحيط بهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 123] ذلك لجهلهم.

267/ أ

وقال الأستاذ: لبسنا عليهم حقائق التوحيد وسوّل لهم ظنونهم شطية من المحو والإثبات في القضية فانهمكوا ظانين أنهم يمكرون في التحقيق مخادعون وسيعلمون عملهم حين لا ينفعهم علمهم ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ [الآية: 124] دالة على صدق محمد في النبوة ﴿قَالُوا۟﴾ [الآية: 124] أي: أهل مكة ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 124] من إنزال الوحي ونزول الملائكة روي أن أبا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه والله لا نؤمن به أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت[1] ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الآية: 124] وقرأ ابن كثير وحفص بالإفراد والجملة استئنافية للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال والنسبة الجاهلية وإنما هي بالفضائل القدسية والفواصل الإنسية يختص بها من

(1) تفسير البغوي (3/ 185)، تفسير البيضاوي (1/ 450).

تعلق به المشيئة الإلهية فيجتبي لرسالته من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي فيه يضعها.

قال النصر أبادي: الله يعلم الأوعية التي يصلح لمنازلاته ومكاشفاته فيزينها بخواص الأنوار ويقدسها بلطائف الأسرار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ﴾ [الآية: 124] الذل وحقارة بعد ظهور الكبر والعظمة ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 124] أي: في حكمه أو يوم القيامة أو التقدير من عنده ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ [الآية: 124] بسبب مكرهم أو جزاءً على مكرهم.

وأفاد الأستاذ: بعد إزاحة العلة وبيان الحجة وزوال الشبهة فالتعلّل باستزادة البصيرة إقدام على [سوء] الأدب وقلة الحرمة وذلك محال من الحال والتصدي لمساواة من جاءه الاستحقاق نوع من تسويلات نفس الإنسان بل موجب لمقاساة الهوان لما تعلق به الخذلان.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ [الآية: 125] يوفقه طريق الإيمان ويعرفه سبيل الإيقان ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الآية: 125] يوسع قلبه لقبول التوحيد وانقياد الأحكام والتسليم بالأذهان وهو كناية عن جعل النفس قابلة/ للحق ومهيئة لحوله 267/ ب منها مصفاة عما ينافيه ويمنعه منها عن قبولها وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم بروايات متنوعات أنه ﷺ تلا هذه الآية فقالوا: يا رسول الله ما هذا الشرح قال: نور يقذف به في القلب قالوا وهل لذلك من أمارة قال: نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله والظاهر أن هذا بيان شرح حال أهل الكمال.

وقال سهل: إن الله تعالى ينظر إلى القلوب فما كان أشدهم تواضعاً لله خصه بما شاء من هداه ثم بعد ذلك ما كان أسرع رجوعاً عن إرادة ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن آية من شرح الله للإسلام صدره أي: لا يتحرك في باطنه عرق للمنازعة مع تقدير صاحب القدرة فإن الإسلام يقتضي تسليم الكل بلا استئثار في القضية فمن استثقل شيئاً مما كلف به فيعد غير مستسلم لحكمه ويقال نور في البداية هو نور العقل ونور في الوسائط وهو نور العلم ونور في

النهاية هو نور العرفان فصاحب العقل مع العرفان وصاحب العلم مع البيان وصاحب المعرفة في حكم العيان ويقال أول أثر لأنوار الغيب في العبد شبهة على نقائص قدره ومساوىء عيبه ثم تشاغله عن شهود نفسه بما يلوح بقلبه من شهود ربه ثم غلبات الأنوار على سره حتى لا يشهد السر بعد ما كان يشهد لناظر في قرص الشمس يستهلك أنوار بصره في شعاع الشمس كذلك يستهلك أنوار البصيرة في حقائق الشهود فيكون صاحب الوجود دون الشهود ثم بعده خمود العبد بالكلية وبقاء الأحدية بنعت السرمدية ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾ [الآية: 125] أي: يجعله ضالاً وعن الطريق عوجاً ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الآية: 125] فلا يبقى فيه للخير منفذ أصلاً وقد سأل عمر رضي الله عنه رجلاً من أهل البادية ما الحرجة فيكم؟ قال: الشجرة تكون بين الأشجار التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير[1] وقرأ ابن كثير ضيقاً بالتخفيف ونافع وأبو بكر حرجاً بكسر الراء أي شديد الضيق والباقون بالفتح وصفا بالمصدر للمبالغة أو بتقدير ذا حرج ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 125] شبهةُ مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه من أمره فإنه صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة/ ولذا يعد من خرق العادة 268/ أ فنبه به على أن الإيمان ممتنع منه لا يمتنع الصعود عليه أو معناه كأنما يتصاعد إلى السماء هرباً من الإيمان وتباعداً عن الإيقان والعرفان وأصل يصعد يتصعد وقد قرىء به شاذاً وقرأ ابن كثير بالتخفيف وأبو بكر يصاعد بالتشديد بمعنى يتصاعد.

وقال الأستاذ: يجعل صدره ضيقاً حتى لا يسع فيه غير مراده وحد البشرية ضيق القلب والبال وصاحبه في أسر الحدثان والأعلال ولا عقوبة أشد من الغفلة عن الحضرة ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 125] أي: كما يضيق الله صدره ويظلم عليه أمره ﴿يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ﴾ [الآية: 125] أي: العذاب أو الخذلان أو يسلط الشيطان ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 125] أي: عليهم ووضع الظاهر موضع المضمر إيماءً إلى أن تحقق خذلانهم لعدم إيمانهم.

(1) تفسير الطبري (12/ 104)، وتفسير ابن كثير (3/ 336)، وتفسير البغوي (3/ 186).

﴿وَهَٰذَا﴾ [الآية: 126] أي: البيان الذي جاء به القرآن أو ما سبق من التوفيق والخذلان ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾ [الآية: 126] أي: طريقه الذي ارتضاه ويختاره من اجتباه وهداه أو طريقته وعادته الذي اقتضتها حكمته وأوجبتها مشيئته ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية: 126] لا عوج فيه أبداً أو عاد لا مطرد أو هو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقاً ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 126] يتعظون بالآيات ويفهمون الدلالات.

وأفاد الأستاذ: أن الصراط المستقيم إقامة العبودية مع تحقق الربوبية فهو فوق مؤيد بجمع وجمع مقيد بشرع وإثبات للموافقة بغاية الوسع والقدرة ونبوّ من المخالفة بغاية الجهد والطاقة والتحقق بأن المجرى واحد لا شريك له ثم ترك الاعتماد ونفي الاستناد فلا على حركاته يعتمد ولا إلى سكناته يستند فتنظر ما يفتح من التقدير بما يوجب التبديل والتغيير فإن زاغ صاحب الاستقامة لحظة أو التفت يمنة أو يسرة سقط سقوطاً لا ينتعش البتة.

﴿لَهُمْ﴾ [الآية: 127] أي: دار الله الملك العلّام فالإضافة لتشريف الجنة أو دار السلامة من وقوع الكراهة والملامة لأنها متضمنة لأنواع الكرامة أو دار تحيتهم فيها سلام فيما بينهم أو من الله إليهم تعظيماً لهم.

وقال سهل: ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الآية: 127] هو الذي سلم فيه من هواجس نفسه ووساوس عدوهِ وقيل: هو السلامة من القطيعة/ . 268/ ب

وأفاد الأستاذ: أن دار السلام دار السلامة ومن كان في رق شيء من الأعراض والمخلوقات والأغراض لم يجد السلامة والآية تشير إلى أن القوم في الجنة لكنهم ليسوا في أسر الجنة بل تحرزا عن رقّ كلّ قطيعة ويقال كل من لم يسلم اليوم على نفسه وروحه وكل ماله من كريمه وعظيمه تسليم وداع لا يجد غداً تلك الفضيلة فمن أراد أن يسلم عليه ربه غداً فليسلم على الكون بجملته أولاً على نفسه وروحه نقداً ويقال دار السلام غداً لمن سلم اليوم لسانه من الغيبة وجنانه من الرّيبة وأبشاره وظواهره من الزلة وأسراره وضمائره من الغفلة وعقيدته من البدعة ومعاملته من الحرام والشبهة وأعماله من الرياء

والمصانعة وأحواله من الإعجاب والملاحظة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 127] أي: لحكمه في حقهم أو يوم القيامة قد فصل أمرهم أو ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهما غيره كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: 17] وكما ورد أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(1).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شرف قدر تلك الدار لكونها في محل الكرامة واختصاصها بعندية الزلفة وإلا فالأقطار كلها ديار ولكن قيمة الدار بالجار قال قائلهم:

إني لأحسد جاركم لجواركم طوبى لمن أضحى لدارك جاراً
يا ليت جارك باعني من داره شبراً لأعطيه بشبرٍ داراً(2)

ويقال الحقيقة وإن كانت منزهة عن قبول الجوار وليس القرب منه بتداني الأقطار فإطلاق هذا اللفظ لقلوب الأحباب مؤنس بل لو جاز القرب في وصفه من حيث المسافة لم يكن لهذا كثير أثر وإنما حياة القلوب بهذا لأن حقيقته مقدسة عن هذه الصفات ثم لأجل قلوب أحبابه يطلق هذا يوقع العلماء في كد التأمل هذا هو أمارة الحب قال قائلهم:

أنا من أجلك حملت الأ ذى الذي لا أستطيع(3)

﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ [الآية: 127] أي: مولاهم وناصرهم ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 127] بسبب أعمالهم أو متولي أمرهم فيجازيهم على وفق أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه هنا شرف قدر تلك المنازل حيث قال ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ [الآية: 127] فإنه إذا كان وليهم كانت المنازل/ بأسرها طابت كيف كانت وأين كانت قال قائلهم: 269/أ

أهوى هواها لمن قد كان ساكنها وليس في الدار لي هم ولا وطر(4)

(1) سبق تخريجه.
(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 306) و(7/ 444) وانظر غرر الخصائص (1/ 250).
(3) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 306).
(4) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 306).

وهو وليهم في دنياهم وهو وليهم في عقباهم وليهم في أولاهم وأخراهم وليهم الذي استولى حديثه على قلوبهم فلم يدع فيها لغيره نصيباً ولا مثوى وليهم الذي هو أولى بهم منهم وليهم الذي آثرهم على أضرابهم وأشكالهم وآثروه في جميع أحوالهم وليهم الذي يطلب رضاهم وليهم الذي لم يكلهم إلى هواهم ولا إلى دنياهم ولا إلى عقباهم وليهم الذي بأفضاله يلاطفهم وبجماله وجلاله يكاشفهم وليهم الذي اختطفهم عن كل حظ ونصيب وحال بينهم وبين كل حميم وقريب وحررهم عن كل موهوم ومفهوم ومطلوب ومحبوب وليهم الذي هو مؤنس أسرارهم وشاهد معتكف أبصارهم وحضرته مربع أرواحهم وليهم الذي ليس لهم سواه ولا يشهدون إلا إياه ولا يجدون إلا إياه لا في بدايتهم يقصدون غيره ولا في نهايتهم يجدون غيره ولا في وسائطهم يشهدون غيره.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية: 128] بنون العظمة وقرأ حفص بالغيبة أي: اذكر يوم نحشر الثقلين ونقول ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ [الآية: 128] أي: الشياطين ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الآية: 128] أي: من إغوائهم كما قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وغيرهم والمعنى أضللتم كثيراً منهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الآية: 128] أي: مطيعوهم ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 128] أي: انتفع الإنس بالجن حيث دلوهم على الشهوات وما يتوصل به إليها من الحالات والجن بالإنس بأن أطاعوهم وحصلوا مرادهم وشاركوهم في فسادهم وحاصله أن بعضهم مطاع وبعضهم مطيع وهذا قول ابن عباس ومحمد بن كعب والزجاج وقيل: استمتع بعض الإنس ببعضه وبعض الجن ببعضه أو كان في الجاهلية إذا نزلوا مفازة قالوا أعوذ بكبير هذا الوادي فيفتخر كبير الجن بتعوذ الإنس بهم ويقولون نحن سيد الإنس والجن وهذا هو الاستمتاع وبه قال ابن جرير ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ/ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: 6] أي: طغياناً وضلالاً ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الآية: 128] أي: القيامة الصغرى أو الكبرى وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى ومخالفة الرحمن وتحسر على حالهم من الطغيان والخذلان. 269/ ب

قال الأستاذ: يعتذرون فلا يسمع ويحتجون بما لا ينفع ولقد كانوا من قبل لو أتوا بأقل منه قبل منهم لكنهم سبقت القسمة فحقت لهم النقمة ﴿قَالَ﴾ [الآية: 128] أي: الله أو القائل بأمره ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾ [الآية: 128] منزلكم ومأواكم ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ [الآية: 128] إلا الأوقات التي ينقلون فيها من السعير إلى الزمهرير وقيل: إلا ما شاء الله قبل الدخول وهو مدة حياتهم في الدنيا أو البرزخ أو الموقف فكأنه قيل: النار مثواكم أبداً إلا ما أمهلكم وقيل الخطاب في النار مثواكم لكل كافر وفاسق والاستثناء للفساق وما بمعنى من والمراد به بعض الفجار الذين دخلوا النار وليسوا من الكفار ولا يبعد أن يكون الخطاب عاماً للثقلين والاستثناء للمؤمنين من الفريقين ولا يبعد أن يكون التقدير إلا من شاء الله منكم إنقاذه منها بأن هداه في دار الدنيا ويؤيده عموم قوله سبحانه ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ﴾ [الآية: 128] ولعل هذا مجمل ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن معنى هذه الآية أنه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا ناراً ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 128] في فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 128] بخلقه ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 129] أي: كما ولينا بعض الإنس بعض الجن ﴿نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ [الآية: 129] نكل بعضهم إلى بعض فيغويهم أو أولياء بعض وقرناءهم في العقبى كما كانوا في الدنيا أو فسلط بعضهم على بعض كما ورد من أعان ظالماً سلطه الله عليه.

قال الفخر الرازي: وهذا دال على أن الرعية إذا كانوا ظلمة فالله يسلط عليهم ظالماً مثلهم قلت: وقد ورد كما تكونوا يولَّ عليكم(1) أو يهلك بعضهم بيد بعض وينتقم من بعضهم ببعض جزاءً على ظلمهم وبغيهم.

ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: 251] وهذا قول مالك بن دينار وغيره ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 129] من الكفر والمعاصي.

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الآية: 130] هذا توبيخ وتقريع

(1) جامع الأحاديث (15/ 402) رقم (15812)، كشف الخفا (2/ 126) رقم (1997).

للكافرين/ من رب العالمين والمعنى أنه قد أتاكم رسل منكم في الجملة فالأصح 270/ أ
بل الصحيح أن الرسل من الإنس والجن تبع لهم كما أن النساء تبع للرجال في أحكامهم إلا ما خص بهن فخرجن من عموم أعمالهم قالوا: ونظيره يخرج منها اللؤلؤ والمرجان وهما يخرجان من الملح دون العذب وقيل: الرسل من الجن رسل الرسل إليهم كقوله تعالى: ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: 29] ونظيره قوله سبحانه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ [يس: 14] وتعلق قوم بظاهر هذا الكلام وقالوا: بعث إلى كل من الثقلين رسل من جنسهم ولعله محمول على غير زمان نبينا ﷺ إذ الإجماع على أنه مبعوث إلى جميع الخلق جنهم وإنسهم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾ [الآية: 130] أي: يتلون مبانيها أو يبينون معانيها ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الآية: 130] أي: ويخوفونكم البعث وملاقاة يوم القيامة بالحساب والعذاب ﴿قَالُواْ﴾ [الآية: 130] أي: في الجواب ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الآية: 130] باستيجاب العقاب ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 130] من المال والجاه وسائر الأسباب ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 130] فهذه شهادة من الله عليهم شهدوا على أنفسهم بالكفر والشهادة الأولى حكاية لقولهم والمقصود من الثانية ذم حالهم وتخطئة رأيهم وسفاهة نظرهم تحذيراً للسامعين من مثل كلامهم وفساد مرامهم وجهله وغرتهم الحياة الدنيا حالية معترضة إيماءً إلى أنهم اغتروا الحياة الدنيوية وأعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى آل أمرهم في الحال إلى سوء المآل وفوت المنال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يعرفهم أنه أزاح لهم العلة من حيث إلزام الحجة لكن حكم لهم في الأزل بالشقوة فليس عليهم المحجة.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الآية: 131] أي: مصدرية أو محققة من المثقلة أي: الأمر ذلك لانتفاء كون ربك إلخ أو لأن الشأن لم يكن ربك مهلك أهل القرى بسبب ظلم صدر منهم وهم غافلون لم ينتبهوا بإرسال رسول إليهم كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15] وأما ما قال بعض المفسرين من أن التقدير ظالماً وأنه لا يهلكهم بدون التنبيه بالرسل والآيات فإنه ظلم فخروج/ من مذهب أهل السُنَّة وشائبة من بدعة المعتزلة 270/ ب

كما يستفاد من كلام الأستاذ فيما أفاد بقوله متى يصح وصفه بوسم الظلم والملك ملكه والخلق خلقه ومتى يقبح منه تصرف في شخص بما أراد والعبد عبده والحكم حكمه.

﴿وَلِكُلٍّ﴾ [الآية: 132] من المكلفين ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ [الآية: 132] مراتب مختلفات ناشئات ﴿مِّمَّا عَمِلُوا۟ۚ﴾ [الآية: 132] في أوقات وحالات ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 132] فيخفى عليه خافية أو قدر مما يستحق به من مثوبة أو عقوبة وقرأ ابن عامر بالتاء لتغليب الخطاب على الغيبة.

وأفاد الأستاذ: أن المحسن في روح الثواب متنعم والمذنب في نوح العقاب متألم.

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ﴾ [الآية: 133] عن العباد والعبادة ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ [الآية: 133] فلا يعجل لهم بالعقوبة قيل الغني عن طاعة المطيعين ذو الرحمة على المسيئين.

وأفاد الأستاذ: أن الغني يشير إلى عزّه وذو الرحمة يومىء إلى لطفه أخبرهم بقوله ﴿ٱلْغَنِىُّ﴾ [الآية: 133] عن جلاله وبقوله ﴿ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ﴾ [الآية: 133] عن جماله فبجلاله يكاشفهم فيغنيهم وبجلاله يلاطفهم فيحييهم ويبقيهم ويقال سماع غناه يوجب محوهم وسماع رحمته يوجب صحوهم فهم في سماع هذه الآية مترددون بين بقاء وبين فناء وبين إكرام وبين اصطلام وبين تقريب وبين تذويب وبين اجتياح وبين ارتياح ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ [الآية: 133] أيها العصاة والضلال بأن يعذبكم عذاب الاستئصال ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾ [الآية: 133] من الخلق يعملون بطاعته كأهل الفرس وطبقته ونظيره قوله ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: 38] ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الآية: 133] أي: قرناً بعد قرن يعني فهو قادر على ذلكم لكنه أبقاكم ترحماً عليكم والأظهر أن الخطاب عام للخلق إيماءً إلى الاستغناء المطلق وإشارة إلى القدرة التامة والمشيئة الكاملة كما قال إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين والمعنى إن يشأ إذهاب هذا العالم واستخلاف ما يشاء من الخلق غير بني آدم فعل على الوجه الأتم والله سبحانه أعلم.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ [الآية: 134] من البعث والجزاء على الطاعة والمعصية ﴿لَآتٍ﴾ [الآية: 134] لكائن البتة ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الآية: 134] لله في قدرته على المطالبة.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة من هذه الآية إلى قصر الأمل ومن قصر أمله حسن عمله وكل ما هو آتٍ فهو/ قريب أجله. 271/أ

﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ﴾ [الآية: 135] أي: على غاية تمكنكم واستطاعتكم أو على ناحيتكم وجهتكم وقرأ أبو بكر حيث جاء في القرآن مكاناتكم والأمر للتهديد أو للمبالغة في الوعيد الشديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم ﴿إِنِّي عَامِلٞ﴾ [الآية: 135] ما كنت عليه من الثبات على الإسلام والمداومة على مخالفتكم ﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ﴾ [الآية: 135] أي: الذي تكون له العاقبة الحسنى التي خلق الله لها هذه الدنيا أو المعنى فسوف تعلمون أيّنا يكون له الغلبة والاستيلاء في الدنيا والمثوبة والاستعلاء في العقبى أو من يكون له دار البوار ومن يحصل له دار القرار وفيه مع الإنذار إنصاف في المقال وحسن أدب في مقام الجدال وتنبيه على وثوق المنذر بأنه محق في الحال وسحق في المآل وقرأ حمزة والكسائي يكون بالتذكير لأن تأنيث العاقبة ليس على الحقيقة ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 135] أي: الشأن ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية: 135] أي: لا يسعدون حيث يظفر المطيعون.

﴿وَجَعَلُواْ﴾ [الآية: 136] أي: مشركو العرب ﴿لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ [الآية: 136] أي: مما خلقه ﴿مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا﴾ [الآية: 136] أي: حصة وحظاً وسهماً ﴿فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ [الآية: 136] متعلق بقالوا وفيه تنبيه على أن ذلك من اخترعوه لم يأمرهم الله به ولم يصل إليه ﴿وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ﴾ [الآية: 136] والإشارة في الموضعين إلى النصيبين المعهودين وفي الكلام حذف دل عليه التقسيم أي: ونصيب لشركائهم لقوله ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۗ﴾ [الآية: 136] روي أنهم كانوا يعينون شيئاً من الحرث والنتاج لله ويصرفونه إلى الضيفان والمساكين وشيئاً منهما

لآلهتهم وينفقون على خدم أصنامهم ثم إن رأوا ما عينوا لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى تركوه لها حباً لآلهتهم أو إذا سقط شيء من الثمر مثلاً من نصيب الصنم فيما سمي للصنم ردوه إلى ما جعلوه للصنم وقالوا: إنه فقير وسدنته يحتاجون إلى نفقة وإن هلك أو انتقص منه شيء أخذوا بدله مما جعلوه لله وإن سقط من نصيب الله في نصيب الأوثان خلوه أو مات شيء منه لم يبالوا به وقالوا الله غني.

وفيه تنبيه على فرط جهالتهم وكثرة حماقتهم حيث أشركوا الخالق في خلقه جماداً لا يقدر على شيء من أمره ثم رجحوه/عليه بأن نسبوا النصيب الأوفر إليه وقرأ الكسائي بضم الزاي في الموضعين وهو لغة وقد جاء الكسر فيه أيضاً فهو مثلث كالود ﴿سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الآية: 136] حكمهم هذا وأمثاله. 271/ب

وأفاد الأستاذ: أنهم لما بنوا قاعدة أمرهم على موجب الهوى صارت فروعهم لائقة بأصولهم فهو كما قيل:

إذا كان القضاء إلى ابن آوى فتعديل الشهود إلى القرود[1]

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 137] أي: مثل ذلك التزيين في قسمة القربات بين الله وآلهتهم أو إشارة إلى نفس هذا التزيين فهو تزيين قتل الأولاد ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ﴾ [الآية: 137] أي: بوأدهم ونحرهم لأصنامهم ﴿شُرَكَآؤُهُمۡ﴾ [الآية: 137] من الجن فإن الشياطين أمروهم بما فعلوا من آثامهم وهو فاعل زُيِّن مجازاً في النسبة وإلا فالفاعل هو الله في الحقيقة وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول ورفع قتل عن النيابة ونصب أولادهم وجر شركاءهم بإضافة القتل إليه مفصولاً بينهما بمفعوله وقول من قال بضعفه ضعيف مردود عليه لوردوه في كلام الفصحاء من الشعراء البلغاء ولأن القرآن مما يستشهد به لا له لصحة الرجوع في كل باب إليه.

ولهذا قال صاحب «**التسهيل**»: إذا كان المضاف مصدراً جاز أن يضاف

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 315)، وانظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 44).

نظماً ونثراً إلى فاعله مفصولاً بمفعوله.

قال أبو حيان: وأصحابنا يقولون إن الزمخشري غير نحوي ولا يلتفتون إلى خلافه للنحاة انتهى ومن طعن في القراءة المتواترة يخشى عليه من الكفر لأن القراء لا يقرأون من عند أنفسهم فإذا ثبت شيء بالدليل القطعي فإنكاره والطعن عليه من صنع الغويّ وإن وقع من النحوي اللغوي ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ [الآية: 137] ليهلكوهم بالإغواء ﴿وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ [الآية: 137] ليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام أو ما وجب عليهم أن يتدينوا من دين الإسلام ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الآية: 137] أي: ما فعل المشركون ما زين لهم إذاً لشركاء التزيين أو الفريقان جميع ذلك ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 137] أي: ما يختلفون على الله من الكذب وهم لا يعلمون.

وأفاد الأستاذ: أن الآية صرحت بأن المراد على المشيئة والاعتبار لسابق القضية.

﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية: 138] أي: ما جعل للآلهة ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ﴾ [الآية: 138] حرام ممنوع فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والأنثى ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾ [الآية: 138] من رجال خدم الأوثان ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ [الآية: 138] من غير/ حجة لديهم ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ [الآية: 138] من البحائر والسوائب والحوامي ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ [الآية: 138] في ذبحها أي: وما يذكرون أسماء الأصنام عليها ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ [الآية: 138] لأجل الافتراء على الله فيما نسبوا إليه ﴿سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 138] ي: بسبب افترائهم والمعنى أنه إذا قسموا أنعامهم فقالوا هذه حجر وهذه محرمة الظهور وهذه لا يذكر اسم الله عليها فجعلوها أجناساً بأهوائهم ونسبوا ذلك إلى الله بافترائهم.

272/ أ

﴿وَقَالُواْ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية: 139] أي: أجنة البحائر والسوائب ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا﴾ [الآية: 139] أي: نساءنا إن ولد حياً ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ [الآية: 139] أي: فذكورهم

وإناثهم فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فإن ما في معنى الأجنة ولذا وافق عاصم في رواية أبي بكر ابن عامر في تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب كغيرهم ﴿سَيَجْزِيهِمْ﴾ [الآية: 139] الله ﴿وَصْفَهُمْ﴾ [الآية: 139] أي: جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله سبحانه: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل: 62] ﴿إِنَّهُۥ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 139] بأحكام فعله ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 139] بأحوال خلقه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه إلى أن من نحا نحوهم في زيادة شيء في الدين أو نقصان شيء من شرع المسلمين فمضاه لهم في البطلان منخرط لسلكهم في الطغيان.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾ [الآية: 140] أي: بالواو مخافة السبي والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر بالتشديد للتكثير ﴿سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الآية: 140] لقلة عقلهم وكثرة جهلهم بأن الله رازق أولادهم لا هم بأنفسهم ﴿وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 140] من البحائر ونحوها ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 140] إلى الحق والصواب في أمر الدين.

قال الأستاذ: انسدت عليهم طريقة الثقة بالله رب العباد فحملهم خشية الفقر على قتل الأولاد ولذا قال أهل التحقيق من إمارات اليقين وحقائق الدين كثرة العيال على وثق الاتكال.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ﴾ [الآية: 141] أي: أبدع بساتين من الكروم ونحوها ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾ [الآية: 141] مرفوعات على ما يحملها ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الآية: 141] أي: متروكات على وجه أرضها ومحلها ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ [الآية: 141] أي: أكل كل واحد منها يعني ثمره في الكيفية والهيئة ومختلفاً حال مقدرة أي: مقدراً اختلافه لأنه لم يكن كذلك حال إنشائه ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ/ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾ [الآية: 141] يتشابه بعض أفرادها في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها فيهما. 272/ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كما أنشأ في الظاهر جنات وبساتين كذلك

أنشأ في السر جنات وبساتين فنزهة القلوب والسرائر أتم من جنات الظواهر فأزهار القلوب مؤنقة وشموس الأسرار مشرقة وأنهار المعارف زاخرة وكما تتشابه الثمار كذلك يتماثل الأحوال وكما يختلف طعومها وروائحها مع تشاكلها من وجه فكذلك الأحوال مختلفة القضايا وإن اشتركت في كونها أحوالاً ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾ [الآية: 141] أي: ثمر كل واحد من ذلك ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾ [الآية: 141] إن لم ينضج بعد ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الآية: 141] وهذا شيء كان واجباً قبل وجوب الزكاة وعن بعض السلف أنه الزكاة والآية مدنية أو مكيّة وتفصيل الزكاة عُلِمَ بالمدينة وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائي بكسر الحاء.

وأفاد الأستاذ: أن حقه الواجب يوم الحصاد إقامة الشكر فأما إخراج البعض فبيانه على لسان العلم وشهود المنعم في عين النعمة أتم من الشكر على وجود النعمة ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الآية: 141] في التصدق لقوله ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: 29] وفي الأكل بأن تأكلوا فوق الشبع أو في البخل بأن لا تعطوا حق الله ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية: 141] أي: لا يرضى فعلهم وعن ابن عباس أن أحداً من الصحابة صرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لعياله شيئاً فنزلت تلك الآية.

وقال الأزهري: الإسراف في المعصية وقال مجاهد: لو كان لأحد مثل أحد ذهباً فأنفقه في طاعة الله لم يكن مسرفاً ولو أنفق درهماً في المعصية لعد من المسرفين.

ومن القول الألطف في الشرف لا سرف في خير ولا خير في سرف.

وأفاد الأستاذ: أن الإسراف على لسان العلم مجاوزة الحد على بيان الإشارة فكل ما أنفقته في حظ نفسك فهو إسراف ولو كانت سمسمة وما أنفقته في سبيله فليس بإسراف ولو أربى على الألف.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية: 142] أي: وأنشأ من الأنعام ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الآية: 142] ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح.

وأفاد الأستاذ: أن تسخير الحيوان للإنسان آية مزية في الفضيلة على سائر البرية وكما سخر الأعيان للإنسان كذلك سخر الأزمان في تصاريف الحدثان لخواص الإنسان ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 142] أي: مما أحل لكم من الثمار والزروع/والأنعام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [الآية: 142] أي: طرائقه وأوامرهُ كما اتبعها المشركون في التحليل والتحريم من عند أنفسهم ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الآية: 142] ظاهر العداوة لمبالغته في إرادة الغواية. 273/أ

وأفاد الأستاذ: أن الرزق لا يتخصص بالمأكولات بل هو سائغ في جميع ما يحصل به الانتفاع وينقسم الرزق إلى رزق الظواهر ورزق السرائر فهذا وجود النعم وذاك شهود الكرم بل الخمود في وجود القدم وللقلب رزق هو التحقيق من حيث العرفان وللروح رزق وهو المحبة بصدق التحرز عن الأكوان وللسر رزق وهو الشهود الذي هو قرينة العيان.

﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الآية: 143] بدل من حمولة وفرشاً وما بينهما معترضة والمراد بالزوج هنا ما معه آخر من جنسه يزاوجها وإن كان قد يقال لمجموعها ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ﴾ [الآية: 143] أي: زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية والضأن اسم جنس كالإبل وقرىء بفتح الهمزة وهو لغة فيه ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ [الآية: 143] التيس والعنز وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح العين وهو جمع ماعز ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ﴾ [الآية: 143] أي اذكر الضأن وذكر المعز ﴿حَرَّمَ﴾ [الآية: 143] أي: الله عليكم أيها المشركون ﴿أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [الآية: 143] أي أنثييهما ونصب الذكرين والأنثيين بحرم ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [الآية: 143] أو ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان أو أنثى كما قالوا ما في بطون هذه الأنعام، الآية. ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ [الآية: 143] أي: أخبروني بأمر معلوم يدل على أن الله حرم شيئاً من ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية: 143] في دعوى التحريم عليه.

﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [الآية: 144] المقصود إنكار فعل التحريم لكنه

ورد في صورة إنكار المفعول ليطابق ما كانوا يدعونه من التفصيل في المفعول والترديد فيه فيكون الإنكار في طريق برهاني من جهة أنه لا بد للفعل من متعلق فإذا نفى جميع متعلقاته على التفصيل لزم نفي الفعل على وجه التكميل ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ [الآية: 144] بل أكنتم حاضرين مشاهدين ﴿إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾ [الآية: 144] حين وصّاكم بما ذكر من تحريم بعض وتحليل بعض وهذا من باب آلهتكم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 144] فنسب إليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك أو عمرو بن لحي/ المؤسس له فإنه أول من غير دين إسماعيل عليه السلام ﴿لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ [الآية: 144] ملتبساً بغير دليل يفيد علماً أو حال كونهم جاهلين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 144] .

273/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الذي ينبغي للعبد أن يتأدب به عند سماع ذكر الضأن استدامة السكون بالتزام حسن الخلق فإن الضائنة مستسلمة لمن يلي عليها فلا بصياحها تؤذي ولا بعدوها يعني كذلك سبيل من وطئ هذا البساط وكذا في الإبل آيات منها انقيادها لمن جرّ زمامها واستناختها حيثما تناخ بلا نزاع ولا اختيار ومنها ركوبها عند الحمل وصبرها على مقاساة العطش ودومانها في السير.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ [الآية: 145] أي: في القرآن أو فيما أوحي إلى مطلقاً وفيه تنبيه نبيه على أن التحريم إنما يعلم بالوحي لا بالهوى محرماً أي لا أجد شيئاً من الطعام ﴿مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ﴾ [الآية: 145] في وقت ﴿إِلَّآ أَن يَكُونَ﴾ [الآية: 145] أي: إلا في وقت أن يكون الطعام ﴿مَيْتَةً﴾ [الآية: 145] وقرأ ابن كثير وحمزة بالتاء لتأنيث الخبر وقرأ ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على أن كان هي التامة وقوله: ﴿أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ [الآية: 145] عطف على أن يكون مع ما في حيزه أي: لا وجود ميتة أو دماً مسفوحاً أي: سائلاً مصبوباً كالدم في العروق لا الكبد والطحال ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ﴾ [الآية: 145] أي: فإن الخنزير أو لحمه قذر لتعوده أكل النجاسة.

قال الماوردي: ضمير فإنه للخنزير لأنه أقرب مذكور ونازعه في ذلك أبو حيان وقال: إنه عائد على اللحم لأنه المضاف وهو المحدث عنه والمضاف إليه ذكر لتعريف المضاف وتخصيصه فقيل ما قاله الماوردي أولى من حيث المعنى لأن تحريم اللحم قد استفيد من قوله أو ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾ [الآية: 145] فلو عاد الضمير عليه لما كان في الكلام تأسيس فوجب عوده إلى الخنزير ليفيد تحريم الكبد والشحم وسائر أجزائه قلت الأول موافق لمذهب مالك والثاني مطابق لما عليه الجمهور والله أعلم بمراده بذلك ﴿أَوْ فِسْقًا﴾ [الآية: 145] عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [الآية: 145] صفة موضحة له وسمي فسقاً لتوغله في الفسق ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾ [الآية: 145] فمن دعته الضرورة إلى تناول شيء مما ذكر ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ [الآية: 145] على مضطر مثله أو غير طالب للذة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ [الآية: 145] قدر الضرورة ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 145] لا يؤاخذه حيث عمل بالرخصة والآية محكمة لأنها تدل على أنه لم يجد فيما أوحي/ إلى تلك الغاية محرماً غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر بعد هذا ويمكن أن يكون الحصر إضافياً أي: لا أحد فيما أوحي إليّ في القرآن بخلاف ما أوحي إلى من السنة على طبق البيان.

274/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بيّن أن الشارع هو الله والمانع عن الخلق هو الله وما كان من غير الله فهو ضائع باطل عند الله ثم بين أنه إذا جاء الاضطرار زال حكم الاختيار.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الآية: 146] أي: حرمنا على اليهود ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنعامة والبط أو كل ذي حافر كما قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقيل: كل ذي مخلب من الطير ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الآية: 146] أي: جميع شحومهما من الثروب وشحوم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ [الآية: 146] إلا ما علقت من الشحوم لظهورها ﴿أَوِ ٱلْحَوَايَآ﴾ [الآية: 146] أو ما اشتمل على الأمعاء ﴿أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الآية: 146] أي: ما اختلط من الشحوم بالعظام فإنه حلال وأوهنا كما في قولهم جالس الحسن أو ابن سرير كذا قاله بعضهم وفيه أو أن للإباحة

للمثال فجاز أن يجالسهما معاً أن يجالس أحدهما بخلاف التحريم هنا فإنه يعمهما فالصواب في هذه الآية أن أو للتفصيل والتنويع فصل بها ما حرم عليهم من البقر والغنم وهي أبلغ من الواو فإنها تدل على التساوي في الحكم كأنه قال كل واحد من الثلاثة مستقل بحكم الحلية على أن الواو قد يتوهم منها معنى المعية والجمعية مع أنه ليس المراد من الآية البهية ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 146] أي: التحريم أو الجزاء أو التضييق ﴿ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الآية: 146] بسبب ظلمهم ومخالفتهم أمر بينهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الآية: 146] في إخبارنا من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا أن إسرائيل حرمه علينا وليس من عمل ذنب صدر عنا.

وقال الأستاذ: بين أن ما حرمه عليهم ضيعوه وما لم يعاتبهم عليه لم يشهدوا مكره العظيم فيه وما ابتدعوه من قبل أنفسهم أهملوه ولم يحافظوا عليه فاستوجبوا عظيم الوزر وأليم الهجر.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الآية: 147] لا يعجل بالعقوبة على المعصية ولكنه يمهل ولا يهمل في الآخرة ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ﴾ [الآية: 147] عذابه ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 147] إذا نزل عليهم بسبب إجرامهم أو ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو بأس شديد للمجرمين.

وقال سهل قيل للنبي ﷺ من/ أعرض عنك فرغبة فينا فإنه من رغب فينا ففيك رغب لا غير قال عزَّ وجلَّ ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الآية: 147] أي: أطعهم في الرحمة ولا تقطع قلبك عنهم بالمرة. 274/ب

وقال الأستاذ: الإشارة منه بيان تخصيص الأولياء بالمرحمة وتخصيص الأعداء بالطرد واللعنة والصورة الإنسانية جامعة لهم ولكن القسمة الأزلية فاصلة بينهم.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [الآية: 148] إخبار عن مستقبل في أحواله ووقوع مخبره يدل على إعجازه ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ [الآية: 148] أي: لو شاء خلاف ذلك مشيئة أو قضاء كقوله سبحانه ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: 149] لما فعلنا نحن ولا آباؤنا وأرادوا بذلك أنهم على

الحق المشروع المرضي عند الله مأمور به فإن ما لم يشأ لم يكن وما شاء فهو مرضي مأمور به ولم يريدوا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله تعالى إياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة وحاصل القضية أن الكفرة اعتقدوا عدم التفرقة بين المأمور والمراد كما اعتقدت المعتزلة فاحتجوا على حقيقة الإشراك بالله وسائر ما يركبون من القبائح بأنها ليست بمعصية لأنها موافقة للمشيئة التي تساوق الأمر وينادي على ذلك قوله ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ [الآية: 148] فإنه لو كان المراد أن الكل بمشيئة الله لما كانوا إلا كاذبين لا مكذبين فالمعنى كذب الأمم السابقة بهذه الشبهة الداحضة أنبياءهم وعلماءهم السابقة واللاحقة ﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ [الآية: 148] الذي بتكذيبهم عليهم أنزلنا فعلموا أنهم على دين مبغوض غير مرضي عندنا ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾ [الآية: 148] أي: من أمر معلوم لكم يصح الاحتجاج به على زعمكم ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾ [الآية: 148] أي: تظهروه لأجلنا ﴿إِن تَتَّبِعُونَ﴾ [الآية: 148] أي: ما تتبعون في ذلك ﴿إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الآية: 148] لا العلم ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الآية: 148] تكذبون على الله.

وأفاد الأستاذ: فيما بنى الإشارة على ظاهر العبارة حيث قال كذبت قالتهم لأنها لم تصدر عن التصديق فذموا على جهالتهم وإن كان صدقاً في التحقيق انتهى وحاصله أن هذه كلمة حق أريد بها الباطل لا أنه موافقة للمعتزلة ومخالفة لأهل السُّنَّة.

﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ﴾ [الآية: 149] أي: البينة الثابتة التي بلغت غاية المتانة وهي الكتاب والسُّنَّة/ ﴿فَلَوۡ شَآءَ﴾ [الآية: 149] أي: الهداية الشاملة ﴿لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الآية: 149] بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاهد آية قوم وضلالة آخرين وله في ذلك مصالح وحكم لا بمبتدىء إليه إلا من اكتحل عينه بنور اليقين. 275/أ

قال جنيد: آثار مشيئة الهداية عند أهل الهدى بينة.

وقال النصرآبادي: الخلق كلهم منعهم شدة الحاجة عن معاني رؤية

الحجة ولو أسقط عنهم الحاجة لكشف لهم براهين الحجة وقال أيضاً رؤية الحاجة حسنة ورؤية الحجة أحسن.

وأفاد الأستاذ: أن إرادته سبحانه لا تتقاصر عن مراده وليس عليه شيء معتاض في البلاد والعباد.

﴿قُلْ هَلُمَّ﴾ [الآية: 150] أي: أحضروا ﴿شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ﴾ [الآية: 150] يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويثبت بانقطاعهم لهم الضلالة ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾ [الآية: 150] أي: للعناد والمكابرة ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ﴾ [الآية: 150] فلا تصدقهم فيه لأن التصديق ملزوم الشهادة وقيل: ففي الشهادة كناية عن إثبات المفسدة وقيل: مشاكلة والمعنى أثبت على ما أنت عليه من الحجة المقرونة بالهداية ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 150] منهم ومن غيرهم ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ﴾ [الآية: 150] من أمثالهم ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 150] أي: يسوون الأصنام وغيرها بخالقهم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية إشارة إلى أن ما تجرد عن برهان يصححه وبيان يوضحه فغير مقبول من قائله ولا عذر لقابله.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ﴾ [الآية: 151] أمر من التعالي وأصله أن يقوله من كان في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم وهنا للتخصيص وجه وهو أن العالم يقول للجاهلين ارتفعوا عن حضيض مقامكم السفلي إلى إدراك مقامي المتعالي ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية: 151] أي أقرؤه وأبينه وما يحتمل الخبرية والمصدرية ﴿عَلَيْكُمْۖ﴾ [الآية: 151] متعلق بحرم أو أُتل ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ﴾ [الآية: 151] أي: لا تشركوا فإن مفسرة ولا ناهية ليصح عطف الأمر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرم فإن التحريم باعتبار الأوامر يرجع إلى أضدادها ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾ [الآية: 151] أي: احسنوا بهما ﴿إِحْسَٰنًاۖ﴾ [الآية: 151] زائداً بالنسبة إلى غيرهما ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ﴾ [الآية: 151] أي: من أجل فقر حال أو مستقبل أو من خشية كقوله خشية إملاق ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ﴾ [الآية: 151] قدم نرزقكم هنا بخلاف سورة الإسراء ليكون كالدليل في القضية فإن رازق

الأصل رازق التابع بالأولوية واختير هنا التقديم لأن التقدير من إملاق بكم فناسب نحن نرزقكم وإياهم/ وهناك زيدت الخشية المتعلقة بالمستقبلة فالتقدير خشية إملاق يقع بهم يلائم نحن نرزقهم وإياكم ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الآية: 151] أي: كبائر الذنوب لاستثناء اللمم من العيوب ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الآية: 151] بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الإثم وباطنه وقد سبق بيانه.

275/ب

وقد قال المحاسبي: الفواحش ما أريد به غير الله وقيل ما ظهر من الفواحش في الأفعال هو الرياء والسمعة وما بطن منها الدعاوي الكاذبة ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 151] قتلها ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 151] وهو القود وقتل المرتد ورجم المحصن كما ورد ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 151] إشارة إلى ما ذكر مفصلاً ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾ [الآية: 151] أي: بحفظه مجملاً ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 151] أي: أمره ونهيه علماً وعملاً.

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الآية: 152] أي: إلا بالطريقة التي هي أحسن طرق ما يفعل بما له كحفظه وتثميره ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الآية: 152] جمع شدة وهي القوة والجلادة كنعمة وأنعم وقيل مفرد لا جمع له وقيل جمع لا واحد له والمعنى حتى يصير بالغاً رشيداً معتمداً عليه فادفعوا إليه ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 152] أي: بالعدل والسوية بقدر الوسع والطاقة ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الآية: 152] أي: ما يسعها ولا يعجز عنها فإن أخطأت بعد بذل جهدها فلا حرج عليها ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ [الآية: 152] في حكومة ونحوها ﴿فَٱعْدِلُواْ﴾ [الآية: 152] أي: في القضية وما يتعلق بها أو إذا تكلمتم بكلمة فلا تجوروا فيها.

قال أبو سليمان: إذا تكلمتم فتكلموا بذكره يعني وإذا سكتم فتفكروا في أمره ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ [الآية: 152] المقول له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الآية: 152] صاحب قرابة منكم ومناسبة بينكم ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 152] أي: بما عاهدكم الله عليه أو بما عاهدتم الله عليه ﴿أَوْفُواْ﴾ [الآية: 152] اعملوا به ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 152] أي: تتعظون به وتنتفعون منه وقرأ

حفص وحمزة والكسائي بتخفيف الذال حيث أتى.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا﴾ [الآية: 153] إشارة إلى ما في الآيتين أو إلى ما في السورة أو إلى الكتاب جميعه ﴿صِرَٰطِى﴾ [الآية: 153] ديني ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ [الآية: 153] لا عوج فيه عن الوصول إلى ربي.

وقال جعفر: طريقي من القلب إلى الله بالإعراض عما سواه وقرأ حمزة والكسائي أنّ بالكسر على أنها جملة مستأنفة وابن عامر بالفتح مخففة والباقون مشددة فبتقدير اللام على أنه علة لقوله ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الآية: 153] وهو عطف على لا تشركوا أو الجمع بين حرفي العطف/ الواو والفاء عند تقديم 276/ أ المعمول فصلاً بينهما شائع وسائغ نحو ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: 3] ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: 18] وقرأ ابن عامر صراطي فتح الياء ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾ [الآية: 153] أي: الأديان المختلفة أو الطرق التابعة للهوى فإن مقتضى الهدى واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات في تتبع الشهوات ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ﴾ [الآية: 153] الباء للتعدية أي: فتفرقكم وتزيلكم ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية: 153] الذي هو اتباع الحق واقتفاء البرهان المحقق ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 153] الاتباع الخالي عن الابتداع ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 153] الضلالة وتتبعون الهداية.

وأفاد الأستاذ: أن هذه أشياء عشرة تضمنها هذه الآيات أولها الشرك فإنه رأس المحرمات والذي لا يقبل معه شيء من الطاعات وينقسم ذلك إلى جلي وخفي فالجلي عبادة الأصنام والخفي ملاحظة الأنام بعين استحقاق الإعظام والثاني من هذه الخصال ترك العقوق وتوقير الوالدين بحفظ ما يجب لهم من أكيدات الحقوق وبعد ذلك قتل الأولاد خشية الإملاق وإراقة دمائهم بغير استحقاق ثم ركوب الفواحش ما بطن منها وما ظهر وما بدا واستتر ويدخل في ذلك جميع أقسام الآثام ثم قتل النفس بغير الحق وذلك إنما يكون لفقد شفقة الخلق ثم مجانبة مال اليتيم والنظر إليه بعين التكريم ثم الصدق في القول والعدل في الفعل ثم بذل الإنصاف في المعاملات والتوقي من جميع

التبعات ثم متابعة السبيل بما يشير إليه لوائح الدليل فمن قابل هذه الأوامر بجميل الاعتناق سعد في داريه وحظي بعظائم منزلته بالاتفاق.

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 154] عطف على ذلكم وصاكم وتم للتراخي في الإخبار فإن الإيتاء قبله مما يعلم بالإخبار ﴿تَمَامًا﴾ [الآية: 154] أي: كاملاً جامعاً لما يحتاج إليه في باب الديانة أو تماماً للكرامة والنعمة ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ [الآية: 154] القيام به في الطاعة ﴿وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 154] أي: وبياناً مفصلاً للأمور السابقة واللاحقة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الآية: 154] أي: وهداية عامة ونعمة خاصة ﴿لَّعَلَّهُم﴾ [الآية: 154] أي: بني إسرائيل ﴿بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 154] أي: بلقائه للجزاء ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 154] وللقيام بأمره يستعدون وعن الإقبال إلى غيره يعرضون وبحقائق العوارف ودقائق المعارف يوقنون.

276/ب وأفاد الأستاذ/ : أنه سبحانه يهون علينا مشقة مقاساة التكليف ببيان التعريف فإن الذين كانوا قبلنا كانوا في الضعف والعجز مثلنا ثم صبروا فظفروا وأخلصوا فتخلصوا.

﴿وَهَٰذَا﴾ [الآية: 155] القرآن ﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية: 155] جامع ﴿أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾ [الآية: 155] كثير النفع والخير ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الآية: 155] في طاعته ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾ [الآية: 155] في مخالفته ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية: 155] بواسطة متابعته وهو العلم بمبانيه ومعانيه والعمل بما فيه والحذر عن ما ينافيه.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ [الآية: 156] أي: أنزلناه كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ [الآية: 156] أي: اليهود والنصارى ﴿وَإِن كُنَّا﴾ [الآية: 156] أي: وأنه كنا ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾ [الآية: 156] قراءتهم ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾ [الآية: 156] ما نفهم ما يقولون فإنه ليس بلساننا.

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الآية: 157] بلغتنا ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 157] لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 157] حجة واضحة تعرفونها ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية: 157] لمن تأمل فيها وعمل بمقتضاها ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 157] بعد معرفة صحتها أو

التمكن من معرفتها ﴿وَصَدَفَ عَنۡهَاۗ﴾ [الآية: 157] أي أعرض أو صد غيره فضل وأضل ﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية: 157] شدته ﴿بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾ [الآية: 157] بسبب إعراضهم بأنفسهم أو صدهم لغيرهم.

وأفاد الأستاذ: أن إنزال الكتاب عليهم تحقيق الإيجاب فإذا بقي العبد عن سماع الخطاب تسلى بقراءة الكتاب ومن لم يجد في قراءة القرآن كمال العيش والأنس فإنه يقرأ ترسماً لا تحققاً وفي قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓاْ﴾ أزاح كل علة وبدا بكل وصلة فلم يبق لك متعللاً ولا في إيثار الالتجاء إلى العذر موضحاً وفي قوله فمن أظلم عقوبة كل جرم مؤجلة وعقوبة التكذيب معجلة وهي ما يوجب بقاؤهم في أسر الشك حتى لا يستقر قلبهم على شيء.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾ [الآية: 158] أي: أهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين والمعنى ما ينتظرون ﴿إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الآية: 158] أي: ملائكة الموت أو العذاب وقرأ حمزة والكسائي بالتذكير ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ [الآية: 158] أي يظهر تجليه والمراد يوم القيامة أوله إتيان ليس كإتيان غيره نؤمن به ولا نعرف كيفه أو كل آياته يعني آيات القيامة والهلاك الكلي لأرباب الملامة لقوله: ﴿أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ﴾ [الآية: 158] يعني أشراط الساعة أو طلوع الشمس من مغربها وهو الصحيح لقوله ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الآية: 158] / أي التي تضطرهم إلى الإيمان ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الآية: 158] كالمحتضر فإن الأمر حينئذٍ عياني والمطلوب إيمان برهاني ﴿لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ﴾ [الآية: 158] صفة نفساً ﴿أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ [الآية: 158] عطف على آمنت والمعنى لا ينفع الكافر إيمانه في تلك الحالة ولا الفاسق الذي ما اكتسب خيراً في إيمانه بالتوبة وحاصله أن من باب اللف التقديري أي لا ينفع نفساً إيمانها ولا كسبها في الإيمان إن لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فيه والمعنى لا ينفعهم تلهفهم حينئذٍ على ترك الإيمان بالكتاب ولا على ترك العمل بما فيه من الخطاب ﴿قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الآية: 158] أمر تهديد ووعيد شديد والمعنى انتظروا أحد الأمور الثلاثة فإنا منتظرون لها فإن لكم الويل بها ولنا الفوز بها.

277/ أ

وقال الأستاذ: أخبر أنّهم بعدما أزيح العلل عنهم اقترحوا ما ليسهم لهم واغتروا بطول السلامة فيهم ثم بين أنه إذا مضى بعقوبة عبد حكماً مؤبداً فلا معارض لتقديره ولا مناقض لتدبيره أصلاً أبداً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ [الآية: 159] أي: من اليهود والنصارى حيث أخذوا ببعض ما أمروا وتركوا بعضه كما قاله ابن عباس وغيره أو المراد بهم أهل البدع من هذه الأمة كما نقل عن عائشة وأبي هريرة أو يراد المعنى الأعم كما روي عنه عليه السلام افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية إلا واحدة وفي رواية فسر تلك الواحدة بمن يكون على ما هو عليه وأصحابه من الطريقة المؤيدة بالكتاب والسُنَّة وقرأ حمزة والكسائي فارقوا أي: باينوا ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الآية: 159] فرقاً تشيع كل فرقة أمام ضلاله ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الآية: 159] أي: من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عتابهم وأنت بريء منهم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 159] يتولى جزاءهم ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية: 159] أي: يعاقبهم على وفق أعمالهم.

وقال الأستاذ: اتفقوا بأبدانهم وافترقوا بقلوبهم فكانوا مجتمعين جهراً بجهر متفرقين في التحقيق سراً بسر.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الآية: 160] أي: بعشر حسنات أمثالها فضلاً من الله وكرماً وهذا أقل ما وعد فلا ينقص منه شيئاً وقد جاء الوعد بسبعين وسبعمائة وبغير حساب ولذا قيل: المراد بالعشرة الكثرة.

277/ب وفي «تفسير/السلمي» قيل من لاحظها من نفسه فعشر أمثالها ومن لاحظها من مواصلة الحق لها فهو من يضاعف له بغير حسابها.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الحسنات للظاهر فأما حسنات القلوب فللواحدة مائة إلى أضعاف مضاعفة ويقال الحسنة عن فضله تصدر وبلطفه تحصل فهو يجري ثم يقبل ويثني ثم يجازي ويعطي ويقال إحسانه الذي هو التوفيق يوجب إحسانك الذي هو الوفاق وإحسانه الذي هو خلق الطاعة فالعناء منك فعله

والجزاء لك فضله ويقال: إحسان النفوس توفية الخدمة وإحسان القلوب حفظ الحرمة وإحسان الأرواح مراعاة أدب الحشمة ويقال: إحسان الظواهر يوجب إحسانه في السرائر والذي منك مجاهدتك والذي إليك مشاهدتك ويقال: إحسان الزاهدين ترك الدنيا وإحسان المريدين رفض الهوى وإحسان العارفين قطع المنى وإحسان الموحدين بالتخلي عن الدنيا والعقبى والاكتفاء بوجود المولى ويقال إحسان أرباب البداية صدق الطلب وإحسان أصحاب النهاية حفظ الأدب فشرط الطلب أن لا تبقى ميسوراً إلا بذلته وشرط الأدب أن لا يسمو ولا يبدو لك شيء إلا قطعته وتركته ويقال للزاهد عشر أمثالها من حيث الجزاء وذلك بوعد وللعارف آلاف الآلاف أمثالها من حيث اللقاء وذلك بنقد ويقال للزهاد والعباد وأصحاب الأوراد وأرباب الاجتهاد جزاء محصورا محدوداً ولأهل العرفان ولا يقال محصول غير مقطوع ولا ممنوع ولا معدود.

وفي «**نفائس العرائس**» أصل الحسنة إخلاص العبودية عند ظهور الربوبية لما ورد من أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[1] ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الآية: 160] أي: الإجزاء مثلها لا يضاعف عليها عدلاً ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 160] بنقص ثواب أو زيادة عقاب أصلا.

وقال الأستاذ: يعني يكال عليه بالكيل الذي يكيل فيما أوفى ويوقف حيث رضي لنفسه أن يكون له موقفاً.

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ﴾ [الآية: 161] أي: بإرشاده وهداه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية: 161] يوصلني إلى رضاه ويقطعني عما سواه ﴿دِينًا﴾ [الآية: 161] أي: أعني ديناً عظيماً ﴿قِيَمًا﴾ [الآية: 161] أي: قويماً ومن الاعوجاج سليماً وهو فعيل من قام كسيد من ساد وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بكسر ففتح مخفف على أنه/ مصدر نعت به ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الآية: 161] عطف بيان لديناً لما فيه من التلويح إلى زيادة التوضيح ﴿حَنِيفًا﴾ [الآية: 161] حال من إبراهيم أي: مائلاً إلى الصواب الصريح ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 161] كما يقوله

278/أ

(1) سبق تخريجه.

المشركون فإن الشرك لظلم قبيح والدين من حيث الانقياد أو الجزاء في المعاد يسمى ديناً ومن حيث أنه يبين ويملي للخلق ملّة ومن حيث أنه يرده المتعطشون إلى زلال الكمال شرعة وشريعة فهي ألفاظ متقاربة ومعانٍ متناسبة.

وأفاد الأستاذ: أن الصراط المستقيم أن لا ترى من دونه مثبتاً لا بذره ولا بسينه والدين القيم ما لا تمثيل فيه ولا تعطيل ولا نفي للفرق الذي يشير إلى العبودية ولا رد للجمع الذي هو شهود الربوبية والحنيف المائل إلى الحق الزائغ عن الباطل الحائد عن ضد الحقيقة إلى جادة الطريقة فمن سلك إلى مخلوق سبيلاً أو أبرم فيهم تأميلاً أو قدم عليهم تعويلاً فقد استشعر تسويلاً وتجرع تضليلاً.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الآية: 162] عبادتي أو قرباني وذبيحتي أو حجي وعمرتي ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ [الآية: 162] أي: وما أنا عليه في حياتي وموتي من إيماني وطاعتي وجميع حالاتي أو حياتي وموتي بأنفسهما مع ما يضاف إلى حالهما ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الآية: 162] أي: خالص له وهو خالقه ومالكه.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الآية: 163] أي: في خلقه وملكه ﴿وَبِذَلِكَ﴾ [الآية: 163] الإخلاص الذي هو طريق الخلاص ﴿أُمِرْتُ﴾ [الآية: 163] في مقام الاختصاص ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية: 163] من هذه الأمة أو من مطلق البرية لأنه أول من قال بلى في يوم الميثاق ووقت الابتلاء بل كان نبياً وآدم بين الطين والماء.

وفي «تفسير السلمي» أسلمت بتصاريف قدرته متبرئاً من حولي وقوتي في طاعته.

وأفاد الأستاذ: أن من كوشف من حقائق التوحيد ودقائق التفريد شهد أن القائم عليه والمجرى إليه والممسك لديه والمنقل له من وصف إلى وصف واحد لا يشاركه قسيم وماجد لا يضارعه نديم ويقال من علم أنه بالله علم أنه لله فإذا علم نفسه لله لم يبق فيه نصيب لغير الله فهو مستسلم لحكم الله غير معترض على تقدير الله ولا معارض لاختيار الله ولا معرض عن اعتناق أمر الله.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [الآية: 164] فاشركه في عبادتي أو اجعله إلهاً ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية: 164] أي: موجدهُ بالكرم/ من كتم العدم إلى ميدان الوجود 278/ ب لإظهار أثر الجود.

وقال الأستاذ: كيف أؤثر عليه بدلاً وإني لا أجد عن حكمه حولاً وكيف أقول لغير أو ضد أو شريك أو ند أو بدونه من معبود أو لغيره من مقصود وإن لاحظت [يمنة] ما شاهدت إلا ملكه وإن طالعت يسرة ما عاينت إلا ملكه بل إن نظرت يمنة وجدت عندي يمنه وإن نظرت يسرة وجدت نحوي يسره ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الآية: 164] أي: لا يتجاوزها إثمها إلى غيرها ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الآية: 164] باختيارها ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾ [الآية: 164] في معاشكم ومعادكم ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية: 164] في أعمالكم واعتقادكم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 165] يخلف بعضكم بعضاً أو خلفاء الله في الأرض تتصرفون فيها بأمره ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الآية: 165] في الشرف والغنى بحسب قضائه وقدره ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الآية: 165] ليختبركم فيما أعطاكم من المال والجاه فيمتحن الغني من جهة شكره والفقير من جهة صبره.

قال السلمي: قيل يخلف الوليّ وليّ والصدّيق صدّيق ويرفع درجات البعض على البعض لئلا تخلو الأرض عن حجة الله وقيل: رفع بعضهم فوق بعض درجات ليقتدي الأدنى بالأعلى ويتبع المريد درجة المراد ليصل إليه إن أراد خالق العباد ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 165] لمن عصاه وخالف أمر من ارتضاه فإن ما هو آتٍ قريب عند الله أو لأنه يسرع إذا أراده وقضاه ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الآية: 165] لمن أطاع مولاه ولم يلتفت إلى ما سواه.

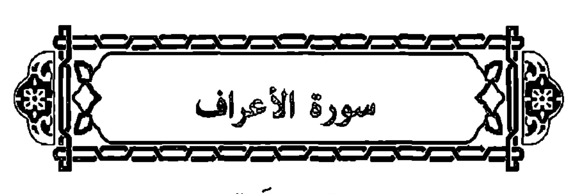
وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه صير التوبة إليكم وقصر حكم عصركم عليكم فأنتم المقصودون اليوم دون من سواكم ثم إنه جعلكم أصنافاً وخلقكم أخيافاً فمن مسخر ومسخر له ومن مرفه مروح أتعب لأجله كثير ومن معنٍّ وذي مشقة

أدير على رأسه رحى البلاء ليختبركم فيما أتاكم ويمتحنكم فيما أعطاكم إن حسابه لكم لاحق وحكمه فيكم سابق.

وفي «**نفائس العرائس**» درجة بعضهم المعاملات ودرجة بعضهم المشاهدات ودرجة بعضهم المقامات ودرجة بعضهم المكاشفات ودرجات بعضهم الفراسات ودرجة بعضهم الكرامات ودرجة بعضهم المواجيد والواردات ودرجة بعضهم الحكميات ودرجة بعضهم اللدنيات/ ودرجة بعضهم 279/ أ المعرفة ودرجة بعضهم التوحيد ودرجة بعضهم التلوين ودرجة بعضهم التمكين ودرجة بعضهم اليقين ودرجة بعضهم الفناء ودرجة بعضهم البقاء ودرجة بعضهم الحيرة ودرجة بعضهم الشكر ودرجة بعضهم الصحو ودرجة بعضهم المحو وما فوق ذلك إلا رسوم مندرسة وطرق منطمسة لأن هناك ظهور كنه القدم ولا يبقى مع القدم العدم ابتلاءهم بهذه المقامات لفناء علة الحدث في القدم فمن خرج بنعت الربوبية منها ويدعي بها يضرب ويصلب ويقتل ويحرق كما فعل بحسين بن منصور[1] روَّح الله روحه ومن خرج منها بنعت العبودية ويبقى بنعت الاستقامة كالنبي ﷺ حيث قال أنا العبد لا إله إلا الله عصم من فورة السكر وغفر له خطراتها في أثناء الطريق وهذا قوله ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الآية: 165] في المآب.

---

(1) الحلّاج.



سورة الأعراف

[مكيّة]

وهي مئتان وست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن الباء مكسورة في نفسها وعملها الخافض لما يليها وهي صغيرة القامة ونقطتها التي بها تميز عن غيرها واحد وهو نهاية القلة في موضع هذه النقطة أسفلها وهي مشيرة إلى التواضع والخضوع والمسكنة في الذات والهيئة والسين من اسم الله ساكن فالإشارة من الباء أن لا تذر في الخضوع والتذلل والجهد والتوسل ميسوراً ثم يسكن للتقدير منتظراً مأموراً فإن من بالقبول بفضله فذلك المأمول وإن رد بحكمه فله الحكم فتوافق لتقديره بالموافقة في الرضا به إذ الميم تشير إلى المنّة إن شاء ثم إلى موافقتك لتقديره بالرضاء به إذا لم يشأ ويقال: الباء تشير إلى بيان قلوب الحقائق بلطائف المكاشفات بما يخصهم الحق سبحانه بذلك من دون الخلق فهم على بيان مما يخفى على الخلق ببرهان فالغيب لهم كشف والخبر لهم عيان وما الناس علم فلهم وجود وحكم والسين يشير إلى سرور والقلب عند تقريبات البسط بما يهيمهم فيه من وجوه المناغاة وصنوف لطائف المناجاة فهم في جنات/ 279/ ب ونعيم وعيش بسيط وتكريم ودوام روح مقيم والميم يشير إلى محبة الحق سبحانه لهم بدءً فإنها هي الموجبة لمحابهم إذ عنها صدر كل حب فبحبه لهم أحبوه وبقصده لهم طلبوه وبإرادته لهم أرادوه ويقال: نزهة أسرار الموحدين في الإناخة بغفوة البسملة فمن حل بتلك الساحة حصل له الراحة ووقع في حدائق القدس واستروح إلى نسيم الأنس ويقال: قالة بسم الله ربيع المحبة وأزهارها لطائف الوصلة وأنوارها زوائد القربة قلت وأسرارها موائد المعرفة.

﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف، الآية: 1] أي: أنا الله أعلم وأصدق في قوله الحق.

قال الحسين: الألف ألف المألوف واللام لام الآلاء والميم ميم الملك والصاد صاد الصدق وقال في القرآن علم كل شيء وعلم القرآن في الأحرف التي في أوائل السور وعلم الحروف في لام الألف وعلم لام ألف في الألف وعلم الألف في النقطة وعلم النقطة في المعرفة الأصلية وعلم المعرفة الأصلية في علم الأزل وعلم الأزل في المشيئة وعلم المشيئة في غيب الهوى وغيب الهوى ليس كمثله شيء وقال أيضاً: الألف ألف الأزل واللام لام الأبد والميم ما بينهما من الأمد والصاد اتصال من اتصل به وانفصال من انفصل عنه وفي الحقيقة لا اتصال ولا انفصال ولا اتحاد ولا الانحلال وهذه ألفاظ تجري على حسب العادات ومعادن الحق مصونة عن الألفاظ والعبادات كذا في «**دقائق الحقائق**».

وأفاد الأستاذ: أن هذه الحروف من المتشابه في القرآن على طريقة قوم من السلف فالحق سبحانه مستأثر بعلمه دون خلقه وعلى طريقة قوم فلها معانٍ تعرف وفيها إشارات توصف: فالألف تشير إلى إلفة الأرواح وسكونها في دار الغربة إلى إشكالها فإن الغريب للغريب نسيب ولولا الاشتراك في الغربة لما وقع بين الأشخاص في هذه الدار نوع من الإلفة ثم الشكلية تجمعهم فإذا كانت الأرواح العطرة أصابت الشكلة فهي في تحقيق في ذلك المعنى كالمتحدة فمنه تقع الإلفة بين المتشاكلة ولأجل اتحاد المقصود يتفق القاصدون ويقال ألف من عرف وتلف من وقف أنف عن حديث غيره من ألف ويقال: الألف تجرد من قصده عن كل غير فلم/يتصل بشيء وحين 280/أ استغنى عن كل شيء اتصل به كل شيء على جهة الاحتياج إليه ويقال صورة اللام كصورة الألف ولكن لما اتصلت بالحروف تعاقبها الحركات كسائر الحروف فمرة أصبحت مفتوحة ومرة أصبحت مكسورة ومرة مرفوعة وأما الألف التي هي بعيدة عن الاتصال بالعلاقات فباقية على وصف التجرد عن تعاقب الحركات فهي سكونها الأصلي وأما الصاد فتشير إلى صدق أحوال المستأنسين في الصدق ويقال: الصاد تنذر محنة الصد وهو بلاء أهل الود لأن أمارة الصدق في المحبة أن لا يزيد بالمنحة ولا ينقص بالمحنة.

﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية: 2] أي: هذا أو هو كتاب جامع لكل باب ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 2] من بين الأحباب ﴿فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: 2] ضيق وقبض من تبليغه إلى الأصحاب ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾ [الآية: 2] الكافرين والمتحرين ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 2] أي: وتذكر ذكرى للموقنين.

وأفاد الأستاذ: أن كتاب الأحباب تحفة الوقت وشفاء عما يقاسيه من ألم البعد وهم المقت.

﴿اتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 3] من أوامره ونواهيه ومتابعة السُّنَّة مستفاد من الآيات وهي قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: 7] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ﴾ [الآية: 3] أي: من غير ربكم ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 3] من الجن والإنس فيضلوكم وقرىء ولا تبتعوا أي لا تطلبوا سواه.

وقال الأستاذ: استسلموا لمطالبات التقدير وقفوا حيث ما وقفتم وتحققوا بما عرفتم وطالعوا ما به كوشفتم ولا تلاحظوا غيراً ولا تركنوا إلى علة ولا تظنوا أن لكم من دونه وسيلة ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 3] أي: تتعظون اتعاظاً قليلاً أو زماناً يسيراً وما مزيدة لتأكيد القلة وقرأ حفص وحمزة والكسائي تذكرون بحذف إحدى التاءين وابن عامر تتذكرون بالغيبة على أن الخطاب بعد مع صاحب النبوة والباقون غير ابن عامر بإدغام التاء في الذال المعجمة.

﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ﴾ [الآية: 4] أي: وكثير من أهل القرى ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾ [الآية: 4] بالعذاب لمخالفة رسلها أو أردنا إهلاك أهلها لقوله: ﴿فَجَآءَهَا﴾ [الآية: 4] أي: فجاء أهلها فجأة ﴿بَأْسُنَا﴾ [الآية: 4] عذابنا بالشدة ﴿بَيَٰتًا﴾ [الآية: 4] أي: بآيتين ليلاً كقوم لوط وهو مصدر وقع في موقع الحال ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الآية: 4] عطفاً عليه أي: قائلين نصف النهار كقوم شعيب وهو مأخوذ من القيلولة وكلا الوقتين وقت الغفلة والاستراحة فالعذاب فيهما أفظع وأوقع في الشدة/ وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العقوبة. 280/ ب

﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الآية: 5] أي: دعاؤهم واستغاثتهم أو دعاؤهم من ديانتهم ﴿إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية: 5] إلا اعترافهم

بظلمهم واستحقاق العذاب بفعلهم وتحسرهم حين لا ينفعهم.

وقال الأستاذ: يعني كم من قرية ركنوا إلى الغفلة واغتروا بطول المهلة فباتوا في خفض الدعة وأصبحوا وقد صادفتهم البلايا بغتة وأدركتهم القضية فجأة فلا بلاء كشف عنهم ولا دعاء سمع لهم ولا فرار نفعهم ولا صريخ أنقذهم فما زالوا يفزعون إلى الابتهال ويصيحون بالويل ويدعون إلى كشف الضر ويبكون على مس السوء حتى بادوا فكان لا عين ولا أثر ولا لأحد منهم خبر فتلك سُنَّة الله في الذين خلوا من الكافرين وعادته في الماضين من الماردين.

﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 6] عن قبول الرسالة فإجابة أهل النبوة ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 6] عما أجيبوا به في تلك الحالة والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريع الفجرة كما أن المقصود من السؤال الأول تشريف أرباب الرسالة وتقريب أصحاب النبوة.

وقال الأستاذ: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 6] عن القبول فيتقنعون بذل الخجالة ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الآية: 6] عن البلاغ فيتكلمون ببيان الهيبة فالكل بسمة العبودية من أهل التقصير والتوقير والحق تعالى بنعت الكبرياء والتعزز في التقدير.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾ [الآية: 7] أي: على الرسل والمرسل إليهم ما كانوا عليه من عمل قليل أو جليل لديهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ [الآية: 7] عالمين بظواهرهم وبواطنهم أو بمعلومنا منهم ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ [الآية: 7] عنهم فيخفى علينا شيء من أحوالهم.

قال ابن عطاء: في حال عدمهم ووجودهم.

وقال الأستاذ: فلنخبرنهم يوم الحشر تفصيل ما هم عليه اليوم مما عملوه ونوقفنهم على ما أسلفوه ونقيمنهم في مقام صغارهم ومحل خزيهم فيما ندموه وسيعلمون أنه لم يشذّ عن علمنا صغير ولا كبير مما علموه وجهلوه ويقال أجرى الحق سُنَّته بتخويف العباد بعلمه مرة كما يخوفهم بعقوبته تارة فقال

تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا﴾ [البقرة: 48] أي: العذاب الواقع في ذلك اليوم وقال في موضع ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: 28] وهذا أبلغ في التخويف وقال ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: 14].

﴿وَٱلۡوَزۡنُ﴾ [الآية: 8] أي: وزن الأعمال وهو مقابلتها بالجزاء والقضاء ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ [الآية: 8] أي: يوم السؤال وهو خبر/ مبتدأ الذي هو الوزن وقوله 281/ أ ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية: 8] صفته أي: العدل السوي والأظهر أو هو الخبر ومعناه الثابت الصدق وما قبله ظرف له ومتعلق به والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر إليه الخلائق إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم مع علمه بتفاصيل أحوالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم وقيل: يوزن أشخاصهم لما روي عنه عليه السلام وإنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة[1] لكن الظاهر المتبادر منه أنه ليس له قدر ومنزلة عنده سبحانه لا أنه يوزن له وقيل: توزن الأعمال بنفسها مع كونها أعراضاً بإيجادها وتقليبها أجساماً ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الآية: 8] أي: حسناته أو أعماله أو ما يوزن به أفعاله وجمعه باعتبار باختلاف الموزونات أو تعداد الوزنات فهو جمع موزون أو ميزان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية: 8] أي: الفائزون بالنجاة والثواب.

﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الآية: 9] أي: باقتراف ما عرضوها للعقاب ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾ [الآية: 9] بسبب تكذيبهم بالكتاب وظلمهم على أنفسهم بإنكار الحساب.

قال الأستاذ: توزن أعمالهم بميزان الإخلاص وأحوالهم بميزان الصدق فمن كانت أعماله بالرياء مصحوبة لم يقبل أعماله ومن كانت أحواله بالإعجاب مشوبة لم ترفع أحواله.

وفي «دقائق الحقائق» للسلمي من وزن نفسه بميزان العدل كان من

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (4729)، ومسلم في الصحيح (2785/ 18).

المحبين ومن وزن خطراته وأنفاسه بميزان الحق اكتفى بمشاهدته والموازين مختلفة ميزان للنفس والروح وميزان للقلب والعقل وميزان للمعرفة والسر فميزان النفس والروح الأمر والنهي وكفتاه الكتاب والسُنَّة وميزان العقل والقلب الثواب والعقاب وكفتاه الوعد والوعيد وميزان المعرفة والسر الرضاء والسخط وكفتاه الهرب والطلب.

وفي «**نفائس العرائس**» للحق سبحانه موازين يزن بها الأعمال والأحوال فيزن بميزان الإخلاص المعاملات ويزن بميزان الصدق الحالات فكل عمل عمل برؤية الأغراض والأعواض ورؤية العمل والالتفات فيه إلى غير الله فهو ساقط عن محل القبول وكل حالة صاحبها يعجب بها فهي ساقطة عن درجة الوصول فالثبات ميزان المعاملات والصدق ميزان الحالات فمن هاهنا يزن نفسه بميزان/ الرياضات والمجاهدات ويزن قلبه بميزان المراقبات ويزن عقله 281/ب بميزان الاعتبارات ويزن روحه بميزان المقامات ويزن سره بميزان المحاضرات ومطالعة الغيبيات ويزن صورته بميزان المعاملات الذي كفتاه الحقيقة والطريقة ولسانه الشريعة وعموده العدل والإنصاف يوزن نفسه يوم القيامة بميزان الشرف ويوزن قلبه بميزان اللطف ويوزن عقله بميزان النور ويوزن روحه بميزان السرور ويوزن سره بميزان الوصول ويوزن صورته بميزان القبول فإذا ثقلت موازينه بما ذكرنا فجزاء نفسه الأمن من الفراق وجزاء قلبه مشاهدة الشوق في الأشواق وجزاء عقله مطالعة الصفات وجزاء روحه كشف أنوار الذات وجزاء سره إدراك أسرار القدميات وجزاء صورته الجلوس في مجالس وصال الأبديات وافهم يا صاحبي أن حكمة وزن الأعمال يوم القيامة للعباد أن الله يبين لهم ما كان مكتوباً في اللوح المحفوظ قبل الخلق مما يجري عليهم من القضاء والقدر والرضا والسخط والشقاوة والسعادة مقابلة ما جرى عليهم في الدنيا الذي في أوراق الحساب التي في أيدي الملائكة ليزيدهم برهاناً وعياناً وعلماً بعلمه المحيط على كل شيء أو ليكون حجة عليهم في إخراج أعمالهم على وفق ما كان مكتوباً عليهم وافهم يا صاحبي أن الأعمال أعراض كيف تكون موزونة ليس هذا في علم الخلق بل أن ميزانه

الحقيقي رده وقبوله وهو قادر على أن يخرج الأعراض بصور الجواهر فيزن بميزانه الذي يظهره لهم يوم القيامة وذلك على لسان الشرع يوجب الإيمان به قال ابن عباس يوزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكفتان فأما المؤمن فيؤتى بعلمه في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته فيوضع عمله في الجنة فيعرفها بعمله فذلك قوله تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الآية: 8] ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 8] وهم أعرف بمنازل لهم في الجنة إذا انصرفوا إليها من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم وأما الكفار فيؤتى بأعمالهم في أقبح صورة فتوضع في كفة الميزان وهي الباطل فيخفف وزنه حتى يوضع في النار ثم يقال للكافر إلحق بعملك.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 10] بأن سكنتم بها وتصرفتم فيها.

وفي «**نفائس العرائس**» من الله على عباده بتمكينهم/ في الأرض بنعت 282/أ تسهيل عبادته لهم حيث يسر لهم عبوديته بقدرة خلقها فيهم بعد أن كلفهم ذلك ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ [الآية: 10] جمع معيشة أي: أسباباً تعيشون بها.

وفي «**العرائس**» جعل فيها لأبدانهم معائش الغذاء ولقلوبهم معائش الذكر ولعقولهم معائش الفكر ولأرواحهم روح رؤية ظهور جلاله في ملكوت الأرض من كل زهرة وخضرة لعرفان المنعم القديم بنعت عجزهم في شكره ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 10] ما زائدة لمبالغة القلة أي: تشكرون شكراً قليلاً ويسيراً فيما أنعمت عليكم جليلاً وكثيراً وهو لا ينافي قوله سبحانه ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] أي: كثير الشكر فإن شكره مع كثرته قليل في مقابلة نعمته لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: 34] أي: لا تقدروا على إحصائها فضلاً عن القيام بشكرها ولذا قال بعض العارفين العجز عن الشكر هو الشكر كما قال بعضهم العجز عن درك الإدراك إدراك.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ﴾ [الآية: 11] أي: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه فنزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره أو خلقناكم يا بني آدم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام الأمهات أو صورناكم في

ظهر آدم أو يوم الميثاق حين أخرجكم كالذر فثم للتراخي في الأخبار.

ومن «**العرائس**» ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ أشباحكم جمعاً في آدم ﴿ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾ في حواء أو ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ هياكل و﴿صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾ أرواحاً وفي التعرف خلقنا أرواحكم ثم صورنا أشباحكم ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن﴾ [الآية: 11] أي: لم يكن في العالم الموجود أو في علم واجب الوجود ﴿مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾ [الآية: 11] أي: مع أنه كان من المأمورين سواء كان الاستثناء متصلاً أو منقطعاً وقيل: لم يكن من أهل شهود الصفات ورؤية جلال الذات وأقول بل كان من مظاهر الجلال قضاء ومن كان من مظاهر الجمال.

وقال الأستاذ: أي أنبتناكم على النعت الذي أردنا وأقمناكم في الشواهد التي اخترنا فمن قبيح صورته خلقاً ومن منيح وسقيم حالته خلقاً ثم إنا نعرفكم سابق أيادينا إلى أبيكم ثم لاحق خلافه بما بقي عرق منه فيكم ثم ما عاملنا به من كان يحسدكم ويناديكم ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الآية: 12] أي: تسجد كما في ص ولا صلة مؤكدة معنى النفي الذي دخلت عليه ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود والأظهر في مقام/ التحقيق وبيان التدقيق ما قيل من أن الممنوع 282/ب عن الشيء مضطر إلى خلافه فكأنه قيل: ما أحوجك إلى عدم السجدة وما حملك على تركها ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الآية: 12] بها وفيه دليل على أن مطلق الأمر للوجوب على الفور.

وقال الأستاذ: ولولا قهر الربوبية جرى عليك وإلا فما موجب امتناعك عن سجود آدم عليه السلام لو كنت تعظم أمري فليتحقق الموجودون أن موجب امتناعه عن السجود الخذلان الحاصل ولو ساعده التوفيق لم يبرح بعد من السجود انتهى.

وقد قال نديم الباري الشيخ عبد الله الأنصاري: إلهي قلت لآدم لا تأكل وأطعمته وقلت لإبليس اسجد ومنعته قلت: فالأمر كله لله ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال العارف البقلي: أدخل عشاق المحبة من الملائكة في مقام المحنة

لكنه تجلى لهم بنور جماله وكماله في آدم فسجدوا ولم يسجد إبليس لأنه كان محجوباً من ذلك الجمال بنظره إلى نفسه وقياسه بجهله وكذا من نظر من الحق إلى النفس احتجب بها عن حضرة القدس ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: 12] جواب من حيث المعنى يعلم منه المانع في المبنى واستأنف استبعاد أن لا يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله كأنه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولاً حيث قابل النص بالمعقول وقد أخطأ برأيه في قياسه واستدلاله حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الآية: 12] والنار ألطف وأنور فإنّ من الطين الحلم والوقار والرزانة والصبر وهو محل النبات والنمو ومن النار الإهلاك والطيش والسرعة والرفعة ومع هذا غلط في نظره أيضاً بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الأمر وذهب عنه أن مظهر الجمال أفضل من مظهر الجلال لقوله سبحانه في الحديث القدسي والكلام الأُنسي سبقت رحمتي غضبي[1] وفي رواية غلبت.

وأفاد الأستاذ: أنه ادعى الخيرية فكان الواجب عليه لولا الشقوة أن يؤثر التذلل على التكبر لا سيما الخطاب الوارد عليه من الحقيقة ثم إنه وإن سلك طريق القياس فلا وجه له مع النص فلو لم يخطئ في قياسه لم يزد في استحقاق محوه ونفيه لأنه ادعى الخيرية بجوهره ولم يعلم أن الخيرية بحكمه سبحانه وقسمه/ .

283/أ

وقال أبو حفص: عرف الله سبحانه الملائكة استغناءه عن عبادتهم فقال: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الآية: 11] ولو كان سجودهم يزن عنده مثقال ذرة لما أمرهم بذلك ولا صرف وجوههم إلى آدم فإن سجود الملائكة وسجود جميع الخلق لا يزيد في ملكه لأنه عزيز قبل أن يخلقهم وعزيز بعد أن يغنيهم وعزيز حين يبعثهم وله العزة جميعاً ثم عيّر إبليس بامتناعه عن السجود لآدم وقلة عرفانه بشرفه حيث قال ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الآية: 12] أي: أي شيء يمنعك من متابعة أمري

(1) سبق تخريجه.

ولم يبق في البين غيري أي: يمنعك من ذلك قهر سابق مني عليك وخذلان وارد في المشيئة متوجه إليك وإلا فمن الحدثان بامتناعها عن متابعة أمري وليس لها قدرة ولا مشيئة وكلها عاجزة في قبضة قهري ومن سبق له الشقاء من العباد لا يسبق بالمراد وإن كان جميع عبادة الثقلين مصحوبة معه في استياقه إلى الحضرة.

وقال الواسطي: من استصحب كل نسك في الدنيا والآخرة، والجهل وطنه والاعتراض غرضه والبعد من الله سببه لا تقرب منه لأن العبادات تقطع عن الرعايات ورؤية النسك رؤية الأفعال والنفوس ولا تقريب على الله أشد ممن طالع نفسه بعين الرضا فلما كلم الله إبليس بكلام التعيير وقهر السلطنة ألبسه من خطابه قدره في الجواب ولولا إلباس الحق إياه لكان مبهوتاً عند وارد قهر الخطاب عليه ولم يطق بجواب الأمر ولكن أجابه إجباراً لا اختياراً وذلك قوله ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الآية: 12] لما رأى الملعون لباس قهر الخطاب عليه لا يفوته أنا ولولا ذلك لما قال أنا وأين أنانيته وكان هباء في أنانيته الحق ونظر الملعون إلى جوهر النار الصادر من قهر القدم فانتسب إلى قهر القدم وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: 12] ولم ينظر بنظر المعرفة إلى الطين الذي صدر من لطف القدم والرحمة الأزلية فالنار من غضبه والطين من رحمته والرحمة سابقة على الغضب للحديث القدسي سبقت رحمتي غضبي[1] فنظر إلى صفة واحدة ولم ينظر إلى صفة أخرى واحتجب بالصفة عن الصفة فقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الآية: 12] ولو رأى مصدر جميع الصفات/ لذاب تحت 283/ب رؤية الكبرياء وأنوار العظمة ولم يكن بعد فناء أبداً لأن من عرف وصف القدم صار عدماً في القدم وأين النار من الطين الذي هو مفيض فيض ألطاف العزة مخلوق يد الصفة الخاصة بقوله ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: 75] ومسقط الأرواح التي صدرت من تجلي القدس بقوله ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29] وذلك محل التواضع والعبودية الخالصة ومنبت أجسام الأنبياء والرسل والأولياء والصديقين ومنبت أغذية الخلائق ومرجع الكل وهو موثقة الأجسام والأرواح في العالم ليخرج منه سنابك القدس بمجالس الأنس والنار عذاب قهره يجازي بها من خلقه

(1) سبق تخريجه.

نارياً كإبليس وجنوده.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الآية: 13] من الجنة أو السماء أو منزلتك أو هيئتك ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ [الآية: 13] أي: ما يستقيم ويصح ﴿لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ [الآية: 13] وتعصي بها فإنها مكان الخاشع الخاضع ومنزلة الطائع المتواضع ﴿فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الآية: 13] أي: الأذلاء المهانين لما في الحديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله(1).

قال الأستاذ: أي فارق بساط القربة فإن التكبر والترفع على البساط ترك الأدب في مقام الانبساط وترك الأدب يوجب الطرد عن الباب ويقال من رأى لنفسه محلاً وقيمة فهو متكبر والمتكبر بعيد من الحق سبحانه ورؤية المقام قدح في الربوبية إذ قدر لغيره تعالى ممن ادعى لنفسه محلاً فقد نازع الربوبية وفارق العبودية.

﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الآية: 14] أي: أمهلني إلى يوم القيامة ووقت بعثة البرية فضمير يبعثون عائد على ما دل عليه المعنى إذ ليس ما يعود إليه شيء في المبنى ولا يبعد أن يراد به آدم وذريته بل هو الظاهر لما سيأتي من ضمير ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ [الآية: 16] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الآية: 15] إلى يوم الوقت المعلوم كما في آية أخرى وهو النفخة الأولى أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه وفي إسعافه إليه ابتلاءً للعباد وتعريضهم للثواب بمخالفته في المعاد.

وأفاد الأستاذ: أن الملك المتعال أجاب دعاءه في الحال ولكن كان ذلك مكراً به لأنه مكنه من مخالفة أمره إلى يوم القيامة فلم يزدد بذلك التمكين إلا شقوة على شقوة ليعلم الكافة أنه ليس كل إجابة الدعوة نعمة ولطفاً بل يكون بلاءً ومكراً قلت: ولهذا قال بعض العارفين لو كان نظر عنايته/ سبحانه إليه لقال في سؤاله لديه انظر لي ولم يقل أنظرني وفي الحديث 284/ أ أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي واجعل

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/ 139) رقم (4894).

الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر[1].

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الآية: 16] أي: بعدما أن أمهلتني فاقسم بسبب إغوائك إياي بواسطتهم لاجتهدن في إغوائهم بأي طريق يمكنني فيهم وهذا معنى قوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ [الآية: 16] ترصداً بهم كما يقعد القطاع للسابلة ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية: 16] أي: في طريقك القويم أو على سبيلك القديم.

وأفاد الأستاذ: أنه جاهر الحقيقة بالخلاف بعدما أظهر من نفسه الخلوص في العبودية فعلم أن جميع ما كان عنده في سالف حاله لم يصدر عن إخلاص وصدق.

وفي «العرائس» هاهنا قسم أي: بإرادتك السابقة في إغوائك إياي ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الآية: 16] كما قال ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ [ص: 82] أي: بما ألبستني لباس قهرك في الأزل أقدر أن أقعد في طريقهم المستقيم وإلا فلا أقدر أن آمرهم في ذرى العالم أي: بقوة قهرك أوسوس في صدورهم التي هي طريقك المستقيم الذي يسلك فيه عساكر أنوار تجليك وفي قوله لهم نكتة عجيبة أي: لأقعدن لهم لا عليهم فإن وسوستي لهم تزيد تشوفهم عند إخسائي عن صدورهم بنعت إياسي عن الظفر بهم ويتصرح هناك إيمانهم وإيقانهم عن نعوت الاضطراب وطوارق علة الوساوس وغبار الشك ألا ترى إلى قوله عليه السلام حين شكا أصحابه عما وجدوا في صدورهم من الوسوسة فأشار عليه السلام بقوله ذاك صريح الإيمان[2].

وقال محمد بن عيسى الهاشمي: لو نجا إبليس بشيء لنجا برؤية القدرة عليه والإقرار على نفسه بقوله ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: 39] وقال بعضهم إبليس أعقل من المعتزلي حيث قال ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 17] أي: من قبل آخرتهم فأشككهم فيها

(1) سبق تخريجه.

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (132/ 209)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 303) رقم (343)، وابن حبان في الصحيح (1/ 361) رقم (148).

﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ [الآية: 17] أي: من قبل دنياهم فأزين لهم أعمالهم ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الآية: 17] من جهة حسناتهم وسيئاتهم ولم يقل من فوقهم لأن رحمة الله تنزل منه ولم يقل من تحتهم لأن الإتيان منه فيه توحش وهو لا يريد إلا اغترارهم لا توحشهم وفرارهم وهذا التفسير مأثور عن ابن عباس رضي الله عنهما وعدي الفعل إلى الأولين بحرف الابتداء لأنه منهما يتوجه إليهم/ وإلى 284/ ب الآخرَيْن بحرف المجاورة فإن الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم.

وأفاد الأستاذ: أنه أخبر بأنه يأخذ عليهم جوانبهم ويتسلط عليهم من جميع جهاتهم ولم يعلم أن الحق سبحانه قادر على حفظهم عنه فإن ما يكيدهم من القدرة يحصل وبالمشيئة يوجد ولو كان الأمر به أو إليه لكان أولى الخلق بأن يؤثر فيه كدحة نفسه فحيث لم ينفعه جهده في سالف أحواله لم يضرهم كيده بما توعدهم به من سوء أفعاله.

وفي «**نفائس العرائس**» من بين أيديهم من جهة النفس والهوى ومن خلفهم من جهة الشهوة والمني وعن إيمانهم من طريق الدعوى وعن شمائلهم من طريق إظهارهم الشكوى في البلوى أو من بين أيديهم من طريق الطاعات ومن خلفهم من طريق رؤية الأعواض وعن أيمانهم من طريق العلم وعن شمائلهم من طريق الجهل أو من بين أيديهم من طريق القلب ومن خلفهم من طريق العقل وعن إيمانهم من طريق الروح وعن شمائلهم من طريق النفس ولم يذكر الفوق والتحت لأن التحت موضع الفناء في العبودية عن السجود الذي يوجب القربة وذلك السجود شهود والشهود محل رعاية الحق ولا يقدر أن يمر على باب رعايته أحد دونه والفوق محل الكشف والمشاهدة ووارد التجلي وظهور سبحات وجه القدم ولو دنا منه جميع الشياطين من الثرى إلى الثريا بقدر رأس إبرة لاحترقوا في أقل لمحة.

وقال الشبلي: لم يقل من فوقهم ومن تحتهم لأن الفوق نظر الملك إلى قلوب العارفين والتحت موضع الساجدين وموضع نظره وموضع عبادتهم لا يكون للشيطان هناك موضع ولا فيه طريق أقول ولا يبعد أن يقال لم يقل من

فوقهم لأن الله سبحانه لم يجعل له استيلاءً عليهم واستعلاءً لديهم لقوله سبحانه ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141] ولم يقل من تحتهم لتكبره عليهم وأنفته لديهم أن يكون من تحتهم.

وقال أبو عثمان المغربي: إنّ الشيطان يأتي الإنسان من بين يديه بالأماني والكرامات ومن خلفه بالبدع والضلالات وعن يمينه بالطاعات من غير المراعاة ومن يساره بالكفر وسائر السيئات ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الآية: 17] وإنما قاله قياساً وظناً لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ [سبأ: 20] لما رأى فيهم مبدأ الشر متعدداً ومبدأ الخير/واحداً وقيل سمعه من الملائكة وهم رأوا في اللوح المحفوظ قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: 13] فأخذ بمفهومه وقال بعض العارفين فالأكثر من هلك بإطاعته والأقل من أدركته السعادة فنجا من ضلالته وشقاوته. 285/أ

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا﴾ [الآية: 18] أي: مذموماً كما قرىء به من ذاته إذا ذمه ﴿مَّدْحُورًا﴾ [الآية: 18] مطروداً عن بابه مبعوداً عن جنابه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخرجه من درجته ومن حالته ورتبته ونقله إلى مقام طرده ولعنته ثم يخلده أبداً في عقوبته ولا يذيقه ذرة من برد رحمته فأصبح وهو مقدم على الجملة وأمسى وهو أبعد من الزمرة وهذه آثار قهر العزة فأي كبد يسمع هذه القصة ثم لم يتفتت من هذه القصة ﴿لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 18] اللام لتوطئة القسم وجوابه الساد مسد جواب الشرط قوله ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: 18] أي: علمي منك ومنهم نقلب المخاطب لأنه رئيسهم وفي مقام التلبيس إبليسهم.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الآية: 19] أي: كلا رغداً ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الآية: 19] أي من بين أشجارها ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 19] فتصيرا من الذين ظلموا وهل يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب والثاني هو الأقرب إلى الصواب.

وقال الأستاذ: لما أسكن آدم الجنة خلق معه سبب الفتنة وهو ما أكرمه

به من الزوجة وأي: نقص كان يكون في الجنة لو لم يخلق فيها تلك الشجرة التي هي شجرة المحنة لولا ما أخفي من سر القسمة.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 20] كما سبق في البقرة والمعنى فعل الوسوسة لأجلها أو أوقع حديث النفس وحكاية الشهوة إليهما.

وأفاد الأستاذ: أن نسبة ما حصل منهما إلى الشيطان من أمارات العناية لهما حيث كانت الخطيئة منهما لكن قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 20] ويقال: التقى آدم عليه السلام إبليس بعد ذلك فقال له يا شقي وسوست إليّ وفعلت وفعلت فقال إبليس يا آدم هب أني كنت إبليس فمن كان إبليسي قلت وقد ورد في حديث إشارة إلى هذا المعنى حيث قال ﷺ فمن أعدى الأول ﴿لِيُبْدِيَ﴾ [الآية: 20] أي ليظهر ﴿لَهُمَا مَا وُۥرِيَ﴾ [الآية: 20] غطي وستر ﴿عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الآية: 20] عوراتهما بلباس الجنة عليهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما/ من الآخر. 285/ ب

وقال الأستاذ: فيه دلالة على عناية بهما حيث قال ليبدي لهما فلم يطلع على سوآتهما غيرهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية: 20] أي: قربانها أو أكلها ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾ [الآية: 20] أي: كراهة أي: تصيرا ﴿مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا﴾ [الآية: 20] كملكين من الملائكة المقربين ﴿مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الآية: 20] الذين لا يموتون أو من الدائمين في الجنة لا تخرجون وإنما كانت رغبتهما في أن يحصل لهما أيضاً ما للملائكة من الكمالات الفطرية والقوة الزائدة والاستغناء عن الأطعمة والأشربة وذلك لا يدل على فضلهم على آدم عليه السلام في الجملة.

وقال الأستاذ: تاقت أنفسهما إلى أن يكونا ملكين لا لأن رتبة الملائكة كانت أعلى من رتبة آدم ولكن لانقطاع الشهوات والمني عنهما ويقال: لما طمعا في الخلود وقعا في الخمود ووقعا في البلاء والعناء ويقال: إذا كان الطمع في الجنة وهي دار الخلد والبقاء أوجب على تلك المحن فالطمع في الدنيا التي هي دار الفناء متى يسلم صاحبه من الفتن ويقال: يحتمل أنهما ركنا إلى الخلود لا لنصيب أنفسهما ولكن لأجل البقاء مع ربهما وهذا أولى

لأنه يوجب تنزيه محل النبوة عن المقام الأدنى وقيل: ساعات الوصال قصيرة وأيام الفراق طويلة فما لبثنا في دار الوصلة إلا بعضاً من النهار دخلا ضحوة النهار وخرجا نصف النهار ويقال: أن الفراق عين تصيب أهل الوصلة وفي معناه قال قائلهم:

إن تكن عين أصابتك فلا زالت العين تصيب الحسنا[1]

ويقال: حين تم لهم أسباب الوصلة ووطنا نفوسهما على دوام القربة بدا الفراق من مكامنه فأباد من شملهما ما انتظم كما قيل:

حين تم الهوى وقلنا سررنا وحسبنا من الفراق أن أمنّا

بعث البين رسله في خفاء فأبادوا من شملنا ما جمعنا[2]

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الآية 21] أي: اقسم لهما أني من الناصحين لكما وصيغة المبالغة للمبالغة فهو كقولهم اللّهم شاركنا في دعاء الصالحين ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ [الآية 22] أي: خدعهما فنزلهما عن علو منزلتهما إلى رتبة سافلة فدلاهما ﴿بِغُرُورٍ﴾ [الآية 22] بما غرهما به من القسم لهما فإنهما ظنا أن أحداً لا يحلف بالله كذباً وقد ورد/ المؤمن عز كريم والفاجر خب لئيم. 286/أ

وأفاد الأستاذ: أن حسن ظن آدم على الجملة حمله على سكون قلبه إلى يمين العدو لأنه لم يخطر بباله أن يكذب في يمينه بالله ثم لما بان له أنه دلاهما بغرور تاب إلى الله بصدق الندم واعترف بأنه أساء واحترم فعلم الله صدقه فيما قدم فتداركه بجميل العفو والكرم ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الآية 22] أي: وجدا طعمها وشرعا في أكلها وابتدأت لذة شهواتهما ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ [الآية 22] أي: أخذتهما ملامة العقوبة وشآمة المعصية وتساقط عنهما كسوتهما وظهرت لهما عوراتهما.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يحصل لهما استيفاء من الأكل بها ولا استمتاع به

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 354) وعنده اللفظ:

إن تكن عين أصابتك فما إلا لأنّ العين تصيب الحسنا

(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 354).

للنفس منها حتى ظهر تباشير العقاب وتنغص الحال من جميع الأبواب وكذا صفة من آثر على الحق سبحانه شيئاً يبقيه عنه بلا امتناع ولا يكون له بما آثر إمتاع ويقال: لما بدت لهما سوآتهما احتالا في سترهما ﴿وَطَفِقَا﴾ [الآية 22] أخذا أو شرعا ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية 22] أي: يرقعان ورقة فوق ورقة على سوآتهما من أوراق أشجار الجنة التي كانت بقربهما.

قال الأستاذ: فبعد ما كانت كسوتهما حلل الجنة ظلّا يستتران بورق الجنة كما قيل:

لله دَرُّهُم من فتية بكروا مثل الملوك وأراحوا كالمساكين[1]

وأنشدوا:

لا تعجبوا لمذلتي فأنا الذي عبث الزمان بمهجتي فأذلها[2]

ثم إن آدم عليه السلام رضي بأن يساعده الإمكان في الاستتار بورقة وكانت الأشجار تتطاول من آدم برفعه وتأبى أن يأخذ آدم منها حبة وقبل ذلك كان يلاحظ الجنة وكان يتيه على الكون بأسره في الجملة فصار كما قيل:

وكانت على الأيام نفسي عزيزة فلما رأت صبري على الذل ذلت[3]

وكان لا تصل يده إلى الأوراق حين أراد قطافها ليخصفها على نفسه فلو لم تصل يده إلى تلك الشجرة التي هي شجرة المحنة لكان ذلك في شأنه من المنحة ولكن وصلت يده إلى شجرة المحنة تتمة للبلاء والفتنة ولم تصل/يده 286/ب إلى شجرة الستر إبلاغاً في القهر لما خالف الأمر وناداهما ربهما قائلاً لهما ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الآية 22] ﴿وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 22] كما قال تعالى في [سورة] طه: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 42).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 355).
(3) نسب إلى عبد الله بن المعتز. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 24).

﴿وَلَا تَضۡحَىٰ﴾ والمقصود أن هذا عتاب على مخالفة النهي لهما وتوبيخ على الاغترار بقول العدو فيهما.

وقال الأستاذ: وكان ما داخلهما من الخجالة أشد من كل عقوبة لو كانت في الغيبة عن سماع نداء الحضرة فإن الحضور يوجب الهيبة فلما ناداهما بالعتاب حل بهما من الخجل ما حل في باب ذلك الجناب وفي معناه أنشدوا:

واخجلتا من وقوفي وسط دارهم إذ قال لي مغضباً من أنت يا رجل(1)

قالا: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الآية: 23] بكسب المعصية التي هي سبب خروج من الجنة.

وقال الحسين: الظلم هو الاشتغال عنه بغيره على وجه الغفلة ﴿وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا﴾ [الآية: 23] بقبول التوبة ومحو السيئة ﴿وَتَرۡحَمۡنَا﴾ [الآية: 23] بالحفظ والعصمة ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 23] الهالكين في مقام الحسرة وحالة الحيرة.

وأفاد الأستاذ: أنهما اعترفا بالظلم جهراً وعرفا الحكم في ذلك سراً فقولهما ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الآية: 23] اعتراف من حيث الشريعة والعرفان فإن المدار على الحكم من حيث الحقيقة فمن لم يعترف بظلم الخلق طوى الشريعة ومن لم يعرف جريان حكم الحق فقد جحد الحقيقة ثم نطقا بقوله: ﴿وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 23] عن عين الطريقة حيث لم يقولا بظلمنا خسرنا بل قالا فعلنا ما فعلنا وإن لم تغفر لنا خسرنا فبترك غفرانك نخسر لا بارتكاب ظلمنا يعني لأن وجود فعلنا كالعدم في جنب كرم القدم ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ﴾ [الآية: 24] الخطاب لآدم وحواء وما اشتملا عليه من البنات والأبناء ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞ﴾ [الآية: 24] أي: حال كونكم متعادين في مقام البلاء وحالة العناء.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أهبطهم ولكن إبليس أهبط عن رتبته فوقع في

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 355)، (4/ 359).

اللعنة وآدم أهبط عن بقعته فتداركته الرحمة ويقال لم يخرج آدم عن رتبة الفضيلة وإن أخرج عن دار الكرامة ويدل عليه قوله ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [طه: 122] وأما إبليس فإنه أخرج من الحالة والرتبة ولم ينتعش قط عن تلك السقطة.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ [الآية: 24] أي: مقر أو قرار ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ [الآية: 24] أي: تمتع بلا مدار/ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية: 24] أي: حين انقضاء آجالكم وانتهاء أعمالكم ثم ترجعون إلينا وتحاسبون لدينا والعود أحمد لمن في كل حال يحمد. 287/ أ

وأفاد الأستاذ: أن آدم عليه السلام لما أخرج من الجنة وأسكن أرض المحنة كلف العمل والسقي والزرع والغرس للمعيشة وكان لا يتجدد حاله إلا تجدد بكاؤه وجبريل عليه السلام يأتيه ويقول: هذا الذي قيل لك قبل ذلك ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: 118] فلم تعرف قدره وقدر حالك فذق قضايا خلافك وكان يسكن عن الجذع ويقابل الحكم بأن يخضع كما قيل:

فجاشت إليّ النفس أول مرة وزيدت على مكروهها فاستقرت[1]

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ [الآية: 25] ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الآية: 25] يوم القيامة للمجازاة على وجه المعدلة وقرأ ابن ذكوان وحمزة والكسائي بصيغة المعلوم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم يستقبلهم في الدنيا اختلاف الأحوال ويتفاوت عليهم تفاوت الأطوار فمن يسر ومن عسر ومن خير ومن شر ومن حياة ومن موت ومن ظفر ومن فوت.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ [الآية: 26] أي: خلقناه لكم بتدبيرات إلٰهية وأسباب سماوية ﴿يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾ [الآية: 26] يغطي عوراتكم التي قصد الشيطان إبداؤها واحتاج والداكم إلى خصف الورق لموجب إخفاءها روي أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون: لا نطوف بثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم تقدمت لذلك وتوطئة لما هنالك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول

(1) نسب إلى عمرو بن معديكرب. انظر: الحيوان (2/ 86)، والحماسة البصرية (1/ 1).

سيئة أصابت الإنسان من الشيطان وأنه أغواهم كما أغوى آباهم ﴿وَرِيشًا﴾ [الآية: 26] أي: ولباساً خاصاً مما تتجملون به في الأحوال من الريش وهو الجمال والمراد به ثياب الزينة زيادة على ستر العورة ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 26] أي: خشية الله وهو حلل المعنى ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الآية: 26] لاشتماله على ذلك المبنى وقرأ المكي والبصري وعاصم وحمزة برفع لباس على أنه مبتدأ خبره جملة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 26] أي: ما ذكر من إنزال اللباس والريش والتقوى ﴿مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 26] أي: الدالة على فضله ورحمته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 26] أي: يتعظون بموعظته أو يعرفون قدر نعمته.

287/ب وقال الأستاذ:/سترناكم بالأسباب الظاهرة المنافع وسيرنا لكم ما تدفعون بها صنوف المضارِّ عنكم بما مكناكم من وجوه المنافع ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 26] ذلك خير فإن لباس الظاهر يقي آفات الدنيا ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الآية: 26] يصون عن الآفات التي توجب سخط المولى فلباس التقوى بجميع أجزاء العبد وأعضائه وللنفس لباس من التقوى وهو بذل الجهد والورع وللقلب لباس من التقوى وهو صدق القصد ينفي الطمع وللروح لباس من التقوى وهو ترك العلائق وحذف العوائق وللسر لباس من التقوى وهو نفي المساكنات والتصاون من الملاحظات ويقال تقوى العابدين ترك الحرام وتقوى العارفين نفي مساكنة الأنام ويقال للعوام وجود التقوى وللخواص التقوي عن شهود التقوى.

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية: 27] لا يضلنكم بأن يمنعكم دخول الجنة بإغوائكم ﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية: 27] كما فتنهما فأخرجهما مما كانا فيه من النعمة والنهي في المبنى للشيطان وفي المعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الآية: 27] من فاعل أخرج والإسناد إليه للتسبب.

وأفاد الأستاذ: أن من أصغى إلى وساوس نفسه بأسماع الهوى وجد الشكلية بين وساوس الشيطان وهواجس النفس فيتناصر الوسواس والهواجس فتصير خواطر القلب وزواجر العلم مغمورة مقهورة فعن قريب تستميل تلك

الوساوس والهواجس صاحبها وينخرط في مسلك موافقة الهوى فيسقط في مهواة الزلة فإذا لم يحصل تدارك يوشك التوبة صارت الحالة قسوة والقلب إذا قسا فارقته الحياة وتم له البلاء ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية: 27] أي: الشأن أو الشيطان ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ [الآية: 27] جنوده ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الآية: 27] تعليل للنهي عن متابعته وتأكيد للتحذير من فتنته فإن عدواً يراك ولا تراه لشدة مؤنته لا تغلب عليه إلا بنصرة الله ومعونته.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يحصل للعبد احتراس من رؤية الشيطان إياه وهو عنه غائب إلا برؤية العبد الحق سبحانه بقلبه فيستغيث إليه من كيده فيدخله/ 288/ أ في كنف عنايته وحض حمايته فيجد الخلاص من حيلة الشيطان ومكره ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية: 27] أحباء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 27] لما أوجدنا بينهم من المناسبة والمشاكلة والآية فذلكة القصة ونخبة الحكاية.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ [الآية: 28] فعلة متناهية في القباحة كعبادة الصورة وكشف العورة ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الآية: 28] حيث اعتقدوا أن فعل آبائهم مستند إلى أمر من الله وشرع لهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الآية: 28] فلا يجوز فيه تقليد الآباء لأن عادته سبحانه جرت على الأمر بمحاسن الأفعال والحث على مكارم الأخلاق والأحوال ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 28] إنكار متضمن للنهي عن الافتراء وعلى ما يترتب عليه من تقليد الآباء.

قال الأستاذ: استروحوا في التعلل إلى سلوكهم نهج أسلافهم فاستمسكوا بحبل واهٍ فزلت بهم أقدام العزة ووقعوا في وهدة المحنة.

﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية: 29] بالعدل وهو التجافي عن طرفي الإفراط والتفريط والثبات على التوسيط مما أمر به الأنبياء ومرّ عليه الأصفياء.

قال الجنيد: أمر بحفظ السريرة وعلو الهمة وأن ترضى بالله عما سواه.

وأفاد الأستاذ: أن القسط العدل وقيع ذلك في حق الله وفي حق الخلق وفي حق نفسك فالعدل في حق الله الوقوف على حد الأمر من غير تقصير في المأمور به ولا إقدام على المنهي عنه ثم أن لا تدخر عنه شيئاً مما خولك ثم

لا تؤثر عليه شيئاً مما ملكك وأما مع الخلق فعلى لسان العلم بذل الإنصاف وعلى موجب الفتوة ترك الانتصاف وأما في حق نفسك فإدخال العنف عليها وسد أبواب الرحمة بكل وجه إليها والنهوض على عموم الأحوال في كل نفس بخلافها ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ [الآية: 29] أي: توجهوا بذواتكم إلى عبادته مستقيمين غير عادلين عنها إلى غيرها ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الآية: 29] في وقت كل سجود أو مكانه وهو الصلاة ﴿وَٱدْعُوهُ﴾ [الآية: 29] اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية: 29] الطاعة والعبادة والدعوة فإن إليه مصيركم يوم القيامة/ ولا تقبل عبادة إلا إذا كانت موافقة للشريعة وخالصة عن الرياء والسمعة قيل الإخلاص دوام المراقبة وملازمة المحاسبة ونسيان الحظوظ في حالة المشاهدة. 288/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى استدامة المشاهدة في كل حالة وأن لا ينساه لحظة في كل ما يأتيه ويذره ويقدمه ويؤخره ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ [الآية: 29] أنشأكم ابتداءً ﴿تَعُودُونَ﴾ [الآية: 29] إليه انتهاءً كما بدأكم بإيجادكم وإنشائكم تعودون إلينا بعد موتكم وفنائكم فنجازيكم على أعمالكم بحسب أحوالكم وقيل كما بدأكم من التراب تعودون إليه في هذه الباب وقيل: كما بدأكم حفاة عراةً غرلاً تعودون حالاً وقيل؛ كما خلقكم مؤمناً وكافراً يعيدكم موقناً ومكابراً ويبينه قوله:

﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ [الآية: 30] بأن وفقهم للإيمان والعرفان ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الآية: 30] ثبت عليهم العصيان والنكران بمقتضى القضاء السابق والقدر اللاحق.

قال النوري: يجري عليكم في الأبد كما قضينا عليكم في الأزل ﴿إِنَّهُمُ﴾ [الآية: 30] أي: الفريق الثاني فإن الفريق الأول اتخذوا الله ولياً وأما الذين ﴿ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 30] فيتبعونهم ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الآية: 30] فيما يتخذونهم.

وأفاد الأستاذ: أن من كانت قسمته له سبحانه وتعالى له السعادة كانت فطرته على السعادة ومن كانت فطرته على السعادة كانت حالته بنعت السعادة

ومن كانت حالته بنعت السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ومن كانت له القسمة بالعكس فالحالة بالضد قال ﷺ من كان بحالة لقي الله بها وجملة العلم بالقضاء والقدر أن يتحقق أنه علم ما يكون أنه كيف يكون وكما علم الحادثات أن يكون أراد أن يكون كما علم أن يكون وما علم أنه لا يكون فما جاز أن يكون أو أراد أن لا يكون وكما أراد أن يكون أو لا يكون أخبر أنه يكون أو لا يكون وعلى الوجه الذي أخبر وقضى على العبد وقدر ما جرى عليه ما سبق به الحكم وعلى ما قضى عليه حصل العبد على ذلك الوصف.

289/ أ ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ﴾ [الآية: 31] / ثيابكم التي تستر عورتكم ﴿عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الآية: 31] لطواف أو صلاة ومن السُنَّة أن يكون الرجل حالة الصلاة في أحسن هيئة وأفاد الأستاذ أن لسان العلم يوجب ستر العورة في الصلاة وعلى موجب الإشارة زينة العبد بحضور الحضرة ولزوم الشدة واستدامة شهود الحقيقة ويقال زينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين أنوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية فشتان بين عبد وبين عبد في القضية ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ [الآية: 31] ما طاب لكم ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الآية: 31] بالتعدي إلى الحرام أو بإفراط الطعام أو بتحريم الحلال وتحليل الحرام وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة أي: ما دام تقدم ولا تجد فيك الخصلتين اللتين هما السرف في الأكل والخيلاء في اللبس.

وقال على بن الحسين بن واقد: جمع الله الطب في نصف آية فقال ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الآية: 31] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية: 31] المتعدين حده في حلال وحرام.

وأفاد الأستاذ: أن الإسراف ما تناولته ولو بقدر سمسمة ويقال الإسراف هو التعدي عن حد الاضطرار فيما يتضمن نصيباً لك أو خطأً بأي وجه كان.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 32] من الثياب وسائر ما أبيح لكم في كل باب ﴿ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الآية: 32] من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان

كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الآية: 32] المستلذات من المأكل والمشرب وفيه زجر للكفار حيث حرموا على أنفسهم لبس الثياب حالة الطواف والمتمتع بالمستلذات أيام الحج ولما لم يتصور الفعل بدون الفاعل فإنكار الفاعل بالكلية إنكار الفعل في الجملة وفيه دلالة على أن الأصل في الأشياء الإباحة ﴿قُلۡ هِيَ﴾ [الآية: 32] أي: الطيبات مخلوقة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 32] بالأصالة والكفرة إنما شاركوهم على سبيل التبعية ﴿خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الآية: 32] لا يشاركهم غيرهم في النعمة وفية إشارة أيضاً إلى أن نعمتهم في العاقبة خالصة من كدورات الغصة التي هي واقعة في الدنيا عامة ثم خالصة حال مقدرة وقرأ نافع بالرفع على/ أنها خبر بعد خبر أو هي خبر هي والظرف متعلق بها ومقدم عليها ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الآية: 32] أي: كتفصيل هذا الحكم نبين سائر الأحكام ﴿لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 32] أن الله هو الذي يحل الحلال ويحرم الحرام أو لقوم عالمين غير جاهلين.

289/ب

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه إلى زينة السرائر فزينة العارفين آثار التوفيق وزينة وزينة الواجدين أنوار التحقيق وزينة القاصدين ترك العادة وزينة العابدين حسن العبادة ويقال زينة النفوس صدور الخدمة وزينة القلوب حفظ الحرمة وزينة الأرواح الإطراق بالحضرة باستدامة الهيبة والحشمة ويقال: زينة اللسان الذكر وزينة القلب الفكر وزينة الظاهر السجود وزينة الباطن الشهود ويقال: زينة النفوس حسن المعاملة من حيث المجاهدات وزينة القلوب دوام المواصلة من حيث المشاهدات ومعنى قوله ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 32] أن الله لم يمنع هذه الزينة عن من تعرض لوجدانها فمن تصدق لطلبها فهي مباحة له من غير تأخر ولا قصور لها ثم أرزاق النفوس بحكم إفضاله وأرزاق القلوب بموجب إقباله ويقال: أرزاق المريدين الإلهام بذكر الله وأرزاق العارفين الإكرام في نسيان ما سواه.

﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ [الآية: 33] أي: ما تزايد قبحه كالكبائر ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الآية: 33] جهرها وسرها ﴿وَٱلۡإِثۡمَ﴾ [الآية: 33] كل ما يوجب الإثم تعميم بعد تخصيص أو أريد به الصغائر ﴿وَٱلۡبَغۡيَ﴾ [الآية: 33] الظلم أو الكبر

وللمبالغة أفرده بالذكر ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ متعلق بالبغي مبني ومؤكد له معنى ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 33] عطف على الفواحش ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ حجة وبرهاناً ومن المحال أن يكون البرهان على الإشراك (.بالسبحان..) فيكون هذا تهكماً على أهل الطغيان واستهزاءً بأهل العدوان وتنبيهاً على تحريم ما يدل عليه البرهان ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 33] من الشريك والولد والصاحبة ونحوها من الإلحاد في الذات والصفات سبحانه وتعالى عما يصفون.

وأفاد الأستاذ: أن ما ظهر منها الزلة وما بطن منها الغفلة ويقال: فاحشة الخواص تتبع ما لأنفسهم فيه نصيب ولو بذره أو سينه ويقال فاحشة الأحباب الصبر عن المحبوب ويقال: فاحشة قوم لأن لا/ يلاحظوا غيراً بعين الاستحقاق قال قائلهم: 290/ أ

يا قرة العين سل عيني هل اكتحلت   بمنظر حسن مذ غبت عن عيني(1)

ويقال: فاحشة قوم أن يبقى لهم قطرة من الدمع لم يسكبوه لفرقته أو تبقى لهم نفس لم يتنفسوا به في حسرته وفي معناه أنشدوا:

لئن بقيت في العين مني دمعة   فإني إذا في العاشقين دخيل(2)

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الآية: 34] مدة مضروبة لها بداية ونهاية والأجل يطلق على مجموع المدة مرة وعلى آخرها تارة ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الآية: 34] حان وقتهم أو انقرضت مدتهم ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية: 34] أي: لا يتأخرون ولا يتقدمون أي: لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الأهوال أو لمعرفتهم في تلك الحال أنه من طلب المحال وقيل: المراد بالأجل أجل العمر فإذا كمل امتنع فيها التقديم عقلاً والتأخير نقلاً وقيل: التقدير ولا يستقدمون قبل ذلك فهو معطوف على مجموع الشرط والجزاء.

وقال الأستاذ: لكل قوم مدة معينة فإذا تناهت تلك المدة زالت تلك الحالة فلنعمة المترفين مدة فإذا زالت فليس بعدها إلا الشدة ولمحنة

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 365)، (7/ 81).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 365).

المستضعفين مدة فإذا انقضت تلك المدة زالت تلك الشدة ويقال إذا سقط قرص الشمس زال سلطان النهار وفلا يزداد بعده إلا تراكم الظلمة وإذا ارتحل عسكر الظلام بطلوع الفجر فبعد ذلك لم يبق في تعالي النهار تهمة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الآية: 35] أي: من جنسكم ﴿يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 35] بلسانكم ﴿ءَايَٰتِي﴾ [الآية: 35] التي فيها الفرائض والأحكام إليكم ﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [الآية: 35] المخالفة ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ [الآية: 35] الموافقة ﴿فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [الآية: 35] في الأخوة لا بوقوع عقاب ولا بغوث ثواب.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى إذا أتاكم الرسل فلا تركنوا إلى الظن والتخمين واحملوا الأمر على الجد واليقين فإنّا مع استغنائنا عن الأغيار وتقدسنا عن المنافع والمضار نطالب بالقليل والكثير ونحاسب على النقير والقطمير.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 36] أي: لم يصدقوها أو لم يلتفتوا إليها ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ﴾ [الآية: 36] فتركوا العمل بها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 36] ملازموها ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية: 36] أي: دائمون لها.

290/ب وقال الأستاذ: من قابل ربوبيتنا بالجحد/ وحكمنا بالرد لقي الهوان وقاسى الآلام والأحزان ثم العجز يلجئه إلى أن يخضع بعد أن لا ينفع ولا يسمع.

﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية: 37] بأن تقول على الله ما لم يقله ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ﴾ [الآية: 37] أي: كذب ما قاله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ﴾ [الآية: 37] يصيبهم ﴿نَصِيبُهُم﴾ [الآية: 37] حظهم ﴿مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ﴾ [الآية: 37] مما كتب لهم من الأرزاق والآجال والأعمال والأخلاق والأحوال أو مما أثبت لهم في اللوح المحفوظ من الخير بحسب القضاء والقدر.

وأفاد الأستاذ: أن نصيبهم من الكتاب ما سبق لهم به الحكم على وفق الحكم فمن جرى بسعادته القلم وقع عليه رقم السعادة ومن رقم بشقاوته الحكم حق عليه علم الشقاوة ويقال: من سبق له قسم السعادة فلو وقع في

قعر لظى تداركته العناية وأخرجته الرحمة ومن سبق له قسم الشقاوة فلو نزل الفردوس تداركته السخطة وأخرجته اللعنة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا﴾ [الآية: 37] ملك الموت وأعوانه ﴿يَتَوَفَّوۡنَهُمۡ﴾ [الآية: 37] يقبضون أرواحهم وافياً بالإماتة والجملة حال من الرسل وحتى غاية نيلهم أي: ينالهم نصيبهم إلى وقت وفاتهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام وجواب إذا ﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 37] أي: سؤال توبيخ ﴿أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 37] أي: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها وأين الأغيار التي كنتم تدعونها فما موصولة وهي في الكتابة مفصولة ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ [الآية: 37] غابوا منا فلا نراهم ولا ننتفع بهم ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 37] باتباعهم.

﴿قَالَ﴾ [الآية: 38] أي: أحد من الملائكة أو الله يوم القيامة ﴿ٱدۡخُلُواْ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ فِي ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 38] متعلق بادخلوا أو بـ(خلت) ففي بمعنى مع ﴿كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ﴾ [الآية: 38] أي: في النار ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ [الآية: 38] أي: شبيهتها من جهة ضلالتها التي ضلت للاقتداء بها ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعٗا﴾ [الآية: 38] أي: تداركوا تلاحقوا واجتمعوا في النار ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 38] دخولاً أو منزلة وهم الأتباع ﴿لِأُولَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 38] أي: لأجل أولاهم إذ الخطاب مع الله لا معهم وهم المتبوعون ﴿رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الآية: 38] سنوا لنا الضلال أو تسببوا لنا في الوبال فاقتدينا بهم في الأفعال ﴿فَـَٔاتِهِمۡ عَذَابٗا ضِعۡفٗا﴾ [الآية: 38] أي: مضاعفاً ﴿مِّنَ ٱلنَّارِۖ﴾ [الآية: 38] لأنهم ضلوا وأضلوا ﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ﴾ [الآية: 38] أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 38] ما لكل فريق/ منكم من العذاب والنكال وقرأ أبو بكر بالغيبة على الانفصال من الإقبال. 291/ أ

﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 39] مشافهة لهم ﴿فَمَا كَانَ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلٖ﴾ [الآية: 39] بل نحن وإياكم متساوون في العذاب بطريق عدل ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ [الآية: 39] من قول الله للفريقين من جميع الأمة أو من قول القادة للسادة.

وأفاد الأستاذ: إن آثار إعراض الحق عنهم أورثت وحشة الحق لهم حتى تبرّم بعضهم ببعض وضاق كل واحد منهم عن كل شيء حتى عن نفسه فدعا بعضهم على بعض وتبرأ بعضهم من بعض وكذلك صفة المطرودين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الآية: 40] وتركوا الإيمان بها ﴿وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا﴾ [الآية: 40] بعدم التدبر والتفكر فيها ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾ [الآية: 40] لأعمالهم وأرواحهم ﴿أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 40] كما يفتح لأبواب المؤمنين وأرواحهم والتأنيث للأبواب والتشديد لكثرتها وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي مذكراً لأنّ التأنيث غير حقيقي ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الآية: 40] أي: ثقب الإبرة وذلك مما لا يكون وكذا ما يتوقف عليه ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 40].

قال الأستاذ: فلا دعاؤهم يسمع ولا بكاؤهم ينفع ولا بلاؤهم يكشف ويرفع ولا عناؤهم يدفع.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الآية: 41] فراش ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الآية: 41] أي: أغطية جمع غاشية ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية: 41] عبر عنهم بالمجرمين مرة وبالظالمين تارة تفنناً في العبادة وأشار إلى أنهم جامعون لأسباب العقوبة وأنهم يستحقون العقاب بكل خصلة.

وأفاد الأستاذ: أنه كما أحاطت بهم الزلات في الدنيا فتدنس بالغفلة باطنهم وتلوث بالذلة ظاهرهم كذلك أحاطت العقوبات غداً بجوانبهم فمن فوقهم عذاب ومن تحتهم عذاب وكذلك من سائر جوانبهم ثم في القلب من ضيق العيش استيلاء الوحشة ما يوفى على الكل ويربى.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الآية: 42] جمع على عادته سبحانه في كلامه المجيد بين الوعد والوعيد وحمله لا نكلف نفساً إلا وسعها معترضة بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم معرفتهم.

291/ب وقال الأستاذ: رفعنا عن ظاهرهم/ وباطنهم كلفة أعمالهم فيسرنا عليهم

الطاعات بحسن التوفيق وخففنا عنهم العبادات بتقليد التكليف.

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الآية: 43] أي: نخرج من قلوبهم أسباب الغل وهو الحقد والحسد أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم إلا التودد قيل: من تخطى بساط قرب الرحمٰن سقط عنه رعونات النفس وحظوظ الشيطان وقد روى ابن جرير عن علي إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الآية: 43] ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ [الآية: 43] أي: تحت منازلهم وأشجارهم أو تحت تصرفهم ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 43] في بساتينهم وقصورهم زيادة في لذتهم وسرورهم.

وقال الأستاذ: طهرنا قلوبهم عن كل غش واستخلصنا أسرارهم عن كل آفة فطهر قلوب العارفين عن كل حظ وعلاقة كما طهر قلوب الزاهدين عن كل رغبة ومنية وطهر قلوب العابدين عن كل نهمة وشهوة وطهر قلوب المحبين عن محبة كل مخلوق وغل كل صدر [كل] أحد على قدر مرتبته ويقال لما خلق الجنة وكلها في تزيينها إلى الرضوان والعرش ولي حفظه إلى الحملة والكعبة سلم مفتاحها إلى بني شيبة وأما تطهير صدور المؤمنين فتولاه بنفسه فقال: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ [الآية: 43] ويقال: إذا كان نزع الغل من الصدور من قبله فلا محل للغرم الذي لزمهم بسبب الخصوم [حيث] كان منه سبحانه وجه أدائه ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الآية: 43] أي: لما جزاؤه هذا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 43] أي: لولا هدايته وتوفيقه لنا بالإيمان والعمل الصالح وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على أنها مبنية للأولى وقد ورد لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا[1] وهذه الآية حجة لنا لا علينا.

وأفاد الأستاذ: أن هذا اعتراف منهم وإقرار بأنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا إليه من جزيل تلك العطيات وعظيم تلك الرتب واملقامات بجهدهم واستحقاق فعلهم وإنما كان ذلك أجمع ابتداء فضل منه ولطف ﴿لَقَدْ جَآءَتْ

(1) سبق تخريجه.

﴿رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [الآية: 43] فاهتدينا بإرشادهم للخلق في أمر معاشهم ومعادهم وفيه تنبيه نبيه على أن ما عملوه يقيناً في الدنيا/ صار لهم عين اليقين في العقبى 292/ أ ﴿وَنُودُوٓاْ﴾ [الآية: 43] أي: من قبل الله أو الملائكة ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾ [الآية: 43] إذا رأوها من بعيد أو بعد ما دخلوها والمنادى له بالذات ﴿أُورِثۡتُمُوهَا﴾ [الآية: 43] أعطيتموها بلا تعب كالميراث ﴿بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 43] بمقابلة أعمالكم وحسب درجات أحوالكم فضلاً ورحمة لأنه لا يجب على الله شيء لا عقوبة ولا مثوبة وقد ورد في الحديث الصحيح لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله ﷺ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته[1] والظاهر أن دخول الجنة بسبب الإيمان الحاصل من أثر رحمة الرحمن ودرجات الجنان على وفق مراتب الإحسان.

وأفاد الأستاذ: أن هذا تسكين لقلوبهم وتطييب لنفوسهم وإلا فإذا رأوا تلك الجنان علموا أن أعمالهم المشوبة بالتقصيرات لم توجب تلك الدرجات.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ [الآية: 44] في الدنيا من الثواب في العقبى ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ [الآية: 44] من أصناف العذاب وأنواع الحجاب وإنما قالوه: تبجحاً بحالهم وحسن مآلهم وشماتة بأعدائهم وتحسيراً لهم في أعمالهم ﴿قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ [الآية: 44] وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان.

وأفاد الأستاذ: أن أهل النار بحقية الدين اعترفوا وأقروا بسوء ما عملوا [ولكن] حين لا ينفعهم إقرار ما صنعوا ولا اعتذار بما فعلوا ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الآية: 44] نادى منادٍ بين الفريقين ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 44] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة الكسائي بتشديد أن ونصب ما بعدها ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 45] أي: يعرضون عن طريق رضاه أو يمنعون الناس

(1) أخرجه الطبراني في الأوسط (8/ 74) رقم (8004)، وابن حبان في الصحيح (2/ 60) رقم (348)، وأحمد في المسند (2/ 451) رقم (9830).

عن دين الله ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الآية: 45] أي: يطلبون لتلك الطريقة من الشريعة والحقيقة زيفاً وميلاً عما هو عليه من ظهور الحقيقة ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 45] جاحدون ومنكرون ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الآية: 45] أي: بين الفريقين سور الأعراف لقوله تعالى ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ﴾ [الحديد: 13] أي: بين الجنة والنار حاجز يمنع وصول أثر أحديهما إلى الأخرى من الثواب والعقاب.

وأفاد الأستاذ: أنّ ذلك الحجاب الذي بينهما حصل من الحجاب السابق في الكتاب ولما حجبوا/ في ابتداء سابق القسمة عما خُصّ به المؤمنون من القربة والزلفة حجبوا في الانتهاء عما خص به السعداء من المغفرة والرحمة ويقال: حجاب وأي: حجاب لا يرفع بحيلة ولا ينفع معه وسيلة سبق به الحكم قبل الطاعة والجرم. 292/ ب

﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾ [الآية: 46] أي: أعراف الحجاب وأعاليه المشرفة على الباب ﴿رِجَالٌ﴾ [الآية: 46] طائفة استوت حسناتهم وسيئاتهم فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضي الله فيهم ما يشاء مما يؤول لهم القرار ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ [الآية: 46] من الأبرار والفجار ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الآية: 46] بعلامتهم التي أعلمهم الله بها من بياض الوجوه وسوادها.

وأفاد الأستاذ: أن هؤلاء أصحاب الأشراف خصوا بأنوار البصائر اليوم فأشرفوا على مقادير الخلق بأسرارهم وأشرفوا غداً على مقامات الكل وطبقات الجميع بإبصارهم ويقال عرفوهم غداً بسيماهم التي وجودهم عليها في دنياهم فأقوام موسومون بأنوار الود والقرب وآخرون موسومون بآثار الرد والحجب ﴿وَنَادَوْا﴾ [الآية: 46] أي: أصحاب الأعراف ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 46] أي: إذا نظروا إليهم سلموا عليهم وتمنوا ما لديهم ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ [الآية: 46] لعدم إذنهم فيها ﴿وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾ [الآية: 46] دخلوها وما أطمعهم إلا وأراد أن أطمعهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم سلموا اليوم عن النكرة والجحد وأكرموا بالعرفان والتوحيد وسلموا غداً من فنون الوعيد وسعدوا بلطائف المزيد وتحققوا أنهم

بلغوا من الرتب ما لم يسم إليهم طرف تأمليهم ولم يحط بتفصيلها كنه عقولهم.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 47] أي: من غير رغبة منهم إليهم وإلى آثارهم ﴿قَالُوا۟﴾ [الآية: 47] نعوذ بالله من ديارهم ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 47] أي: مشاركين لهم في دخول نارهم.

قال الأستاذ: وإنما يصرف أبصارهم إليهم تقريراً عليهم عظيم المنّة التي بها نجاتهم فيزيدون في الاستغاثة وصدق الابتهال لتكمل لديهم العارفة بإدامة ما لاطفهم به من الإيواء والمحافظة.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الآية: 48] أي: من رؤساء الكفرة والأشراف من أهل الظلم والإسراف ممن ظهر لهم على طريقة الأشراف ﴿قَالُوا۟﴾ [الآية: 48] لهم ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ [الآية: 48] لم ينفعكم كثرتكم وجماعتكم أو جمعكم المال ومحنتكم/ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الآية: 48] أي: واستكباركم بالجاه وعظمتكم وقيل ما استفهام توبيخ وتقريع أي: أي شيء أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون عن الحق أو على الخلق في زمانكم. 293/ أ

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 49] الإشارة إلى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقروهم في الدنيا ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة على فرض ثبوت العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن سيماهم ما يرون عليهم من غبار الرد وأمارة البعد فيقولون لهم هل يغني عنكم ما ركنتم إليه من أباطيلكم وسكنتم إليه من فاسد ظنكم وباطن تأويلكم فشاهدوا اليوم تخصيص الحق بمن ظننتم أنهم ضعفاؤكم وانظروا هل يغني عنكم الذين زعمتم أنهم أولياؤكم وشركاؤكم ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الآية: 49] أي: فقيل على لسان الملائكة لأصحاب الأعراف بعد هذا الإيقاف وحصول الإشراف ادخلوا الجنة بالفضل والرحمة وقيل: الخطاب للضعفاء وأنه من تتمة قول أصحاب الأعراف والمعنى قالوا الرؤساء الكفار في النار أهؤلاء الذين نظرتم إليهم بعين الاحتقار

قيل لهم ادخلوا الجنة مع الأبرار.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ [الآية: 50] أي: صبوا علينا من الماء من أنهاركم الجارية ﴿أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 50] من سائر الأشربة ليخفف عنا نوعاً من العقوبة أو المراد بالماء من أنواع الشراب وبالرزق المأكول من كل باب وقال بعضهم ماء الرحمة ورزق القربة وكذا في «**دقائق الحقائق**» وهذا الطلب يحتمل أن يكون على رجاء وطمع من الفريق أو من باب تعلق الفريق بكل حشيش في الطريق ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 50] أي: منعهما عنهم عامة وأباحهما للمؤمنين خاصة لما سبق من أن النعمة في الآخرة لهم خالصة.

وأفاد الأستاذ: أن الآية دلت على أن أواخر ما يبقى على الإنسان هم الأكل والشرب وأنهم في تلك العقوبات الشديدة يقع عليهم الجوع والعطش في تلك المدة المديدة فيتضرعون في ذلك المقام ويطلبون شربة من الماء أو لقمة من الطعام وهم في غاية من الآلام والعادة اليوم أن من كان في ألم شديد لا يأكل ولا يشرب وهذا/ أشد ثم أبصر كيف لا يستقيم نظره مع 293/ ب استغنائه عن العقوبة ولكن قهر الربوبية وعن الأحدية وأنه فعال لما تعلق به الإرادة الأزلية فكما لم يرزقهم اليوم من عرفانه ذرة لا يسقيهم غداً في تلك الأحوال قطرة وفي معناه أنشدوا:

وأقسمن لا يسقيننا الدهر قطرة ولو زخرت من أرضهن بحور[1]

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ﴾ [الآية: 51] أي: الذين شرع الحق للخلق ﴿لَهۡوٗا وَلَعِبٗا﴾ [الآية: 51] كتحريم البحيرة والتصفيق حول الكعبة واللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [الآية: 51] أي: الفانية فتركوا طلب الحياة الباقية ﴿فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 51] أي: نجاريهم على نسيانهم أو نعاملهم معاملة الناسين لهم فنتركهم في عذابهم ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا﴾ [الآية: 51] هذا فلم يخطروه

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 378).

ببالهم ولم يستعدوا لهم في حالهم ﴿وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الآية: 51] أي: وكما كانوا في حق آياتنا المتلوة والمنصوبة مصرين على إنكارهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم كما تركوا أمره وضيعوا حقه تركهم في العقوبة ولا يشكيهم فيما يشكون من المشقة فيأتي عليهم مرور أحقاب بلا كشف عذاب ولا برد شراب ولا حسن جواب ولا إكرام خطاب ذلك جزاء من لم يعرف قدر الوصلة في أوقات المهلة.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَـٰهُم بِكِتَـٰبٍ﴾ [الآية: 52] قرآن عظيم الشأن كريم البرهان ﴿فَصَّلْنَـٰهُ﴾ [الآية: 52] بيّنّا معانيه مفصلة لكل ما يحتاج الإنسان إلى البيان ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الآية: 52] أي: مشتملاً على علم منا بأهل كل زمان ومكان ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 52] حالان من الهاء في فصلناه أو منصوبان على المفعول.

وقال الأستاذ: أنزلنا عليهم الكتاب وأوحينا إليهم من الخطاب ما لو قابلوه بالتصديق وصاحبوه بالتحقيق لوجدوا الشفاء من محنة العباد ونالوا الضياء بقرب الوداد ووصلوا في الدنيا والعقبى إلى جميل المراد ولكن أبى القسمة في نصيبهم إلا الشقوة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾ [الآية: 53] أي: ما ينظرون إلا ما يؤول إليه أمر الكتاب من تبيين صدقه بظهور ما نطق به من الثواب والعقاب ﴿يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الآية: 53] وهو يوم القيامة وتهويله ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ/ نَسُوهُ﴾ [الآية: 53] تركوا الإيمان به والعمل له ترك الناسين للمهمة الأولى وهو خدمة المولى ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 53] أي قبل إتيانه يعني في الدنيا ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 53] ونحن كذبناهم بالباطل إذ قد تبين لنا أنهم جاؤوا بالصدق ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ﴾ [الآية: 53] أي: من الآلهة التي كنا نسميها شركاء ونظن أنها عند الله شفعاء ﴿فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ﴾ [الآية: 53] لنا اليوم عند نزول البلاء وحصول العناء ﴿أَوْ نُرَدُّ﴾ [الآية: 53] أي: هل نرد إلى الدنيا لتدارك ما فاتنا من الأشياء ﴿فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الآية: 53] جواب الاستفهام الثاني ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 53] بصرف أعمارهم في سوء أعمالهم ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية: 53]

294/ أ

أي: وبطل عنهم وغاب منهم فلم ينفعهم ما توهموا نفعه لهم.

وأفاد: الأستاذ أنه إذا كشف جلال الغيب وانتفى من قلوبهم أغطية الريب فلا بكاء لهم ينفع ولا دعاء لهم يسمع ولا شكوى منهم ترفع ولا بلوى من دونهم تقطع.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية: 54] أي: من ستة أوقات أو في مقدار ستة أيام من أيام الدنيا أو أيام الآخرة كل يوم ألف سنة أو المراد بالستة يوم الأحد إلى الجمعة وأما يوم السبت فلم يقع فيه خلقه ومنه سمي السبت سبتاً وهو القطع هذا وفي خلق الأشياء مدرجة مع القدرة على إيجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني في الأمور للأبرار ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية: 54] أو استولى عليه أو استوى الخلق عليه بمعنى استتم فما خلق فوقه شيئاً وجمع السلف وجمع من الخلف على أن استواء العرش صفة الله بلا كيفية نؤمن بها ونكل علمها إلى عالمها.

وقد قال الإمام مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة فالمعنى أن له سبحانه استواءٌ على العرش بالوجه الذي عناه منزهاً عن الاستقرار والتمكن وسائر صفات الحدوث من إثبات الجهة والجسم والحلول التي توجد في الكائنات والعرش هو الجسم المحيط بسائر الأجسام سمي به لرفعته أو للتشبيه بسرير الملك فإن الأمور والتدابير تنزل منه إلى عالم الخلق وقيل المراد به الملك ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الآية: 54] يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم/ به أو لأن اللفظ يحتملها وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر بالتشديد فيه وفي الرعد للدلالة على التكرير والإشارة إلى أن التكثير ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الآية: 54] يعقبه سريعاً ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 54] أي: وخلقها حال كونهن مذللات منقادات بتيسيره وتدبيره وقضائه وتقديره وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر.

294/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تعرف إلى الخلق بآياته الظاهرة الدالة على قدرته وهي أفعاله وتعرف إلى الخواص منهم بآياته الدالة على نصرته التي هي

إفضاله وإقباله وظهر لأسرار أخص الخواص بنعوته الذاتية التي هي جماله وجلاله فشتان بين قوم وقوم ثم كما يدخل في الظاهر الليل على النهار والنهار على الليل فكذا يدخل القبض على البسط والبسط على القبض ومنه الإشارة إلى ليل القلوب ونهار القلوب فمن عبدٍ أحواله أجمع قبض ومن عبد أحواله أجمع بسط فمن عبد يكون مرة بعين القبض ومرة بعين البسط كما أن في العالم في بعض الأقطار نهار بلا ليل وفي بعضها ليل بلا نهار وفي بعضها ليل يدخل على نهار ونهار يدخل على ليل ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ [الآية: 54] أي: مخلوق الأرض والسماء ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ [الآية: 54] لا يجري في ملكه إلا ما يشاء ويقال الخلق مختص بالتدريج والأمر بضده.

قال الواسطي: إذا كان له فمنه وبه وإليه لأن الأمر صفة الأمر.

وأفاد الأستاذ: أن منه الخير والشرع والنفع والضر والتصرف والأمر ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 54] تعالى بالوحدانية في الألوهية وتعظم بالفردانية في الربوبية حيث خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم والجملتان الأخيرتان فذلكة التقرير ونتيجة التحرير وفي الجملة الأخيرة إيماء إلى إفادة معنى قدمه وثبوت دوامه وإشارة إلى إسداء إنعامه على خواص الخلق وعامه ثم أمرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال:

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] أي: ذوي تضرع خفية وتذلل ومسكنة وفي خفية إيماء إلى أن الإخفاء دليل الإخلاص في الدعاء ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية: 55] المجاوزين ما أمروا به في الدعاء وغيره ففيه تنبيه على أن الداعي ينبغي أن لا يطلب/ ما لا يليق به كرتبة الأنبياء والصعود إلى السماء وقيل: هو الصياح والإطناب في الدعاء وفي «**مسند الإمام**» أحمد وغيره إن أحداً من الصحابة سمع أحداً يقول اللّهم إني أسألك الجنة ونعيمها واستبرقها ونحو من هذا وأعوذ بك من النار وسلاسلها وأغلالها[1] وفي رواية اللّهم إني أسألك

295/أ

(1) أخرجه أبو يعلى في المسند (2/ 71) رقم (715)، وأحمد في المسند (1/ 172) رقم (2483)، وأبو داود في السنن (1/ 551) رقم (1482).

قصراً أبيض في يمين الجنة فقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنه سيكون أقوام يعتدون[1] في الدعاء وقرأ هذه الآية قال بحسبك أن تقول اللّهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وقد رواه أبو داوود أيضاً[2].

وأفاد الأستاذ: أن الأمر بالدعاء إذن في التسلي لأرباب المنحة فإنهم إلى أن يصلوا إلى كشف المحبة ووجود المأمول والمنحة استروحوا إلى روح المناجاة في حال الدعوات فالدعاء نزهة لأرباب الحاجات وراحات لأصحاب الطلبات ومعجل من الأنس بما يتأدى إلى القلب من عاجل قربه وما أخلص عبد في دعائه إلا روح الله سبحانه في الوقت قلبه ويقال علمهم أدب الدعاء حيث قال ﴿تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] وهذا أدب الدعاء أن يدعو بوصف الافتقار والانكسار ونشر الاضطرار ومن غاية ما تقرر لديك نعت كرمه به أن جعل إمساكك عن دعائه الذي لا بد لك منه اعتداء منك انتهى وفيه إشارة إلى حديث «من لم يدع الله يغضب عليه»[3].

ولله در قائل:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يسأل يغضب

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الآية: 56] بالمعاصي والآثام ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الآية: 56] ببعث الأنبياء عليهم السلام وشرعهم الأحكام وقيل: لا تفسدوا بالمعاصي فإن من شؤمها يمسك المطر فتخرب الأرض بعد ما كانت تخضر.

وأفاد الأستاذ: إن من الإفساد بعد الإصلاح إهمال النفس عن

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 267) رقم (579)، وابن ماجه في السنن (2/ 1271) رقم (3864)، وابن حبان في الصحيح (15/ 166) رقم (6763)، وأحمد في المسند (4/ 87) رقم (16847).

(2) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1264) رقم (3846)، وأبو يعلى في المسند (2/ 71) رقم (715)، وأحمد في المسند (1/ 183) رقم (1484)، وابن أبي شيبة في المصنف (6/ 44) رقم (29345).

(3) الدر المنثور (7/ 301).

المجاهدات بخلع عذارها حتى تتبع هواها بعد ما كبحت لجامها عن العدو في ميدان الخلاف ومن ذلك إرسال القلب في أودية المنى بعد إمساكها على أوصاف الإرادة ومن ذلك الرجوع إلى الحظوظ بعد القيام بالحقوق ومن ذلك استشعار محبة مخلوق بعد تأكيد العهد معه بأن/ لا يحب سواه ومن ذلك 295/ب الجنوح إلى تتبع الرخص في طريق الطلب بعد حمل النفس على ملازمة الأولى والأشق ومن ذلك الانحطاط [بحظ] إلى طلب مقام منه أو إكرام بعد القيام معه بترك كل نصيب ومن الجملة الرجوع من الأعلى إلى الأدنى إفساد في الأرض بعد الإصلاح انتهى وفيه إيماءً إلى ما ورد في الدعاء اللّهم إني أعوذ بك من الحور[1] بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة أو من الشقاوة بعد السعادة أو من المعصية بعد العبادة ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [الآية: 56] أي: خائفين من عقابه وطامعين في ثوابه أو خائفين من رده عدلاً وطامعين في قبوله فضلاً وقيل: ﴿خَوۡفٗا﴾ [الآية: 56] من بعده ﴿وَطَمَعًاۚ﴾ [الآية: 56] في قربه ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية: 56] المطيعين في أمره ونهيه وفيه تصريح للطمع حال الإحسان لا يعتريه الإنسان.

وأفاد الأستاذ: أنه يقال المحسنين عملاً والمحسنين أملاً فالأول العابدون والثاني العاصون ويقال: المحسن من كان حاضراً بقلبه غير لاهٍ عن ربه ولا ناسياً لحقه.

وفي «**العرائس**» ذكر في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 54] إلى هنا كثير من «**النفائس**» أحببت أن أذكرها ملخصاً وأحررها مخلصاً فبين أنه سبحانه خاطبهم بالتربية بجذب قلوبهم بالمحبة ثم أشار إليهم بالألوهية لفناء الحدث في القدم ثم صرفهم من المحو إلى الصحو ومن الحضور إلى الغيبة بقوله الذي أشاره وأن ربكم عبارة الأول للبسط والثاني للقبض ثم صرفهم من الصفات إلى الأفعال كما صرفهم من الذات إلى الصفات كي لا يحترقون في أنوار الألوهية الأول خطاب القلب والثاني خطاب الروح والثالث خطاب العقل الأول قوله

---

(1) تفسير القرطبي (16/ 67).

إن ربكم والثاني قوله الله والثالث قوله الذي ثم أنزلهم من الشهود إلى الشواهد وخاطبهم على قدر عقولهم حيث أحالهم من القدم إلى الحدث لعلمه بضعفهم على حمل بوادي طارقات سطوات الوحدانية فقال الذي خلق السموات والأرض جعل الآيات مرآة الصفات لأهل المشاهدات خلقها في ستة أيام أيام الله قضاؤه وقدره حصرها بأيام مخصوصة وهي الستة وفي كل يوم من أيامه ظهور صفة من صفاته من مطلع القدم طلعت للعدم/ لكون الحدوث في هذه 296/ أ الأيام الستة ظهور ستة صفات من صفاته أولها العلم والثاني القدرة والثالث السمع والرابع البصر والخامس الكلام والسادس الإرادة كملت الأشياء بظهور أنوار الصفات الستة ولما أتمها صارت الحدثان كجسد آدم بلا روح فتجلى من صفته السابعة وهي حياته القديمة الأزلية الباقية المنزهة عن همهمة الأنفاس والمشابهة والقياس فيبقي الأشياء بصفاته القائمة بذاته ويكون إلى الأبد حياتها بروح حياته المقدسة عن الاتصال والانفصال وفي أدق الإشارة السموات الأرواح والأرض الأشباح والعرش القلوب بدأ بكشف الصفات للأرواح وبدأ بكشف الأفعال للأشباح ثم بدأ بكشف الذات استوى فهو القدم بنعت الظهور للعدم ثم استوى تجلي الصفات فاستوى بنفسه لنفسه على نفسه المنزهة عن المباشرة بالحدثان والاتصال والانفصال عن الأكوان وبالأكوان الاستواء صفة ذاتية على الحقيقة خارجة عن مطالعة الخليقة السموات والأرض جسد العالم والعرش قلب العالم والكرسي دماغ العالم خص جميع العالم بالأفعال والصفات وخص العرش بظهور الذات لأنه قلب الكل وهو غيب الرحمن وعلمه وحكمته رأيت في المكاشفة أنواراً شعشعانياً بلا جسم ولا مكان ولا صورة تتلألأ فسألت عن ذلك فقيل لي هذا عالم يسمى عرشاً قيل في التفسير عرشه علمه لقول ابن عباس في تفسير قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ [البقرة: 255] أي: وسع علمه ثم رجع إلى ذكر الأفعال والأشباح بقوله ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ [الآية: 54] ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الآية: 54] ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍ﴾ [الآية: 54] أي بأمره بدأ بذكر الليل لأنه ستر الأولياء وحجال الأصفياء وملجأ النقباء وقيام عرائس أهل المناجاة يلبس القبض البسط لأنهما ضدان ويقبض ويبسط الليل

قبض العارفين والنهار بسط المشاهدين يكون أحدها طالب الآخر لأن من وصفه الحضور والغيبة من خفاء التجلي وبداية الليل النفس والنهار القلب والشمس الروح والقمر/ العقل والنجوم العلوم مسخرات في سماء الملكوت وهو الجبروت 296/ب بأمره بقدرته الكاملة وعزته الشاملة ومحبته القديمة التي تؤلف أرواح القدسية إلى مشاهد الأزلية ثم إن الله سبحانه أضاف الكل إلى أمر مشيئته ونفاذ قدرته وأخرج الجميع من تكلف الحدثان وعلة الأكوان بقوله ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الآية: 54] الخلق فعله والأمر صفته الخلق في الأشباح والأمر في الأرواح بنور الخلق سلب العقول وحيرها من إدراك كنه الآيات ويتجلى الأمر جذب القلوب إلى عالم الصفات وعشقها بجمال الذات ثم أثنى على نفسه حيث يقصر الأفهام عن وصف صفاته ويعجز الألسن عن بلوغ مدح ذاته بقوله ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 54] أي: تقدس عن كل ما يجرى في خواطر خلقه رب العالمين رب الجميع بظهور صفته في خلقه ورب العارفين بظهور ذاته في صفته ولما عرفهم أعلام الربوبية أمرهم بخالص العبودية وأدبهم بأحسن التأديب بقوله:

﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] إذا عرفتموه بنعوت الكبرياء وجلال العظمة وعز القدم والبقاء كونوا في رؤية هذه الصفات عند احتياجكم إلينا بنعت الفناء بحيث لا يطلع على أسرار نفوسكم فإن دعوة المضطر تقع على مسامع الغيوب حين هاجت بوصف اللطف من لسان القلوب وإن أصفى الوقت في التضرع ودعوة الخفية وذكر الخفي الذي وصفه عليه السلام بالخيرية حيث قال «خير الذكر الخفي»[1].

قال أبو عثمان: التضرع في الدعاء أن لا تقدم إليه أفعالك وصلاتك وصيامك وقراءتك ثم تدعو على أثره إنما التضرع أن تقدم افتقارك وعجزك وضرورتك وفاقتك وقلة حيلتك ثم تدعو بلا سبب ولا علة فيرفع دعاؤك.

وقال الواسطي: ﴿تَضَرُّعًا﴾ بذل العبودية ﴿وَخُفْيَةً﴾ [الآية: 55] أي: اخف ذكري

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 406) رقم (552)، وابن حبان في الصحيح (3/ 91) رقم (809)، وأحمد في المسند (1/ 172) رقم (1477).

صيانة عن غيري ألا ترى قوله عليه السلام «خير الذكر الخفي»[1] وافهم أن للدعاء مقامات فبعضهم يدعوه بلسان الظاهر وبعضهم يدعوه بلسان الباطن وبعضهم يدعوه بإشارة العقل وبعضهم يدعوه بإشارة القلب وبعضهم يدعوه بإشارة الروح وبعضهم يدعوه بإشارة السر نعت أهل الظاهر التضرع ونعت أهل الباطن الافتقار والتخشع ونعت/ أهل العقل الفكر ونعت أهل القلب الذكر 297/ أ ونعت أهل الروح الشوق ونعت أهل السر الفناء يدعونه بالإذن ولا يكون الإذن في الدعاء إلا في مقامين مقام القبض ومقام البسط الدعاء في مقام القبض بنعت العبودية والدعاء في مقام البسط بحكم الانبساط من إدراك مباشرة صولة الربوبية ولا بد للعارفين من هذين المقامين والدعاء على الأحوال شتى دعاء أهل البلاء لكشف الهموم ودعاء أهل النعماء لكشف الوجود ودعاء المحبين لتسلي القلوب ودعاء المشتاقين للبلوغ إلى الوصول ودعاء العاشقين لنيل المأمول ودعاء العارفين لوجدان البقاء ودعاء الموحدين لمحوهم في الفناء وفيه أنس المستأنسين وتضرع العارفين وبهاء المحبين وزيادة قرة عيون الموحدين ما أطيب ألحانهم في السجود لكشف شهود الوجود وما أحلى روح مناجاتهم بالعبرات وحركات ضمائرهم بالزفرات ثم حذرهم عن الرجوع من الأعلى إلى الأدنى ومن متابعة الحق إلى متابعة النفس من تخريب أرض القلب بمساحة الهوى بعد إصلاحها بصفاء المراقبة والحضور والمشاهدة بقوله ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الآية: 56] ثم زاد سبحانه في أدب الدعاء وقرن بالتواضع والإخلاص فيه مقام الوفاء والرجاء بقوله ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الآية: 56] أي: ادعوه بوصف الإجلال في رؤية جلاله وبنعت البسط في رؤية جماله فإن حقيقة الدعاء في الشهود الوجل في العبودية لمعرفة الربوبية والسرور من رجاء الوصول إلى المقصود وأيضاً ادعوه خوفاً من اطلاعه على جريان كل مأمول سواء في القلب أي: خافوا من طيران ذكر الحدث في رؤية القدم وطمعاً في مقام من قربه أشرف من مقام الدعاء لأن الدعاء وسيلة فإذا حصل الوصول انقطعت الوسيلة وأيضاً خوفاً من رد الدعاء وطمعاً في استجابة الدعاء ثم بين تعالى أن من

---

(1) انظر: تخريج الحديث السابق.

كان هذا وصفه يكون من المحسنين الذين يقربون منه به بقوله ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ/ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾. 297/ ب

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ﴾ [الآية: 57] وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على وحدة الجنس ﴿بُشْرًۢا﴾ [الآية: 57] بضم النون والشين جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر بسكون الشين تخفيفاً وحمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين على أنه مصدر في موقع الحال بمعنى ناشرات للسحاب الثقال وعاصم بضم الموحدة وسكون الشين على أنه تخفيف بشر جمع بشير وقد قرىء به بمعنى مبشرات ﴿بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الآية: 57] أي قدام أثر رحمته ومقدمة نعمته وهو المطر فإن الصَّبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تعصره وتدره والدبور تفرقه.

وأفاد الأستاذ: أن تباشير التقريب تتقدم فيتأدى نسيمه إلى مشام الأسرار وكذلك آثار الأعراض تتقدم فتوجد ظلمة القبض في الباطن وظل الوحشة يتقدمها ونسيم الوصل يعدمها في قريب منه قال قائلهم:

ولقد تنسمت الرياح لحاجتي فإذا لها من راحتيك نسيم[1]

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ﴾ [الآية: 57] أي: حملت الرياح ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ [الآية: 57] بالماء وجمعه لأن السحاب بمعنى السحائب ﴿سُقْنَٰهُ﴾ [الآية: 57] أي: السحاب وأفرد الضمير باعتبار اللفظ والفعل مأخوذ من السوق ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [الآية: 57] أي: لأجل مكان للإنبات فيه أو لإحيائه أو لسقيه أو إلى جانبه ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ [الآية: 57] أي: بسبب السحاب أو السوق أو في البلد ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ [الآية: 57] بالماء ﴿مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: 57] من كل أنواعها ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية: 57] الإشارة إلى إخراج الثمرات وهو أقرب أو إلى إحياء البلد الميت وهو أنسب أي: كما نحييه بإحداث القوة النامية فيه وبتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الأجداث ونحييها برد النفوس إلى مواد أبدانها بعد جمعها وبتطريتها بالقوى والحواس المدركات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية: 57] فتعلمون أن من قدر

(1) نسب إلى أبي العتاهية. انظر: المنتحل (1/ 15)، والحماسة البصرية (1/ 73).

على ذلك قدر على ما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة منه تحصل لمهجور تمادى به الصد وبرح به الوجدُ فأدرس رسمه بل أبطل كله البعد فيأتيه بشير القرب فيعود عود وصله بعد الذبول طرياً ويصير دارس حاله عقيب السقوط ندياً قال/ قائلهم: 298/ أ

كن كمن ألبس أكفانه		وقرب النعش من الملحد

فجال ماء الروح في جسمه		فرده الوصل إلى المولد(1)

تبارك الله سبحانه		ما كل هم هو السرمد

﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [الآية: 58] أي: المكان الكريم التربة ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الآية: 58] بمشيئته وتيسيره كثيراً سريعاً عزيزاً حسنه ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ﴾ [الآية: 58] كالحرة والسبخة ﴿لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الآية: 58] قليلاً بطيئاً عديماً نفعه.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا زكا أصل [نما الفرع وإن طاب] العنصر فالجزء يحاكي أصله فالأسرة تدل على السريرة فمن صفا ساكن قلبه زكا ظاهر فعله فمن كان بالعكس فحاله الضد ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ [الآية: 58] نرددها وتكررها ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 58] على نعمائه ويتكفرون في الآية ويعتبرون بما في الدنيا من قلة بقائها وسرعة فنائها والآية مثل الأبرار والفجار فمن تدبرها انتفع بها ومن لم يرفع رأسه إليها ولم يتأثر منها وفي ما بيناه إيماء إلى قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: 122] ولما ذكر قصة آدم عليه السلام في أول السورة من الابناء شرع هنا في قصص بقية الأنبياء فقال:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 59] وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن إدريس أول رسول من بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 59] أي: وحدوه وأطيعوه ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الآية: 59] بالرفع على أنه صفة إله باعتبار محله لأن من زائدة وهو اسم ما وقرأ الكسائي بالجر بناءً على لفظه وقرىء بالنصب على الاستثناء ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ [الآية:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 178).

59] إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 59] وهو يوم القيامة أو يوم العقوبة وهو وعيد على مخالفته وبيان للداعي إلى عبادته وموافقته.

وأفاد الأستاذ: أنه بلغ الرسالة فلم ينجع فيهم ما أظهر لهم من الدلالة لأن محروم القسمة لا ينفعه مجهود الحيلة.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ﴾ [الآية: 60] أي: الأشراف الأكابر فإنهم يملون عيون الأصاغر ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الآية: 60] أي: زوال عن الحق ﴿مُّبِينٍ﴾ [الآية: 60] أي: بين الصدق بامتناعك وآبائك عن دين أنبيائك.

298/ب ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي/ ضَلَٰلَةٞ﴾ [الآية: 61] أي: شيء من الضلال الموجب للوبال ﴿وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 61] وثابت على الدين المتين وطريق اليقين.

وأفاد الأستاذ أن نوحاً عليه السلام نسب إلى الضلالة فتولى جوابهم بنفسه في المقالة فقال ﴿يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ﴾ [الآية: 61] ونبينا ﷺ نسب إلى ما نسب إليه من الضلالة فتولى الحق سبحانه الرد عنه فقال ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: 2] فشتان بين من نضح عن نفسه وبين من دفع عنه ربه قلت لعله إشارة إلى أن نوحاً عليه السلام كان سالكاً مريداً ونبينا ﷺ مجذوباً مراداً.

﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ [الآية: 62] لتصلوا إلى مقام قربي ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 62] من صفات لطفه وقهره ونعوت جماله وجلاله وقرأ أبو عمرو وأبلغكم بالتخفيف والمعنى أوصلكم إلى ما أرسلني إليكم وجمع الرسالات باختلاف الأوقات وتنوع الجهات من العقائد والعبادات والمعاملات وأريد لكم الخير بالموعظة في المأمورات والمنهيات.

وقال الأستاذ: أي أعلم أني بالغت في تبليغ الرسالة لكن من لم يسبق له القسمة بالسعادة لا ينفعه نصحي ولا يؤثر فيه قولي فإن من أسقطته القسمة لم تنعشه النصيحة.

﴿أَوَ عَجِبۡتُمۡ﴾ [الآية: 63] الهمزة للإنكار والواو للعطف على محذوف أي:

أكذبتم وعجبتم كذا قاله جماعة.

وقال صاحب «البحر»: هذا مخالف لكلام سيبويه والنحاة فإنهم مصرحون بأن الواو لعطف ما بعدها على ما قبلها من الكلام ولا حذف في المقام وكان الأصل وأعجبتم لكنه اعتناء بهمزة الاستفهام فقدمت على حرف العطف لصدارة الاستفهام وقد رجع الزمخشري إلى الجماعة انتهى وهو أظهر في المعنى وأبعد من التكلف في المبنى ﴿أَن جَآءَكُمْ﴾ [الآية: 63] أي: من أن جاءكم ﴿ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 63] رسالة أو موعظة ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾ [الآية: 63] على لسان رجل من جملتكم أو من جنسكم لا من الملائكة ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الآية: 63] ليخوفكم الذكر أو الرجل أو ربكم عاقبة الكفر والأوزار ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾ [الآية: 63] منهما بسبب الإنذار ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الآية: 63] بالدخول في الجنة مع الأبرار وفي إيراد الترجي إيماءً إلى أنه لا يجب على الله/ شيء من الثواب والعقاب. 300/ أ

وأفاد الأستاذ: أنهم عجبوا من كون شخص رسولاً لله ولم يتعجبوا من كون الصنم شريكاً لله وهذا فرط الجهالة وغاية الغباوة والضلالة.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [الآية: 64] وهم من آمن به وكانوا ثمانين على ما رواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس أربعين رجلاً وأربعين امرأة منهم بنوه سام وحام ويافث ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية: 64] بالطوفان أجمعين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ [الآية: 64] عمي القلوب غير مستبصرين وهو مخفف عميين.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يسعدوا بما عملوه ولم يصلوا إلى ما أملوه.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ [الآية: 65] أي: وأرسلناه إليهم وقوله ﴿هُودًا﴾ [الآية: 65] عطف بيان لأخاهم والمراد به الواحد منه كقولهم يا أخا العرب وإنما جعل منهم لأنه أفهم بمقاله وأعرف بحاله وأرغب بالاقتداء في أفعاله ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية: 65] من عقابه ونكاله في الدنيا وعذابه في العقبى.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية: 66] إذ كان من أشرافهم من آمن به ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ [الآية: 66] أي: متمكناً في خفة عقل وسخافة حيث ادعيت إلهاً واحداً وخالفت دين قومك في جعلهم الإله متعدداً ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [الآية: 66] في دعوتك ودعويك عذاباً سرمداً.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ﴾ [الآية: 67] تحملني على الجهالة والكذب والضلالة ﴿وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الآية: 67] كامل العقل والديانة.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى﴾ [الآية: 68] على طريقة النصيحة ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾ [الآية: 68] مريد للخير والمصلحة ﴿أَمِينٌ﴾ [الآية: 68] مأمون على الرسالة.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ [الآية: 69] وفي إجابة الأنبياء للكفرة عن كلماتهم الفضيحة بما أجابوا وقابلوه بالنصيحة والإعراض عن مقابلة مقالتهم بالخشونة وبيان كمال الحكم والشفقة والرحمة وهضم النفس وحسن المجالة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم سلكوا طريق سلفهم وإخوانهم فوقعوا في وهدتهم وآمنوا بمثل حالتهم فما خسر من آثر على هواه رضا الله ولا ربح من قدم هواه على حق الله ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الآية: 69] أي: في مساكنهم حيث/ أخلفكم أو في الأرض بأن أخذ منهم وأعطاكم ﴿وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً﴾ [الآية: 69] قامة وقوة وكان طويلهم مائة ذراع وقصيرهم ستين خوفهم أولاً من عقاب الله وانتقامه ثم ذكرهم بزيادة إحسانه وأنعامه بقوله ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 69] أي سائر الآية ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 69] تفوزون بمقام الرضا في قضائه والصبر على بلائه والشكر على نعمائه.

299/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل الخلق بعضهم خلفاً عن بعض فلا يغني فوجاً منهم في جنس إلا أقام فوجاً عنهم في ذلك الجنس فأهل الغفلة إذا انقرضوا أخلف عنهم قوماً وأهل الوصلة إذا أدرجوا خلف عنهم قوماً ولا ينبغي للعبد أي: من الأصاغر أن يسمو طرف تأمله إلى محل الأكابر فإن ذلك المقام

مشغول بأهله ما لم تنته نوبة أولئك لا تنتهي النوبة إلى هؤلاء وكما زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخلق زاد قوماً على من تقدمهم في بسطة الخُلُق فكما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود إلى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع إلى المعاني وقوله ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 69] عام والأول خاص فهذا يتضمن ترويح الظواهر والثاني متضمن التلويح في السرائر والتلويح بوجود المبار والتلويح بشهود الأسرار.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ﴾ [الآية: 70] أي: منفرداً عن سائر آلهتنا ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الآية: 70] أي: ونترك عبادة أصنامنا التي كان يعبدها آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة لما كتب عليهم من الشقاوة دون السعادة ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الآية: 70] أي: من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية: 70] في وعيدك للمكذبين.

وأفاد الأستاذ أنهم طاحوا في أودية التفرقة فلم يجدوا قراراً في ساحة الوحدة فشق عليهم الإعراض عن الأغيار أي: ورضوا أن يكونوا تحت حجب الأستار وفي معناه قال قائلهم:

أراك بقية من قوم موسى ... فهم لا يصبرون على طعام[1]

ويقال شخص لا يخرج عن عُش التفرقة لمحة وشخص لا يحيد عن سنن/ التوحيد لحظة فلا يعبد إلا واحداً فكما لا يعبد إلا واحداً لا يشهد إلا واحداً قال قائلهم: 300/ أ

لا يهتدى قلبي إلى غيركم ... لأنه سد عليه الطريق[2]

قلت والله ولي التوفيق.

﴿قَالَ قَدۡ وَقَعَ﴾ [الآية: 71] وجب وحق ﴿عَلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ رِجۡسٞ﴾ [الآية: 71] عذاب ﴿وَغَضَبٌ﴾ [الآية: 71] يترتب عليه عقاب وحجاب والمراد بالغضب في هذا المقام إرادة الانتقام.

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 5)، وأخبار النساء (1/ 43).
(2) نسب إلى العباس. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 343).

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد هوان عبد طرحه في مفازة التفرقة والإنكار وإن من علامة غضبه وإعراضه رد العبد إلى شهود الأغيار وتغريقه إياه في بحار الظنون والأفكار إذ لا تحصيل للأغيار في معنى الإثبات والإقرار ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [الآية: 71] أي: في أشياء ما هي إلا أسماء أحدثتموها وليس في مسمياتها معنى يوجب إلٰهيتها وسميتموها آلهة ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية: 71] أي: ما جعل في عبادتها من حجة وبرهان بل هي من موضوعاتكم ومخترعاتكم لأن المستحق للعبادة بالذات هو المستجمع لكمالات الصفات ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية: 71] أمر الله فينا وفيكم ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الآية: 71] حتى تروا حالنا وحالكم ومآلنا ومآلكم.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ [الآية: 72] أي: في الدين والطاعة ﴿بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 72] منه ﴿مِّنَّا﴾ [الآية: 72] عليهم ونعمة منا إليهم ومنحة منا لديهم.

وأفاد الأستاذ: أن لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا درجة أعلى من درجة الرسالة فأخبر سبحانه أنه نجا هود عليه السلام برحمته وكذلك نجّى الذين آمنوا معه برحمة ليعلم أن النجاة لا تكون باستحقاق العمل في عبادته وإنما يكون بابتداء فضل من الله ورحمة فما نجا من نجا إلا بفضل من الله سبحانه قلت ومن هذا المقام نطق عليه السلام حيث قال لن يدخل أحدكم الجنة بعمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلّا أن يتغمدني الله برحمته[1] وفيه إيماءٌ إلى كبريائه وعظمته واستغنائه عن وجود عبده وعبادته وأنه لا يجب عليه شيء من مثوبته وعقوبته ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 72] أي استأصلناهم وأهلكناهم عن آخرهم ﴿وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 72] تعريض لمن آمن منهم ودخل في الدين وتنبيه/ على أن الفارق بين من نجا ومن هلك هو الإيمان واليقين. 300/ب

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 73] حجة ظاهرة الدلالة على صحة

(1) سبق تخريجه.

نبوتي وصدق دعوتي إضافة تعظيم لكم بالرسالة من عند ربكم ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ﴾ [الآية: 73] نصبها على الحال والعامل فيها معنى الإشارة أي معجزة عظيمة فإنما خرجت من الصخرة يوم عيدهم بمحضر منهم حين اقترحوا تلك المعجزة وعهدوا أن يؤمنوا به بعد ظهور تلك الآية ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية: 73] من عشبها وتشرب من مائها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ [الآية: 73] من ضربها وطردها ﴿فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية: 73] بالنصب على جواب النفي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه غاير بين الرسل من حيث الشرائع وجمع بينهم في التوحيد الذي هو أصل المنابع وأساس المنافع فالشرائع التي هي العبادات مختلفة الحالات والكل مأمورون على وجه واحد بتوحيد الذات ثم أخبر عن إمضاء سنته تعالى بإرسال الرسل عليهم السلام وإمهال أممهم في مآلهم من المقام ريثما ينظرون في معجزات الرسل عليهم السلام ثم أخبر عما أدرجوا عليه من مقابلتهم الرسل الكرام بالتكذيب تسلية للحبيب فيما كان يقاسي من بلاء قومه في البلاد.

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ﴾ [الآية: 74] في مساكنهم ﴿وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 74] أي: أسكنكم في أرض الحجر ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ﴾ [الآية: 74] أي: تنقبون بيوتاً في جبالها وتسكنون وقت الشتاء فيها ﴿فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 74] بشكرها وبالتأمل فيها وفكرها ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [الآية: 74] لا تفسدوا فيها حال كونكم قاصدين الفساد للبلاد والعباد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزاح في بسط الدلالة علتهم ووسع عليهم حالتهم بتمكينهم من السقيا على ما دعت إليه حاجتهم فلا الدليل تأملوه ولا السبيل لازموه ولا النعمة عرفوا قدرها ولا المنة قدموا شكرها فصادفهم من البلاء ما أدرك أشكالهم قال: قرأ ابن عامر.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾ [الآية: 75] تكبروا عن الإيمان واستنكفوا من الإيقان ورضوا بجهلهم وتقليد أهل الطغيان ﴿لِلَّذِينَ/ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ 301/ أ

[الآية: 75] لمن استذلوهم من الرعايا ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 75] بدل كل إن كان ضمير منهم لقومه وبدل بعض إن كان للذين فإن المستضعفين كثيرون وأربعة آلاف منهم مؤمنون ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية: 75] قالوه على الاستهزاء بهم أو بناءً على زعمهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 75] عدلوا عن نعم من الإيجاز في الجواب إلى الأطناب تلذذاً بما يستطاب في الخطاب وتشهيراً بوجه الصواب.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 76] .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجرى سُنَّته أنه لا يخص بأفضاله وجميل صنعه وإقباله في الغالب من عباده في جميع بلاده إلا من يسمو إليه طرفه بالإجلال وأن لا يوضح له قدره بين الأضراب والأشكال فأنصار كل نبي إنما هم ضعفاء وقته ثم أن من لاحظه أهل الغفلة بعين الاحتقار فليس [الأمر] كما تذهب إليه الأوهام ولا كما يعتقد فيه الأنام بل الجواهر مستورة في معادنها وقيمة المحال بساكنها قال قائلهم:

وما ضر نصل السيف أخلاق غمده إذا كان غضباً حيث وجهته برى[1]

قال ﷺ كم من أشعث أغبر ذي طمرين[2] لا يؤبه به لو أقسم على الله لأبره[3].

﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الآية: 77] أسند إلى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أو لأنه كان برضاهم في القضية والمعنى فنحروها ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها ﴿وَقَالُواْ﴾ [الآية: 77] حين قال لهم ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: 72] ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الآية: 77] أي: من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

(1) نسب إلى الإمام الشافعي. انظر: معجم الأدباء (2/ 351)، وخريدة القصر (1/ 118).
(2) الثوب الخلق، انظر: النهاية في غريب الحديث (3/ 306).
(3) أخرجه الحاكم في المستدرك (4/ 364) رقم (7932)، والطبراني في المعجم الأوسط (1/ 264) رقم (861)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 692) رقم (3854).

[الآية: 77] أي: من الصادقين في دعوى الرسالة وإظهار المعجزة.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الآية: 78] أي: الزلزلة من الأرض والصيحة من السماء حتى تقطعت قلوبهم في صدورهم فلا ينافي ما وقع في موضع آخر فأخذتهم الصيحة فبين في كل محال نوعاً من العقوبة ﴿فَأَصْبَحُوا۟﴾ [الآية: 78] لإنكارهم ﴿فِى دَارِهِمْ﴾ [الآية: 78] أي: مسكنهم وأرضهم مع طولهم وأعراضهم ﴿جَٰثِمِينَ﴾ [الآية: 78] خامدين ميتين من غير شعورهم لازمين لمكانهم وقبورهم واقعين على صدورهم.

﴿فَتَوَلَّىٰ﴾ [الآية: 79] أي: أعرض وأدبر ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ﴾ [الآية: 79] في حقهم ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى/ وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الآية: 79] بما أوحى إلي قلبي 301/ ب ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الآية: 79] أي: المريدين للخير بكم.

وأفاد الأستاذ: أن الجِبِلَّة تدعو إلى وفاق الهوى وخلاف الهدى فتستثقل النفس قول الناصحين فتخرج عليهم فكأنها تعدهم الواشين قال قائلهم:

وكم سقت في آثارهم من نصيحة وقد يستفيد البغضة المنتصح[1]

﴿وَلُوطًا﴾ [الآية: 80] أي: وأرسلنا لوطاً ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية: 80] أي: وقت قوله لهم ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ [الآية: 80] استفهام توبيخ وتقريع على تلك الغفلة المتمادية في القباحة ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 80] أي: ما فعلها قبلكم أحد من ذوي العقول والباء للتعدية ومن الأولى زائدة لمزيد الاستغراق في النفي والثانية للتبعيض والجملة استئناف.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الآية: 81] الاستفهام للإنكار وقرأ نافع وحفص بالإخبار وفي جعل الشهوة علة وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه لهم على أن العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا مجرد قضاء الشهوة واقتضاء اللذة مع قطع النظر عن القباحة

(1) نسب إلى العباس بن الفرج الرياشي. انظر: الكامل في اللغة والأدب (1/ 336)، ونسب إلى عمارة بن عقيل. انظر: جمهرة الأمثال (1/ 171)، ونسب إلى الأقرع بن معاذ. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 328).

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الآية: 81] أي: عادتكم المجاوزة عن الحد في القضية وهو إضراب انتقال من حال إلى حال لا إضراب إبطال.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه أباح في الشرع ما أزاح به العذر فمن تخطى حد الأمر وجرى على مقتضى الهوى استقبل هوانه واستوجب إذلاله واستجلب باختياره صغاره.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 82] أي: بعضهم لبعض في حق لوط ومن آمن به ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الآية: 82] يبالغون في الطهارة ويراعون الديانة قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية ويتطهرون من دبر الرجال والنسوة على ما فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم من الأئمة ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ [الآية: 83] ممن آمن به فإنه ما آمن به أحد سوى أهل بيته ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ [الآية: 83] وأهله فإنها ﴿كَانَتْ﴾ [الآية: 83] تسر الكفر من أهله ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [الآية: 83] الباقين في عذاب الكافرين والتذكير لتغليب الذكور.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ [الآية: 84] نوعاً من المطر عجيباً في الوبيل وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل/ ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 84] وقيل: خسف بمقيميهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم. 302/أ

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ [الآية: 85] قبيلة أو المراد بلد مدين أي: وأرسلنا إليهم ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الآية: 85] وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه في الأشياء ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 85] يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن إنها ما هي ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ﴾ [الآية: 85] أي: آلته على اضمار أو أراد بالكيل الذي هو المصدر ما يكال به لقوله ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الآية: 85] ولما في سورة هود وقرأ المكيال والميزان ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ [الآية: 85] لا تنقصوهم في غيرها أيضاً حقوقهم وإنما قال أشياءهم ليعلم القليل والكثير تنبيهاً على أنهم كانوا يبخسون بالجليل والحقير.

وأفاد الأستاذ: أن قوم شعيب خسّت مرتبة همتهم فقنعوا بالتطفيف في المكيال والميزان عند معاملتهم ثم أن الحق سبحانه لم يسألهم في ذلك المقدار ليعلم أن الأقدار ليست من حيث الإخطار ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 85] بالكفر والمكر والمكس والجور ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ﴾ [الآية: 85] أي: إصلاح أمرها وأهلها ببعث الأنبياء واتباع شرائعهم في جميع الأشياء ﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ [الآية: 85] أي: العمل بما أمرتم ونهيتم ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [الآية: 85] في الدنيا والعقبى ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [الآية: 85] أي: مصدقين بما أقول لكم من أمر اليقين.

﴿وَلَا تَقۡعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٖ تُوعِدُونَ﴾ [الآية: 86] أي: في كل طريق من طرق الدين كالشياطين المانعين أو كانوا يجلسون على ممر المسافرين ويحذرونهم بأن شعيباً من الكذابين ويوعدونهم بالقتل وغيره لمن تبعه من المؤمنين وهذا منقول عن ابن عباس وغيره من أكابر المفسرين أو كانوا يقطعون الطريق على المارين أو كانوا مكاسين كما قاله السدي وبعض العلماء المعتبرين ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 86] أي: تمنعون عن إتباعه أو إظهار دينه ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ [الآية: 86] أي: بالله أو برسوله ﴿وَتَبۡغُونَهَا﴾ [الآية: 86] تطلبون لسبيل الله ﴿عِوَجٗاۚ﴾ [الآية: 86] بإلقاء الشبهة أو وصفها للناس بأنها معوجة.

وأفاد الأستاذ: إن شر المعاصي ما لا يكون لازماً لصاحبه وكان متعدياً عنه إلى غيره ثم بقدر الأثر في التعدي يحصل الضرر للمبتدىء ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا﴾ [الآية: 86] في العدد ﴿فَكَثَّرَكُمۡۖ﴾ [الآية: 86] بالمدد/ والمدد في النسل والمال وسعة الحال وفراغ البال ﴿وَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الآية: 86] من الأمم قبلكم في المال فاعتبروا بهم واختاروا حسن المقال وجميل الفعال. 30/ب

وقال الأستاذ: منّ عليكم بتكثير الأعداد لأن التناصر والتعاون يمشي الأمور ويحصل المراد ويقال كمال كل أمر في الخير والشر بالأعوان والأنصار فلا نعمة فوق اتفاق الأنصار في الخير ولا محنة فوق اتفاق الأعوان في الشر.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ [الآية: 87] أي: بترك متابعته ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾ [الآية: 87] فتربصوا وانتظروا ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ [الآية: 87] ينصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمصدقين ووعيد للمكذبين ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [الآية: 87] إذ هو أعلم العالمين وأعدل العادلين.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 88] أي: المكذبين ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ [الآية: 88] أي: لتصيرن أو لترجعن بناء على التغليب فإن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر لا في الابتداء ولا في الانتهاء ﴿قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ [الآية: 88] أي: نعود في ملّتكم وإن كنا كارهين والهمزة للإنكار أو التعجب أي: كيف نعود فيها ونحن كارهون لها.

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ [الآية: 89].

وقال الأستاذ: كما أن أهل الخير لا يميلون إلا إلى أشكالهم فأهل الشر لا يرضون لمن رأوا إلا بأن يساعدهم على ما هم عليه من أحوالهم والأوحد في بابه من باين نهج أضرابه ﴿وَمَا يَكُونُ﴾ [الآية: 89] أي: يصح ﴿لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الآية: 89] خذلاننا وارتدادنا فإنه مقلب القلوب وعلام الغيوب وإذا أراد الله بعبد سوءاً فلا مرد له والمعنى لا يمكن ولا يكون الارتداد ونحن على هذا الطبع من الوداد نعم لو أراد الله لنا البعاد عن مقام الإسعاد فهو قادر على أن لا يغير طبائعنا وقلوبنا ويصرفنا عن سبيل السداد ولكن الله رؤوف بالعباد ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الآية: 89] فسبحان من أقام العباد فيما أراد ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية: 89] فيما قضى علينا من المراد ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ﴾ [الآية: 89] أحكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 89] أي: بإظهاره ونجاة أربابه وبيان الباطل وإهلاك أصحابه أو المراد بالحق ما يستحق/ كل من الخلق ﴿وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الآية: 89] أي: الحاكمين من الفتاحة وهي الحكومة أو فتح باب العدالة وإظهار القضية المغلقة.

303/ أ

وأفاد الأستاذ: أنهم نطقوا عن صحة عزائمهم حيث قالوا ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم﴾ [الآية: 89] ثم أقروا بالشكر لله حيث قالوا ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ [الآية: 89] ثم تبرؤوا عن حولهم وقوتهم حيث قالوا ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ [الآية: 89] أي بأن يلبسنا لباس الخذلان ويردنا إلى مقام الهوان ثم استناموا إلى جميل التوكل فقالوا ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية: 89] أي: به وثقنا ومنه الخير أملنا ثم فوضوا أمرهم إلى الله فقالوا ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 89] فتداركهم الحق سبحانه عند ذلك بجميل الصنعة وحسن الكفاية.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾ [الآية: 90] وهم حالفون ﴿لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 90] لاستبدالكم دينه الباطل بدين آبائكم الحق على زعمهم وهم جاهلون وعن معرفة الحق غافلون.

وقال الأستاذ: تواصوا فيما بينهم بتكذيب نبيهم وأشار بعضهم على بعض باستشعار وقوع الفتنة بمتابعة مرشدهم وكانوا مخطئين في حكمهم مبطلين في ظنهم فعلم أن كل نصيحة لا يجب قبولها وكل إشارة لا يحسن اتباعها.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ [الآية: 91] الزلزلة وفي سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مبادىء العقوبة وكان في أثنائها سحابة فيها شرر من النار ولهيبها وهو قوله تعالى في الشعراء: ﴿عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ [الشعراء: 189] ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الآية: 91] زهقت أرواحهم وخمدت أشباحهم وهو وعيد لأمثالهم وأشباههم.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ [الآية: 92] أي: كأن لم يقيموا بها حيث استوصلوا منها شبه الله تعالى حال هؤلاء المكذبين في مآلهم بحال من لم يكونوا قط في ديارهم ومنازلهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 92] ديناً ودنيا إلا الذين صدقوا واتبعوه كما قالوه زعماً وظناً فإنهم هم الرابحون في الأولى والأخرى.

وقال الأستاذ: وكانت لهم غلبة في وقتهم ولكن لما اندرست أيامهم سقط صيتهم وحمل ذكرهم وتفتح سحاب من توهم شيئاً منهم ثم قال الحق غالب/ في كل أمر والباطل زاهق في كل وصف وإذا كانت العزة نعت من هو أزلي الوجود والجلال حق من هو الملك المعبود فأي أثر للقطرة مع القدرة وأي: خطر للعلل مع الأزل. 303/ ب

ولقد أنشدوا في قريب من هذا:

استقبلنا وسيفه مسلول وقال لي واحدنا معذول[1]

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 93] أي: أعرض عنهم لما أيس منهم ﴿وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الآية: 93] من صميم قلبي قاله تأسفاً بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه في توجهه إليهم بقوله: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ﴾ [الآية: 93] أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 93] ليسوا بأهل حزن في الدين إذا كانوا للعذاب مستحقين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أنه عليه السلام راعى حد الأمر فإذا خرج عن عهدة التكليف في التبليغ فما عليه من إقرارهم وإنكارهم وتوحيدهم وجحودهم شيء إن أحسنوا فالميراث الجميل راجع إليهم وإن أساؤوا فالضرر بالتألم عائد عليهم ومالك الأغيار أولى بها من الأغيار فالخلق خلقه والملك ملكه إن شاء هداهم وإن شاء أغواهم فلا تأسف على نفي وفقد ولا أثر من كون ووجود.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾ [الآية: 94] فكذبه أهلها ﴿إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا﴾ [الآية: 94] المكذبين بالأنبياء ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [الآية: 94] بالشدة والحاجة والوباء والغلاء وأنواع البلاء ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ [الآية: 94] كي يتضرعون ويتذللوا ويرجعوا إلى أمر رب السماء وقبول متابعة الأنبياء قال بعض الأصفياء من الأولياء دعاك إلى ما به من الشفقة والرحمة والعطايا والمزايا فلم تجبه ولم ترجع إليه فصب عليك أنواع البلايا والرزايا لترجع كرهاً إذا أبيت الرجوع إليه طوعاً فلم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 241) و(2/ 402) و(5/ 16).

تجبه ولم تتوكل عليه.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ﴾ [الآية: 95] أي: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة أنواعاً من الرخاء والمنحة ابتلاء بالأمرين واستدراجاً في الحالين ﴿حَتَّىٰ عَفَواْ﴾ [الآية: 95] أي: كثروا نفراً ومالاً وتوهموا أنهم نالوا منالاً وحصلوا كمالاً ﴿وَّقَالُواْ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الآية: 95] فأصابنا مثل ما أصابهم من البلاء والعناء كفراناً لنعمة الله وشكره ونسياناً لحمده وذكره واعتقاداً بأن هذا من عادة دوران الفلك/ ودهره ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الآية: 95] فجأة وهي حال النقمة أشد فظاعة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية: 95] بنزول العقوبة. 304/ أ

وأفاد الأستاذ: أن رب العباد والبلاد حركهم بالبلاء الأدون تحذيراً من البلاء الأصعب فإنما تمادوا في غيهم ولم ينتبهوا من غفلتهم مد عليهم ظلال الاستدراج وصبّ عليهم أسباب الترفية بمنع الاحتياج مكراً بهم في الحال واستدراجاً لهم في المآل فإذا وطنوا على مساعدة الدنيا قلوبهم وركنوا إلى ما سولت لهم من امتداد أيامهم مع كثرة آثامهم أبرز لهم من مكامن التقدير ما نغّص عليهم طيب الحياة واندق بغتة عنق السرور وشرقوا بما كان يتحسون من كاسات الأماني فتبدل ضياء نهارهم بظلمة الوحشة وتكدر ما في شرابهم بيد النوائب كما سبق به القسمة.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية: 96] أي: تلك القرى التي أرسلناها إليهم رسلاً ﴿ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ﴾ [الآية: 96] بدل ما كفروا وعصوا ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 96] بإنزال المطر وإخراج النبات أو وسعنا عليهم الخيرات ويسرناها لهم من جميع الجهات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد للتكرير والتكثير ﴿وَلَٰكِن كَذَّبُواْ﴾ [الآية: 96] رسلنا ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 96] من مخالفة أمرنا.

وقال الأستاذ: ولو آمنوا بالله واتقوا الشرك بما سواه لفتحنا عليهم أسباب العطاء فإن سبق بخلافه القضاء فأبواب الرضا والرضاء أتم من العطاء ويقال ليس العبرة بالنعمة بل العبرة بالبركة في النعمة ولذا لم يقل لضعفنا لهم

النعم ولكن قال باركنا لهم في ما خولناهم قلت وفي الحديث اللّهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه[1].

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية: 97] أي: أبعد ذلك آمنوا ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا﴾ [الآية: 97] عذابنا ﴿بَيَٰتًا﴾ [الآية: 97] أي: تبييتاً أو مبيتاً أو مبيتين أو وقت بيات ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [الآية: 97] حال كونهم غافلين.

﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية: 98] قرأ نافع وابن كثير وابن عامر أو بالسكون على الترديد للتنويع ﴿أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى﴾ [الآية: 98] ضحوة النهار ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الآية: 98] يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما ليس فيه المنفعة.

وأفاد الأستاذ: إن أكثر ما ينزل البلاء ينزل فجأة على غفلة من أهله ويقال ومن حذر البيات لم يجد روح الرقاد ويقال: رب ليلة مفتتحة بالفرح/ مختتمة بالترح ويقال: رب يوم تطلع شمسه من أوج السعادة قامت ظهيريته على قيام الفتنة.

304/ب

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 99] وهو استدراج العبد بنعمة أخذه من حيث لا يشعر به ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 99] خسروا بالكفر ولم يعتبروا بالأمر.

وأفاد الأستاذ: إن من عرف علو قدره خشي خفي مكره ومن أمن خفي مكره نسي عظيم قدره.

ومن «**نفائس العرائس**» بكل قوم مكر فمكره بالعموم ممزوج بالقهر وهوان يعطيهم أسباب العبودية ولم يوفقهم بها ويعطيهم النعمة ولا يعطيهم لسان الشكر عليها ولا يعرفهم حقائق استدراجه بسلب النعمة عنهم وإخلائهم بلا نعمة ولا شكر منهم ومكره بالخصوص أن يلذذ ما وجدوا منه في قلوبهم ويحجبهم بتلك الحلاوة عن إدراك فوق مقاماتهم من مكاشفة الغيوب في

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (3/ 443) رقم (15816)، والبيهقي في الآداب (3/ 59) رقم (769)، والطبراني في الدعاء (1/ 276) رقم (882).

القلوب ومكره بالمحبين والعاشقين ظهور الصفات في الآيات وهو مقام الالتباس ومكره بالعارفين والموحدين أن يريهم نفسه على قدر قوة المعرفة والتوحيد ولا يعرفهم مكان المكر هناك بأن يعلموا أن ما وجدوا منه عندما لم يجدوا منه كقطرة في بحاره ذلك من حلاوة مباشرة أنوار القدم والبقاء في أسرار أرواحهم وقلوبهم وعقولهم ولو اطلعوا على حقائق مكره حيث حجبهم به عنه لذابوا من الحياء تحت أنوار سلطان كبريائه وعظمته ومكره بأهل الإلحاد أن يريهم جلاله وجماله في مرآة قلوبهم فيرونه بحسن الأزل وجمال الأبد بنعت فنائهم فيه فيبقيهم من حد الفناء فيرون أنفسهم كأنهم هو من حدة مباشرة الصفة بالعقل فيحتجب عنهم ويبقيهم في حلاوة تأثير أنوار الصفات فيرون أنفسهم في محل الربوبية فيدعون هناك بالأنانية كحسين بن منصور وأبي يزيد قدس الله روحهما فهناك أخفى المكر وألطف الاستدراج ولولا فضله وكرامته عليهم لأبقاهم فيما هم فيه ولكن بلطفه الخفي وإنعامه الجلي أخرجهم من ذلك وأغرقهم في بحار عظمته حتى أقروا بأنهم ليسوا على شيء منه وأنهم في أول درجته من عبوديته ألا ترى قول أبي يزيد في آخر عمره حيث قال ما ذكرتك إلا عن غفلة ولا عبدتك إلا عن/ فترة وإلى قول حسين بن منصور في وقت قتله 305/ أ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وهذا لطف الله بنبينا ﷺ حيث حرسه في هذا المكر الخفي في مقام رؤية الأعلى وشهود قاب قوسين أو أدنى بقوله لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1] ذوقه طعم الربوبية وأوقفه في مقام العبودية حتى افتخر بعبوديته بعد وحدان ربوبيته بقوله أنا العبد لا إله إلا الله وكل صنيع منه لطيف بأوليائه إن مكر بهم وإن لم يمكر بهم ومن نجا من مكره وكل في قبضة العزة متحيرون وكيف يأمن منه من يعرفه بالربوبية ويعرف نفسه بالعبودية حكي أن رجلاً سأل الشبلي عن معنى مكر الله فأنشأ الشبلي يقول:

أحبك لا ببعضي بل بكلي ... وإن لم يبق حبك لي حراكا

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (486/ 222)، وأبو داود في السنن (1/ 327) رقم (879)، وابن حبان في الصحيح (5/ 258) رقم (1932)، وأبو يعلى في المسند (1/ 237) رقم (275).

ويقبح من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا[1]

فقال السائل: أسأله عن آية من كتاب الله ويجيبني ببيت شعر فعلم الشبلي أنه لم يفتطن لما قال فقال: يا هذا مكره بهم تركه إياهم على ما هم فيه.

قال الحسين: لا يأمن من المكر إلا من هو غريق في المكر فلا يرى المكر به مكراً وأما أهل اليقظة فإنهم يخافون المكر في جميع الأحوال إذ السوابق جارية والعواقب خفية وقال أيضاً من لا يرى الكل تلبيساً كان المكر منه قريباً.

قال أبو الخير الديلمي: كنت يوماً عند الجنيد فارتعدت فرائصه وتغير لونه وبكى وقال: ما أخوفني أن يأخذني الله قال له بعض أصحابنا تتكلم في درجات الراضين وأحوال المشتاقين قال: يا بني إياك أن تأمن مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

قال سهيل: المكر تدبير الله بسابق العلم فلا ينبغي لأحد أن يأمن مكر الله يدفع القدرة فلا يجوز أن يخرج نفسه من قدرة الله عليه.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ [الآية: 100] أي: ألم يبين ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾ [الآية: 100] أي: يرثون ديارهم ويعقبون آثارهم ﴿لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم﴾ [الآية: 100] إن الشأن لو نشاء أصبناهم بالبلاء للجزاء ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 100] كما أصبنا من قبلهم بعيوبهم ﴿وَنَطْبَعُ﴾ [الآية: 100] أي: ونحن/ نختم ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 100] ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 100] الموعظة أبداً سماع قبول وتفهم وحصول. 305/ب

وقال الأستاذ: أي أو لم يعلم المغترون بطول سترنا أن لو أردنا لعجلنا عنهم الانتقام وأبلغنا فيهم الاصطلام ثم لا ينفعهم ندم ولا يشكي عنهم ألم.

﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية: 101] أي: قرى الأمم التي مر ذكرها وبيانها ﴿نَقُصُّ

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: دواوين الشعر العربي (30/ 65).

عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾ [الآية: 101] نحكي إليك بعض أخبارها ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية: 101] بالمعجزات الظاهرات والآيات الباهرات ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ [الآية: 101] عند مجيئها ولم يصلحوا للإيمان عند ظهورها ﴿بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُۚ﴾ [الآية: 101] بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب بجميع الأنبياء أو من قبل رؤيتهم تلك المعجزات من الأبناء والمعنى أن كفرهم السابق بسبب كفرهم اللاحق وعن كثير من السلف وهو مختار بعض الخلف أن المراد من قبل يوم أخذ الميثاق أنهم أقروا باللسان وأضمروا التكذيب في الجنان.

وأفاد الأستاذ: أنهم سلكوا طريقاً واحداً في التمرد واجتمعوا في خط واحد في الجحد والتبلد فلا إلى الإيمان جنحوا ولا من العدوان رجعوا وكذلك صفة من سبق بالشقاء قسمته وحق بالعذاب عليهم كلمته ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 101] أي: مثل ذلك الطبع الشديد والختم السديد والحتم الأكيد ﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 101] فلا تلين شكيمتهم بالآيات ولا تدخل فيهم شيء من أثر العنايات.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم﴾ [الآية: 102] أي: لأكثر الأمم السابقة ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الآية: 102] وفاء للعهود السالفة أو بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق أو عهدهم مع أنبيائهم على وفق الوفاق ورفع الشقاق ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ﴾ [الآية: 102] أي: وإن الشأن علمنا جمهورهم ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 102] خارجين عن طاعاتنا.

وأفاد الأستاذ: أن نجماً في العذر طارقهم وأفل من سماء الوقار شارقهم فعدم أكثرهم رعاية العهد وحق من الحق لهم قسمة الرد والصد ويقال شكاً من أكثرهم إلى أقلهم فالأكثرون من ردتهم القسمة والأولون من قبلتهم الوصلة.

وقال صاحب «العرائس»: كأنّ هذه الآية نزلت في شأننا مع هؤلاء البطالين الذين سلكوا الطريقة واحتظوا بها وجدوا فيها من الجاه/ والمال 306/أ والسعة ونقضوا عهد الإرادة واشتغلوا بالرياسة وخانوا في الشريعة وأنكروا

على المشايخ من أهل الحقيقة أعمى الله قلوبهم ما أشد إنكارهم على الحق وما أشد خروجهم عن طريق الصدق جمعهم الله في الاستدراج وطردهم عن أنوار المنهاج كأنه تعالى عاتب الجمهور حيث لم يفوا عهد الأزل حيث وقف الكل على ما وجدوا وهكذا شأن من لم يلتفت في شاهدة المحبوب إلى غير المحبوب ولكنهم معذورون لأن الحدثان لا يستقلّ أثقال محامل الكبرياء ومطايا القدم والبقاء في أودية الفناء.

قال الجنيد: أحسن العباد حالاً من وقف مع الله على حفظ الحدود والوفاء بالعهود قال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 102] أي: متجاوزين عن الحد وخارجين عن العهد.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ [الآية: 103] أي: بعد الرسل أو أممهم ﴿مُّوسَىٰ﴾ [الآية: 103] بآياتنا أي: المعجزات ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الآية: 103] أي: قومه ممن هم على دينه أو خص الأشراف لأنهم مدار رأيه وحضار مجلسه ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾ [الآية: 103] بأن كفروا بها مكان الإيمان الذي هو حقها لوضوحها ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 103] لتعتبر بما لهم في سوء أفعالهم وقبح حالهم.

وقال الأستاذ: لما انقرضت أيامهم وتقاصر عن بساط الإجابة إقدامهم بعث الله إليهم موسى عليه السلام نبيهم وضم إليه هارون عليه السلام صفيّه فقوبلا بالجحود والتكذيب فسلك بهم مسلك إخوانهم في التبعيد والتعذيب.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 104] قيل: لم يقل إليك لأنه لم يرسل الحبيب إلى العدو فهو في الحقيقة رسول إلى المؤمنين ليكون موعظة للعابدين وحجة على المعاندين كما أن القرآن هدى للمتقين وخسارة للظالمين كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين وقد يقال إن رب العالمين أرسل أفضل المحبين إلى أمكر الظالمين تخليصاً للضعفاء والمساكين.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 105] صفة رسول أو خبر بعد خبر وعليّ بمعنى الباء نحو قولهم جبلت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبيّ

بالباء وفي قراءة نافع عليّ بتشديد/ الياء فقوله أن لا أقول فاعل حقيق. 306/ ب

قال ابن عطاء: من تحقق بالحق فلا يقول على الحق إلا ما يليق بالحق.

وأفاد الأستاذ: أن الرجوع إلى دعاء فرعون إلى الله بعد سماع كلام الله بلا واسطة صعب شديد ولكنه لما ورد الأمر قابله بحسن القبول فلما ترك اختيار نفسه أمده الحق سبحانه بنور التأييد حتى شاهد فرعون محواً في التقدير فقال ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 105] فإذا لم يصح أن يقول على الحق إلا الحق والخلق محو فيما هو الموجود الأزلي فأي سلطان لآثار التفرقة في حقائق الجمع ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 105] أي: العصا أو اليد البيضاء ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 105] أي: فخلهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة التي هي موطن الأنبياء ومسكن الأصفياء وكان فرعون قد استعبدهم وأقامهم في مقام الإهانة واستخدمهم في الأعمال الشاقة وأحوال المهانة.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية: 106] أي: من عند رب العالمين ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ [الآية: 106] أي: فأحضرها ليثبت صدقك بها ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية: 106] في دعوتك النبوة والرسالة بإرسال هؤلاء الجماعة.

وأفاد الأستاذ: أن من المعلوم أن مجرد الدعوى لا حجة فيه ولكن إذا ظهر البرهان لم يبق غير الانقياد لما هو الحق الثابت كالعيان فمن استسلم سلم ومن جحد الحقائق بعد لوح البيان سقط سقوطاً لا ينتعش في مكان ولا زمان.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾ [الآية: 107] أي: بأمر الله ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ﴾ [الآية: 107] أي: حية عظيمة ﴿مُّبِينٌ﴾ [الآية: 107] ظاهر الهيئة روي أنه لما ألقاها صارت ثعباناً فاتحاً فمه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل على الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه فأحدث فزعاً عنه وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً وصاح فرعون يا موسى أنشدك بالذي أرسلك خذه وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه فعاد عصاه على سيرتها الأولى.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه إنما أظهر المعجزة من عصاه لطول مقارنته إياها فإن الإنسان إلى ما ألفه أسكن بقلبه فلما رأى ما ظهر في العصا من الانقلاب أخذ موسى عليه السلام في الفرار/لتحققه بأن ذلك من قهر الحقائق وفي هذا إشارة إلى أن السكون إلى الشيء غرة وغفلة أي شيء كان فإن تقلب العبد في قبضة القدرة وهو في أسر التقليب فليس الطمع في السكون مساغ بحال. 307/أ

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ [الآية: 108] أخرجها أي: من جيبه أو من تحت إبطه ﴿فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [الآية: 108] أي: بيضاء بياضاً خارجاً عن العادة يجتمع عليها النظارة والمعنى أنها بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس ثم أعادها إلى كمه فعادت إلى لونها الأول على ما قاله مجاهد وغيره فلا ينافي ما روي أنه كان آدم شديد الأدمة.

وأفاد الأستاذ: أن العصا وإن كانت معه في زمان قيده أخص به لأنه عضو له فكاشفه أولاً برسم من رسم ثم أشهده من ذاته في ذاته ما عرف أنه أولى به منه فلما رأى انقلاب وصف في يده علم أنه ليس بيده شيء من أمره.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 109] في صنعته قيل: قال هو وأشراف قومه على سبيل التشاور في أمره فحكي عنهم هنا وعنه في الشعراء وقال الملأ بطريق التبليغ من لسان فرعون إلى قومه وهم القبط.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم﴾ [الآية: 110] يا معشر القبط ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الآية: 110] أي: مضر ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الآية: 110] أي: تشيرون في أمره بأن نفعل به أو أي أمر تأمرون به وعلى كل تقدير يشم من هذا الكلام رائحة الدهشة والحيرة في مقام المرام.

وقال الأستاذ: إذا أراد الله هوان عبد لا يزيد للحق حجة إلا ويزيد لذلك المبطل فيه شبهة فكلما ازداد موسى عليه السلام في إظهار المعجزات ازدادوا حيرة في روم التأويلات.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الآية: 111] من الإرجاء وهو التأخير أي: أخر أمره وأمر أخيه أو حبسهما وفيه ست روايات متواترات في السعة كلها معتبرات محل بيانها كتب التراث ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾ [الآية: 111] أي: جمعاً يحشرون إليك من في مدائن صعيد نواحي مصر من السحرة.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ﴾ [الآية: 112] وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي يونس بكل سحار عليم كما هو المجمع عليه في الشعراء كأنه اتفقت عليه آراؤهم الكاسدة فأشار وآية إلى فرعون على وفق عقيدته الفاسدة/ وبالجملة إشارة إلى عجزه بالانتصار إلى غيره المنافي لدعواه بالألوهية. 307/ ب

وقال الأستاذ: توهم الناس أنهم بالتأخير وتقديم التدبير وبذل الجهد والتشمير يغيرون شيئاً من التقدير ولم يعلموا أن القضاء غالب والحكم سابق وعند حلول الحكم فلا سلطان للحكم والفهم كلا بل هو الله الواحد القهار.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 113] بعدما أرسل الشرط إليهم في طلبهم غضباً عليهم ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَـٰلِبِينَ﴾ [الآية: 113] أي: على موسى ومن كمال عقلهم ما جزموا بالغلبة في فعلهم وقرأ نافع وابن كثير وخص بلفظ الإخبار وتقدير الاستفهام لحمل المخاطب على الإقرار.

﴿قَالَ﴾ [الآية: 114] فرعون ﴿نَعَمْ﴾ [الآية: 114] إن لكم لأجراً في عطاء المال ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الآية: 114] بزيادة الجاه في المآل قيل: دعاء فرعون السحرة إلى القرب منهم وجرى لهم في الأزل مقام القرب من الحق.

وقال الأستاذ: ظنوا أنهم يغلبون بما يسحرون ولم يعلموا أن تأثير القدرة فيهم أبلغ من تأثير سحرهم وأنه لا يرد عنهم ما زوروه في أنفسهم من فنون حيلهم ومكرهم فكادوا وكيد لهم فهو كما قيل:

ورمتني بأسهم صائبات   فتعمدته بسهم فطاشا[1]

فبيناهم في توهم الغلبة لهم فتح عليهم من مكامن القدرة جيش فوجدوا

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 417).

أنفسهم في فخّ القدرة مقهورة بسيف المشيئة.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ﴾ [الآية: 115] أي: ما بيدك من العصا ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾ [الآية: 115] ما بأيدينا من الحبال والعصي خيروا موسى مراعاة للأدب والمروءة أو إظهاراً الجلادة.

﴿قَالَ أَلۡقُواْۖ﴾ [الآية: 116] قاله كرماً وتسامحاً لهم أو ازدراءً بهم ووثوقاً على الله في شأنهم فليس أمرهم بالإلقاء قبله من قبيل الإباحة للسحر ولا من باب الرضا بالكفر بل لتوقف ظهور الحق في الأمر ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 116] أي: بأن خيّلوا إليها ما لا حقيقة لها أو ما الحقيقة بخلافها ﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ [الآية: 116] أي: أرهبوهم إرهاباً شديداً كأنهم طلبوا رهبتهم ﴿وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الآية: 116] في فنّه الذميم روي أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً كأنها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعض من كثرتها قيل: خمسة عشر ألف ساحر وقيل أكثر ومع/ كلٍّ عصي وحبال غلاظ طوال قال السدي: كانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ونقل ابن جرير أنهم سبعون ألف ساحر. 308/أ

﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ﴾ [الآية: 117] فألقاها أي: فصارت حية ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ﴾ [الآية: 117] وقرأ حفص بتحقيق القاف أي: تبتلع ﴿مَا يَأۡفِكُونَ﴾ [الآية: 117] أي: ما يزورونه من الإفك وهو صرف الشيء وقلبه عن وجهه روي أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها بأسرها أقبلت على الحاضرين وحملت على الكافرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم من خوف ذلك المقام أو من كثرة الزحام ثم أخذها موسى فعادت كهيئتها الأولى فقالت السحرة لو كان هذا سحر لبقيت حبالنا وعصينا جهراً.

﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية: 118] ثبت ظهوره وتبين نوره ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الآية: 118] أي: السحر وزوره.

قال بعض العارفين: أظهر الحق تعالى لطيفة من صنعه في خشية عجز السحرة عنها وجعل سبب نجاتهم فيها فقال ﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية: 118] أي: بإظهار القدرة في جماد وبطل ما كانوا يعملون من الأباطيل في عناد.

﴿فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾ [الآية: 119] صاروا أذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه الحاضرين.

﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ﴾ [الآية: 120] ولله بالوحدانية عابدين وجعلهم ملقين على وجوههم إيماءً إلى أن الحق غلبهم وإلى السجود جذبهم من غير تمالك لهم.

قال الواسطي: أدركتهم سابقة ما قضي لهم في الأزل من السعادة فأظهر منهم سجود العبادة.

وقال جعفر الصادق: وجدوا نسيم رياح العناية القديمة بهم فالتجأوا إلى السجود شكراً لما أنعم عليهم.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 121] لا رب القبط على زعم فرعون.

﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الآية: 122] أبدل لدفع وهم أنهم أرادوا به فرعون.

وقال الأستاذ: موهوا بسحرهم أنهم غلبوا فأدخل الله سبحانه [على] تمويهاتهم قهر الحق فطاحت تلك الحيل وخاب منهم الرجاء والأمل وجذب الحق سبحانه أسرارهم على الوهلة فأصبحوا في صدار العداوة وكانوا في التحقيق من أهل المودة فسبحان من يبرز العدو في نعت الولي ثم يقلب الكتاب ويظهر الولي في صورة العدو ثم يأبى الحال إلا حصول المقضى في الباب.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 123] / بالله أو بموسى أو بكل منهما 308/ب والاستفهام فيه للإنكار وقرأ حفص بلفظ الإخبار وبيان تحقيق الهمزة وتسهيلها محله كتب القراءة ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الآية: 123] في الإيمان به ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ﴾ [الآية: 123] أي: إن هذه الصنع لحيلة صنعتموها أنتم وموسى ﴿فِي ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية: 123] مدينة مصر قبل أن تبرزوا للميعاد ﴿لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ [الآية: 123] من القبط بالإفساد فتبقى البلد لكم ولبني إسرائيل معكم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 123] عاقبة فعلكم وهو تهديد بحمل تفصيله قوله.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [الآية: 124] أي: من كل شق طرفاً ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الآية: 124] أجمعين تفضيحاً لكم وتنكيلاً لأمثالكم.

قال سمنون: يحمل الهيكل من البلايا على المشاهدة ما لا يحمل في حال الغيبة ألا ترى كيف لم يبال سحرة فرعون بما هددهم به من غير عون.

وقال الأستاذ: خاطبهم فرعون معتقداً أنهم هم الذين كانوا ولم يعلم أن تلك الأسرار قد حررت عن رق الأشكال وأن قلوبهم طهرت عن توهم التفرقة وأن شمس العرفان طلعت في أسماء أسرارهم فأشهدوا الحق بنظر صحيح لم يبق لتخويفات النفس فيهم سلطان ولا لشيء من العلل فيهم مساغ.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الآية: 125] أي: لا محالة بالموت إليه راجعون فلا نبالي بوعيدك ولا نهتم بتهديدك أو إلى حكم ربنا لا إلى حكمك منصرفون فإن الأمر كله لله ولا قوة ولا قدرة لمن سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان مصيرهم إلى الله سهل عليهم ما لقوا في مسيرهم إلى الله.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ﴾ [الآية: 126] أي: ما تنسب عيباً إلينا ولا تنكر بشيء علينا ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا﴾ [الآية: 126] وهو أفضل المواهب وأكمل المناقب فلا يتأتى العدول عنه لنا طلباً للدنيا فالاستثناء من قبيل المدح بما يشبه الذم كما قيل:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[1]

ثم فزعوا إلى الله وأعرضوا عما سواه ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [الآية: 126] أفض علينا صبراً يغمرنا ويعمرنا إلى آخر عمرنا ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الآية: 126] ثابتين على الدين واليقين قال ابن عباس وغيره كانوا أول النهار أعداء سحرة وفي آخره شهداء بررة وقيل: لم يقدر عليهم لقوله تعالى: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [القصص: 35].

(1) سبق التعليق عليه.

وأفاد الأستاذ: أنهم لما عملوا لله وأوذوا في الله صدقوا القصد إلى الله فطلبوا المعونة من قبل الله كذا سنة من كان كله لله أن يكون كله على الله.

﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 127] أي: لفرعون ﴿أَتَذَرُ/ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ﴾ 309/ أ [الآية: 127] أي: بني إسرائيل ﴿لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 127] بتغيير الناس عليك وتغيرهم عنك ودعوتهم إلى مخالفتك ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الآية: 127] أي: وليترك عبادتك وأصنامك التي أمرت الناس بعبادتهما نيابة عنك وتقرباً إليك ولذا قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: 24] وقيل: كان يعبد الكواكب وقيل: كان لفرعون بقرة يعبدها ويأمر أن يعبدوا بقرة حسناء نقله ابن عباس وقيل: علق على عنقه صليباً يعبده قاله الحسن البصري: ﴿قَالَ﴾ [الآية: 127] أي: فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الآية: 127] قرأ الحرميان بالتحقيق ﴿وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [الآية: 127] نستبقي بناتهم إبقاءً للنسل وإبداء للخدمة والمعنى أنا نفعل ما كنا نعمل من قبل حين حكمت الكهنة بوجود مولود لهم على يده ذهاب ملكنا ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة لنا ولا يتوهم أحد أنه المولود الذي حكم المنجمون بأنه السبب لذهاب تصرفنا ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الآية: 127] غالبون وهم تحت أيدينا مقهورون.

وقال الأستاذ: لما استزادوا من فرعون في التمكن من موسى عليه السلام وقومه استنكف أن يقر بعجزه ويعترف بقصور قدرته فتوعد موسى وقومه بما عكس الله عليه تدبيره وغلب عليه تقديره.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ [الآية: 128] حين شكوا إليه من تهديد فرعون وأمره ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [الآية: 128] على حكمه ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ﴾ [الآية: 128] ملكاً وملكاً ﴿يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية: 128] فلربما يأخذ منه ويعطيكم بسهولة كالميراث بأن يهلكهم ويخلفكم ففيه تسلية لهم في تلك الحالة وتقريراً للأمر بالاستعانة ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 128] أي: عاقبة الأمر بالظفر والنصر للمتقين الله ولمن لا يلتفت إلى ما سواه فثقوا به ولا تبالوا بغيره وقال بعضهم معناه الآخرة للمتقين خاصة وأما الدنيا فإنها بالشركة بين المسلمين والكفرة.

وقال الأستاذ: أحالهم على من كان رجوعه إليه فقال لهم إن رجوعي عند تحيري في أموري إلى ربي فليكن رجوعكم إليه وتوكلكم عليه وتعرضوا لنفحات نشره ورشحات يسره فإنه حكم لأهل الصبر بجميل العقبى وحصول النصر.

﴿قَالُوٓاْ﴾ [الآية: 129] أي: بنو إسرائيل ﴿أُوذِينَا﴾ [الآية: 129] بقتل الأبناء ﴿مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا﴾ [الآية: 129] بالرسالة والأبناء ﴿وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ﴾ [الآية: 129] بإعادته على يد الأعداء ﴿قَالَ﴾ [الآية: 129] موسى ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ/ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 129] أي: أرضهم وملكهم وهذا تصريح بما علم ضمناً لما رأى أنهم لم يتسلوا بما كنى ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 129] من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجاريكم على أعمالكم بحسب أحوالكم. 309/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه خفي عليهم شهود الحقيقة وغشي على بصائرهم وجود الطريقة حتى قالوا توالت علينا البلايا ففي حالك بلاء وقبلك شقاء فما الفضل بين الأعداء والأحباء فأجابهم موسى عليه السلام بما علق لهم الرجاء بكشف البلاء فقال ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ [الآية: 129] الآية فربطهم على الانتظام ووفقهم في نظام المقام ومن شهد ببصر الأسرار شهد تصاريف الأقدار.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ [الآية: 130] بالجدوب لقلة الأمطار والنبات والسنة غلت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ منه ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: 130] بكثرة العاهات ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 130] يتعظون فيرق قلوبهم بالبلاء على سبيل الولاء ليتضرعوا إلى المولى بحسن الالتجاء في طريق الولاء قال محمد بن الفضل أول رياضة يروض الإنسان بها نفسه الجوع لأن الله تعالى أخذ الأعداء بذلك فقال ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وآخر رياضة يروض الإنسان بها نفسه التقوى لأن الله فقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾ [البقرة: 41].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شدد عليهم وطأة القدرة بعدما ضاعف لديهم أسباب النعمة فلا الوطأة أصحابهم شدتها ولا النعمة نبهتهم كثرتها لا بل إن مسهم يسره لاحظوه بعين الاستحقاق وإن مسهم عسر حملوه على التطيّر بموسى عليه السلام بمقتضى الاغترار في الشقاق.

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ [الآية: 131] من الخصب والسعة ﴿قَالُواْ لَنَا﴾ [الآية: 131] لأجلنا ﴿هَٰذِهِۦ﴾ [الآية: 131] أي: هذه النعمة ونحن مستحقوها ولم يشكروا منعها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الآية: 131] جلب وبلية ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الآية: 131] يتشاءموا بهم ويقولون ما أصابتنا إلا بشؤمهم.

وأفاد الأستاذ: أن الكفور لا يرى فضل المنعم فيلاحظ الإحسان بعين الاستحقاق ثم إذا اتصل به شيء مما يكرهه تجنى وحمل الأمر على ما يتمنى.

وكذا الملول إذا أراد قطيعة مل الوصال وقال: كان وكانا

﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 131] أي: شرفهم من قبل الله كما قاله ابن عباس والمعنى إن سبب خيرهم وشرهم عنده وهو مشيئته وحكمة وسبب شؤمهم وهو أعمالم القبيحة المكتوبة عنده فإنها التي ساقت إليهم ما يسوؤهم/ 310/أ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 131] أن ما يصيبهم من حكم مولاهم ومن شؤم أعمالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المتفرد بالإيجاد وهو الواحد ولكن بصائرهم مسدودة وعقولهم عن شهود الحقيقة مصدودة وأفهامهم عن إدراك المعاني مردودة.

﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ﴾ [الآية: 132] أصلها ما الشرطية وأكدت بما المزيدة ثم قلبت الما ها استثقالاً لتكرارها ومحلها الرفع على الابتداء أو النصب بفعل يُفسره ما بعده أي: أي شيء تحضرنا به من خرق عادة ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ [الآية: 132] أي: لتسحر بها أعيننا وتتحيل بها علينا ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 132] بمصدقين لك في دعواك بالرسالة إلينا.

وأفاد الأستاذ: أنهم جعلوا الإصرار على الاستكبار شعارهم وهتكوا بألسنتهم في العتو أستارهم.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الآية: 133] أي: ماءً طاف بهم وغشي أماكنهم من مطر أو سيل وفسر الطوفان بالجدري وبالموتان وبالوباء وبالطاعون ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ [الآية: 133] حتى أكلت حروثهم وأفسدت زروعهم ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ [الآية: 133] قيل: هو كبار القردان وقيل: هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقيل: هو القمل بفتح القاف حتى أكلت أبدانهم ومصت دمائهم ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ [الآية: 133] أي: في مياههم ومآكلهم وثيابهم ﴿وَٱلدَّمَ﴾ [الآية: 133] الرعاف الدائم على ما رواه ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم أو جعل النيل ماءً للمحبوبين ودماءً ما للمحجوبين ﴿ءَايَٰتٍ﴾ [الآية: 133] حال كون المذكورات معجزات وعلامات على صدق موسى عليه السلام ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾ [الآية: 133] مبينات لا يشكل على عاقل أنها آيات واضحات أو مفصلات لوقوعهن في حالات لما قيل من أن بين كل آيتين منها شهراً وكان امتداد كل واحدة منها أسبوعاً وقيل: أن موسى عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على اختلاف الأوقات ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ [الآية: 133] عن الإيمان أو تكبروا على أهل اليقين ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الآية: 133] في علم الله المتين أو صاروا مجرمين بامتناع قبول الدين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جنس عليهم العقوبات لما نوعوا فنون المخالفات فلا إلى التفكير عادوا ولا إلى التطهير قصدوا وعقوبتهم بصرف قلوبهم عن شهود الحقائق أبلغ مما اتصل بظواهرهم من فنون البلايا التي هي العلائق والعوائق ونعوذ بالله من السقوط/ عن عين الله. 310/ب

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ﴾ [الآية: 134] أي: العذاب المفصّل ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الآية: 134] متوسلاً أي: بحق عهده عندك وهو النبوة ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ﴾ [الآية: 134] أي: العذاب النازل بنا ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 134].

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ﴾ [الآية: 135] أي: أنزلنا ورفعنا عنهم ذلك العذاب

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ [الآية: 135] إلى حد من الزمان هم واصلوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ [الآية: 135] ينقضون عهدهم ويخلفون وعدهم وهو جواب لما في إيراد إذا إيماءً إلى أنهم قلبا النكث من غير تأمل فيه وتوقف عنه.

وأفاد الأستاذ: أنهم يقولوا ادع لنا ربنا بل ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [الآية: 134] لأنهم ما زادوا بزيادة تلك المحن إلا بعداً وأجنبية ثم أنهم أبرموا العقد ونقضوه وقدموا العهد ورفضوه كما قيل:

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذي الضنى دعا إلى نكسه(1)

﴿فَٱنتَقَمۡنَا﴾ [الآية: 136] أي: فأردنا الانتقام ﴿مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ [الآية: 136] البحر الذي لا يدرك مقره ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 136] حين جاءهم رسولنا ﴿وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الآية: 136] أي: غير ملتفتين إليها قبل إرسالنا.

قال القاسم: من يعتقد أسرار الأولياء في جميع الأوقات لا ينفعهم اللجاء إليه في أزمنة البليات ألا ترى كيف لم يؤثر على أصحاب فرعون اللجأ إلى موسى وطلب العون فقال عز من قائل: فانتقمنا منهم بعدما كشفنا عنهم.

﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ﴾ [الآية: 137] بالاستعباد في تحمل البلاء وذبح الأبناء واستخدام النساء من مستضعفيهم ﴿مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الآية: 137] عن الحسن البصري وقتادة وغيرها أن المراد بمشارق الأرض ومغاربها أرض الشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فيها مثل الورثة ﴿ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا﴾ [الآية: 137] بالخصب والرخاء وسعة العيش بها ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الآية: 137] أي: مضت واستمرت بهم واتصلت إليهم إنجاز وعده سبحانه إياهم بالنصر والظفر وهي كما قاله مجاهد وابن جرير معنى قوله تعالى ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ [القصص: 5] إلى قوله: ﴿مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ [القصص: 6] ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الآية: 137] بسبب صبرهم على الشدائد.

(1) نسب إلى صالح بن عبد القدوس. انظر: الحيوان (1/ 214)، والعقد الفريد (1/ 234).

311/أ وأفاد/ الأستاذ: أن من صبر في الله على مقاساة المذلة وضع الله على رأسه قلنسوة العزة فإن العزيز سبحانه لا يشمت بأوليائه أعداءهم ولا يضيع من جميل عهده جزاءهم ﴿وَدَمَّرْنَا﴾ [الآية: 137] وضربنا ﴿مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ﴾ [الآية: 137] من القصور والعمارات ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الآية: 137] أي: يرفعون الكروم في الجنات وقرأ ابن عامر وأبو بكر بضم الراء هنا وفي النحل.

﴿وَجَاوَزْنَا﴾ [الآية: 138] أي: عبرنا ﴿بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ [الآية: 138] وأغرقنا فرعون وقومه ففيه تسلية لرسول الله ﷺ مما رأى من المخالفين وإيقاظ للمؤمنين حتى لا يغفلون عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم ومحافظة أعمالهم لئلا يقعوا فيما أحدثه بنو إسرائيل من الأمور الشنيعة بعد أن منّ الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام ﴿فَأَتَوْا﴾ [الآية: 138] مروا ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الآية: 138] من العمالقة الذين أمر موسى تبعاً لهم ﴿يَعْكُفُونَ﴾ [الآية: 138] بكسر الكاف لحمزة والكسائي أي: يقيمون ﴿عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ [الآية: 138] أي: عبادتها قيل: كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل ومبدأ الجهل يتصور أن يكون الإله بالعجل ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَنَا إِلَٰهًا﴾ [الآية: 138] مثالاً نعبده بحسب الظاهر ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الآية: 138] يعبدونها على وفق الخاطر وما كافة للكاف ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الآية: 138] أي: ما تعرفون ذاته وصفاته فإن العاقل لا يطلب معبوداً مخلوقاً لا ينفع ولا يضر أبداً وفيه تنبيه أن إيمانهم كان تقليداً أو وقع لهم هذا ارتداداً.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَاءِ﴾ [الآية: 139] القوم الجهلاء ﴿مُتَبَّرٌ﴾ [الآية: 139] مكسر مدمر ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ [الآية: 139] أي: بهدم الله دينهم الذي هم عليه من الابتداء ويحطم أصنامهم في الانتهاء ﴿وَبَاطِلٌ﴾ [الآية: 139] مضمحل من أصله في نظر العقلاء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 139] من عبادتها البتة ليس فيها رؤية ولا شبهة ولو قصدوا بها القربة والوصلة.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يخلص في قلوبهم حقائق التوحيد ولم يصل إلى

صدورهم دقائق التفريد تاقت نفوسهم إلى عبادة غير المولى حتى قالوا لموسى ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾ [الآية: 138] وكذا صفة من لم يتحرر قلبه عن إثبات الأمثال والأعمال ساكن الأمثال والأعمال ويقال إن من اكتفى بالصنم أن يكون معبوده متى يتوهم/ في وصفه أن يخلص لله قصوده. 311/ ب

﴿قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا﴾ [الآية: 140] أطلب لكم معبوداً ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية: 140] والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم.

وقال الأستاذ: ذكرهم انفراده سبحانه بإنشائهم وإبدائهم وأن الإله هو المنفرد بالإيجاد ونبّههم أيضاً على عظيم نعمته عليهم وأنه ليس له حق إنعامه عليهم مقابلتهم إياه بالتولي لغيره والعبادة لمن سواه.

﴿وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم﴾ [الآية: 141] وقرأ الشامي ﴿مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الآية: 141] أي: اذكروا هذا اللطف العظيم له معكم ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾ [الآية: 141] أي: حال كونهم يذيقونكم أو يكلفونكم أو يبغون لكم ﴿سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [الآية: 141] شدته ﴿يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ﴾ [الآية: 141] بالتشديد لغير نافع ﴿وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ﴾ [الآية: 141] بيان لما قبله أو بدل بعض منه مبين له ﴿وَفِي ذَٰلِكُم﴾ [الآية: 141] الإنجاء أو العذاب ﴿بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ﴾ [الآية: 141] محنة جسيمة أو محنة عظيمة.

وقال الأستاذ: ما ازداد موسى عليه السلام في تعديد أنعام [اللَّه] عليهم وتنبيههم على عظيم الآية إلا ازدادوا جحداً على جحد وبعداً بالقلوب على محل العرفان على بعد وهذه إمارة من أبلاه الله سبحانه في سبق السبق بالقطع والرد.

﴿وَوَٰعَدۡنَا﴾ [الآية: 142] بإثبات الألف لغير البصري ﴿مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ﴾ [الآية: 142] للمناجاة وإرسال كتاب من عنده للأمة وهي ذو القعدة على ما قاله ابن عباس ومجاهد ومسروق وابن جريج ﴿وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ﴾ [الآية: 142] من ذي الحجة في أمر الإقامة تعظيماً للحجة ﴿فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ﴾ [الآية: 142] أي أكمل وقت وعده بالغاً ﴿أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ﴾ [الآية: 142] أو فصار أربعين.

وأفاد الأستاذ: أن عدة الأحباب عزيزة فإذا حصلت المواعدة من

الأحباب فهي عذبة حلوة كيف ما كانت وفي هذا المعنى أنشدوا:

أمطليني وسوفيني وعديني ولا تفي[1]

ويقال علل الحق سبحانه موسى بالوعد الذي وعده بأن يسمعه مرة أخرى كلامه وذلك أنه في المرة الأولى ابتدأه بالإسماع من غير وعد فلا انتظار ولا توقع ولا أمل فأخذه سماع الخطاب بمجامع قلب موسى عليه السلام فعلق قلبه بالميقات المعلوم ليكون تأميله تعليلاً له ثم إن وعد الحق سبحانه لا يكون إلا صدقاً فاطمأن قلب موسى للميعاد ثم لما مضى ثلاثون ليلة أتى بها [كما] سلف العهد فزاد له عشراً في الوعد والمطل في الإنجاز غير محبوب/ 312/أ إلا في سنة الأحباب فإن المطل عندهم أشهى من الإنجاز وفي قريب من هذا المعنى أنشدوا:

رقّي لعمركم لا تهجرينا ومنينا المنى ثم امطلينا
عدينا موعداً ما شئت إنا نحب وإن مطلت الواعدينا
فإما تنجزي عدتي وإما نعيش بما نؤمل منك حينا[2]

انتهى وحاصله أن كلام المولى لموسى أولاً كان على طريق الجذبة التي تواري عمل الثقلين وهو نعت المراد وهذا المقام في حصول المرام إنما هو على سبيل السير والسلوك كما هو وصف المريد فهو مجذوب سالك كسائر الأنبياء وبعض الأصفياء وهناك طائفة من الأولياء يسمى سالكاً مجذوباً لم يحصل له الكمالات إلا بالرياضات كما هو طريقة الحكماء.

وفي الجملة يورد الأربعين في العبادة قوة تأثير الباطن من الصفاء والضياء كما يشير إليه حديث خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً[3] وحديث

---

(1) نسب إلى العتابي. انظر: المحب والمحبوب (1/ 40).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 435)، ونسب إلى ابن قيس الرقيات، انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 190)، والأغاني (5/ 105).

(3) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (2/ 261) رقم (701)، وانظر: تفسير الطبري (6/ 307).

من أخلص لله أربعين صباحاً أظهر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه[1] وحديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله فقيهاً عالماً[2] وأمثال ذلك ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ [الآية: 142] أي: عند ذهابه إلى ميقات ربه ﴿لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي﴾ [الآية: 142] كن خليفتي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ [الآية: 142] أرفق بهم واحملهم على طاعة ربي ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية: 142] بالسكون عن أمرهم والرضا بحالهم.

وأفاد الأستاذ: أن هارون عليه السلام كان حمولاً بحسن الخلق فلما كان المرور إلى فرعون استصحب موسى عليه السلام هارون فقال لله سبحانه: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾ [طه: 32] بعدما قال ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ [القصص: 34] ولما كان المرور إلى سماع الخطاب فرده عن نفسه فقال ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ [الآية: 142] وهذا غاية الحمل من هارون ونهاية التشرب والرضا فلم يقل لا أقيم في قومك ولم يقل هلا تحملني مع نفسك كما استصحبتي حال المرور إلى فرعون بل صبر ورضي بما ألزم وهذه من شدائد بلاء الأحباب وفي قريب منه أنشدوا:/ 312/ ب

قال لي من أحب والبين قد ... جدّد دمعي مرافق الشهيق
ما ترى في الطريق تصنع بعدي ... قلت أبكي عليك طول الطريق[3]

ثم أن موسى عليه السلام لما رجع من سماع الخطاب ورأى من قومه ما رأى من عبادة العجل فتح باب العتاب وأخذ برأس أخيه يجره إليه حتى استلطفه هارون عليه السلام في الخطاب فقال: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه: 94] ويقال: لو قال هارون إن لم تعوضني عما فاتني من الصحبة فلا تعاتبني فيما لم أذنب فيه بحال ذرة ولا حبة لكان موضع هذه المقالة ويقال

---

(1) الدر المنثور (2/ 69)، جامع الأحاديث (41/ 394) رقم (45421).
(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 270) رقم (1725). وانظر: الدر المنثور (7/ 266)، وجامع الأحاديث (2/ 254) رقم (22042).
(3) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 151)، وقد نسب لابن الرومي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 237)، وقرى الضيف (2/ 283) مع اختلاف في بعض ألفاظ البيت الأول.

الذنب كان من بني إسرائيل والعتاب جرى مع هارون كذا الحديث والقصة فما كل من عصى وجنى استوجب العتاب فالعتاب ممنوع عن الأجانب.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ [الآية: 143] لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص أي: أخص مجيئة لميقاتنا الذي عيناه ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الآية: 143] من غير واسطة الملائكة وروي أن موسى عليه السلام كان سمع ذلك الكلام من كل وجهة من جهاته وبكلّ ذرة من أجزاء ذاته ففيه تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس سماع الحديث وإيماءً إلى مقام كماله في مرتبة الجمع بخلاف حالته الأولة في ابتداء الجذبة حيث سمع الكلام من جانب الشجرة.

قال أبو سعيد الخراز: من غيرة الله تعالى أنه لم يكلم موسى إلا جوف الليل وغيبه عن كل ذي جنس حتى لا يحضر كلام الله معه أحد سواه ولما سمع كلامه في أثناءِ إنبائه اشتاق إلى جماله ولقائه لما قيل فالأذن تعشق قبل العين أحياناً ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] أي: تجلى لي فأراك وأغيب عما سواك وهذا المقام المعبر عنه بالفناء والبقاء والمحو والصحو ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الآية: 143] أي: لن تشاهد ذاتي بل لك أن تطالع مظاهر صفاتي فإن تجلي الذات لم يتصور لأحد في الدنيا لأنها دار الفناء وإنما محلها دار البقاء كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: 22 ـ 23] وكما ورد سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون[1] والأحاديث متواترة في ثبوت رؤية الله في الآخرة وعليه أجمعت أئمة الأمة سوى المعتزلة وكفي بهم حسرة إن عوملوا/ بمعتقدهم فيحرموا هذه النعمة ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ﴾ [الآية: 143] استدراك بين أن بنيته في الدنيا لا تطيق رؤية المولى. 313/أ

قال الحسين في قوله: ﴿تَرَىٰنِى﴾ لو تركه على ذلك لتقطع شوقاً ولكنه سلاه بقوله ﴿وَلَٰكِنِ﴾.

قال الواسطي: لن إلى وقت لا إلى (الغائه) إلى الأبد فكان موسى غائباً

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (2/ 294) رقم (2225)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 688) رقم (2554).

عن طبع البشرية حتى استطاع المقام والمناجاة والكلام فلما وجد حلاوة الكلام طلب كشف المرام في الحال غائباً عن المآل ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ﴾ [الآية: 143] الجبل ﴿مَكَانَهُۥ﴾ [الآية: 143] عند تجلي الحق سبحانه مع كونه أعظم جسماً وأقوى جسداً ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الآية: 143] والتعليق بالممكن دال على أنه جائز غير محال ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الآية: 143] أي: ظهر له نور عظمته وتبين له ظهور قدرته وقوته ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الآية: 143] مدكوكاً مدقوقاً وقرأ حمزة والكسائي دكّاء ممدوداً أي: أرضاً مستوية ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الآية: 143] أي: سقط مغشياً عليه من هول ما رأى وقد ورد ما تجلى إلا قدر الخنصر[1] وهذه عبارة ما نقل عكرمة عن ابن عباس لكن في الترمذي وغيره ما يدل على أنه مرفوع.

قال ابن عطاء: شغله بالجبل ثم تجلى ولو لم يشغله بالجبل ثم تجلى لمات وقت التجلي ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ﴾ [الآية: 143] أي: موسى ﴿قَالَ﴾ [الآية: 143] تعظيماً لما رأى ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾ [الآية: 143] أي: أنزهك عن ما لا يليق بك ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] أي: من الجرأة عليك في مسألة الرؤية بغير إذن منك على ما فسره مجاهد وغيره ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 143] أول قومي إيماناً وأسبقهم إيقاناً وقال ابن عباس ومجاهد وأبو العالية معناه أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا وإنما محل رؤيتك العقبى وهذا لا ينافي مقام الإسراء ورؤيته ﷺ ربه بعين بصره على ما قاله بعض العلماء فإنه مقام من مقامات الأخرى.

قال جعفر الصادق: في قوله ﴿سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ [الآية: 143] رجعت إليك من نفسي فلا أميل إلى علمي فالعلم ما علمتني والفعل ما أكرمتني ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 143] بأنك لا ترى في الدنيا وإنما جوز الكلام ولم يجوز الرؤية لأن الرؤية هي الإشراف على الذات والكلام صفة من الصفات ولا سبيل لأحد من خلقه إلى ذاته قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ﴾ [طه: 110] أي علماً.

(1) الدر المنثور (3/ 545)، وتفسير الطبري (13/ 97) رقم (15078)، وتفسير ابن كثير (3/ 470).

313/ب وأفاد الأستاذ: في مقام بسط المراد أنه جاء موسى مجيء/ المشتاقين ومجيء المهيمين جاء موسى بلا موسى جاء موسى ولم يبق من موسى شيء لموسى. آلاف وآلاف الرجال قطعوا مسافات طويلة فلم يذكرهم أحد وهذا موسى خطا خطوات فإلى القيامة يقرأ الصبيان ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ﴾ [الآية: 143] لميقاتنا ويقال لما جاء موسى للميقات باسطه الحق سبحانه [سقط] بإسماع الخطاب فلم يتمالك حتى قال: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الآية: 143] فإن غلبات الوجد عليه استنطقته بطلب كمال الوصلة من الشهود ولذا قالوا:

وأبرح ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

ويقال: صار موسى عند سماع الخطاب بعين السكر فنطق بما نطق والسكران لا يؤاخذ بقوله ألا يرى أنه ليس في نص الكتاب معه بحرف من العتاب ويقال إنه لما يسكر لم ينكر ويقال أخذته عزة السماع فخرج لسانه عن طاعته جرياً على مقتضى ما صحبه من الأريحية وبسط الوصل ويقال جمع موسى عليه السلام كلمات كثيرة يتكلم بها في تلك الحالة فإن في القصص أنه كان يتحمل في أيام الوعد كلمات الحق ويقول لمعارفه ألكم حاجة إلى الله ألكم كلام معه فإني أريد أن أمضي إلى مناجاته ثم أنه لما جاء وسمع الخطاب لم يذكر مما دبره في نفسه به وتحمله من قومه وجمعه في قلبه شيئاً ولا حرفاً بل نطق بما صار في الوقت غالب قلبه فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الآية: 143] وفي معناه أنشدوا:

فيا ليل كم من حاجة إليّ مهمة إذا جئتكم بالليل لم أدر ما هيا[1]

ويقال: أشد الخلق شوقاً إلى الحبيب أقربهم من الحبيب هذا موسى عليه السلام كان غريق الوصلة واقفاً في محل المناجاة محدقاً به سجوف التولي غالباً له بديهات الوجود ثم في عين ذلك كان يقول: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الآية: 143] كأنه غائب عن الحقيقة ولكن ما ازداد القوم شرباً إلا ازدادوا عطشاً

(1) نسبت إلى مجنون ليلى. انظر: المرقصات والمطربات (1/ 83)، ودواوين الشعر العربي (9/ 218).

ولا ازدادوا قرباً إلا ازدادوا شوقاً لأنه لا سبيل إلى الوصال بالكمال والحق سبحانه يصور أسرار أصفيائه عن مداخلة الملال ويقال نطق موسى عليه السلام بلسان الافتقار فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الآية: 143] ولا أقل من نظرة والعبد قتيل هذه القصة فقوبل بالرد وقيل [له] : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الآية: 143] وكذا قهر/ الأحباب ولذا قال قائلهم: 314/ أ

جور الهوى أحسن من عدله   وبخله أظرف من بذله[1]

ويقال لما صرح بسؤال الرؤية جهراً صريحاً رد صريحاً جهراً فقيل له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الآية: 143] ولما قال نبينا ﷺ بسره في هذا الباب وأشار إلى السماء منتظراً لورود الجواب من حيث الرمز نزل قوله تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ﴾ [البقرة: 144] فرده إلى شهود الجهات والأطلال إشارة إلى أنه أعز من أن يطمح إلى شهوده اليوم طرف بل الألحاظ مصروفة عنه موقوفة اليوم على الأغيار فقوله: ﴿أَرِنِيٓ﴾ [الآية: 143] سمو الهمة إلى الرتبة العلية وقوله: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾ [الآية: 143] إناخة بغفوة العبودية وشرط الإنصاف أن لا تبرح محل الخدمة وإن حيل بينك وبين وجود القربة لأن القربة حق نفسك والخدمة حق ربك ولأن تكون بحق ربك أتم من أن تكون بحظ نفسك وفي معناه أنشدوا:

أريد وصاله ويريد هجري   فاترك ما أريد لما يريد[2]

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ﴾ [الآية: 144] اخترتك ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 144] أي: الموجودين في زمانك ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ [الآية: 144] وفي نزلة الحر مبين برسالاتي أي بوحي أحكامي لك ﴿وَبِكَلَٰمِي﴾ [الآية: 144] أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ﴾ [الآية: 144] أعطيتك من الرسالة ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 144] على هذه النعمة ولا تطلب ما ليس لك به طاقة روي أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة وإعطاء التوراة يوم النحر.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 436).
(2) سبق التعليق عليه.

وأفاد الأستاذ: أن هذا الخطاب لتدارك قلب موسى عليه السلام بكل هذا الرفق كأنه قال يا موسى إن منعتك عن شيء واحد وهو الرؤية فلقد خصصتك بكثير من الفضائل اصطفيتك بالرسالة وأكرمتك بشرف الحالة فاشكر هذه الجملة واعرف هذه النعمة وكن من الشاكرين ولا تتعرض لمقام الشكوى وفي معناه أنشدوا:

إن أعرضوا فهم الذين تعطّفوا وإن قد وفوا فاصبر لهم إن أخلفوا(1)

وفي الآية إشارة لطيفة يعني إن منعتك مسؤولك ولم أعطك مأمولك فإذا انصرفت منا لا تكن من الشاكين عنا.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 145] بعض كل شيء مما يحتاجون إليه من أمر الدين ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا/ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 145] أي: للموعظة وإرادة الخير في المرام ولتبيين الحلال والحرام. 314/ب

قال الأستاذ: وفي الأثر أن موسى عليه السلام كان يسمع صرير القلم وهذا نوع لطف لأنه إن منعه من النظر فقد علله بالأثر ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 145] أي: فقلنا له: خذ الألواح بقوة، أي جد وعزيمة قال بعضهم سر الله عند عباده وأهل خصوصيته لا يحمله منهم إلا الأقوياء بأبدانهم وقلوبهم ألا ترى أن الله يقول فخذها بقوة والقوة هي الثقة بالله وترك الاعتماد على ما سواه.

ولذا قال بعضهم: عطاياه لا تحمل إلا مطاياه وقيل: أي خذها ولا تأخذها بنفسك والقوي بل من لا حول ولا قوة إلا به ومن يكون حوله وقوته بالقوي.

وأفاد الأستاذ أن فيها بشارة لأن في الأخذ إشارة إلى غاية القرب وهو المكان والمراد به هنا صفاء الحال لأن قرب المكان محال على الله المتعال ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الآية: 145] بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالإضافة إلى الانتصار في العقوبة والقصاص منها ففيه الحث على الأفضل وندب

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 438)، وفي المخطوطة (كم قد وفوا) (بدل وإن جنوا).

العمل بالأكمل كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: 55] أو المراد من الأحسن الواجبات والمندوبات فإنهما أحسن من الرخص والمباحات.

وأفاد الأستاذ: أن قوله بأحسنها أي: بحسنها وأن الهمزة للمبالغة أو معنى ﴿بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ [الآية: 145] أن لا يعرج على تأويل في المعنى فيدور مع الأولى قلت: وهو المقام الأعلى ﴿سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 145] قال مجاهد والحسن البصري: سترون عاقبة من خالف أمري.

قال الأستاذ: يعني عليها غبرة العقوبة خاوية على عروشها ساقطة على سقوفها منهدم بنيانها والإشارة من دار الفاسقين إلى النفوس المتابعة للشهوات والقلوب التي هي معادن المنى وفاسد الخطرات فإن الفسق يوجب خراب المحل الذي يجرى فيه فمن جرى على نفسه فسق خربت نفسه وآية خراب النفوس انتفاء ما كان عليها وفيها من سكان الطاعات فكما يتعطل المنازل عن قطانها إذا تداعت للخراب فكذلك إذا خربت النفوس بعمل المعاصي ينتفي عنها لوازم الطاعات ومعتادها فبعد ما كان للعبد تيسر عليه فعل الطاعات لو ارتكب شيئاً من المحظورات فشق عليه فعل العبادة حتى لو خير بين ركعتي صلاة وبين مقاساة كثير من المشاق/ على الطاعة وعلى هذا النحو 315/أ ظلم القلوب وفسادها في إيجاب خراب محالها.

﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ﴾ [الآية: 146] أي: عن ظهور مشاهد صفاتي في الآفاق والأنفس في مخلوقاتي ﴿ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 146] بأن أطبع على قلوبهم وأعميهم عن عيوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها ﴿بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 146] يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل فهو متعلق بيتكبرون وجوز أن يكون حالاً من فاعله فإن تكبر المحق على المبطل حق والتكبر على المتكبر صدقة.

وقال الأستاذ: معناه سأحرم المتكبرين بركات الاتباع حتى لا يقابلوا الآيات التي يكاشفون بها بالقبول ولا يسمعون ما يخاطبون به بسمع الإيمان

والتكبر جحد على الحق على لسان العلم فمن جحد حقائق الحق فجحوده تكبره وباعتراضه على التقدير ما يتحقق جحوده في القلب ويقال التكبر توهم استحقاق الحق لك ويقال من رأى لنفسه قيمة في الدنيا والآخرة فهو متكبر ويقال من ظن أن به شيئاً أو منه أو له أو إليه شيئاً من النفي والإثبات لا على وجه الاكتساب فهو متكبر في هذا الباب ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ﴾ [الآية: 146] منزلة أو معجزة ﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ [الآية: 146] لعنادهم أو لانهماكهم في تقليد أجدادهم وفي الحقيقة لما قضى عليهم من بعادهم ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ﴾ [الآية: 146] وقرأ حمزة والكسائي بفتحتين أي: طريق السداد ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الآية: 146] في سبيل المعاش والمعاد ﴿وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ﴾ [الآية: 146] الضلالة ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الآية: 146] لما فيهم من كمال الجهالة ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 146] أي: مصيرهم إلى هذه الحالة ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الآية: 146] أي: غير متدبرين فيها ولا ملتفتين إليها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين بهذا أنه ليس يكفي شهود الحق حقاً وشهود الباطل باطلاً لا بد مع شهود الحق من وجود التوفيق للحق ومنع شهود الباطل من وجود العصمة من [اتباع] الباطل وقلت ولهذا ندعو اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا أتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه[1] ويقال إنّ الجاحد للحق مع تحققه أقبح حالاً من الجاهل به المقصر في تعريفه قلت: وقد ورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات وورد أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله[2] بعلمه وكذا عن العقلاء ليس من يلحس العسل/ 315/ب مع علمه بأنه مسموم كمن يلعقه واسمه عنده غيره معلوم.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأٓخِرَةِ﴾ [الآية: 147] أي: ولقائهم الدار الآخرة أو لقاء ما وعد الله في العاقبة من جزائهم ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الآية: 147] لا ينتفعون بها في جميع أحوالهم ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية:

(1) تفسير ابن كثير (1/ 571).

(2) سبق تخريجه.

147] أي: ما يجزون إلا جزاء أفعالهم.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ﴾ [الآية: 148] أي: السامري ومن تبعه ولو بالرضا ﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ [الآية: 148] أي: بعد ذهابه لميقات ربه ﴿مِنۡ حُلِيِّهِمۡ﴾ [الآية: 148] التي استعاروها من القبط حين هموا بالخروج وإضافتها إليهم لأنها كانت بأيديهم أو لما آل ملكها إليهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر للاتباع ﴿عِجۡلٗا جَسَدٗا﴾ [الآية: 148] بدناً ذا لحم ودم كما قال ابن عباس والحسن وقتادة أو جسداً مجسداً من الذهب خالياً من الروح ونصبه على البدل من عجلاً ﴿عِجۡلٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ﴾ [الآية: 148] صوت بقر يدخل في جوفه الريح فيصوت وروي أن السامري لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل فصار حياً وهذا هو ظاهر ما في سورة طه وملائم لما سبق من كلام الحبر وغيره فقيل كانوا يسجدون حين خواره ويرفعون رؤوسهم عند سكوته.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يظهر قلوبهم في ابتداء أحوالهم عن توهم الظنون ولم يتحققوا بخصائص القدم وشروط الحدوث فعثروا عن أقدام فكرهم في وهاد المغاليط لما سلكوا نهج السير ويقال أن أقواماً رضوا بالعجل أن يكون معبودهم متى شمت أسرارهم نسيم التوحيد هيهات [لا] لا ولا من لاحظ جبريل وميكائيل أو العرش أو الثرى أو الجن أو الورى فإن ما لحقه ذلك أو وجد من قبيل ما يقبل نعوت الحدثان أو صح في التجويز أن يرتقي عليه صواعد التقدير وشرائط الكيفية فغير صالح لاستحقاق الإلهية ويقال شتان بين أمة وأمة أمة خرج نبيهم عليه السلام من بينهم أربعين يوماً فعبدوا العجل وأمة خرج نبيهم ﷺ من بينهم وأتى نيف وألف وأربعمائة سنة والحمد لله فمن ذكر بين أيديهم أن الشموس والأقمار أو شيئاً من الرسوم والأطلال يستحق الإلهية لأحرقوهم بهممهم ويقال أجْهِلْ بقوم رضوا بأن يكون مصنوعهم معبدوهم ولولا قهر الربوبية/ وأنه يفعل ما يشاء وإلا ففي أي عقل يستقرّ مثل هذا 316/أ التلبيس ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ﴾ [الآية: 148] بما يكون على كماله دليلاً ﴿وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ [الآية: 148] بل رأوه حيواناً بليداً ذليلاً عند آحاد البشر فكيف حسبوا أنه خالق الأجسام والقوي والقادر وهذا استفهام توبيخ على نهاية جهالتهم

وتقريع على غاية ضلالتهم ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ [الآية: 148] أي: العجل إلهاً ﴿وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الآية: 148] حيث وضعوا الأشياء في غير موضعها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل من نعوت استحقاق الإلهية صحة الخطاب وأن يكون منه الهداية فهذا يدل على استحقاق الحق النعت بأنه متكلم في حقائق آزاله وأنه متفرد بهداية العبد لا هادي سواه وفيه إشارة إلى مخاطبته سبحانه الخلق وتكليمه مع العبد فإن الملوك إذا جلت رتبتهم استنكفوا أن يخاطبوا خدمهم بلسانهم حتى قال قائلهم:

وما عجب تناسي ذكر عبد   على المولى إذا كثر العبيد[1]

وبخلاف هذا أجرى الحق سبحانه سنته مع عباده المؤمنين أما الأعداء فيقول لهم ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: 108] وأما المؤمنون حقاً فقال ﷺ ما منكم من أحد إلا ويكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية: 149] كناية من اشتد ندمهم فإن النادم يعضّ يده غمّا فتصير يده مسقوطاً فيها فالظرف نائب الفاعل وقيل: سقط الندم في أنفسهم ﴿وَرَأَوْا۟﴾ [الآية: 149] علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟﴾ [الآية: 149] باتخاذ العجل إلهاً ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ [الآية: 149] بتوفيق التوبة ﴿وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ [الآية: 149] بالتجاوز عن المعصية ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الآية: 149] الكاملين في الخسران المبين وقرأها حمزة والكسائي بالتاء ونصب ربنا على النداء.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ﴾ عليهم ﴿أَسِفًا﴾ [الآية: 150] حزيناً لديهم لما قد أعلمه الله تعالى بذلك وهو فوق الطور بقوله: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ﴾ [طه: 85] .

وقال الأستاذ: لو وجد موسى قومه بألف ألف وفاق لكان متنغص العيش لما مني به من حرمان سماع الخطاب والرد إلى شهود الأغيار فكيف وقد وجد قومه قد ضلوا وعبدوا العجل ولا يدري أي المحن كانت أشد على

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 441).

موسى عليه السلام فقدان سماع الخطاب أو بقاؤه عن سؤال الرؤية أو ما/ 316/ب شاهد من افتتان بني إسرائيل واستيلاء الشبهة على قلوبهم في عبادة العجل سبحان الله ما أشد بلاءه على أوليائه ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ﴾ [الآية: 150] أي: فعلتم من الخلاف بعد ذهابي عنكم والخطاب للعبدة ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 150] أي: وعده الذي وعدنيه من الأربعين أو أسبقتم أمر ربكم ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ [الآية: 150] طرحها من شدة الغضب حمية لمخالفة الرب ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ [الآية: 150] أي: بشعر رأسه ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية: 150] خوفاً من أن قصر من أن قصر في كفهم عن فعلهم وهارون أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولاً ليناً ولذا كان أحب إلى بني إسرائيل ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾ [الآية: 150] وبكسر الميم شامي وكوفي غير حفص وكانا أخوين من أب كما صرح به مجاهد والسدي وابن جرير وغيرهم فذكر الأم ليرفقه إليه ويعطفه عليه ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي﴾ [الآية: 150] إزاحة لخطور التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الآية: 150] أي: لا تفعل بي شيئاً يفرحون به ﴿وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 150] معدوداً في عدادهم بنية التقصير لنوع من المخالفة.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ [الآية: 151] ما صنعت بأخي ﴿وَلِأَخِي﴾ [الآية: 151] إن وقع له تقصير في أمري ضم إليه نفسه في طلب المغفرة للترضية ودفع الشماتة وإظهار التذلل في العبودية وبيان استغناء الربوبية ﴿وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ﴾ [الآية: 151] بمزيد نعمتك أو بإدخال جنتك ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الآية: 151] فأنت أرحم بنا على أنفسنا منا.

وأفاد الأستاذ: أن موسى عليه السلام وإن كان سمع من الله أنه فتن قومه لكن لما شاهدهم أثرت فيه المشاهدة ما لم يؤثر فيه السماع وإن علم فيه قطعاً أنه كما سمع فإن للمعاينة تأثيراً آخر ثم إن موسى عليه السلام لما أخذ برأس أخيه يجره إليه استلطف هارون موسى في خطاب فقال له: ﴿يَبْنَؤُمَّ﴾ فذكر الأم هاهنا للاسترفاق والاسترحام وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ [طه: 94] يريد بهذا أنه قد توالت المحن علي فذرني وما أنا فيه ولا تزد في بلائي

خلفتني فيهم ولم تصحبني وتلك علي شديدة ولقيت بعدك منهم ما ساءني ولقد علمت أنها كانت عليّ عظيمة كبيرة وحين رجعت/أخذت في عتابي وجر رأسي وقصد ضربي وكنت أؤمل منك تسليتي وتعزيتي فرفقاً بي ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الآية: 150] ولا تضاعف علي البلاء فعند ذلك رق له موسى عليه السلام ورجع إلى الابتهال إلى الله والسؤال بنشر الافتقار فقال ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ [الآية: 151] إلى آخره وفي هذا إشارة إلى وجوب الاستغفار على العبد في عموم الأحوال والتحقق بأن له سبحانه تعذيب البريء إذ الخلق كلهم ملكه وتصرف المالك في ملكه نافذ. 317/أ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ﴾ [الآية: 152] سيصيبهم ويصل إليهم ﴿غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [الآية: 152] وهو ما أمر به للتوبة من قتل أنفسهم وقيل: غضب في العقبى ﴿وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 152] وهو إخراجهم من ديارهم وهوانهم إلى الأبد في آثارهم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الآية: 152] على رب العالمين حيث قالوا ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ [طه: 88] وقيل: الآية في أولادهم ووصف الأبناء بقبح فعل الآباء لكونهم في مقام الرضاء.

قال الحسين بن الفضل: لا ترى مبتدعاً إلا ذليلاً لأن الله يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الآية: 152] .

وقال الأستاذ: يعني إن الذين اتخذوا العجل معبوداً سينالهم في مستقبل أحوالهم جزاء أعمالهم والسنين في قوله سينالهم للاستقبال ومن لا يضره عصيان العاصين لا يبالي بتأخير العقوبة عن الحال وفرق بين الإمهال والإهمال فالحق سبحانه يمهل ولكنه لا يهمل فلا ينبغي لمن يذنب ولم يؤاخذ في الحال أن يغتر في الإمهال.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية: 153] من الكفر وسائر المنهيات ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ [الآية: 153] أي: من بعد ارتكابها ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية: 153] أي: اشتغلوا بالإيمان والمعرفة وما يتبعه من الأعمال الصالحة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا﴾ [الآية: 153] أي: بعد تحقق التوبة ﴿لَغَفُورٌ﴾ [الآية: 153] وإن عظم الذنب كجريمة عبدة

العجل أو أكثر كجرائم بني إسرائيل أو غفور لذنوبهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 153] بإصلاح قلوبهم.

وقال الأستاذ: الإيمان الذي هو بعد التوبة يحتمل آمنوا بأنه يقبل التوبة أو آمنوا بأن الحق سبحانه وتعالى لم يضره عصيان أو آمنوا بأنهم لا ينجون من توبتهم من دون فضل الله أو آمنوا بأن عدواً ما سبق منهم من نقض العهد شركاً فآمنوا من الرأس أو يقال استداموا للإيمان وكانت موافاتهم على الإيمان أو آمنوا بأنهم لو عادوا إلى ترك العهد وتضيع الأمر/ أسقطوا من عين الله إذ ليس كل مرة تسلم الجرة. 317/ ب

﴿وَلَمَّا سَكَتَ﴾ [الآية: 154] أي: سكن كما قرىء به ﴿عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾ [الآية: 154] الغضب باعتذار هارون أو بتوبتهم ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾ [الآية: 154] التي ألقاها.

وأفاد الأستاذ: أن الآية تشير إلى حسن إمهاله سبحانه للعبد إذا تغير عن حد التمييز وغلب عليه ما لا يطيق رده من بواده الغيب وإذا كانت حالة الأنبياء عليهم السلام أنه يغلبهم ما يعطلهم عن الاختيار فكيف الظن بمن دونهم ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ [الآية: 154] أي: فيما نسخ فيها بعد تكسرها فهي فعله بمعنى مفعول كالخطبة أو الألواح فإنها نسخت من اللوح المحفوظ أو فيما كتب فيها نفسها كما يدل عليه خذها ﴿هُدًى﴾ [الآية: 154] بيان للحق ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية: 154] إرشاد للخلق أو نعمة خاصة ﴿لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الآية: 154] أي: يخشونه ويتقوه خلافه وتقديم المعمول لإفادة الحصر والاختصاص.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ﴾ [الآية: 155] قومه أي: من قومه فنصبه بنزع الخافض ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ [الآية: 155] روي أن موسى عليه السلام أمر أن يختار من بني إسرائيل سبعين ليدعوا ربهم فلما دعوا قالوا اللّهم اعطنا ما لم تعط أحداً من قبلنا ولا من بعدنا فكره الله تعالى ذلك منهم فأخذتهم الرجفة وهذا قول ابن عباس أو اختار سبعين ليعتذروا من عبادة العجل فلما سمعوا كلام الله تعالى قالوا لموسى ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [البقرة: 55] فماتوا

وهذا قول السدي ومحمد بن إسحاق أو أخذتهم الرجفة لأنهم علماء وما نهوا بني إسرائيل عن عبادة العجل وهذا قول مجاهد وقتادة وابن جريج ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ﴾ [الآية: 155] أي: الصاعقة أو رجفة الجبل وصعقوا منها قال بعضهم ما ماتوا ثم بعد تضرع موسى كشف عنهم الرجفة فاطمأنوا وقال بعضهم: إنهم ماتوا لكن أحياهم الله تعالى بدعاء موسى عليه السلام ويؤيد الأول ﴿قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا﴾ جميعنا ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ [الآية: 155] من التجاسر على طلب الرؤية من بعض السبعين وقيل: المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل لأن علماءهم ما عبدوه لكنهم ما أنكروا عليهم ولا نهوهم وقيل السبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيهم هيبة قلقوا منها ورجعوا حتى كادت تبين/ مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليهم فبكا ودعا فكشفها الله عنهم ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ [الآية: 155] أي: ابتلاؤك واختيارك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية أو أوجدت في العجل خواراً فضلوا به ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾ [الآية: 155] ضلالة بالتجاوز عن حده ﴿وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ﴾ [الآية: 155] هداه فتقوي بها إيمانه ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ [الآية: 155] أي: متولي أمرنا ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ [الآية: 155] ذنوبنا أي: الماضية ﴿وَٱرۡحَمۡنَاۖ﴾ [الآية: 155] بالعصمة في الأزمنة الآتية ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 155] أي: تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة بلا غرض ولا عوض في القضية.

318/أ

وأفاد الأستاذ: أن موسى عليه السلام جاهر الحق بنعت التحقيق ففارق الحشمة فقال صريحاً ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ [الآية: 155] ثم وكل الحكم إليه فقال ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ﴾ [الآية: 155] ولقد قدم الثناء على الدعاء فقال ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ﴾ [الآية: 155] ثم عقبه ببيان التضرع فقال ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 155] .

﴿وَٱكۡتُبۡ﴾ [الآية: 156] أي: أثبت ﴿لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً﴾ [الآية: 156] أي حسن معيشة وتوفيق طاعة ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية: 156] أي: الجنة والقربة ﴿إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ﴾ [الآية: 156] أي: تبنا ورجعنا من هاد يهود إذا تاب ورجع.

وقال الأستاذ: أي ملنا إلى دينك وصرنا لك بالكلية من غير أن نترك لأنفسنا من بقية ﴿قَالَ﴾ [الآية: 156] أي: الله تعالى مجيباً لموسى في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الآية: 155] قال ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ [الآية: 156] تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي﴾ [الآية: 156] أي: العامة ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 156] من المؤمن والكافر وسائر الموجودات في الدنيا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ [الآية: 156] أي: أثبتها خاصة في العقبى ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 156] أي: الكفر والمعاصي ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 156] خصها بالذكر لإنافتها أو لأنها تشق على أصحابها ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 156] فلا يكفرون بشيء منها.

قال أبو عثمان: لا أعلم في القرآن آية أقنط من قوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 156] والناس يرونها أرجى آية وذلك أن الله يقول: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 156] ومن يمكنه تصحيح التقوى فيكون بشرط الآية.

وأفاد الأستاذ: أن في هذه لطيفة حيث لم يقل عذابي لا أخلي منه أحداً بل علقه على المشيئة وفيه إشارة أيضاً إلى أن أفعاله سبحانه غير معللة باكتساب الخلق لأن لم يقل عذابي أصيب به/ العصاة بل قال: ﴿مَنْ أَشَآءُ﴾ 318/ب [الآية: 156] وفيه إشارة إلى جواز الغفران لمن أراد لأنه قال: ﴿أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ [الآية: 156] فإذا أشاء أن لا يصيب به أحداً كان له ذلك وإلا لم يكن حينئذٍ مختاراً ثم لما انتهى إلى الرحمة قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الآية: 156] لم يعلقها بالمشيئة لأنها نفس المشيئة ولأنها قديمة والإرادة لا تتعلق بالقديم ولما كان العذاب من صفات الفعل علق بالمشيئة وبعكسه الرحمة لأنها من صفات الذات ويقال في قوله تعالى: ﴿وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴾[الآية: 156] مجال لآمال العصاة لأنهم وإن لم يكونوا من جملة المطيعين والعارفين والعابدين فهم ﴿شَيْءٍ﴾ [الآية: 156] وقوله ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 156] أي: سأوجبها لهم فيجب الثواب للمؤمنين من الله تعالى ولا يجب لأحد على الله شيء وإنما يجب منه لصدقه في قوله: ولا يجب عليه شيء لعزة في ذاته وقوله تعالى ههنا: ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: يجتنبون أن يروا الرحمة بحكم استحقاقهم فإذا اتقوا هذه الظنون أن يكون أحكامه سبحانه معللة باكتسابهم استوجبوا الرحمة بحكمه بها

لهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 156] ما يكاشفهم بها في الأقطار مما يقفون عليها بوجوه الاستدلال وما يلاطفهم به في الأسرار مما يجدونه في أنفسهم من فنون الأحوال.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [الآية: 157] والمراد من آمن منهم بمحمد ﷺ أو عامة أمته الصالحين ولعله سماه رسولاً بالإضافة إلى الله ونبياً بالإضافة إلى العباد ولذا أخر وإلا فالنبوة قبل الرسالة باعتبار تحقق الوجود في الرتبة وإن كان الرسالة أخص بالنسبة إلى مرتبة النبوة ﴿ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الآية: 157] الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع نعت حاله إحدى معجزاته.

وقال الأستاذ: أي أنه لم يكن شيء من فضائله وكمال علمه وتهديه إلى تفصيل شرعه من قبل نفسه وتعلمه وتكلفه واجتهاده وتصرفه بل ظهر عليه كل ما ظهر من قبله سبحانه وإلا فكان هو أمياً غير قارىء للكتب ولا متبع للسير انتهى كلامه.

وقال ابن عطاء: الأميّ هو الأعجمي قال: أعجمياً عما سوانا عالماً بنا وبما أُنزل عليه من كلامنا وحقائقنا ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الآية: 157] اسماً وصفة ورسماً ووسماً ﴿يَأْمُرُهُم﴾ [الآية: 157] أي: النبي ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 157] الخير ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية: 157] الشر ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية: 157] مما حرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة والوصيلة ومما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل والشحوم ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الآية: 157] كالدم ولحم الخنزير والميتة أو نحو أكل الربا/ والرشوة. 319/أ

وأفاد الأستاذ: أن المعروف هو القيام بحق الله والمنكر هو البقاء بوصف الحظوظ وأحكام الهوى والتعريج في أوطان المنى وما تصوره العبد من تزويرات الدعوى والفاصل بين الجنسين والمميز للقسمين في الشريعة فالحسن من أفعال العباد ما كان بنعت الإذن من مالك الأعيان فلهم فعل ذلك والقبيح ما كان موافقاً للنهي والزجر فليس لهم إلا رفض ذلك ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ [الآية: 157] وقرأ الشامي آصارهم بمدّ الهمزة أي: عهوهم الثقيلة

﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 157] والمعنى تخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة التي كانت في ديتهم كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الأعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الإصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله.

قال الأستاذ: الإصر الثقل ولا شيء أثقل من كدِّ التدبير فمن نقل من كد التدبير إلى روح شهود التقدير فقد وضع عنه كل إصر وكفي كل وزر وأمر، والأغلال التي كانت عليهم [هي] ما ابتدعوه من قبل أنفسهم باختيارهم في التزام طاعات الله [ما] لم يفرض عليهم فوكلوا إلى: حولهم وقوتهم فيه فأهملوها ونقضوا عهودهم ومن لقي بخصائص الرضا بما يجري من المقادير وشهود الحق في أجناس الأحداث فقد خص بكل نعمة وفضل ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 157] بهذا الرسول ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ [الآية: 157] عظموه بالتقوية وقرىء بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير أي: منعوه وحفظوه ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ [الآية: 157] على عدوه أو نصروا أمر دينه.

وأفاد الأستاذ أنهم اعتزوا به وبنصرته ﷺ وإلا فهو كان الله حسيبه ومن كان استقلاله بالحق لم يقف انتعاشة على نصرة الخلق قلت وإليه الإشارة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 40] الآية ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ [الآية: 157] أي: مع نبوته وسمي القرآن نوراً لأنه بإعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لأنه كاشف الحقائق ومظهرها للخلايق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الآية: 157] الفائزون في الدارين.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ﴾ [الآية: 158] أي: بالأصالة ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية: 158] وإلى الجن بل وإلى غيرهم بالتبعية لكونه ﷺ مبعوثاً إلى الثقلين بل في صحيح مسلم بعثت إلى الخلق وهو على/عمومه كما بين في محله 319/ب ثم حكم المجنون والصبي ومن لم تبلغه دعوته أيضاً على تقدير وجوده فيهم أو فرض وجودهم في زمانه لما ورد لو كان موسى حياً لما وسعه إلا اتباعي[1]

(1) سبق تخريجه.

ولهذا يحكم عيسى عليه السلام بعد نزوله بأحكام هذا الدين من أصوله وفروعه ويشير إلى عموم رسالته أيضاً إلى العلويات والسفليات قوله: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية: 158] فإنه صفة لله وإن حيل بينهما بما هو متعلق المضاف وهو الرسول إليه وهو الله فالفصل ليس بأجنبي ولأن المتعلق كالمتقدم على لفظ الجلالة ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 158] بيان لما قبله فإن من ملك العالم كان هو الإله لا غيره ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ﴾ [الآية: 158] مزيد تقرير لخصوصية الألوهية بناء على إظهار الربوبية المقتضية للخلق أن يقوموا بحق العبودية ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 158] أي: بذاته وصفاته ﴿وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 158] أي: التي أنزلت عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الآية: 158] .

قال الأستاذ: صرح بما رقيناك إليه من المقام وأفصح عما لقيناك به من الإكرام وقل إني لجماعتكم مرسل وعلى كافتكم مفضل وديني لمن نظر وفكر واعتبر وسبر مفصل وإلهي الذي له ملك السموات والأرض لا شريك ينازعه ولا شبيه يضارعه فله حق التصرف في ملكه بما يؤيد من حكمه ومن جملة ما حكم وقضى ونفذ به التقدير وأمضى إرسالي إليكم لتطيعوه فيما يأمركم وتحذروا عن ارتكاب ما يزجركم وأن مما أمركم به أنه قال لكم: آمنوا بالنبي الأميّ واتبعوه لتفلحوا في الدنيا والعقبى وتستوجبوا الزلفى والحسنى وتتخلصوا به من البلوى والسوى.

﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية: 159] يعني بني إسرائيل ﴿أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 159] جماعة يهدون الناس محقين أو يدلون بكلمة الحق وطريقة الصدق ﴿وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الآية: 159] وبالحق يسوون الحكم بينهم قيل: يدلون الخلق على طريق الحق يسلكون على قدم الصدق والمراد بهم الثابتون على الحق من اليهود قرباً بعد قرن وقيل: مؤمنو أهل الكتاب وقيل: قوم وراء الصين رآهم رسول الله ﷺ ليلة المعراج فآمنوا به فهم على الحق آمنوا بمحمد ﷺ لا يصل أحد منهم إلينا ولا منا/إليهم وهذا قول ابن جريج ونقل عن ابن عباس والسدي. 320/أ

وقال الأستاذ: هم الذين سبقت لهم العناية وصدقت فيهم الولاية فبقوا على الحق من غير تحريف ولا تحويل وأدركتهم الرحمة السابقة فلم يتطرق إليهم مفاجأة تغيير ولا خفي تبديل.

﴿وَقَطَّعْنَهُمُ﴾ [الآية: 160] أي: صيرنا بني إسرائيل قطعاً متميزاً بعضهم عن بعض وفرقناهم ﴿ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ﴾ [الآية: 160] مفعولاً ثاني ﴿أَسْبَاطًا﴾ [الآية: 160] بدل منه ولذلك جمع ﴿أُمَمًا﴾ [الآية: 160] نعت أي: قبائل.

وأفاد: الأستاذ أنه فرقهم أصنافاً وجعلهم في التحزب أخيافاً ثم كفاهم ما أهمهم وأعطاهم ما لم يكن لهم بد منه فيما نالهم ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾ [الآية: 160] في التيه ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ﴾ [الآية: 160] الفاء فصيحة أي: فضرب فانفجرت ﴿مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [الآية: 160] في حذف ما ذكر أي: إلى أن موسى عليه السلام لم يتوقف في الامتثال وتحصيل المرام وإن ضربه لم يكن مؤثراً يتوقف عليه الفعل في ذاته بحسب تحقيق المقام ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ [الآية: 160] سبط ﴿مَّشْرَبَهُمْ ۚ﴾ [الآية: 160] موضع شربهم ومحل شربهم ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ﴾ [الآية: 160] ليقيهم حر الشمس.

وقال الأستاذ: ما وقاهم أدنى الحر والبرد ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ﴾ [الآية: 160] شيئاً كالترنجبين ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ﴾ [الآية: 160] وطيراً كالسماني.

وقال الأستاذ: أي ما نفي عنهم تعب الجوع والجهد والتعب والكد ﴿كُلُوا۟﴾ [الآية: 160] أي: وقلنا لهم تمتعوا ﴿مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ﴾ [الآية: 160] أي: حلالاته أو مستلذاته.

قال الأستاذ: فجرنا لهم العيون عند النزول حتى كانوا يشاهدونه عياناً وألقينا بقلوبهم من البراهين ما أوجب لهم من قوة اليقين ولكن ليست العبرة بأفعال الخلق ولا بأعمالهم والمدار على مشيئة الحق سبحانه وتعالى فيما يمضي عليهم من فنون أحوالهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ [الآية: 160] ما رجع ضرر كفران نعمهم إلينا ﴿وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 160] يضرون

أنفسهم ولا علينا (ثواباً) لهم فعلهم راجع إليهم فلا يتعدى ضرره عنهم.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ [الآية: 161] أي: اذكر ذلك الزمان وتعجب في ظهور هذا الشأن والقرية بيت المقدس أو أريحا ﴿وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ [الآية: 161] أي: رغداً واسعاً من غير حرج عليكم ولا نسبة حرمة إليكم ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ [الآية: 161] أي: مسألتنا أي: تحط عنا سيئاتنا ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ﴾ [الآية: 161] أي: باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ [الآية: 161] ساجدين متواضعين/ 320/ب منقادين شكراً لرب العالمين على الفتح النبيه والخلاص من محن التيه ويراد واو الجمع هنا في ﴿وَكُلُوا﴾ لا ينافي فاء التعقيب في ﴿فَكُلُوا﴾ في سورة البقرة وكذا تقديم قولوا على وادخلوا هنا ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ [الآية: 161] وقرأ نافع وابن عامر بالتأنيث على بناء المفعول ورفع ما بعده والشامي وحده خطيئتكم بالتوحد وأبو عمر وخطاياكم ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 161] ولم يأت بالعطف هنا بخلاف البقرة لدلالة على أنه تقبل محض ليس في مقابلة ما أمروا به من دخول الباب والله أعلم بالصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يخبرهم عما ألزمهم من مراعاة الحدود وما حصل منهم من نقض العهود التي ألزمهم من التكليف ولقّاهم به من صنوف التعريف وإكرامه من أراد منهم بالتوفيق والتصديق وإذلاله من شاء منهم بالخذلان وحرمان التحقيق ثم ما عاتبهم به من فنون البلاء وأذاقهم من سوء الجزاء حكماً من الله حتماً وقضاء جزماً.

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [الآية: 162] بتأن لما أبهم في البقرة ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [الآية: 162] حيث بدلوا حطة بحنطة استهزاء ودخلوا على أستهاهم حيناً ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا﴾ [الآية: 162] عذاباً مقدراً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 162] بسبب ظلمم على أنفسهم.

وقال الأستاذ: جاء في التفسير أنهم زادوا حرفاً في الكلمة التي قيل لهم فقالوا حنطة بدل حطة فلقوا من البلاء ما لقوا تعريفاً أن الزيادة في الدين والابتداء في الشرع عظيم الخطر ومجاوزة حد الأمر شديد الضرر ويقال إذا

كان تفسير كلمة هي عبارة عن التوبة يوجب كل ذلك العذاب قال فما الظن بتغيير ما هو خبر عن صفات رب الأرباب ويقال إن القول أنقص من العمل بكل وجه فإذا كان التغيير في القول يوجب كل هذا فكيف التبديل والتغيير في الفعل.

﴿وَسْـَٔلْهُمْ﴾ [الآية: 163] أي: اليهود الذين بحضرتك سؤال توبيخ وتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم ليكون لك معجزة على تحقيق نبوتك وتصديق رسالتك ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [الآية: 163] أي: خبرها وما وقع بأهلها ﴿ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الآية: 163] أي قريبة منه وهي أيلة بين مدين والطور على شاطىء البحر ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ [الآية: 163] أي: يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت الذي حرم الله عليهم/ الاصطياد فيه والمعنى يعدون آلات الصيد يوم 321/أ السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ [الآية: 163] حال من الحيتان أي: ظاهرة على وجه الماء ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾ [الآية: 163] أي: لا يعظمون سبتهم وهو غير يوم السبت من الأحد وغيره ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الآية: 163] أي: مطلقاً أو لا يأتيهم مثل إتيانهم يوم سبتهم فقوله ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 163] متصل بما قبله أو هو منقطع عنه والتقدير مثل ذلك الامتحان الشديد ﴿نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 163] أي: يختبرهم بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة ربهم.

وأفاد الأستاذ: أن دينهم كان الأخذ بالتأويل وذلك روغان في التحقيق فإن الحقائق تأبى إلا الصدق وأن التعريج في أوطان الحظوظ والجنوح إلى محتملات الرخص فسخ لأكيد مواثيق الحقيقة ومن شاب شيب له ومن صفا صفي له.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 164] أي: جماعة من أهل القرية وهم بعض صلحائهم الذين اجتهدوا في الموعظة بعدما أيسوا من قبولهم النصيحة لأنهم افترقوا على ثلاثة فرق فرقة عاصية وفرقة ناهية وفرقة ساكتة فقالت الساكتة للناهية ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ [الآية: 164] أي: مستأصلهم في الدنيا ﴿أَوْ مُعَذِّبُهُمْ

عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الآية: 164] في العقبى لتماديهم في عصيان المولى ﴿قَالُواْ﴾ [الآية: 164] أي: الفرقة الناهية في جواب الساكتة السائلة هذه ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الآية: 164] أي: موعظتنا أنها عذر إلى ربنا حتى لا تنسب إلى التفريط في النهي عن المنكر فيما بيننا وقرأ حفص موعظة بالنصب على المصدر أو العلة أي: اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة إلى ربكم ليرضى عنا ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 164] عن الاصطياد في السبت فلا بأس من أن يدركهم الرحمة إذ لا يحصل البأس إلا بالهلاك ووقوع العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أن الحقائق وإن كانت لازمة فليس للعبد عند لوازم الشرع عاذرة بل الوجوب يفترض شرعاً وإن كان التقدير غالباً بكل وجه.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ﴾ [الآية: 165] تركوا ترك الناسي ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ [الآية: 165] ما وعظهم به صلحاؤهم ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية: 165] بالاعتذار في مخالفة أمر الله ﴿بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ [الآية: 165] شديد على وزن فعيل وقرأ أبو بكر بخلاف عنه على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بكسر/ 321/ب الموحدة وسكون الهمزة ككبد في كبد ونافع يقلب الهمزة ياء ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [الآية: 165] بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة ربهم والأصح أن الفرقة المرتكبة صاروا قردة دون الفرقتين الأخريين وهذا قول ابن عباس والحسن وغيرهما وقد نقل عن ابن عباس أنه توقف في الفرقة الساكتة ثم صرح بعد بأنهم من الناجين وعند بعضهم كابن زيد أن الفرقة الساكتة أيضاً مسخوا.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا تمادى العبد في تهتكه ولم يبال بطول الإمهال والستر لم يمهله يد التقدير عن استئصال العين ومحو الأثر وسرعة الحساب وتعجيل العذاب الأدنى قبل هجوم الأكبر ثم البريء في فضاء السلامة وتحت ظل الحفظ ودوام روح التخصيص وبرد عيش التقريب.

﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ﴾ [الآية: 166] تكبروا ﴿عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ﴾ [الآية: 166] أي عن ترك ما نهوا عنه لقوله: ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ [الأعراف: 77] ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الآية: 166] ذليلين والمراد من أمرهم سرعة التكوين وأنهم صاروا

كذلك لحقيقة الأمر كقوله سبحانه: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117] فالمراد بالقول الحكم المتعلق بالإرادة وعن بعض السلف أنهم سمعوا منادياً لهم ﴿كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الآية: 166] ثم الأصح أن المسخ صوري ومعنوي وأنهم هلكوا بعد ثلاثة أيام ولم يبق منهم نسل كما صرح بذلك ابن عباس وغيره من جماهير السلف وبعض الأحاديث يدل على ذلك ثم العذاب البئيس هو هذا المسخ فهذه الآية تقرير وتفصيل للماضية وقيل: المسخ معنوي لا صوري فعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم وقيل: العذاب البئيس غير المسخ وهو قد كان أولاً ثم كان المسخ آخراً والله أعلم.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا انتهى مدة الإمهال فليس بعده إلا حقيقة الاستئصال وإذا سقط العبد عن عين الله لم ينتعش بعده إلى الأبد ومن أسقطه حكم الملوك فلا قبول بعد الرد وفي معناه أنشدوا:

وإذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد إليه بوجه آخر الدهر تقبل[1]

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ [الآية: 167] أي: أعلم أو قال أو أمر أو حكم وأجرى مجرى فعل القسم ولذا/ أجيب بجوابه وهو قوله ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ 322/ أ [الآية: 167] أي: أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود وليرسلن إليهم إلى آخر الدهر ﴿مَن يَسُومُهُمْ﴾ [الآية: 167] يعذبهم ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [الآية: 167] أشد أنواعه كالإهانة بالسبي وضرب الجزية فقد بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذريتهم وضرب الجزية على بقيتهم وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمداً ﷺ ففعل بهم ما فعل من المهانة ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة عليهم إلى نزول عيسى عليه السلام فإما السيف وإما الإسلام ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 167] لمن أصر على المعصية ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 167] لمن تاب وأناب إلى الطاعة قيل ما كان في القرآن من قوله سريع العقاب فإنها كانت عقوبة القلوب بالحجاب عن علام الغيوب.

(1) نسب إلى معن بن أوس. انظر: نهاية الأرب (1/ 271)، وخزانة الأدب (3/ 196).

وأفاد الأستاذ: إن الحق سبحانه أمضى سُنَّته بالإنذار وتقديم التعريف بما يستحقه كل أحد على ما يحصل منه الآثار إبداء للعذر وإن جلت رتبته عن كل عذر فإن نجع فيهم القول وإلا دمّر عليهم بالفعل.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الآية: 168] أي: صيرناهم جماعات متفرقة وفرقناهم في البلاد بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم غيرة للعباد وتتمة لأدبارهم حتى لا يكون لهم قط شوكة ولا تجتمع لهم كلمة ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الآية: 168] كمن آمن بالمدينة ونظراءهم ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 168] منحطون عن الصلاح من كفرتهم وفسقتهم ﴿وَبَلَوْنَٰهُم﴾ [الآية: 168] اختبرناهم وامتحناهم ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ [الآية: 168] أي: النعم ﴿وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية: 168] أي: النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 168] أي: ينتهون عما كانوا عليه من المخالفات.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أجراهم على ما علم أنهم يكونون عليه من صلاح وسداد ومعاص وفساد ثم ابتلاهم بفنون الأفعال من محن أزاحها ومن منن أتاحها فطالبهم بالشكر على ما أسدى والصبر على ما أبلى ليظهر للمعتبرين من الملائكة والخلائق أجمعين جواهرهم في الخلاف والوفاق والإخلاص والنفاق وأما الحسنات فهي ما يشهدهم المجرى ولا يلهيهم عن المبدى وأما السيئات فالترديد بين الإنجاز والتأخير والباحة والتقصير ويقال: الحسنة أن تنسيك نفسك/ والسيئة أن تشهدك نفسك ويقال: الحسنات أن 322/ب يخطفهم عن شهود الأغيار والأعيان والسيئات أن يطرحهم في مفاوز الظنون والحسبان ويقال: الحسنات تيسير وقت عن الغفلات حالٌ وتسهيل يوم عن الآفات بائن والسيئات التي ابتلاهم بها خذلان حاصل وحرمان متواصل.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية: 169] من بعد ذلك الجيل الذي وجد فيهم الصالح والطالح ﴿خَلْفٌ﴾ [الآية: 169] بدل سوء والمراد بهم الذي كانوا في عصر رسول الله ﷺ ﴿وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 169] أي: علم التوراة أو نفسها من أسلافهم يقرؤون مبانيها ويقفون على معانيها من جملتها ذم الدنيا وما فيها ومع هذا ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ [الآية: 169] يختارون حطام هذا الشيء الأدنى

وهو الدنيا المأخوذ من الدنو والدناءة والمراد منه ما كانوا يأخذون من الرشوة في تبديل الحكومة على تحويل الكلمة وتحريف البنية.

﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الآية: 169] أي: الله لا يؤاخذنا بل يتجاوز عنا ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ [الآية: 169] جملة مستأنفة مشيرة إلى أنهم مصرون على ذلك غير تائبين عما هنالك فلا ينفعهم الاستغفار اللساني مع وجود الإصرار الجناني.

وأفاد الأستاذ: أنهم استوجبوا الذم بقوله سبحانه: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [الآية: 169] لأنهم أثروا العرض الأدنى وركنوا إلى عاجل الدنيا وجعلوا نصيبهم من الآخرة المنى فقالوا: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الآية: 169] ويقال من أمارات الاستدراج ارتكاب الذلة والاغترار بزمان المهلة وحمل تأخير العقوبة على استحقاق الوصلة ثم أخبر عن إصرارهم على الاغترار بالمنى وإيثار متابعتهم الهوى بقوله: وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 169] أي: في التوراة وهو ﴿أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 169] والمراد توبيخهم على البتّ بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على أنه افتراء على الله وخروج عن ميثاق التوراة والاستثناء منقطع البتة فإن معنى قال عليه افتراه واختلقه واخترعه اللّهم إلا أن يقال معناه أن لا ينقلوا على الله إلا الحق فالاستثناء متصل.

وأفاد الأستاذ: أن الاستفهام في معنى التقرير أي: أمروا أن لا يصفوا الحق إلا بنعت الجلال واستحقاق صفات الكمال وأن لا يتحكموا عليه بما لم/ يأت منه خبر ولم يشهد لصحته برهان ولا نظر ﴿وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾ [الآية: 169] أي: وقد علموا ما في الكتاب فهم ذاكرون للميثاق في هذا الباب. 323/أ

وقال الأستاذ: يعني تحققوا بمضمون الكتاب ثم جحدوا بعد لوح البيان وظهور البرهان ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 169] أي: لا للذين يخالفون فإن مصيرهم إلى النار ومآل المتقين إلى دار القرار ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 169] أن الآخرة خير وأبقى لمن اتقى فلا يستبدلوا الأدنى المؤدي إلى العقاب بالأعلى المورث للثواب وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على تلوين الخطاب.

وقال الأستاذ: يعني التعرض لنفحات فضله سبحانه خير لمن أمل جوده من مقاساة التعب لمن بذل في تحصيل هواه موجوده.

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ [الآية: 170] وقرأ أبو بكر بالتخفيف أي: يستمسكون ويعتصمون ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 170] أي: بكتاب الله والمراد به جنسه والقرآن ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 170] أي: التي هي أم العبادات وناهية عن السيئات والموصول عطف على الأول ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ اعتراض أو مبتدأ خبره ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية: 170] على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع ضميرهم.

وأفاد الأستاذ: إن قوله يمسكون بالكتاب إيماناً وأقاموا الصلاة إحساناً فبالإيمان وجدوا الأمان وبالإحسان وجدوا الرضوان فالأمان معجل والرضوان مؤجل ويقال ﴿يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية: 170] سبب النجاة ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 170] تحقيق المناجاة فالنجاة في المآل والمناجاة في الحال ويقال افرد الصلاة هاهنا بالذكر من جملة الطاعات ليعلم أنها أفضل العبادات بعد معرفة الذات والصفات وقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الآية: 170] أي: من أمل سبب إنعامنا لم تخسر له صفقة ولم يخفق له في الرجاء رفقه ويقال: من نقل إلى بابه قدمه لم يعدم في الآجل نعمه ومن رفع إلى ساحات جوده همه نال: في الحال كرمه ويقال: من توصل إليه بجوده نال في الدارين شرفه ومن اكتفى بوجوده كان الله عنه خلفه.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [الآية: 171] أي: قلعناه ورفعناه ﴿فَوْقَهُمْ﴾ [الآية: 171] أي: فوق رؤوسهم ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ [الآية: 171] سقيفة أو سحابة ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ [الآية: 171] تيقنوا من كمال قربه إليهم ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الآية: 171] ساقط عليهم إن خالفوا في عهدهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم/ 323/ب لقبولها وقيل لهم إن قبلتم ما فيها وإلا ليقض عليكم بأمر ربها فسجدوا وقبلوا ﴿خُذُواْ﴾ [الآية: 171] أي: قلنا لهم اقبلوا ﴿مَآ ءَاتَيْنَٰكُم﴾ [الآية: 171] من الكتاب ﴿بِقُوَّةٍ﴾ [الآية: 171] بجد واجتهاد في العمل به وعزم على تحمل مشاقه ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ﴾ [الآية: 171] من المعارف والأحكام وسائر الأقوال ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآية:

171] بسبب رذائل الأحوال وفضائح الأعمال.

وأفاد الأستاذ: أنه ليس من يأتي طوعاً كمن يأتي جبراً وإن الذي يأتي قهراً لا يعرف للحق سبحانه قدراً وأنشدوا في معناه:

إذا كان لا يرضيك إلا شفاعة فلا خير في ود يكون بشافع(1)

ويقال قصارى من أتى جبراً أن ينقص على عقبيه طوعاً كذلك لما قبلوا الكتاب بالإجبار ما لبثوا حتى قابلوه بالتحريف في الأخبار.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الآية: 172] أي: بعد ما أخذ أولاد صلبه من ظهره ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الآية: 172] بدل الاشتمال ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الآية: 172] وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر بالجمع أي: إن الله سبحانه أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتولد الأبناء من الآباء بالترتيب في عالم وجود القضاء على وفق سبق القضاء ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 172] أي: أشهد بعضهم على بعض بمضمون قوله لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] قد ورد الأحاديث الصحاح بما يدل على أن الله استخرج ذرية آدم من صلبه وميز بين أهل الجنة والنار بوضعهم بيضاء وسوداء في يمينه ويساره وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم ففي حديثين موقوفين على ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم كما حققه الثقات من المحدثين ووافقهما أكثر السلف كأبي بن كعب ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والسدي وغيرهم ويؤيده ما في الصحيحين عن النبي ﷺ يقال للرجل من أهل النار أرأيت لو كان لكل جميع الدنيا أكنت مفتدياً به؟ فيقول: نعم، فيقال قد أردت منك أهون من ذلك أخذت عليك في ظهر أبيك آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي وقال الحسن البصري وتبعه جمع من الخلف واختاره المعتزلة أن المراد بهذا الإشهاد أنه خلقهم على فطرة الإسلام ونصب لهم دلائل التوحيد في مقام المراد فصارت/ هذه الخلقة في مقام الابتلاء 324/أ بمنزله أنه قيل لهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] لكن لا يخفى أنه لا منع من الجمع ليكون الثاني دال على الأول فتأمل ثم قيل المؤمنون فهموا من قوله

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 463).

﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 172] الإثبات؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] والكافرون فهموا النفي فقالوا: بلى هذا.

وقد قال أبو سعيد الخراز: من كان حين قال ومن أين أجابوا وكيف كانوا هل أجابت عنهم إلا القدرة النافذة والمشيئة التامة وهل كانوا إلا رسماً لأحكام ملك تقديره وهل هم الأشباح تختلف عليهم تصاريف تدبيره.

قال الحسين: لا يعلم أحد من الملائكة والمقربين لماذا أظهر الخلق وكيف الابتداء إذ الألسنة ما نطقت والعيون ما أبصرت والآذان ما سمعت كيف أجاب من هو عن الحقائق غائب وإليه آيب في قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 172] فهو المخاطب وهو المجيب؟

وقال الحسين: أيضاً في قوله ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الآية: 172] القائل عنكم سواكم والمجيب عنكم غيركم فسقطتم أنتم وبقي من لم يزل كما لم يزل.

قاله الواسطي: في قوله ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الآية: 172] هو تقرير في صورة السؤال.

وأفاد الأستاذ: وأجاد فيما أفاد أنه سبحانه أخبر بهذه الآية عن سابق عهده وصادق وعده وتأكيد عناج وده بتعريف عبده وفي معناه أنشدوا:

سقياً لليلى والليالي التي كنا بليلى نلتقي فيها[1]

وأنشدوا:

أفديك بل أيام دهري كلها يفدين أياماً عرفتك فيها[2]

ويقال فاجأهم بتحقيق العرفان قبل أن وقع لمخلوق عليهم بصر وظهر في قلوبهم مصنوع أثر وكان لهم من حميم أو قريب أو صديق أو شفيق خبر وفي

(1) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 464).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 464)، والأصفهاني في محاضرات الأدباء (1/ 182) ونسبه إلى ابن بوقة. وعنده (أيام عمري) بدل (أيام دهري).

معناه أنشدوا:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبي خالياً فتمكنا[1]

ويقال جمعهم في الخطاب لكنه فرقهم في الحال فطائفة خطابهم بوصف القربة فعرفهم في نفس ما خاطبهم وفرقة أبقاهم في أوطان الغيبة فأقصاهم عن نعت العرفان وحجبهم ويقال أقوام لاطفهم إلى عين ما كاشفهم فأقروا بنعت التوحيد وآخرون أبعدهم في نفس ما أشهدهم فأقروا عن رأس الجحود ويقال وسم بالجهل قوماً فألزمهم بالإشهاد بيان/ الحجة فأكرمهم بالتوحيد 324/ ب آخرين فأشهدهم واضح المحجة ويقال تجلى لقلوب قوم فتولى تعريفهم فقال: بلى عن حاصل تعين وتعزز عن آخرين فأثبتهم في أوطان الجحد فقالوا: بلى عن ظن وتخمين ويقال: جمع المؤمنين في الإسماع ولكن غاير بينهم في الرتب فجذب قلوب قوم إلى الإقرار بما أطمعهم فيه من المبار وأنطق آخرين بصدق الإقرار بما أشهدهم من العيان وكاشفهم به من الأسرار ويقال فرقة ردهم إلى الهيبة فهاموا وفرقة لاطفهم بالقربة فاستقاموا ويقال عرف الأولياء أنه من هو فتحققوا بتحصيلهم ولبس على الأعداء فتوقفوا لحيرة عقولهم ويقال: أسمعهم وفي نفس ما أسمعهم أحضرهم لما أسمعهم ثم أخذهم عنهم فيما أحضرهم وقام عنهم فأنطقهم بحكم التعريف وحفظ عليهم بحسن التولي أحكام التكليف فكان سبحانه لهم مكلفاً وعلى ما أراد مصرفاً وبما استخلصهم له معرفاً وبها رقاهم إليه مشرفاً ويقال: كاشف قوماً في حال الخطاب بجماله فطوحهم في هيمان حبه فاستمكنت محابهم في كوامن أسرارهم فإذا سمعوا اليوم تجدد لهم تلك الأحوال فالانزعاج الذي يظهر فيهم لذكر ما سلف لهم من العهد المتقدم في الآزال ويقال: أسمع قوماً بشاهد التربية فأصحاهم عن عين الإشهاد فأجابوا عن عين التحقيق والشهود وأسمع آخرين بشاهد الربوبية فمحاهم عن التحصيل فأجابوا بوصف الجحود ويقال أظهر آثار العناية بدءاً حين اختص بالأنوار التي رست عليهم قوماً فمن

---

(1) نسب إلى مجنون بني عامر. انظر: الحيوان (1/ 52)، والبيان والتبيين (1/ 233) ونسب إلى غيره كابن الطيرية. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 349).

حرمه تلك الأنوار لم يجعله أهلاً للوصلة ومن أصابته تلك الأنوار أفصح بما خص به من غير مقاساة الكلفة (شهدنا) قال بعضهم ﴿شَهِدْنَآ﴾ [الآية: 172] قول الملائكة وهو أنه قال الله للملائكة اشهدوا على إقرارهم قالوا: شهدنا والأظهر أنه تتمة كلام بني آدم ويحتمل أن يكون ابتدأ كلام من الله سبحانه ويتعلق به ﴿أَن تَقُولُواْ﴾ [الآية: 172] والمعنى شهدنا ما ألقي إليكم وأظهرناه حجة عليكم كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا﴾ [الآية: 172] أي: من أنك ربنا ﴿غَـٰفِلِينَ﴾ [الآية: 172] ليس علم/ بهذا لنا ولا يكون لهم عذراً أصلاً لوقوع الميثاق أولاً ونصب الأدلة على الربوبية ثانياً وإرسال الرسل لتذكير العهد الأول آخراً وقرأ أبو عمرو بالغيبة على الالتفات وكذا في قوله:

325/ أ

﴿أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 173] أي: قبل زماننا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية: 173] فاقتدينا بهم في أفعالنا لأن التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح أن يكون عذراً في خطأ السبيل ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الآية: 173] يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك في الأولين.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية: 174] مثل ذلك التبيين ﴿نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ﴾ [الآية: 174] الدالة على اليقين ليتيقنوا فيما يعلمون ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية: 174] إلى طريق الحق فيما يعملون.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا سدت عيون البصيرة فيما ينفع وضوح الحجة أي: ولا شروح الحجة.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 175] على اليهود أو على قومك ﴿نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا﴾ [الآية: 175] أحد علماء بني إسرائيل والأكثرون على أنه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله عالم باسم الله الأعظم فسأله قومه أن يدعو على موسى وجنوده فأبى ثم ألحوا فألحوا وجاؤوه بالرشوة فقيل ودعا وقبل الله دعاءه فبقوا في التيه ثم دعا موسى عليه فنزع عنه الإيمان والاسم الأعظم كما صرح بذلك ابن مسعود وابن عباس وقال بعضهم: ما يسّر الله له الدعاء على موسى لكن قال لهم أخرجوا النساء إليهم فعسى أن يزنوا بهن ففعلوا فوقع واحد من بني إسرائيل

في الزنا فنزل عليهم الطوفان فقتل أحد علمائهم الزاني فكشف عنهم العذاب قيل فحُسِب من هلك في الطوفان في ساعة من النهار فوجد سبعين ألفاً هكذا رواه ابن جرير وابن عساكر ومحمد بن إسحاق وغيرهم وروي عن ابن عمر وابن عمران المراد أمية بن الصلت وكان قد قرأ التوراة والإنجيل وكان يعلم بأمر النبوة قبل البعثة فلما بعث النبي ﷺ حسده لطمعه أن يكون هو المبعوث فكفر فقيل مرادها أن يشبهه في كثرة علمه وتتبعه كتب الأوائل ومع ذلك صار إلى موالاة المشركين ومناصرتهم أقول والعبرة/ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فتشمل 325/ ب الآية جميع علماء السوء وجهلة الصوفية ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الآية: 175] أي: من الآيات بأن كفر بها أو أعرض عنها ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الآية: 175] أي: حتى لحقه أو استتبعه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾ [الآية: 175] أي: في علم الله أو فصار من الضالين في طريق هداه لأجل متابعة هواه وترك أمر الله ورضاه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يظهر الأعداء في صدار الخلة ثم يردهم إلى سابق القسمة ويبرز الأولياء بنعت الخلاف والزّلّة ثم يغلب عليهم مقسومات الوصلة.

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ﴾ [الآية: 176] إلى أعلى منازل درجات العلماء ﴿بِهَا﴾ [الآية: 176] بسبب تلك الآيات وملازمتها ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية: 176] أي: مال إلى مال الدنيا الدنية وزخارفها الفانية وإلى مرتبة السفالة والرذالة والجهالة والضلالة ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ [الآية: 176] في ترك طريق مولاه ومتابعة رضاه قال القاضي وإنما قيد رفعه بمشيئة الله ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيهاً على أن المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وإن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتقاء سببه وأن السبب الحقيقي هو المشيئة وأن ما نشاهده من الأسباب إنما هي وسائط معتبرة في حصول المسبب من حيث أن المشيئة تعلقت به كذلك هذا.

وقال ابن عطاء: سوابق الأزل تؤثر على انتهاء الأبد ولو جرى له في حكم الأزل السعادة لأثر ذلك عليه في عواقب سعيه وكدحه وأواخر أحواله.

وأفاد الأستاذ: أنه لو ساعدته المشيئة بالسعادة الأزلية لم تلحقه الشقاوة الأبدية ولكن من قصمته السوابق لم تنعشه اللواحق وفي قوله: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 176] إذا كان مساكنة آدم الجنة وطمعه في الخلود فيها أوجبا خروجه عنها فالركون إلى الدنيا متى يوجب البقاء بها وفي قوله: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ موافقة الهوى ينزل صاحبها من سماء العز إلى تراب الذل ويلقيه في وهدة الهوان ومن لم يقصد علماً وشهوداً فعن قريب يقاسيه وجوداً ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الآية: 176] في أحسن أحواله وهو ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ﴾ [الآية: 176] أي: يلهث دائماً/ سواء حمل عليه بالطرد والزجر أو ترك ولم يتعرض له بالنهي والأمر واللهث امتداد اللسان من النفس الشديد وحصر من بين الحيوانات بذلك لضعف فؤاده وقيل: لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب وقد روي أنه يدخل النار بصورة كلب أصحاب الكهف ويدخل كلب أصحاب الكهف بصورة بلعم في الجنة. 326/ أ

وأفاد الأستاذ: أن من أخلاق الكلب الوقوع في من لم يجفه على جهة الابتداء ثم الرضا عنه بلقمة كذلك الذي ارتد عن طريق الإرادة يصير ضيق الصدر سيىء الخلق يبدأ بالجفاء كل بريء ثم يهدي طياشته بنيل كل عوض خسيس وفي قوله: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ [الآية: 176] كذلك المحجوب عن الحقيقة فسيان عنده الإحسان والإساءة فهو في الحالتين إما صاحب ضجر أو صاحب بطر لا يحمل المحنة إلا على زوال الدولة ولا يقابل النعمة إلا بالنهمة فهو في الحالتين محجوب عن الحقيقة ويقال للكلب نجاسته أصلية وخساسته كلية كذلك للمردود في الصفة نقصان القيمة وحرمان القسمة ويقال: إقامة في محل القربة ثم أبرز له من مكامن المكرما أعدله من سابق التقدير فأصبح والكل دون رتبته وأمسى والكلب فوقه مع خساسته وفي معناه أنشدوا:

فبقينا بخير والدنيا مطمئنة فأصبحت يوماً والزمان تقلبا[1]

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 41) و(2/ 466) و(3/ 62) و(7/ 31) وهناك اختلاف بين الألفاظ في صدر البيت.

ويقال ليست العبرة بما يلوح في الحال وإنما العبرة بما يؤول إليه في المآل ﴿ذَّٰلِكَ﴾ [الآية: 176] أي: هذا المثل ﴿مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الآية: 176] بأن كفروا أو أعرضوا عنها ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ﴾ [الآية: 176] أي: القصة المذكورة على اليهود أو على كفار مكة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية: 176] أي: يتدبرون فيتعظون فيؤمنون ويتقون.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ﴾ [الآية: 177] أي: مثل القوم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ [الآية: 177] بعد قيام الحجة عليها وثبوت علمهم بها ﴿وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 177] بمخالفتها.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 178] أي: هداية موصلة ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الآية: 178] اكتفى في الإخبار عمن من هداه الله بالمهتدي تنبيهاً على أن الاهتداء جمال/ عظيم وكمال جسيم فالكلام من قبيل أنا أبو النجم وشعري شعري ونظيره 326/ ب ما ورد فمن هاجر إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله[1] أي: فيكفيه هذا أن يقال في حقه وأن يوصف به أو معناه فأولئك هم الرابحون لما يستفاد من مقابلته بقوله: ﴿وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الآية: 178] أي: الكاملون في الخسران ولعل وجه الإفراد في الأول والجمع في الثاني في تحقيق المعنى بعد اعتبار اللفظ والمبنى هو الإيماء إلى قلة أرباب الهداية وكثرة أصحاب الضلالة والغواية كما يؤخذ من الإشارة بهو للقريب وبذلك للبعيد في العبارة هذا وقيل: ليس الناجي من سعى وأحسن السعي إنما الناجي لمن سبقت له الهداية من الهادي قال الله عزَّ وجلَّ ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ [الآية: 178] وقال الأستاذ ليست الهداية من حيث السعاية الهداية من حيث البداية ليست الهداية بكفر العبد ونظره إن الهداية بفضل الحق وجميل نظره.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ [الآية: 179] خلقنا ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الآية: 179] يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى وهو لا ينافي قوله تعالى ﴿وَمَا

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6689)، ومسلم في الصحيح (1907/ 155).

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56] لأن المراد بها المعهود وهم المؤمنون في علمه تعالى والإلزام تخلف إرادته سبحانه ويدل على ذلك قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين يعني المعهودين من العاصين ويؤيده حديث خلقت هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي وهذا معنى قوله ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: 7] وقيل اللام في هذه الآية للعاقبة نحو لدوا للموت وابنوا للخراب[1].

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] أي: لا يفهمون معرفة الحق وطريق الصواب ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] أي: الآيات الدالة على معرفة رب الأرباب ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الآية: 179] مواعظة الكتاب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [الآية: 179] في عدم الإبصار للاعتبار وفقد الاستماع للتقدير في الإخبار وفي أن قوامهم متوجه إلى أسباب المعيشة الدنيوية وهممهم مقصورة على الأمور الشهوية ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الآية: 179] فإن الأنعام تعقل ما خلقت له من المرام إما بالطبع وإما بتسخير الآنام فتدرك منافعها ومضارها/ في الليالي والأيام بخلاف الكفار فإنهم خلقوا لعبادة الرحمن وهم يطيعون الشيطان إما جحوداً وإما عناداً وقيل ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] شواهد الحق ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] دلائل الحق ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الآية: 179] دعوة الحق ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الآية: 179] لأن (الأنعام) لا تحسّ بالاستتار والتجلي والأرواح نعيمها وعذابها في الاستتار ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الآية: 179] أي: الكاملون في الغفلة عن أنواع الأذكار.

327/أ

وأفاد الأستاذ: أن من خلقه لجهنم متى يستوجب الجنان ومن أهله للسخط أنّى يستحق الرضوان ولولا انسداد البصائر وإلا فأي إشكال بقي بعد هذا الإيضاح الظاهر ويقال هم اليوم في جحيم الجحود مقرنين في أصفاد الخذلان ملبسين ثياب الحرمان طعامهم ضريع الوحشة وشرابهم حميم الفرقة وغداً هم في جحيم الحرقة كما فصل في الكتاب شرح تلك الحالة ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ

(1) سبق التعليق عليه.

﴿لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] أي لا يفهمون معاني الخطاب كما فهمه المحدثون وليس لهم تمييز خواطر الحق وبين هواجس النفس ووساوس الشيطان ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ [الآية: 179] شواهد التوحيد وعلامات اليقين ولا ينظرون إلا من حيث الغفلة ولا يسمعون إلا دواعي الفتنة ولا ينخرطون إلا في سلك ركوب الشهوة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الآية: 179] لأن الأنعام رفع عنها التكليف فإن لم يكن بها وفاق الشرع فليس منها أيضاً خلاف الأمر وأن الأنعام لا نهمة لها إلا الاعتلاف وما تدعو إلى الجبلة من مباشرة الجنس فكذلك من أقيم بشواهدها وأظهر على وصفها من المربوطين بأحكام النفس وفي معناه أنشدوا:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة ... وليلك نوم والردى لك لازم
وسعيك فيها سوف تكره غبَّه ... كذلك في الدنيا تعيش البهائم[1]

﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية: 180] هي أحسن أسماء المباني لأنها دالة على معاني هي أحسن المعاني والمراد بها الألفاظ الدالة عليها أو الصفات بنفسها ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الآية: 180] بتلك الأسماء وتخلقوا بتلك الصفات وتعلقوا بمحبة الذات/ فكل اسم يصلح للتخلق إلا لفظ الله فإنه للتعلق. 327/ ب

قال بعضهم: كل اسم من أسمائه يبلغك مرتبة من المراتب فاسمه الله يبلغك إلى الوله في حبه والرحمٰن الرحيم يبلغانك إلى رحمته وكذلك جميع أسمائه إذا دعوته بهما من خلوص ضميرك وصفاء عقلك وتحقيق هذا المبنى في المقصد الأسنى وكذا في شرح الأستاذ للأسماء الحسنى.

وأفاد هنا من جملة ما أجاد أن الحق سبحانه تعرف إلى أوليائه بنعوته وأسمائه فعرفهم أنه من هو بأي وصف هو وما الواجب في وصفه وما الجائز في نعمته وما الممتنع في حقه وحكمه فيتجلى لقلوبهم بما يكاشفهم به من أسمائه وصفاته وأن العقول محجوبة عن الهجوم بذواتها على ما يصح إطلاقه في وصفه فإن كانت واقفة على الواجب والجائز والممتنع في ذاته فللعقل

---

(1) كان عمر بن عبد العزيز يردده ويتمثل بهما. انظر: الكشكول (1/ 322)، وبهجة المجالس (1/ 244)، والبصائر والذخائر (1/ 234).

العرفان في الجملة وبالشرع الإطلاق والبيان في الإخبار والقالة فما ورد به التوقيف يطلق وما سكت عنه التوقيف يمنع ويقال من كان الغالب عليه وصفاً من صفاته كان غلب على هجيراه فمن كان مكاشفاً بعطائه مربوط القلب بأفضاله فالغالب على قالته الثناء عليه بأنه الوهاب والبار المعطي وما جرى مجراه ومن كان مجذوباً عن شهود الأنعام مكاشفاً بنعت الرحمة فالذي يغلب على ذكره وصفه بأنه الرحمن الرحيم الكريم وما في معناه ومن سمت همته عن شهود جوده واستهلك في حقائق وجوده فالغالب على لسانه الحق ولذلك أكثر أقوال العلماء في الإخبار عن الباري لأنهم في الترقي من شهود الفعل إلى شهود الفاعل وأهل المعرفة الغالب على لسانهم الحق لأنهم مختطفون عن شهود الآثار متحققون بحقائق الوجود ويقال إن الله سبحانه وقّف الخلق بأسمائه فهم يذكرونها قالة وتعزز بذاته فالعقول وإن وصفت لا تهجم على حقائق الإشراف إذ الإدراك لا يجوز على الحق فالعقول عند بواده الحقائق متقنعة بنقاب الحيرة عن التعرض للإحاطة والمعارف تائهة عند [قصد] الإشراف على حقيقة الذات والأبصار حسيرة عند طلب الإدراك في أحوال/ 328/أ الرؤية فالحق سبحانه عزيز وباستحقاق نعوت التعالي متفرد ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ [الآية: 180] وقرأ حمزة بفتح الياء والحاء أي: واتركوا الذين يزيفون ويميلون عن الحق إلى الباطل ﴿فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الآية: 180] أي: من جهة مبانيها أو طريقة معانيها أو من حملتها اشتقاق أسماء الآلهة منها كاللات والعزى ومناة ونحوها وقيل: الإلحاد فيها تسمية بما لم يرو في الكتاب والسُنَّة إطلاقها كيا سخيّ ويا مكار ويا عاقل وأشباهها أو يوهم معنًى فاسداً كقولهم يا أبا المكارم وأبيض الوجه وأمثالها ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 180].

وأفاد الأستاذ: أن الإلحاد هو الميل عن الاقتصاد وذلك على وجهين بالزيادة والنقصان فأهل التمثيل زادوا فألحدوا وأهل التعطيل نقصوا فألحدوا.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الآية: 181] أي: يقولون به ويدعون إليه أي: يقضون ويعملون وهم الصحابة والتابعون وفي الحديث لا تزال

من أمتي طائفة على الحق إلى أن يأتي أمر الله فالآية[1] دالة على صحة إجماع الأمة.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه أجرى سنته بأن لا يخلي البسيطة من أهل لها هم الغيات وفيهم دوام الحق في الظهور في معناه قالوا:

إذا لم يكن قطب .... فمن ذا يديرها[2]

وهدايتهم بالحق أنهم يدعون إلى الحق ويدلون على الحق ويتحركون بالحق ويسكنون للحق بالحق هم قائمون بالحق يصرفهم الحق للحق بالحق أولئك هم غياث الخلق هم يسقون إذا قحطوا ويمطرون إذا أجدبوا ويجابون إذا دعوا.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية: 182] الدالة على تحقق ذاتنا وصفاتنا ﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ [الآية: 182] سنستقربهم قليلاً قليلاً إلى الحجاب ونستزلّهم ساعة فساعة إلى العذاب ﴿مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية: 182] أي: ما يريد بهم رب الأرباب أو من حيث لا يشاهدون الأسباب فكلما جددوا معصية جدد الله لهم نقمة وأنساهم التوبة عن تلك المعصية فانتقلوا من النعمة إلى النقمة ومن المنحة إلى المحنة.

وأفاد الأستاذ: أن الاستدراج هو أن يلقي في أوهامهم أنهم من أهل الوصلة في الحقيقة والسابق لهم من القسمة حقائق الفرقة ويقال الاستدراج انتشار الصيت/ بالخير في الخلق والانطواء على الشر في السر مع الحق ويقال 328/ ب الاستدراج الرجوع من توهم صفاء الأحوال إلى ركوب قبيح الأعمال ولو كان صادقاً في حاله لكان معصوماً في أعماله ويقال الاستدراج دعاوٍ عريضة صادرة عن معانٍ مريضة ويقال: الاستدراج إفاضة البر مع إنساء الشكر.

﴿وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ﴾ [الآية: 183] أي: أمهلهم في ضلالهم المبين ﴿إِنَّ كَيۡدِي

(1) تفسير أبي السعود (3/ 297)، وتفسير البيضاوي (1/ 78).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (2/ 472).

﴿مَتِينٌ﴾ [الآية: 183] أي: أخذي شديد ومكري أكيد وإنما سماه كيداً لأن ظاهره إحسان وباطنه خذلان وصورته منحة ونعمة وحقيقته محنة ونقمة فأي نعمة آخرها النار وأي محنة آخرها الجنة وفي الحديث أمهلناهم فظنوا أنا أهملناهم[1].

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ [الآية: 184] أي: فيعلموا ﴿مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ﴾ [الآية: 184] ليس بنبيهم شيء من الجنون بل هو أعقل العقلاء من أرباب الفنون ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية: 184] موضح إنذاره ومظهر أنواره.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾ [الآية: 185] نظر اعتبار ولم يتأملوا تأمل استظهار ﴿فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الآية: 185] في عجائب المخلوقات من عوالم العلويات والسفليات ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الآية: 185] أي: وفيما يقع عليهم اسم الشيء من المصنوعات الموجودات والممكنات التي لا يمكن حصرها ولا يتصور إحصاؤها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولي أمرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه نبيهم ﷺ فتفسير ما الذي بمعنى شيء بشيء للإشارة إلى أن المراد بما عام أي: أي شيء كما قال بعض أرباب الحال: ففي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد وقال بعض أبدع الله الأوليات من لا شيء ثم اخترع خلق البقيات بعد تلك الأشياء من السابقات كالسماء من دخان والملائكة من نور وآدم من تراب على سلسلة الموجودات فنبه على أن الملكوت أوليات وما سواها خلق من موجودات سابقات فعلى هذا من شيء متعلق بخلق لا بيانية كما في وجوه الإعرابات هذا وقيل: النظر في الملك والملكوت يورث الاعتبار والنظر إلى الملك وصفاته الجبروت يسقط عنك الاشتغال بالأغيار مع أنه في نظر الأحرار ليس في الدار غيره ديار ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الآية: 185] عطف على ملكوت/ وأن مصدرية ومخففة 329/ أ واسمه ضمير الشأن وكذا اسم يكون في معرض البيان والمعنى أو لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها في كل حال من أحوالهم فيسارعون إلى تدارك الفوت قبل مفاجآت الموت ويبادروا إلى التوبة عن الحوبة قبل نزول العقوبة.

(1) انفرد به الملّا علي القاري.

وأفاد الأستاذ: أن الناس في مغاليط آمالهم ناسون لوشيك آجالهم فكم من ناسج لأكفانه وكم من بان لأعدائه وكم من زارع لم يحصد زرعه هيهات الكبش يعتلف والقصاب مستعد له ويقال سرعة الأجل تنقص لذة الأمل ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ﴾ [الآية: 185] أي: بعد القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 185] إذ لم يؤمنوا به والمعنى لعل أجلهم سبق أملهم فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوح هذا التبيان فإن لم يؤمنوا به فبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به ومن يضلل الله فلا هادي له تقرير وتعليل لما قبله ونذرهم بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عاصم وعمرو بالياء لقوله.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 186] وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفاً على محل ﴿فَلَا هَادِىَ لَهُۥ﴾ [الآية: 186] ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾ [الآية: 186] كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد غيره ويتركهم ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [الآية: 186] أي: ضلالتهم وكفرانهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ [الآية: 186] حال كونهم يترددون.

وأفاد الأستاذ: إن من حرمه أنوار التحقيق غمه في ضباب الجهل فهو يزول يميناً ويسقط شمالاً.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الآية: 187] أي: القيامة وهي من الأسماء الغالبة وإطلاقها عليها إما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها كأنه ساعة أو لأنها على طولها عند الله كساعة أو من باب التسمية بأضدادها ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الآية: 187] أي: متى يكون إرساؤها أو أن يوجد إثباتها نزلت في قريش يسألون عن وقتها استبعاداً لوقوعها ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ [الآية: 187] استأثر به ذاتها لم يطلع عليه ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلاً﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ﴾ [الآية: 187] أي: لا يظهر أمرها في زمانها ﴿إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 187] والمعنى أن الخفاء بها مستمر على غيره إلى وقت وقوعها.

وأفاد الأستاذ: أن السائل عن الساعة رجلان منكر يتعجب لفرط جهله وعارف مشتاق يستعجل لفرط شوقه والمتحقق بوجوده ساكن في حاله فسيان عند قيام القيامة ودوام السلامة والإيمان بها غيب ويقين/أهل التوحيد صاف 329/ب

عن شوائب الريب ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [الآية: 187] عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين بشدة هولها وكأنه إشارة إلى إخفائها وهذا قول ابن عباس واختاره ابن جرير أو شقت عليهما عند وقوعها حتى انهدمت وانشقت وهذا قول ابن عباس أيضاً ووافقه ابن جريج أو ثقل خفاؤها على أهلها وهو قول قتادة أو خفيت فيها لا يعلمها أحد من أهلها وكل خفي ثقيل على الخاطر وبيل وهذا قول السدي وعلى الوجوه كلها كلمة في استعارة منبهة على تكمن ثقلها ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ﴾ [الآية: 187] إتيان فجأة على حال غفلة كما روي عنه عليه السلام أن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه[1] من هذا عند النفخة الأولى وهي مبدأ القيامة الكبرى التي توجد البعثة عند النفخة الثانية هذا وقيل من مات فقد قامت قيامته[2] والموت إن لم يكن بغتة فمقدماته لا تكون إلا فجأة فرحم الله من تنبه عن قوم الغفلة واستعد الزاد لهذه الرحلة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ﴾ [الآية: 187] أي: عالم بها كذا قاله ابن عباس وغيره وهو فعيل من حفي عن الشيء إذا سأل عنه فإن من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ولذلك عدي بعن ولما كان المبالغة في السؤال مستلزماً للعلم أطلق الحفي وأريد به العالم أو كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمت وقتها وقيل عنها متعلقة بيسألونك ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 187] أي: لا يطلع عليه أحد سواه كرره للمبالغة فيما أخفاه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 187] أن علمها مختص به لم يؤته أحداً من خلقه.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾ [الآية: 188] أي: فضلاً عن غيري ﴿نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الآية: 188] جلب خير ولا دفع شر وهو إظهار للعبودية وتبرءٌ عن ادعاء علم الغيب الخاص بالمرتبة الربوبية ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 188] بأن يلهمني إياه ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الآية: 188] بوقت حصول الخير ونزول الشر ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الآية: 188] أي: الشر والمعنى لو كنت أعلم

---

(1) تفسير الطبري (13/ 297)، وتفسير ابن كثير (3/ 519).

(2) سبق تخريجه.

الغيب في مالي لخالفت حالي من اكتساب المبار واجتناب المضار فلم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى/ أو رابحاً تارة وخاسراً أخرى في تجارة الدنيا ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [الآية: 188] ما أنا إلا عبد مرسل لإنذار الفجار وبشارة الأبرار ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 188] في الحقيقة لأنهم هم المنتفعون نزلت حين قالت قريش ألا تعلم الرخص قبل الغلاء فتشتري وتربح والأرض التي تريد أن تجرب وترتحل إلى الأرض التي تخصب. 330/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمره بتصريح الإقرار بتبريه عن حوله ومنته أي قوته وأن قيامه وأمره ونظامه بطول ربه ومنته ولذلك يتجنس على الأحوال ويختلف في الأطوار فمن عسر يمسني ومن يسر يخصني فلو كان الأمر بمرادي ولم يكن بيد غيري قيادي تشابهت أحوالي في اليسر ولتشاكلت أوقاتي في البعد من العسر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [الآية: 189] هو آدم عليه السلام.

قال الأستاذ: إنه سبحانه أخرج النسمة من نفس واحدة وأخلاقهم مختلفة وهممهم متباينة كما يخلق الشخص من نطفة واحدة وأعضاء الشخص وأجزاؤه مختلفة فمن قدر على تنويع النطفة المتشاكلة أجزاؤها فهو القادر على تنويع أخلاق الخلق الذين أخرجهم من نفس واحدة ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ [الآية: 189] أي: وخلق من جسدها وهو ضلع من أضلاعها وجنسها لقوله ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: 72] ﴿زَوْجَهَا﴾ [الآية: 189] حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ [الآية: 189] ليأنس بها ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه أو جنسه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه رد المثل بالمثل وربط الشكل بالشكل ليعلم العالمون أن سكون الخلق من الخلق لا إلى الحق وكذلك أنس الخلق بالخلق لا بالحق فالحق تعالى قدوس منه كل حظ للخلق خلقاً وهو منزه عن رجوع شيء إلى حقيقته حقاً ثم ذكر الضمير ذهاباً إلى المعنى ومناسبة للمبنى وفقت بالجهل لخفته ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ [الآية: 189] صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها

﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ﴾ [الآية: 189] ﴿رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا﴾ [الآية: 189] أعطيتنا ﴿صَٰلِحًا﴾ [الآية: 189] بشراً سوياً أو ولداً صلح بدنه رضياً فإنهما أشفقا وخافا أن يكون بهيمة على ما قاله الضحاك ونقل عن ابن عباس ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية: 189] على هذه النعمة المجددة.

330/ب ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَآ﴾ [الآية: 190] أتى/ أولادهما فسموا عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 190] .

وأفاد: الأستاذ إنّ شر الناس من يبتهل إلى الله عند هجوم البلاء بخلوص الدعاء وشدة التضرع والبكاء فإذا أزيل شكاياته ورفع منه آفاته ضيّع الوفاء ونسي البلاء وقابل الرفد بنقض العهد وأبدل العقد برفض الرد أولئك الذين أبعدهم الله في سابق الحكم وخرطهم في سلك أهل الرد وروي أنه لما حملت حواء أتاها إبليس في غير صورته فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة أو كلب وما يدريك من أين يخرج فخافت من ذلك فخوفها مراراً كثيرة وذكرت ذلك لآدم فهما منه ثم عاد إليها وقال إني من الله بمنزلة فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثاً في الملكية فقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحارث ولم يعرفا أنه من تلبيس إبليس وقد صح هذا النقل عن ابن عباس وكثير من السلف والخلف على ما رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والسدي وذكر الترمذي والنسائي والإمام أحمد والحاكم في مستدركه وابن مردويه وابن أبي حاتم حديثاً مرفوعاً عن ابن عباس[1] لكنه في رواية الكل نوع ضعف على ما ذكره المحققون ففي الجملة له أصل ثابت وهذا ليس بشرك حقيقي لأنهما ما اعتقدوا أن الحارث ربه بل قصدوا إلى أنه سبب صلاحه فسماه الله تعالى شركاً للتغليظ فإن الذنب من العارفين الموقنين أشد وأعظم من عامة المؤمنين فإن الأولى بهما أن لا يفعلان ما أتيا به من الشرك الخفي كما يفعله الجهلة في

(1) تفسير الطبري (13/ 307)، وتفسير ابن كثير (3/ 525).

زماننا من تسميتهم بعبد النبي وعلى هذا يكون لفظ شركاء من إطلاق الجمع على الواحد تجوز وقرأ نافع وأبو بكر شركاً أي: شركة بأن أشركا فيه غيره أو ذوي شرك وهم شركاً قيل ويحتمل أنهما لما فعلا هنالك اقتدى لهم بعض الناس بذلك فسموا أولادهم عبد شمس ونحوه فنسب إليهما كل ذلك/ لتسببهما ثم قال ﴿فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 190] أي: إشراكاً جلياً أو خفياً. 331/ أ

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 191] أي: الأصنام ﴿وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الآية: 191] أي: جميعهم كسائر الأنام.

وأفاد الأستاذ: أنه كما لا يجوز أن يكون الرب مخلوقاً لا يجوز أن يكون غير الرب خالقاً فمن وصف الحق بخالص وصف الخلق فقد ألحد ومن نعت الخلق بما هو من خصائص حق الحق فقد جحد.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ [الآية: 192] لعبدتهم ﴿نَصْرًا﴾ [الآية: 192] نصرة ومنفعة ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الآية: 192] فيدفعون عنها شيئاً من المضرة.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ [الآية: 193] أي: المشركين ﴿إِلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الآية: 193] أي: الإسلام وترك الهوى ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ [الآية: 193] وقرأ نافع بالتخفيف وقيل الخطاب للمشركين لا له ﷺ وأتباعه من المسلمين وهم في تدعوهم ضمير الأصنام لا المشركين والمعنى أن تدعوهم أن يهدوكم لا يتبعوكم ويلائمه قوله ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ﴾ [الآية: 193] ساكتون لهم.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه بين أن المعبود هو القادر على هداية داعيه وعلم العبد بقدرة معبوده يوجب تبريه من حوله وقوته وإفراد الحق تعالى بالقدرة على قضاء حاجته وإزالة ضرورته فيتقاصر عن قصد الخلق خطاه وينقطع آماله من غير مولاه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 194] أي: تدعوهم عباده وتسمونهم آلهة ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الآية: 194] من حيث أنها مملوكة له مسخرة لأشباهكم ﴿فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الآية: 194] إنها آلهة وتستحق العبادة.

وأفاد الأستاذ: أنها إذا قرنت الضرورة بالضرورة تضاعف البلاء وترادف العناء فالمخلوق إذا استعان بمخلوق مثله ازداد بعد المراد من النجح وكيف يشكك من هو أخيذ شكاته هيهات إن ذلك خطأ من الظن وباطل من الحسبان.

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الآية: 195] فيه تنبيه على أن الأصنام المنحوتة بأيديكم وقوة أفعالكم لو كانوا أحياء عقلاء أمثالكم ما كانوا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ولا يستوجب طاعتكم وكيف وهم دونكم في المرتبة وهو يتصور أن يكون المعبود أنقص رتبة من العابد وأعجز في تحصيل المقاصد.

وقد أجاب الأستاذ فيما أفاد بقوله: بين بهذه الآية أن الأصنام التي عبدوها دونهم فيما اعتقدوا/ فيه صفة المدح ثم [لم] يعبد بعضهم بعضاً فكيف استجازوا عبادة ما فوقهم في النقص ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ [الآية: 195] واستعينوا بهم في عدواتي ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ [الآية: 195] أي: بالغوا أنتم وإياهم فيما يقدرون عليه من مكروهاتي ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الآية: 195] فلا تمهلوني ولا تهملوني فإني بكيدكم لا أبالي لوثوقي على ولاية ربي المتعالي.

331/ب

قال الأستاذ: صدق التوكل على الله يوجب ترك المبالاة بغير الله كيف لا والتفرد بالقدرة على النفع والضر والخير والشر هو الله.

﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية: 196] القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية: 196] بتوفيق الإيمان وتحقيق الإحسان والصالحون يتناول الأنبياء والمؤمنين الأصفياء.

وقال الواسطي: يتولى الصالحين بالوقاية ويتولى الفاسقين بالغواية.

وأفاد الأستاذ: إن من قام بحق الله يتولى الله أموره على وجه الكفاية فلا يحوجه إلى أمثاله ولا يدع شيئاً من أحواله إلا أجراه على ما يريده بحسن إفضاله فإن من لم يفعل ما يريده جعل العبد راضياً بما يفعله وروح الرضا

على الإسرار أتم من راحة الغطاء على قلوب الأبرار.

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية: 197] من شمس أو قمر وكوكب أو نبي مرسل أو ملك مقرب ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الآية: 197] لعدم استقلالهم في أفعالهم وأحوالهم فكيف هؤلاء الجماد من الأصنام التي في أدنى مراتب الأنام.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ [الآية: 198] أي: المشركين ﴿إِلَى الْهُدَىٰ﴾ [الآية: 198] والخطاب له ﷺ والمؤمنين ﴿لَا يَسْمَعُوا۟﴾ [الآية: 198] سماع قبول ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية: 198] أنوار الحق عليك لقصور نظرهم الحاصل على الحاضر من غير ترق إلى عالم السر.

وأفاد الأستاذ: أنهم شاهدوه بأبصار رؤوسهم لكنهم حجبوا عن رؤيته ببصائر أسرارهم وقلوبهم فلم يعتد برؤيتهم ويقال رؤية الأكابر ليست بشهود أشخاصهم لكن بما يحصل للقلوب من مكاشفة الغيب وذلك على تقادير الاحترام وحصول الإيمان انتهى وأما جعل ضميرهم إلى الأصنام فبعيد عن المرام في هذا المقام.

﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ [الآية: 199] أي عن المسيئين ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الآية: 199] أي: بالمعروف من أفعال المحسنين ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَـٰهِلِينَ﴾ [الآية: 199] أي: اصفح عن أعمال الغافلين وهذه/ الآية لمكارم الأخلاق جامعة وقد جاء في تفسيرها 332/ أ حديث قدسي وكلام أنسي وهو أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك[1].

وأفاد الأستاذ: أن العفو من خصائص سُنَّة الله تعالى في الكرم فأمر نبيه ﷺ بالأخذ به على الوجه الأتم إذ الخبر ورد بأن المؤمن آخذ من الله خلقاً حسناً وكلما كان الجرم أكثر فالعفو عنه أجل وأكمل وأعظم وعلى قدر عظم رتبة العبد في الكرم يوفق للعفو عن الأصاغر والخدم وقد قال ﷺ في

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (1/ 279) رقم (909)، والمعجم الكبير (20/ 188) رقم (413)، والبيهقي في السنن الكبرى (10/ 235) رقم (20880).

الجراحات التي أصابتهم في حرب أُحُد اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون[1] ثم أفضل العرف أن يكون أكمل العطاء لأكثر أهل الجفاء وبذلك عامل رسول الله ﷺ عامة الناس ثم الإعراض عن الأغيار بالإقبال على من لم يزل ولا يزال وفي ذلك النجاة من الحجاب والتحقق بما يتقاصر عن شرحه الخطاب.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾ [الآية: 200] أي: وأن ينخسنك منه نخس بوسوسته تحملك على خلاف ما أمرت به من طاعة كاعتراك غضب وكراهة ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 200] في تلك الحالة ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 200] بمقالك ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 200] بحالك.

وقال الأستاذ: إن سنح في باطنك من الوسواس أثر فاستعذ بالله يدركك بحسن التوفيق وإن هجس في صدرك من الحظوظ خطرة فاستعذ بالله يدركك بإزالة كل نصيب وإن لحقتك عزة في بذل الجهد فترة فاستعذ بالله يدركك بإدامة التأبيد وإن اعتريك في الترقي إلى محل الوصول وقفة فاستعذ بالله يدركك بإدامة التحقيق وإن تقاصر عنك في خصائص القرب صيانته لك عن شهود المحل فاستعذ بالله بتثبتك له لا لك بك.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية: 201] مخالفة الله أو مخالفة ما سواه ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ﴾ [الآية: 201] لمة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي طيف أي: خيال ووسوسة ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟﴾ [الآية: 201] تنبهوا وتصوروا ما أمر الله به ونهى عنه ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الآية: 201] بسبب تذكر مواقع الخطاب ومواضع الحجاب فيحترزون منها ولا يتبعونه فيها والآية/ تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله سبحانه. 332/ب

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ﴾ [الآية: 202] وقرأ نافع من الإمداد أي وإخوان الشياطين الذين لم يتقوا في الدين يهديهم الشياطين ويزيدونهم ﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾ [الآية:

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3477)، وابن حبان في الصحيح (3/ 254) رقم (973)، والطبراني في المعجم الكبير (6/ 120) رقم (5694).

202] أي: الضلالة بالتزيين ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الآية: 202] أي: يمتنع الشياطين ولا يمسكون عن إغوائهم حتى يردوهم إلى ولائهم أو لا يكفّ الإخوان عن الغي والهوى ولا يقصرون عن المتقين الشائعين للهدى.

وقال الأستاذ: إنما يمس المتقين طيف الشيطان في ساعات غفلتهم عن ذكر الله ولو أنهم استداموا ذكر الله بقلوبهم لما مسهم طيف الشيطان فإن الشيطان لا يقرب قلباً في حال شهودهم الله لأنه ينخنس عند ذلك ولكل صارم نبوه ولكل عالم هفوة ولكل عابد شدة ولكل قاصد فترة ولكل سائر وقفة ولكل عارف حجبة قال ﷺ «الحدة تعتري خيار أمتي» فأخبر أن خيار الأمة وإن جلت رتبتهم لا يتخلصون عن حدة تعتريهم في بعض أحوالهم فتخرجهم عن دوام الحلم ثم إخوان الشياطين أرباب دوام الغفلة فهم في كمال الغفلة تدوم بهم الحجبة فمن هم بالذلة من لم يلم أو ألم ولكن لم يصرفهم الخيار ومن غفل أو اغتر وعلى دوام الغيبة أصر فهم المحجوبون قطعاً والمبعدون عن محل القرب صداً ورداً.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ﴾ [الآية: 203] من القرآن أو مما اقترحوه في معارضة العدوان ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ [الآية: 203] أي: هلّا جمعتها وأتيتها من عند نفسك أو هلّا طلبتها من ربك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الآية: 203] لست بمختلق لآية ولا بمقترح من حجة ﴿هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الآية: 203] أي: حجج بينة ظاهرة يبصر بها القلوب صوب صواب المحجة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 203] لا للذين هم في طريق الحق معاندون.

وأفاد الأستاذ: إن من شاهد الخلق من حيث سقط في مهوات المغاليط فهو في متاهات الشك يجوب منازل الريب ولا يزداد إلا عمى على عمى ومن طالع الخلق بعين تصريف القدرة إياهم تحقق بأنهم لا يظهرون إلا في معرض اختيار الحق لهم فهو ينظر بنور البصيرة ويستديم شهود التصريف بوصف السكينة.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾ [الآية: 204] اسكتوا ﴿لَعَلَّكُمْ

333/أ ﴿تُرْحَمُونَ﴾ [الآية: 204] / نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الإمام والإنصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبها حيث يقرأ القرآن مطلقاً وعامة العلماء على استحبابها خارج الصلاة واستدل به من لا يرى القراءة على المأموم وهو ظاهر وجهه خلافاً لمن خالفه وصفه هذا والأصح أنها نزلت في ترك التكلم في الصلاة على ما قاله مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وجمع كثير من السلف أو في ترك القراءة مع الإمام إذا جهر فيها على ما قاله الزهري ولا شك أنه يستحب الاستماع والإنصات عند قراءة القرآن مطلقاً وعن ابن عباس ومجاهد لا بأس إذا قرأ الرجل في غير الصلاة أن يتكلم ثم الخطبة حكمها كالصلاة.

وقال الأستاذ: واستمعوا له بسمع الإيمان والتصديق وأنصتوا بالنسبة لخواطر عن معارضات الاعتراض ومطالبات الاستكشاف ومن باشر التحقيق سره لازم التصديق قلبه والإنصات في الظواهر من آداب أهل الباب والإنصات بالسرائر من آداب أهل البساط قال الله تعالى في نعت تواصي الجن بعضهم لبعض عند شهود الرسول ﷺ ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾ [الأحقاف: 29] فإذا كان حضرة الواسطة توجب هذه الهيبة فلزوم الهيبة وحفظ الأدب عن حضور القلب بشهود الرب أولى وأحق قال الله تعالى ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: 108].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الآية: 205] عام في الأذكار من القراءة والدعاء وغيرها ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الآية: 205] أي: متضرعاً وخائفاً ﴿وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية: 205] أي: ومتكلماً كلاماً دون الجهر وفوق السر فإنه أدخل في الخشوع والإخلاص والخضوع وقال ابن عباس رضي الله عنهما أن تسمع نفسك دون غيرك ﴿بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ [الآية: 205] بأوقات الغدو والعشيات ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الآية: 205] في جميع الأنفاس والساعات.

وأفاد الأستاذ: أن التضرع إذا كوشف بوصف الجمال في أوان البسط والخيفة إذا كوشف بنعت الجلال في أحوال الهيبة وهذا للأكابر فأما من

333/ب دونهم فتنوع أحوالهم من حيث الخوف والرجاء والرغبة والرهبة ومن فوق/

الجميع فأصحاب البقاء والفناء والصحو والمحو ووراهم أرباب الحقائق مثبتون في أوطان التمكين فلا تلّون لهم ولا تجنس لقيامهم بالحق وامتحائهم عن شواهدهم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية: 206] أي: الملأ الأعلى من المقربين عنده ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ [الآية: 206] بل يفتخرون بطاعته ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ [الآية: 206] ينزهونه من جهة ذاته وصفاته ﴿وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الآية: 206] ويخصونه بالعبادة ولا يشركون به غيره في الطاعة وهو تعريض بمن عداهم من خليقته ولذا شرع السجود لقراءته والمعنى أنهم مع كونهم آمنين من خوف سوء العاقبة وعذاب يوم القيامة متوجهون إلى عبادته وقائمون بطاعته ومنقادون بسجدته فأنتم مع خوفكم كيف تتمادون في الغفلة وتطيعون غيره في السجدة وهذا أول سجدة في القرآن لتاليها ومستمعها بالإجماع على خلاف وجوبها واستحبابها وعنه ﷺ إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي فيقول يا ويله أمر هذا بالسجود فله الجنة وأمرت بالسجود وعصيت فلي النار[1].

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أثبت لهم عندية الكرامة وحفظ عليهم أحكام العبودية لئلا ينفك حال جمعهم عن نعت فرقهم وهذه سُنَّة الله تعالى مع خواص عباده يلقاهم بخصائص عين الجمع ويحفظ عليهم حقائق عين الفرق لئلا يخلو بآداب العبودية في أوان جود الحقيقة.

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1/ 133)، وابن ماجه في السنن (1/ 334) رقم (1052)، والبيهقي في السنن الكبرى (2/ 312) رقم (3516)، وابن حبان في الصحيح (6/ 465) رقم (2759).



سورة الأنفال

[مدنية]

وهي ست وسبعون آية(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ بسم الله إخبار على قدرته عن الإبداع والاختراع الرحمن الرحيم إخبار عن نصرته بالامتناع وحسن الدفاع فبقدرته أوجد ما أوجد من مراده وبنصرته وحّد من وحد من عباده.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال، الآية 1] أي: الغنائم وسميت الغنيمة نفلاً لأنها عطية من الله وفضيلة زائدة كما سمي به ما يشرطه الإمام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 1] أي: أمرها مختص بهما يقسمها الرسول ﷺ على ما يأمره الله به.

334/ أ وأفاد الأستاذ: أن الأنفال هاهنا ما آل إلى المسلمين من أموال/ المشركين وكان سؤالهم عن حكمها فقال تعالى قل لهم إنها لله ملكاً ولرسوله ﷺ الحكم فيها بما يقضي به أمراً وشرعاً ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية: 1] أي: الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره إلى الله ورسوله فيما يأمره وينهاه ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 1] فإن الإيمان يقتضي ذلك بحكم اليقين أو إن كنتم كاملي الإيمان في أمر الدين.

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر: ما ضحكك يا رسول الله؟ قال: رجلان جثيا من أمتي بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من

(1) كذا في الأصل المخطوط.

أخي قال الله أعطِ أخاك مظلمته قال: يا رب لم يبق من حسناتي شيء قال: يا رب يحمل عني من أوزاري وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس إلى أن يتحمل عنهم من أوزارهم فقال الله للطالب ارفع بصرك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ لأي نبي هذا؟ لأي صديق هذا؟ لأي شهيد هذا؟ قال هذا لمن أعطى الثمن قال: يا رب ومن يملك ثمنه؟ قال أنت قال بماذا؟ قال بعفوك عن أخيك قال: رب قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فأدخله الجنة ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية: 1] فإن الله يصلح بين المؤمنين يوم القيامة(1).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة نادى منادياً أهل التوحيد أن الله قد عفا عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعلى الثواب كذا في «**الدر المنثور**» في التفسير المأثور.

وقال الأستاذ: في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية: 1] اجتنبوا لأمر الله أن تطيعوا دواعي مناكم والحكم بمقتضى هواكم والتقوى إيثار رضى الحق على مراد النفس ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الآية: 1] بالانسلاخ عن شح النفس وإيثار حق الغير على ما لكم من النصيب والحظ وتنقية/ القلوب عن خفايا الحسد والحقد 334/ ب ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 1] أي: في الإجابة إلى ما يأتيكم من الإرشاد والهداية ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 1] أي: سبيل المؤمنين أن لا يخالفوا هذه الجملة.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 2] أي: الكاملون ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 2] فزعت لذكره وخافت لفكره استعظاماً لجلاله وقدره قال بعضهم: الوجل على مقدار المطالعات فإن طالع السطوة هابه مخافة موته وإن طالع ودهُ هابه مخافة قوته وجملة ذلك من طالع التقريب بالتأديب وجل ومن طالع التهديد بالتبعيد وجل ومن طالعه مغيباً عن مشاهده قائماً بسرمده خالياً من أزله وأبده فلا

(1) تفسير ابن كثير (4/ 11)، والدر المنثور (4/ 10)، وكنز العمال (3/ 58) رقم (5482).

وجل حينئذٍ ولا اضطراباً ولا تباعد ولا اقتراب فإنه تحقق بالذات ونسي الصفات وفني بالذات عن الذات كما هرب رسول الله ﷺ عن الصفات إلى الذات فقال: أعوذ بك منك[1] كذا في «**حقائق السلمي**».

وأفاد الأستاذ: أن الوجل شدة الخوف ومعناه هاهنا أنه يخرجهم الوجل عن أوطان الغفلة ويزعجهم عن مساكن الغيبة فإذا انفصلوا عن أودية التفرقة وفاؤوا إلى مشاهد الذكر نالوا السكون إلى الله فيزيدهم ما يتلى عليهم من آياته تصديقاً على تصديق وتحقيقاً على تحقيق فإذا طالعوا جلال قدره وأيقنوا قصورهم عن إدراكه توكلوا عليه في إمدادهم برعايته في نهايتهم كما استخلصهم بعنايته في بدايتهم ويقال: سُنَّة الحق سبحانه مع أهل العرفان أن يردوهم بين كشف جلال وبين لطف جمالٍ فإذا كاشفهم بجلاله وجلت قلوبهم وإذا لاطفهم بجماله سكنت قلوبهم قال الله تعالى: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: 28] وجلت قلوبهم بخوف فراقه ثم تطمئن وتسكن أسرارهم بروح وصاله فذكر الفراق يفنيهم وذكر الوصال يصحيهم ويحييهم ويقال: الطالبون في نوح رهبتهم والواصلون في روح قربتهم والموحدون في محو غيبتهم استولت عليهم الحقائق فلا لهم تطلع إلى وقت مستأنف فيستفزهم خوف أو يهزهم طمع ولا لهم بأحوالهم إحساس فتملكهم لذة إذ لما اصطلموا ببواده ما ملكهم/ فهم محو عنهم والغالب عليهم سواهم ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الآية: 2] اطمئناناً بالدين ورسوخاً باليقين أو لزيادة المؤمن به في كل حين قال جنيد: زادتهم إيماناً بأن لا سبيل لهم إلى الوصول إلى الله إلا به وقال بعضهم: أظهر عليهم ببركة التلاوة زيادة يقين في بواطنهم وزيادة طاعة في ظواهرهم كذا ذكره السلمي ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الآية: 2] يعتمدون فيما يذرون ويفعلون ولا يخشون إلا الله ولا يرجون إلا إياه ولا يلتفتون إلى ما سواه.

335/أ

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الآية: 3] أي: يديمونها ويحافظون على شروطها وأركانها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 3] في سبيل الله وطريق رضاه فهم

(1) سبق تخريجه.

الجامعون بين العبادة البدنية والطاعة المالية.

وأفاد الأستاذ: أنهم لا يرضون في أعمالهم بإخلال ولا يتصفون بجمع مال من غير حلال ولا يعرجون في أوطان التقصير بحال.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الآية: 4] ولأنهم حققوا إيمانهم صدقاً بأن ضموا إليه مكارم الأحوال القلبية من الخشية والإخلاص والتوكل ونحوها ومحاسن أفعال البدنية التي مدار الطاعة عليها ومعيار العبادة لديها من الصلاة والزكاة والصدقة وأمثالها.

وقال الأستاذ: أولئك الذين صفتهم أن لا يكونوا للشريعة عليهم نكير ولا لهم عن أحكام الحقيقة معدل ومحيد ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الآية: 4] أي: حقوا حقاً وصدقوا صدقاً أو حق لهم حقاً ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ [الآية: 4] كرامة وعلو منزلة ورفعة قربة ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 4] على قدر مراتبهم ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ [الآية: 4] لما صدر عنهم وفرط منهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية: 4] نعيم مقيم لا ينقطع عدده ولا ينتهي أمده ولا مدده.

وقال الأستاذ ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الآية: 4] على حسب ما أهلهم به من الرتب فبسابق قسمته لهم استوجبوها ثم بصادق خدمتهم حين وفقهم لها بلغوها ولهم مغفرة في المآل لمسيئهم وفي الحال لمحسنهم والمغفرة الستر والحق سبحانه يستر مثالب العاصين ولا يفضحهم لئلا يحجبوا عن مأمول أفضالهم ويستر مناقب العارفين عليهم لئلا يعجبوا بأعمالهم وأحوالهم وفرق بين/ ستر وبين ستر وشتان ما هما وأما الرزق الكريم فيحتمل أنه الذي يعطيه من حيث لا يحتسب ويحتمل أنه الذي لا ينقصه بإجرامهم ويحتمل أنه لا يشغلهم بوجوده عن شهود الرزاق ويحتمل أنه رزق الأسرار بما يكون استقلالها به من المكاشفات. 335/ ب

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 5] أي: هذه الحال في كراهتهم إياها كحال إخراجك للحرب في كراهتهم له ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الآية: 5] جملة حالية وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة

ومعها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله ﷺ فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لم تفلحوا أبداً فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة ومضى بهم إلى بدر وهو ما كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوماً في السنة وكان رسول الله ﷺ بوادي دفران فنزل عليه جبريل للوعد بإحدى الطائفتين إما العير وإما النفير فاستشار فيهم أصحابه فقال بعضهم: هلّا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إنا خرجنا للعير فردد عليهم وقال: إن العير مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا: يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله ﷺ فقام أبو بكر وعمر فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال: أنظر أمرك فامضِ فيه فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال مقداد بن عمرو: امضِ بما أمرك الله فإنا معك حيث ما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: أشيروا/ عليّ أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه وبالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم فتخوف ﷺ أن لا يروا نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله ﷺ قال: أجل قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطينا على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامضِ يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضنا معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا وإنّا لصبّر عند الحرب صدّق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فنشطه قوله ثم قال: سيروا على بركة الله وابشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم.

336/ أ

هذا وفي «حقائق السلمي» قال بعضهم: أفناك عن أوصافك ومواضع سكونك وإغفارك وما كان يميل إليه قلبك لئلا تلاحظ محلاً ولا تسكن إلى

مألوف أصلاً فأخرجك من المألوفات ليكون بالحق قيامك وعليه اعتمادك وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون ظاهر خروجك ومفارقتك وطنك ولا يعلمون أن خروجك منه الخروج عن جميع الرسوم المألوفة والطبائع المعهودة وأنك بمفارقة هذا الوطن المعتاد يصير الحق وطنك.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية: 6] أي: في إيثارك الجهاد بإظهار الحق لإيثارهم تلقى العير عليه طلباً وميلاً إلى السهل ﴿بَعۡدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [الآية: 6] أي: ظهر لهم الحق بأنهم ينصرون أينما توجهوا لإعلام رسول الله ﷺ إياهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الآية: 6] أي: يكرهون القتال كراهة من يساق إلى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم عددهم إذ روي أنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان فكان مجادلتهم لفرط فزعهم ورعبهم لا لمخالفة أمره ﷺ/ 336/ ب لهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين أن الجدال منهم عادة وسجية وفي كل شيء لهم اختيار وجدال فكرهوا خروجه إلى بدر فجادلوه فيه كما جادلوه في حديث الغنيمة في قوله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ﴾ [الآية 1] وما يكون من خصال العبد إفراد غير متكرر أو يكون على وجه القدرة كان أقرب إلى الصفح والتجاوز عنه وأما إذا صار ذلك عادة فهو أصعب ويقال ما لم تباشر خلاصة الإيمان القلب لا يوجد كمال التسليم وترك الاختيار وما دام يتحرك في العبد عرق في الاختيار فهو بعيد من ذوق راحة الإيمان ولقد أجرى الله سُنَّته مع أوليائه وكذلك كانت سُنَّته سبحانه مع أنبيائه أنه لا يتيح لهم كمال إلا بعد مفارقة مألوفات الأوطان ومساكنة ما لهم فيه حظ ونصيب من كل معهود ويقال في هجرة الأنبياء من أوطانهم أمان لهم عن عادية الأعادي وإحياء لقلوب قوم تقاصرت أقدامهم عن المسير إليهم وكذلك هجرة الأولياء من خواصه فيها لهم خلاص من البلايا واستخلاص كثير من المزايا ثم جحود الحق بعد وضوح برهانه علم لاستكبار صاحبه وهو في الحال في وحشة غيه معاقب بجرح الصدر وتنغص العيش يملّ حياته ويتمنى وفاته كما قال سبحانه ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ [الآية: 6].

﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ﴾ [الآية: 7] العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ [الآية: 7] بدل اشتمال ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ﴾ [الآية: 7] أي: صاحبة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ﴿تَكُونُ لَكُمۡ﴾ [الآية: 7] يعني العير لقلتهم دون النفير لكثرتهم.

وأفاد الأستاذ أن التعريج في أوطان الكسل ومساكنة مألوفات الراحة من خصائص أحكام النفس فهي بطبعها تؤثر في كل حال نصيبها ويتعجل لذة حظها ولا يتعجل أحد إلى جلائل النعم إلا بتجرع كاسات شدائد الألم والانسلاخ عن معهودات النصيب والرضى بالقسم.

وفي «**دقائق الحقائق**» من ظن أنه يصل إلى الحق بالجهد فمتعّن ومن ظن أنه يصل بغير الجهد فمتمنٍّ وقال بعضهم/ لا يصل أحد إلى حياة القلب ما لم يمت نفسه بنزع الشهوات عنها ومخالفتهما في جميع أحوالها وهو معنى قوله: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ﴾ [الآية: 7] ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ﴾ [الآية: 7] أي: بمشيئته ويبينه ويعليه ويغلبه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية: 7] الموحى بها في هذا المراد وبأوامره للملائكة بالإمداد ﴿وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 7] أي: باستئصالهم من البلاد والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالاً ومنالاً ولا تلقوا مكروهاً ولا ملالاً والله يريد إعلاء الدين وإظهار الحق اليقين وإبطال أمر الكافرين.

337/أ

وقال الأستاذ: إذا أراد الله سبحانه تخصيص عبد بولايته قضى لطوارق نفسه بالأفول وحكم لغصن شهواته بالذبول وأبى لطوالع الحقائق إلا إشراقها ولوامع الموانع إلا استحقاقها والحاصل أنه سبحانه فعل ما فعل.

﴿لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الآية: 8] قال في الأوائل:

قال الواسطي: يحق الحق بتجلي أنواره ويبطل الباطل بأستاره وقيل: يحق الحق بالبراهين ويبطل الباطل بالدعاوي كذا ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: ليحق الحق بالتوفيق فيما يحصل ببذل المجهود والتحقيق لما يظهر من عين الجود ويقال: ليحق الحق بنشر أعلام الوصل ويبطل الباطل

بقهر أقسام الهزل.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الآية: 9] أي: حين علموا أن لا محيص من القتال أخذوا يقولون: أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه أنه ﷺ نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى الصحابة وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يده يدعو اللّهم أنجز لي ما وعدتني اللّهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداءه فقال أبو بكر: يا نبي الله كفاك مُناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك[1]. قيل من صدق اللَّجأ في استغاثة أجيب في الوقت وحالته ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ﴾ [الآية: 9] أي: بأني معينكم ﴿مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [الآية: 9] أي: (بالقتال) ألف منهم ﴿مُرْدِفِينَ﴾ [الآية: 9] متبعين بعضهم بعضاً أو متبعين المؤمنين وقرأ نافع بفتح الدال أي: متيقنين أو متبعين بمعنى أنهم كانوا مقدمة أو ساقة.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 10] أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ [الآية: 10] بشارة بالنصر ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ﴾ [الآية: 10] فيزول بها ما في صدوركم من الوجل/ 337/ ب لقلتكم وذلتكم ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 10] وأما إمداد الملائكة وكثرة العدد والعدد ونحوها فوسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا بفقدها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 10].

وأفاد الأستاذ: أن الاستغاثة على حسب شهود الفاقة وعدم المنّة والطاقة والتحقق بانفراد الحق بالقدرة على إزالة الشكاية تيسير للمسؤول وتحقيق للمأمول فإذا صدقت الاستغاثة بعجل الإجابة وحصل الأمان وقضيت الحاجة بذلك جرت سُنَّة العادة ويقال بشرهم بالإمداد بالملك ثم رقاهم عن هذه الحالة بإشهادهم أن الإنجاز من الملك لم يذرهم في المساكنة إلى الإمداد بالملك فقال: وما النصر إلا من عند الله ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1763/ 58)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 269) رقم (3081)، والنسائي في السنن الكبرى (6/ 155) رقم (10442)، وابن حبان في الصحيح (11/ 114) رقم (4793).

[الآية: 10] فالنجاة من البلاء حاصلة وفنون الإنجاز والإمداد بألطافه متواصلة والدعوات مسموعة والإجابة غير ممنوعة وزوائد الإحسان متاحة ولكن الله عزيز فالطالب واحد ولكن لعطائه والراغب واصل ولكن إلى مباره والسبيل سهل ولكن إلى وجدان لطفه فأما الحق فهو عزيز وراء كل فصل ووصل وقرب وبعد وما وصل أحد إلا إلى نصيبه وما بقي أحد إلا عن حظه وفي معناه قيل:

وقلن لنا نحن الأهلة إنما نضيء لمن يسري بليل ولا نقري
فلا بذل الا ما تزود ناظر ولا وصل إلا بالخيال الذي يسري[1]

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ [الآية: 11] وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته إياه والفاعل على القراءتين هو الله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويغشيكم النعاس بالرفع ﴿أَمَنَةً مِّنْهُ﴾ [الآية: 11] أمناً من الله وهو مفعول له في المعنى ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الآية: 11] من الحدث والجنابة ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [الآية: 11] أي: وسوسته وتخويفه إياهم من العطش ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ [الآية: 11] بالوثوق على لطف الله بكم ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الآية: 11] بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أقدامكم أو بالربط أقدامكم حال إقدامكم قيل: القلوب ثلاثة قلب مربوط بالكائنات وقلب مربوط بالأسامي/ والصفات وقلب مربوط بالذات. 338/ أ

وأفاد الأستاذ: إنه غشيهم النعسة تلك الليلة فأزالت عن ظواهرهم ونفوسهم كدّ الإعياء والكلال وأنزل على قلوبهم روح الأمن وأمطرت [السماء] فاغتسلوا بعدما لزمتهم الطهارة الكبرى بسبب الاحتلام واشتدت الأرض بالمطر فلم ترسب الأقدام في رملها وانتفى عن قلوبهم ما كانت الشياطين توسوس به إليهم أنه يصيبهم العناء بسلوك الرمل والبقاء عن الغسل فلما باينهم الإحساس واستمكن النعاس وتداركتهم النصرة والعناية استيقنوا بأن الإعانة من قبل الله لا بسكونهم وحركاتهم وأشهدهم صرف التأييد وإتمام الكفاية ولما طهر ظواهرهم بماء السماء طهر سرائرهم بماء التحقيق عن شهود

(1) نسب إلى علي بن الجهم، انظر: محاضرات الأدباء (1/ 425)، والزهرة (1/ 12).

كل غير وكل علة وصان أسرارهم عن الإصغاء إلى الوساوس فربط على قلوبهم بشهودهم جريان التقدير على حسب ما يجريه الحق سبحانه من فنون التصريف ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الآية: 11] أقدام الظواهر في مشاهد القتال وإقدام السرائر على نهج الاستقامة بشهود مجاري التقدير.

﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ [الآية: 12] في إعانتهم وتثبيتهم ﴿فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الآية: 12] بتبشيرهم وتسكين فؤادهم أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ [الآية: 12] كالتفسير لقوله: ﴿أَنِّى مَعَكُمْ﴾ [الآية: 12] .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه عرفنا أن الملائكة محتاجون إلى تعريف الحق إياهم قضايا التوحيد وتثبيتهم المؤمنين قيل: كانوا يظهرون للمؤمنين في صورة الرجال ويخاطبونهم بالإخبار عن قلة عدد المشركين واستيلاء المسلمين عليهم وهم لا يعرفون أنهم ملائكة وقيل: تثبيتهم إياهم بأن كانوا يلقون في قلوبهم ذلك من جهة الخاطر ثم إن الله تعالى يخلق لهم فهماً لذلك وكما يوصل الحق سبحانه وساوس الشيطان إلى القلوب يوصل خواطر الملك وأمدهم بإلقاء الخوف والرعب في قلوب الكفار ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ﴾ [الآية: 12] أي: أعاليها التي هي المذابح والرؤوس ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الآية: 12] إصبع ومفصل والمعنى جزوا رقابهم وقطعوا أطرافهم.

قال الأستاذ: وذلك بأمر الله وتعريفه/ من جهة الوحي والكتاب ويكون معناه إباحة ضربهم ونيلهم على أي وجه كان كيف ما أصابوا سافلهم وأعاليهم ويحتمل فاضربوا فوق الأعناق ضرباً يوجب قتلهم لأنه لا حياة بعد ضرب العنق ولفظ فوق يكون صلة وإلا فاضربوا منهم كل بنان أي: ضرباً يعجزهم عن الضرب ومزاولة المسلمين لأنه لا مزاولة تحصل بعد فوات الأطراف ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 13] أي: الضرب أو الأمر به ﴿بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 13] أي: خالفوها. 338/ب

وقال الأستاذ: بين أنهم في مغاليط حسبانهم وأكاذيب ظنونهم والمنشيء

بكل وجه الله لانفراده بقدرة الإيجاد ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 13] وعيد لهم بما أعد لهم في العقبى بعد ما حاق بهم في الدنيا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يمهل المجرم أياماً ثم لا يهمله بل يذيقه بأس فعله ويزيل عنه شبهة ظنه.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 14] أي: العذاب ﴿فَذُوقُوهُ﴾ [الآية: 14] أيها المشركون معجلاً وعلموا ﴿وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [الآية: 14] مؤجلاً فللعاصين عقوبتان محصل بنقد ومؤخر بوعد والمعنى ذوقوا ما عجل لم في الدنيا مع ما أجل لكم في الأخرى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا﴾ [الآية: 15] حال كونهم كثيرين ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الآية: 15] بالانهزام وقصد الفرار.

﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ [الآية: 16] يريد الكر بعد الفرار ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الآية: 16] أي: مجتمعاً إلى جماعة من المسلمين ليستعين بهم على أعداء الدين وانتصابهما على الحال وإلا لغوٌ لا عمل له أو على الاستثناء من المولين أي: إلا رجلان متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة ﴿فَقَدْ بَآءَ﴾ [الآية: 16] رجع ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 16] ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الآية: 16] وهذا إذا لم يزد العدد على الضعف لما سيأتي من قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الأنفال، الآية: 66] وقيل: الآية مخصوصة بأهل بدر.

وقال الأستاذ ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 15] في المعركة زحفاً مجتمعين فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا والشجاعة ثبات القلب كما قيل الشجاعة صبر ساعة وفي الجهاد مع العدو بالظاهر فالواجب الثبوت عن الصولة الأولى وكذلك في جهاد/ الباطن مع الشيطان فمن الواجب منه الوقوف عند دواعيه إلى الزلة فمن وقف على حد الإمساك عن إجابته بانجرار فيما يدعوه بوساوسه فقد وفى الجهاد حقه وكذلك في مجاهدة النفس فإذا وقف العبد عند إجابة النفس فما ترومه بهواجسها ولم يطع شهوته فيما تحمله النفس عليه من البدار إلى ابتغاء

339/أ

حظه فقد وفى الجهاد حقه والإشارة في قوله: ﴿إِلَّا﴾ يعني غير ﴿مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ [الآية: 16] بإيثار بعض الرخص ليتقوى على ما هو أشد كأكله مثلاً ما يقيم صلبه ونومه ليقوى على السهر وكرفقه بنفسه بإيثار بعض راحات شبحه من إزالة عطش أو نفي مقاساة جوع أو برد أو غيره لئلا يبقى عن مراعاة قلبه واستدامة اتصال قلبه بربه فإن ترك بعض أوراد الظاهر لئلا يبقى به عن الاستقامة في أحكام واردات السرائر أخذ في حق الجهاد بحزم والإشارة في قوله: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ [الآية: 16] إلى اعتقاد المريد بصحبة أقرانه فيما يساعدونه في المجاهدة ويتقوى بشهود ما هم فيه من المكابدة على الإقامة على مجاهدته ثم باستمداده من همم الشيوخ فإن المريد ربيب همة شيخه فالأقوياء من الأغنياء ينفقون على خدمهم من نعمهم والأصفياء من الأولياء ينفقون على مريديهم من هممهم يجبرون كسرهم وينوبون منهم وينجدونهم بحسن إرشادهم ومن أهمل مريداً وهو يعرف صدقه أو خالف شيخاً وهو يعرف فضله وحقه ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 16] بسخطه والله تعالى حسيبه في مكافأته على ما حصل من قبيح وصفه.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 17] بقوتكم ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الآية: 17] بنصرتكم وتسليطكم عليهم وإلقاء الرعب في قلوبهم روي أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام: هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللّهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل وقال له: خذ قبضة من التراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفاً من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال: شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون/ 339/ ب يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل: قتلت وأسرت فنزلت والتقدير إن افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ [الآية: 17] حقيقةً وخلقاً ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الآية: 17] صورةً وكسباً ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الآية: 17] أتى بما هو غاية الرمي من إيصالها إلى أعينهم جميعها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بتخفيف لكن ورفع ما بعده في الموضعين.

وقال الفارسي: ما كنت رامياً إلا بنا ولا مصيباً إلا بمعونتنا.

وأفاد الأستاذ: إن الذي نفى عنهم من القتل هو إماتة الروح وإثبات الموت وهو من خصائص قدرته والذي يوصف به الخلق من القتل هو ما يفعلونه في أنفسهم الذي يحصل ذهاب الروح عقيبه.

وفائدة الآية قطع دعاويهم في قول كل واحد منهم على جهة التفاخر قتلت فلاناً فقال: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ [الآية: 17] أي: لم تكن أفعالكم مما انفردتم بإيجادها بل المنشيء والمبدع هو الله عزَّ وجلَّ فصانهم بهذه الآية وصان نبيه ﷺ عن ملاحظة أفعالهم وأحوالهم ولذلك قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الآية: 17] أي: ما رميت بنفسك ولكن رميت بنا فكان منه قبض التراب وإرساله من يده ولكن من حيث الكسب وكسبه موجد من الله بقدرته وكان التبليغ والإصابة من قبل الله خلقاً وإبداعاً وليس الذي أثبت ما نفى ولا ما نفى هو الذي أثبت والفعل فعل واحد والتغاير في جهة الفعل لا في عينه وقوله: إذ رميت فرّق ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الآية: 17] جمع والفرق صفة العبودية والجمع نعت الربوبية وكل فرق لم يكن مضمناً بجمع وكل جمع لم يكن في صفة العبد مؤيداً بفرق فصاحبه غير سديد الوتيرة وأن الحق سبحانه يكل الأغيار إلى ظنونهم فيتيهون في أودية الحسبان ويتوهمون أنهم منفردون بإجراء مأمنهم وذلك منه مكر بهم قال الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف، الآية: 104] وأما أرباب التوحيد فيشهدهم مطالع التقدير ويعرفهم جريان الحكم ويريهم أنفسهم في أسر التصريف وقهر الحكم وأما/ الخواص من الأولياء وأصحاب العرفان فيجرى عليهم ما يجري وهم عن إحساس ذلك مأخوذون يثبتهم بشواهد النظارة بالتقدير ويتولى حفظهم عن مخالفة الشرع ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ [الآية: 17] ولينعم عليهم نعمة عظيمة بنصرة وغنيمة ومشاهدة آيات جسيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 17] بأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 17] بأحوالهم قال دويم: البلاء الحسن أن يكون رؤية الحق أسبق إليه من نزول البلاء فيميز به البلاء وهو لا يشعر لاستغراقه في رؤية الحق.

340/أ

وأفاد الأستاذ: أن البلاء الاختبار فيختبرهم مرة بالنعم ليظهر شكرهم أو كفرانهم ويختبرهم أخرى بالمحن ليظهر صبرهم أو ضجرهم ونسياهم والبلاء الحسن توفيق الشكر في المنحة وتحقيق الصبر في المحنة وما يفعل الحق فهو حسن من الحق لأن له أن يفعل وهذا حقيقة الحسن وهو ما للفاعل أن يفعله ويقال: حسن البلاء لأنه منه وطاب البلاء لأنه فيه ويقال: البلاء الحسن أن يشهد المبلي في عين البلاء ويقال: البلاء الحسن ما ليس فيه زجر إن كان عسراً ولا بطر إن كان يسراً ويقال: بلاء كل أحد على حسب حاله ومقامه فأصفاهم ولاءً أوفاهم بلاء قال عليه السلام: أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 17] تنفيس لقوم وتهديد لقوم أصحاب الرفق بقولهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 17] لأنينكم فيروّح عليهم بهذا وقتهم ويحمل عنهم محنتهم وأنشدوا:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليك فتسمعا[2]

وقالوا: قل لي بألسنة التنفس كيف أنت وكيف حالك وأما الأكابر فلا يؤذن لهم في النفس وتكون المطالبة متوجهة عليهم بالصبر والوقوف تحت جريان التقدير من غير إظهار ولا شكوى فيقول: لو ترشح منك ما كلفت بشربه توجه عليك الملامة فلا يكون منك بيان ولا سينه فإني سميع لقالتك عليم بحالتك ويقال في قوله: ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 17] تسلية لأرباب البلاء فإن من علم أن مقصوده يعلم حاله سهل عليه ما/ يقاسيه فيه قال سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [الحجر، الآية: 97] ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي: المقصود. 340/ب

﴿ذَٰلِكُمْ﴾ [الآية: 18] من بلاء المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 18] والمعنى أن المقصود إحسان المؤمنين وإيمان الكافرين وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بتشديد موهن وقرأ حفص بالإضافة.

---

(1) سبق تخريجه.

(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 234) و(3/ 7) و(3/ 7) و(3/ 462) و(5/ 195).

وقال الأستاذ: موهن بتقوية قلوب المؤمنين والثبات على انتظار النصرة من قبل رب العالمين وموهن كيد الكافرين بأن يأخذهم من حيث لا يشعرون ويظفر عليهم جند المسلمين.

﴿إِن تَسْتَفْتِحُوا۟ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ﴾ [الآية: 19] خطاب لأهل مكة حيث تعلقوا بأستار الكعبة حين خروجهم للغزوة قائلين: اللّهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين[1] ﴿وَإِن تَنتَهُوا۟﴾ [الآية: 19] عن كفركم ومعاداة رسولكم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الآية: 19] لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين ﴿وَإِن تَعُودُوا۟﴾ [الآية: 19] لمحاربته ﴿نَعُدْ﴾ [الآية: 19] لمناصرته ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ [الآية: 19] لن تدفع جماعتكم عنكم ﴿شَيْـًٔا﴾ [الآية: 19] من الأعناء والمضار ﴿وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ [الآية: 19] فئتكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 19] بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالفتح أن فالمعنى ولأن الله مع المؤمنين كان ذلك الفتح المبين.

وأفاد الأستاذ: أنهم سألوا بألسنتهم هلاك أنفسهم وذلك لانجرارهم في مغاليط ظنونهم ثم توهموا استحقاق القربة وكانوا في عين الفرقة وحكم الشقوة موسومين باستيجاب اللعنة فبدعائهم وقعوا في شقائهم وباختيارهم منوا ببوارهم ويقال: ظنوا أنهم أهل الرحمة فأدلّوا فلما كشف الستر خابوا وأذلوا فعند ذلك علموا أنهم زاغوا في ظنهم وضلوا ثم ليس المراد من خير المبالغة لأنه قد يقال هذا خير لك من هذا إذا كان الثاني ليس فيه شيء وترك موافقتهم للرسول ﷺ بكل وجه هو شر لهم ولكنه أراد به في الأحوال الدنيوية وعلى موجب ظنونهم وإن تعودوا نعد يعني إن عدتم إلى الجميل من السيرة عدنا لكم بجميل السنة وإن عاودتم الإقدام على الشر عدنا عليكم ما أذقناكم من الضر ﴿وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ [الآية: 19] من غلبته قدرة الأحد لم تغن عنه كثرة العدد.

(1) تفسير البغوي (3/ 342)، وتفسير الرازي (7/ 382)، تفسير أبي السعود (4/ 14)، تفسير البيضاوي (1/ 97).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ/ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ﴾ [الآية: 20] أو أن لا تتولوا عن الرسول ولا تعرضوا عن طاعته فإن طاعة الله في متابعته وقيل: الضمير للجهاد أو للأمر الذي دل عليه المصدر أو التقدير عن أحدهما وأنتم تسمعون القرآن وسائر البرهان ونصائح الإخوان. 341/ أ

وأفاد الأستاذ: أن الناس في طاعة الله على أقسام فمطيع لخوف عقوبته ومطيع طمعاً في مثوبته وآخر تحقيقاً لعبوديته وآخر تشوقاً لربوبيته وكم من مطيع ومطيع كما قيل:

أحبك يا شمس الزمان وبدره وإن لامني فيك السها والفراقد
وذاك لأن الفضل عندك باهر وليس لأن العيش عندك بارد[1]

وفي قوله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ولم يقل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول نوع تخصيص وضرب تفصيل بلطف عن العبارة ويبعد عن الإشارة ولا تولوا عنه ﴿وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 20] أي: تسمعون دعاءه إياكم وتسمعون ما أنزل عليه من دعائي إياكم.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 21] وهم الكفرة والمنافقون الذين ادعوا أنهم يسمعون ﴿وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الآية: 21] سماعاً به ينتفعون فكأنهم من رأس الشيء لا يسمعون قيل: من سمع ولم يرَ عليه فوائد السماع وزيادة في أحواله فهو غير مستمع ولا سامع ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: لا يكون ممن يشهد جهراً ويجحد سراً ويقال: لا تقروا بلسانكم وتصروا على كفرانكم ويقال: من نطق بتلبيسه تشهد الخبرة بتكذيبه.

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ﴾ [الآية: 22] أي: ما يدب على الأرض ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 22] أي: في حكمه ﴿ٱلصُّمُّ﴾ [الآية: 22] عن الحق ﴿ٱلْبُكْمُ﴾ [الآية: 22] عن الصدق ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية: 22] لا يميزون بنظر البصر ولا بعين البصيرة بين الحق والباطل وبين الباقي والزائل وإنما كانوا شراً من البهائم لإبطالهم ما ميزوا به وفضلوا لأجله.

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 4)، وقرى الضيف (1/ 39).

وأفاد الأستاذ: إن دواعي الحق بحسن البيان ناطقة وألسنة البرهان فيما ورد به التكليف صادقة وخواطر الغيب بكشف ظلم الريب مفصحة وزواجر التحقيق عن متابعة التمويه للقلوب ملازمة ومن صُمّ عن إدراك ما خوطب به سره وعمي عن شهود ما كوشف به قلبه وحرص عن إجابة ما أرشد إليه من مناجحة فهمه وعقله فدون رتبة البهائم قدره فوق كل/ خسيس من حكم الله ذله وصغره. 341/ب

﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [الآية: 23] سعادة مكتوبة لهم أو منفعة للآيات المنزلة عليهم ﴿لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الآية: 23] سماع تفهم وتبصر بهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ [الآية: 23] أي: فرضاً وتقديراً وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّواْ﴾ [الآية: 23] لأعرضوا عنه ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق وقبوله ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية: 23] عادتهم الإعراض ودأبهم الاعتراض وقصدهم الأعراض وطلبهم الأغراض فحرموا الأعواض.

وأفاد الأستاذ: إن من أقصته سوابق القسمة لم تدنه لواحق الخدمة ومن علمه الله بنعت الشقوة حرمه ما يوجب عفوه ويقال لو كانوا من معقولات الرحمة لألبسهم صدار العصمة ولكن سبق بالحرمان حكمهم فختم بالضلالة أمرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ﴾ [الآية: 24] أي: بالعبادة ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ [الآية: 24] أي: بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الآية: 24] أي: وحد الضمير لما تقدم من التقدير وفي «**حقائق الدقائق**» استجيبوا بسرائركم وللرسول بظواهركم انتهى ولعله أشار إلى مقامي الجمع والفرق كما لا يخفى ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 24] من العلوم الدينية النافعة في الأحوال الأخروية المورثة للحياة الأبدية والمعيشة الرضية السرمدية من العقائد والأعمال والأحوال البهية السُنيَّة قيل: حياة النفس بمتابعة الرسول وحياة القلب بمشاهدة الرب.

وقال الأستاذ: أجاب واستجاب بمعنى واحد كأوقد واستوقد وقيل:

للاستجابة مزية وخصوصية كأنه يكون طوعاً لا كرهاً أقول لا بد للفرق بينهما لأن زيادة المبنى تفيد زيادة المعنى فهو إما محمول على المبالغة أو على الإجابة الخاصة ثم قال وفرق بين من يجيب لخوف أو طمع وبين من يستجيب لا لغرض ولا على ملاحظة عوض وحق الاستجابة أن تجيب بالكلية من غير أن تذر من المستطاع بقية والمستجيب لربه محو عن كله باستيلاء الحقيقة والمستجيب للرسول قائم لشرعه من غير إخلال بشيء من أحكام الشريعة والطريقة وقد أمر الله سبحانه بالاستجابة له سبحانه وبالاستجابة للرسول عليه السلام فالعبد المستجيب على الحقيقة من قام بالله سراً واتصف بالشرع جهراً يفرده الحق سبحانه بحقائق الجمع وينصبه في/ مشاهد الفرق فلا 342/أ يكون للحدثان بشرب حقائقه تكدير ولا لمطالبات الشرع على أحواله نكير وقوله: ﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الآية: 24] إذا أفناهم عنه أحياهم به ويقال: العابدون أحياهم بطاعته بعدما أفناهم عن مخالفته وأما العالمون فأحياهم بدلائل ربوبيته بعدما أفناهم عن الجهل وظلمته وأما المؤمنون فأحياهم بنور موافقته بعدما أفناهم بسيوف مجاهدته وأما الموحدون فأحياهم بنور توحيده بعدما أفناهم عن الإحساس بكل غير والملاحظة لكل حدثان ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الآية: 24] تمثيل لغاية قربه من عبده كقوله: في مقام المزيد للمريد ونحن أقرب إليه من حبل الوريد أو تخييل لتقليبه على العبد قلبه فينسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران إذا أراد إسعاده بينه وبين الإيمان إن شاء إبعاده ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 24] على وفق ميعاده للمرىء في معاده.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى يصون القلب من تقليب أربابها بل يقلبها كما يشاء من هداية وضلال وغيبة ووصال وحجبة وقربة ويقين ومرية وأنس ووحشة ويقال: صان قلوب العابدين عن الجنوح إلى الكسل فجدوا في معاملتهم وصان قلوب المريدين عن التعريج في أوطان الفشل فصدقوا في منازلتهم وصان قلوب العارفين على حد الاستقامة عن الميل فتحققوا بدوام مواصلتهم ويقال: حال بينهم وبين قلوبهم لئلا يكون لكم رجوع إلا إلى ربهم

فإذا سنح لهم أمر فليس لهم إلى الأغيار سبيل ولا على قلوبهم تعويل وكم بين من يرجع عند سوانحه إلى قلبه وبين من لا يهتدي إلى شيء إلا إلى ربه كما قيل:

لا يهتدى قلبي إلى غيركم[1]

لأنه سد عليه الطريق ويقال: العلماء هم الذين وجدوا قلوبهم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ [الزمر، الآية: 21] لمن كان له قلب والعارفون هم الذين فقدوا قلوبهم قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الآية: 24].

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الآية: 25] أي: اتقوا ذنباً يعمكم ضرره في الأثر كالمداهنة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكافتراق الكلمة وظهور/ البدعة والتكاسل في الجهاد مع الكفرة على أن قوله ﴿لَّا تُصِيبَنَّ﴾ [الآية: 25] جواب الأمر بمعنى إن أصابتكم الفتنة لا تصب الظالمين منكم خاصة بل تلحقكم عامة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الآية: 25] إذا أراد العقوبة وقد يقال في معنى الآية أن الخاصة من العلماء والمشايخ إذا مالوا إلى المباحات وقعت العامة في الشبهات وإذا ارتكبوا الشبهات وقع اتباعهم في المحرمات وإذا حرصوا على المحرمات وقع معتقديهم في الكفر والمنكرات وعلى هذا القياس سائر الحالات.

342/ ب

وقال الأستاذ: أي احذروا أن ترتكبوا ما يوجب لكم عقوبة يختص بمرتكبها بل يعم شؤمها من يتعاطاها ومن لا يتعاطاها وغير المجرم لا يؤاخذ بجرم من أذنب ولكن قد ينفرد أحد بجرم فيحمل أقواماً من المختصين بفاعل هذا الجرم على أن يتعصبوا له إذا أخذ بحكم ذلك الجرم فبعد أن لا يكونوا ظالمين يصيرون ظالمين بمعونتهم وتعصبهم لهذا الظالم فيكون فتنة لا تختص

(1) هذا صدر البيت وعجزه:

كأنما سد عليه الطريق

وقد نسب إلى العباس بن الأحنف. انظر: محاضرات الأدباء (١/ ٣٤٣).

بمن كان ظالماً في الحال بل يصيب الظالم ومن يصير ظالماً في الاستقبال بسبب تعصبهم للظالم ومطابقتهم معه ورضاهم به هذا معنى التفسير من حيث الظاهر والعبارة فأما من جهة الإشارة فإن العبد إذا باشر بنفسه الزلة عادت إلى القلب منه الفتنة وهي العقوبة المعجلة ويصيب النفس من الفتنة العقوبة المؤجلة والقلب إذا حصلت منه زلة وهو همه بما لا يجوز تعدى فتنته إلى السر وهي الحجبة وكذلك المقدم في شأنه إذا فعل ما لا يجوز انقطعت البركات التي كانت تتعدى منه إلى متبعيه وتلامذته فكان انقطاع تلك البركات عنهم نصيبهم من الفتنة وهم لم يعلموا ذنباً ويقال: إن الأكابر إذا سكتوا عن النكير عن الأصاغر أصابتهم فتنة بتركهم الإنكار عليهم فيما فعلوه من الإجرام ولقد قيل:

إن السفيه إذا لم ينه مأمور[1]

فعلى هذا تصيب فتنة الزلة مرتكبها ومن ترك النهي عن المنكر أخذ بجرم نفسه من ترك الأمر بالمعروف ويقال: إن الزاهد إذا انحط إلى رخص الشرع/ 343/أ في أخذ الزيادة من الدنيا فما فوق الكفاية وإن كان من وجه حلال تعدى فتنته إلى من به يتحرج به من المبتدئين فيحمله ما رأى منه على الرغبة في الدنيا وترك التعليل فيؤديه إلى الانهماك في أودية الغفلة من الأشغال الدنيوية والعابد إذا جنح إلى شق وترك الأوراد تعدى ذلك إلى من كان ينشط في المجاهدة فيستوطن الكسل ثم يحمله الفراغ وترك المجاهدة على متابعة الشهوات فيصير كما قيل:

إن الشباب والفراغ والجِدَة مفسدة للمرء أي مفسدة[2]

وهكذا يكون نصيبهم من الفتنة والعارف إذا رجع إلى ما فيه حظ له نظر

(1) نسب إلى الأحوص. انظر: المنتحل (1/ 26) وتمام البيت: بني هلال ألا تنهوا سفيهكم. . . إن السفيه إذا لم ينه مأمور ومنهم من ذكر بني تميم ومنهم من ذكر بني عدي وقد نسب في الأخير إلى ابن جرير. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 92).

(2) نسب إلى أبي العتاهية. انظر: التمثيل والمحاضرة (2/ 231)، ومعجم الأدباء (2/ 231). والجدة: بالكسر: الغنى والسعة.

إليه المريد فيتدانى له فترة فيما هو به من صدق المنازلة فيكون ذلك نصيبه من فتنة العارف وفي الجملة إذا غفل الملك وتشاغل عن سياسة رعيته تعطل الجند والرعية وعظم فيه الخلل والبلية وفي معناه أنشدوا:

رعاتك ضيعوا بالجهل منهم غنيمات فساستهم ذئاب[1]

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 25] بتعجيل ذلك في مقام الحساب ومن شدة عقوبته أنه إذا أخذ عبداً ليعاقبه لا يمكنه من تلافي موجب تلك العقوبة.

﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الآية: 26] أي: في العدد ﴿مُّسْتَضْعَفُونَ﴾ [الآية: 26] في المدد ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 26] أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية: 26] بالنهبة ﴿فَـَٔاوَىٰكُمْ﴾ [الآية: 26] إلى المدينة ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ﴾ [الآية: 26] بإمداد الملائكة ﴿وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية: 26] كالغنيمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الآية: 26] هذه النعمة وترزقون الزيادة.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه يذكرهم ما كانوا فيه من القلة والذلة وصنوف الخلة[2] ثم ما نقلهم إليه من الإمكان والبسطة ووجوه الإحسان والحيطة وندبهم إلى إقامة الشكر على جزيل تلك القسم وإدامة الحمد على جميل تلك النعم فمهد لهم في ظل إيوائه مقيلاً ولم يجعل للعدو إليهم بيمن رعايته سبيلاً ورزقهم من الطيبات رزق الأشباح والظواهر من طيبات الغذاء ورزق الأرواح والسرائر من صنوف الضياء وحقيقة الشكر على هذه النعم الغيبة عنها بالاستغراق في شهود المنعم بها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الآية: 27] بمخالفتها أو بتعطيل الفرائض والسنن أو بأن تضمروا خلاف ما تظهرون ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ﴾ [الآية: 27] أي: فيما بينكم وهو مجزوم/ بالعطف أو منصوب على الجواب ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 27] أنكم تخونون. 343/ب

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 15).
(2) الخلة بالفتح: الحاجة.

قال أبو عثمان: من خان الله في السر هتك الله في العلانية سره ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الخيانة الاستبطان بخلاف ما يؤمل منك بحق التعويل فخيانة الله بتضييع ما ائتمنك عليه وذلك بمخالفة النصح في دينه وخيانة الرسول بالاتصاف بمخالفة ما تبدي من مشايعته والخيانة في الأمانات بترك الإنصاف والاتصاف بغير الصدق وخيانة كل أحد على حسب ما وضع عنده من الأمانة فمن اؤتمن في مال فتصرفه فيه بغير إذن صاحبه خيانة ومن اؤتمن على حُرَمٍ فملاحظته إياهن خيانة فعلى هذا الخيانة في الأعمال الدعوى فيها فإنها من قبلك دون التحقيق بأن منشأها الله والخيانة في الأحوال ملاحظتك بها دون غيبتك عن شهودها باستغراقك في شهود الحق إن لم يكن استهلاكك في وجود الحق وإذا أخللت بسُنَّة من السنن أو أدب من آداب الشرع فتلك خيانة للرسول ﷺ والخيانة في الأمانات بينك وبين الخلق فبإيثارك نصيب نفسك عن نصيب المسلمين بإرادة القلب فضلاً من المعاملة بالفعل.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 28] أي: بلية لأنهما سبب الرجوع في الإثم والعقوبة أو محنة من الله لأرباب المنحة.

قال أبو صالح حمدون: من اعتمد على شيء سوى الله فهو عليه فتنة ذكره السلمي ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 28] لمن آثر رضي الله عليهما وراعى حدوده فيهما.

وأفاد الأستاذ: أن أموالكم وأولادكم سبب فتنة لكم لأن المرء لأجل جمع ماله ورعاية أولاده يرتكب ما هو خلاف الأمر فيورثه فتنة العقوبة ويقال الفتنة الاختبار فيختبرك بالأموال هل تؤثرها على حق الله وبالأولاد هل تترك لأجلهم ما فيه رضاه فإن آثرتم حقه على حقكم ظهرت به فضيلتكم وإن اتصفتم بضده عوملتم بما يوجبه من عكس محبوبكم ويقال المال ما للكفاف والعفاف نعمة وما للتكاثر والتفاخر نقمة وفي الجملة ما يشغلك عن الله/ فتنة. 344/ أ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الآية: 29] هداية في

قلوبكم فتفرقوا بها بين الحق والباطل ونصراً يقرب بين المحق والمبطل بإعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين أو مخرجاً من الشبهات أو نجاة عن الظلمات أو نوراً يبين أمركم وظهوراً يعين قدركم ﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الآية: 29] بسترها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية: 29] بمحوها وقيل: بالعفو عن الصغائر وبالتجاوز عن الكبائر وقيل: المراد ما تقدم وما تأخر لأنها في أهل بدر كما في الخبر ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية: 29] يتفضل على عبده بما شاء من عنده ولا يتعاظم ذنب في جنب عفوه.

وأفاد الأستاذ: ما يفرقون بين الحق والباطل من علم وافر وإلهام باهر فالعلماء فرقانهم مجلوب برهانهم والعارفون فرقانهم موهوب عرفانهم فهؤلاء مع مجهود نفسهم وهؤلاء بمقتضى جود ربهم فالفرقان تعريف من الله والتكفير للذنوب تخفيف من الله والغفران تشريف للعبد من الله قلت وذلك كله فضل من الله إذ لا يجب للعبد شيء على مولاه.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 30] تذكار له ﷺ لما مكر به قريش حين كان بمكة قبل هجرته إلى المدينة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم في آخر أمرهم والمعنى أذكر حين يمكرون بك ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الآية: 30] بالحبس والوثاق ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ [الآية: 30] بسيوف الاتفاق ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الآية: 30] من مكة على وجه الوفاق ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الآية: 30] برد مكرهم عليهم وسوء كيدهم إليهم أو بمجازاتهم عليه إذ رجوعهم إليه أو بمعاملة الماكرين معهم بأن أمرك بالهجرة في الخفية وأخرجهم إلى بدر في معزّة فقتلوا وأسروا في مذلة ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الآية: 30] إذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره فإستار أمثال هذه الأعمال إنما هو للمزاوجة والمشاكلة... في الأقوال ولا يجوز إطلاقها ابتداء عليه سبحانه لما فيه من إيهام ذم عن شأنه هذا وقد قال الشبلي المكر في النعم الباطنة والاستدراج في النعم الظاهرة ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن المكر إظهار الإحسان وقصد الإساءة في السر والمكر من الله هو الجزاء على المكر ويكون مكره/ بهم أن يلقي في قلوبهم أنه 344/ب

محسن إليهم ثم في التحقيق يعذبهم وإذا شغل قوماً بالدنيا وصرف همومهم إليها حتى نسوا أمر الأخرى فذلك مكره بهم يوطنون نفوسهم عليها فيتيح لهم من مأمنهم فيأخذهم بغتة هذا مكره بالعوام.

ومن جملة مكره اغترار قوم بما يرزقهم من الصيت الجميل بين الناس وإجراء كثير من الطاعات عليهم مع شوب لهم من قبول الناس إياهم ثم أسرارهم تكون بالأغيار منوطة وهم عن الله غافلون وعند الناس أنهم عند اللّه مكرمون وفي معناه:

وقد حسدوني في قرب داري منكم وكم من قريب الدار وهو بعيد[1]

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا﴾ [الآية: 31] أي: مضمونها وفهمنا مكنونها ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الآية: 31] أي: في مبناها ومعناها ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 31] إن أي: ما هذا إلا ما سطره المتقدمون من القصص فاكتتبها ويتلوها كمقالة النضر بن الحارث أسندت إليهم لرضاهم بها وهذا غاية من كابرتهم ونهاية معانديهم إذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤوا هنالك وقد تحداهم بأقصر صورة إظهاراً للمعجزة ثم قارعهم بسيف المجاهدة فلم يعارضوه مع استنكافهم ومبالغتهم في الأنفة أن يغلبوا في مضمار الفصاحة وميدان البلاغة فما أيسر الدعوى وما أعسر المعنى.

وأفاد الأستاذ: إن فرط جهلهم وشؤم جحدهم ستر على عقولهم قبح دعاويهم في القدرة على معارضة القرآن فافتضحوا عند الامتحان لعدم البرهان والعجز عما وصفوا من أنفسهم من الفصاحة والبيان وقديماً ما قيل:

من تحلى بغير ما هو فيه فضح الامتحان ما يدعيه[2]

ويقالوا لما لاحظوا القرآن بعين الاستصغار حرموا بركات الفهم فعدوه من جملة أساطير الأولين وكذلك من لا يراعي حرمة أوليائه يعاقب بأن يستر

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 20) و(3/ 154).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 17) و(3/ 21)، والقيرواني في العمدة في محاسن الشعر (1/ 193).

عليه أحوالهم فيظنه مثله في استحقاق مثالبه فيطلق فيهم لسان الوقيعة وهو بذلك أحق.

﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا﴾ [الآية: 32] أي: القرآن ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [الآية: 32] أي: الثابت المنزل ﴿مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا/ حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية: 32] للعقوبة على أفكاره ﴿أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 32] أي: من عنده وهذا الكلام الباطل من كلام ذلك القائل وهو مما ليس تحته طائل إلا أنه أراد به التهكم بأهل الإسلام وإظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلاً في مقام المرام. 345/أ

وقال الأستاذ: دل على سؤالهم العذاب على تصميم عقدهم على تكذيب الرسول عليه السلام فاستيقنوا عند أنفسهم أنه لا يستجاب فيهم ما يدعونه على أنفسهم وفي هذا أظهر دليل على أن سكون النفس إلى الشيء ليس بعلم لأنه كما يوجد مع العلم يوجد مع الجهل.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الآية: 33] بيان لما كان الموجب لإمهالهم والسبب للتوقف في إجابة سؤالهم واللام لتأكيد النفي في تغيير حالهم والدلالة على أن عذاب استئصالهم والنبي بين أظهرهم خارج عن دعاته وغير مستقيم في حكمته سبحانه ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الآية: 33] بقولهم اللّهم غفرانك وفيه اعتناء بشأن الاستغفار ولو صدر من الكفار أو باستغفار من بقي فيهم من المؤمنين الأبرار.

وأفاد الأستاذ: أن المعنى وما كان الله ليعذب أسلافهم وأنت في أصلابهم وليس يعذبهم اليوم وأنت فيما بينهم إجلالاً لقدرك وإكراماً بمحلك وإذا خرجت من بينهم فلا يعذبهم وفيهم خدمك الذين يستغفرون فالآية تدل على تشريف قدر الرسول عليه السلام ويقال للجوار حرمة فجار الكرام في ظل إنعامهم فالكفار إن لم ينعموا بقرب رسول الله ﷺ منهم فقد اندفع العذاب عنهم بمجاورته.

وأحبها وأحب منزلها الذي ... نزلت به وأحب أهل المنزل

ويقال إذا كان كون الرسول عليه السلام في الكفار يمنع العذاب عنهم

فكون المعرفة في القلوب أولى بأن يدفع العذاب عنهم وفي قوله ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الآية: 33] إيماءً إلى أنه سبحانه علم أنه ﷺ لا يتأبد مكثه في أمته إذ قال له ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء، الآية: 34] فقال إني أضيع أمته وإن انقضى فيهم مدته فما دامت ألسنتهم بالاستغفار منطلقة فصفوف العذاب عنهم مندفعة/ ويقال إن العذاب وإن تأخر عنهم مدة مقامهم في الدنيا فلا محالة يصيبهم العذاب في العقبى فالاعتبار بالعواقب لا بالأوقات الطوارق أقول ولعل هذا هو المعنى بقوله تعالى: 345/ ب

﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 34] أي: وأي شيء لهم من ما يمنع تعذيبهم وكيف لا يكون العذاب نصيبهم ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الآية: 34] أي: وحالهم في هذا المقام منع أهل الإسلام وأرباب الكرام عن البلد الحرام ومن جملة صدهم عنه إلجاء رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى الهجرة وإحصارهم عام الحديبية ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ [الآية: 34] أي: مستحقين ولاية أمره مع شكرهم بربه وفيه رد لهم بما كانوا يقولون نحو ولاة البيت المعظم والحرم المحترم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الآية: 34] الذين لا يعبدون فيه سواه وقيل الضميران لله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 34] أن لا ولاية لهم عليه ويراد بالأكثر لكل كما يراد بالعلة العدم أو فيه تنبيه على أن فيهم من يعلم ويعاند والله أعلم.

وأفاد الأستاذ: أن في الآية دليلاً على أنه سبحانه لا يعذب أولياءه لقوله ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ﴾ [الآية: 34] فإذا عذب من لم يكونوا أولياءه دل على أنه لا يعذب من كان من جملة أوليائه والمؤمنون كلهم أولياء الله لأنه قال ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة، الآية: 257] والمؤمن وإن عذب بمقدار جرمه زماناً فإذا لم يخلد في دار العقوبة فما يقاسون بالإضافة إلى التأبيد جلل.

إذا سلم العهد الذي كان بيننا فودّي وإن شط المزار سليم[1]

﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ [الآية: 35] أي دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 24).

يضعون موضعها والأظهر طوافهم المتضمن للصلاة ﴿عِندَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الآية: 35] أي: بيت الله الحرام المعظم عند الخاص والعام ﴿إِلَّا مُكَآءً﴾ [الآية: 35] أي: صفيراً ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ [الآية: 35] أي: تصفيقاً ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب والملام أو عدم ولايتهم للمسجد الحرام فإنّها لا تليق بمن هذه صلاته وعبادته أما صلاتهم روي أنهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون بها.

وقال الأستاذ: تجردت أعمالهم بظواهرهم عن خلوص عقائدهم فلم يوجب سبحانه لها احتساباً ولم يجعل لهم فيها ثواباً فزكاء القالة/ لا يكون إلا مع صفاء الحالة وعناء الظواهر إلا مع ضياء السرائر ﴿فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية: 35] إما العذاب الدنيوي الخاص بهم كما وقع يوم بدر من قتلهم وأسرهم أو العذاب الأخروي العام لهم ولأمثالهم ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الآية: 35] اعتقاداً أو عملاً.

346/ أ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟﴾ [الآية: 36] أنفسهم أو غيرهم أو ليعرضوا ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 36] أي: طريق رضاه أو عن دينه واتباع نبيه ﴿فَسَيُنفِقُونَهَا﴾ [الآية: 36] أي: في غير محلها ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ [الآية: 36] أي: ندماً وغماً ووبالاً في مآلها لفواتها من غير حصول مقصودها ﴿ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الآية: 36] في آخر ما هنالك وإن كان الحرب بينهم سجالاً قبل ذلك.

وقال الأستاذ: يرومون بإنفاقهم صنوف أموالهم صلاحاً ونظاماً لأحوالهم ثم لا يحظون إلا بخسران ولا يحصلون إلا على نقصان خسروا وهم لا يشعرون وخابوا وسوف يعلمون.

سوف ترى إذا تجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار[1]

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [الآية: 36] أي: ثبتوا على كفرهم لإيمان بعضهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الآية: 36] أي في عذاب الخلد يجمعون.

(1) نسب إلى ابن المعتز. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 74).

وأفاد الأستاذ: أنهم وإن آلهتهم آمالهم فإلى الهوان والذلة مآلهم ولم تغن عنهم أموالهم ولا ينفعهم أعمالهم بل ختم بالشقاوة أحوالهم.

﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الآية: 37] الكافر من المؤمن والمنافق من المخلص والصالح من الفاسق واللام متعلقة بيحشرون وقرأ حمزة والكسائي ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز ﴿وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الآية: 37] فيجمعه ويضم بعضهم إلى بعضهم حتى يتراكموا لفرط ازدحامهم ﴿فَيَجْعَلَهُۥ﴾ [الآية: 37] أي: كله ﴿فِى جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 37] تنكيلاً له ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 37] الفريق الخبيث ﴿هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الآية: 37] الكاملون في الخسران لأنهم خسروا أنفسهم وأموالهم وضيعوا أعمالهم وأحوالهم وخابوا آمالهم قيل: الطيب من الأموال وأرفقت إرفاق الفقراء في أوقات الضرورات والخبيث ما دخل عليهم في أوقات استغنائهم عنها فاشتغلت خواطرهم بها كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ أن الخبيث ما لا يصلح لله والطيب ما يصلح لله والخبيث ما حكم الشرع بقبحه/ وفساده والطيب ما شهد العلم بحسنه وصلاحه ويقال 346/ ب الخبيث ما شغل صاحبه عن الله والطيب ما أوصل صاحبه إلى الله والخبيث ما يأخذه المرء وينفقه في حظ نفسه والطيب ما ينفقه بأمر ربه والخبيث عمل الكافر يصور له ويعذب بإلقائه إليه والطيب عمل المؤمن فيصور له في صورة جميلة فيحمل المؤمن عليه ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [الآية: 38] أي: لأجلهم ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾ [الآية: 38] عن معادات رسولهم ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الآية: 38] من ذنوبهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ [الآية: 38] إلى الكفر الذي سبق عنهم ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الآية: 38] الذين يخربوا على أنبيائهم بتدميرهم لسوء تدبيرهم.

وقال الأستاذ: إن كبحوا لجام التمرد والعناد وأقلعوا عن الركض في ميدان التجبر والفساد أزلنا عنهم صغر الهوان وأوجبنا لهم روح الأمان ويقال: إن حلوا نطاق العناد أطلقنا عنهم عقال البعاد ويقال: إن أبصروا قبح أفعالهم جدناً عليهم بإصلاح أعمالهم ويقال: إن جنحوا للاعتذار ألقينا عليم

حلة الاغتفار ويقال:

إن عـادوا إلـى الـتـنـصـل	أبـحـنـا لـهـم حـسـن الـتـفـضـل
أنـاس أعـرضـوا عـنـا	بـلا جـرم ولا مـعـنـى
أسـاءوا ظـنـهـم فـيـنـا	فـهـلّا أحـسـنـوا الـظـنـا
فـإن كـانـوا لـنـا كـنّـا	وإن عـادوا لـنـا عـدنـا
وإن كـانـوا قـد اسـتـغـنـوا	فـإنّـا عـنـهـم أغـنـى[1]

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [الآية: 39] أي: لا يوجد شرك يوجب نقمة ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الآية: 39] أي: جهرة وعلانية بأن تضمحل الأديان الباطلة ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ [الآية: 39] عن كفرهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 39] فيجازيهم عن انتهائهم وابتداء إسلامهم وإصلاح أعمالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمرهم بمقاتلة الكفار حتى يستأصل شأفتهم بحيث يأمن المسلمون معرتهم ويطفؤون بالكلية فتنتهم إذ حية الوادي لا تؤمن ما دامت تبقى فيها الحركة.

﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: 40] أي: أعرضوا وما انتهوا ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الآية: 40] متولي أموركم فيما أولادكم فثقوا به ولا تبالوا بغيره ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ [الآية: 40] أي: لا يضيع من تولاه ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الآية: 40] لمن أعرض عما سواه.

347/أ وقال الأستاذ: فإن أبوا إلا عتوًّا وعن الإيمان إلا نبوّاً/ فلا يقعن على قلوبهم ظل مخافة منهم فإن الله سبحانه ولي نصرتكم ومتولي كفايتكم إن لم تكونوا له بحيث يقال: نعم العبيد أنتم فنعم المولى هو لكم ونعم النصير هو لكم ويقال: نعم المولى كان لكم يوم قسمة العرفان ونعم النصير لكم يوم نعمة الغفران ويقال نعم المولى لك حين لم تكن ونعم النصير لك حين كنت

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 28).

ويقال نعم المولى بالتعريف قبل التكليف ونعم النصير لك بالتخفيف والتضعيف يضعف لكم الحسنات ويخفف عنكم السيئات.

وهواك أول ما عرفت من الهوى والقلب لا ينسى الحبيب الأوّلا[1]

﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾ [الآية: 41] أي: الذي اتخذتموه من الكفار الحربيين قهراً ﴿مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 41] أي: مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط أو من شيء معتد به مما لم يتغير بفساده ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الآية: 41] أي: مبتدأ خبره محذوف أي: فثابت أن لله خمسه والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم وأن المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين في قوله: ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 41] فكأنه قال ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الآية: 41] يصرف على هؤلاء الأخصين به وحكمه باقٍ غير أن سهم الرسول ﷺ يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان وقيل: إلى الخليفة وقيل: إلى الأصناف الأربعة وقال أبو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته عليه السلام وصار الكل مصروفاً إلى الثلاثة الباقية وعن مالك الأمر فيه مُفَوّض إلى رأي الإمام يصرفه إلى ما يراه أهم وذهب أبو العالية إلى ظاهر الآية وقال: يقسم ستَّة أقسام ويصرف سهم الله إلى الكعبة لما روي أنه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة ذوي القربى بنو هاشم وبنو المطلب وقيل: بنو هاشم وحدهم وقيل: جمع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل: هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل: الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن/ السبيل من كان منهم والعطف 347/ ب للتخصيص والآية نزلت ببدر ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 41] فاعملوا بما علمتم لأن البمقصود من العلم هو العمل ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ [الآية: 41] أي: وبما أنزلنا من الآيات والملائكة والنصرة ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [الآية: 41] أي: الخاص وهو محمد القائم بمقام الحمد والإخلاص ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾ [الآية: 41] يوم بدر فإنه فرق فيه بين الحق والباطل ﴿يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ [الآية: 41] جمع المؤمنين وجمع

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 30).

الكافرين ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 41] فيقدر على نصر القليل على الكثير.

وأفاد الأستاذ: أن الغنيمة ما يجد المؤمن من أموال الكفار إذا ظفروا به عند المجاهدة بهم والقتال معهم فإذا لم يكن قتال أو ما في معناه فهو فيء والجهاد قسمان جهاد الظاهر مع أهل الكفر والطغيان وجهاد الباطن مع النفس والشيطان وهو الجهاد الأكبر كما في الخبر[1] وكما أن في الجهاد الأصغر غنيمة عند الظفر فكذا غنيمة في الجهاد الأكبر وهو أن يملك نفسه التي كانت في يد العدو من الهوى والشيطان فكانت ظواهره مقراً للأعمال الذميمة وباطنه مستقراً للأحوال الدنية فيصير محل الهواء مسكن الرضا ومقر الشهوات والمنى مسلماً لما يرد عليه من مطالبات المولى فتصير النفس مستلبة ممن أسر الشهوات والقلب مختطفاً من وصف الغفلات والروح منتزعة من أيدي العلاقات والسر مصوناً عن الملاحظات وتصبح غاغة النفس منهزمة وراية الحقوق بالاستجابة لله خافقة وكما أن من جملة الغنيمة سهماً لله وللرسول وهو الخمس فمما هو غنيمة على لسان الإشارة سهم خالص لله وما لا يكون للعبد فيه نصيب لا من كرائم العقبى ولا من ثمرات التقريب ولا من خصائص الإقبال فيكون العبد عند ذلك محرراً عن رقّ كل نصيب خالصاً لله بالله بمحو ما سوى الله كما قيل:

من لم يكن بك فانياً عن حظه   وعن الهوى والأنس والأحباب
فلأنه بين المراتب واقف   لمنال حظ أو لحسن ثواب[2]

348/أ / ﴿إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 42] العدوة بالحركات الثلاث شط الوادي قرأ بها في الموضعين إلا أن الفتحة شاذة والكسرة لابن كثير وأبي عمرو ﴿وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾ [الآية: 42] البعدى من المدينة تأنيث الأقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الأصل كالقود وهو أكثر

(1) تفسير البغوي (5/ 402)، وتفسير أبي السعود (6/ 122)، وتفسير البيضاوي (1/ 241)، وكشف الخفا (1/ 424) رقم (1362).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 121).

استعمالاً من القصيا ولعل السبب قله استعماله بخلاف الدنيا والعليا ﴿وَٱلرَّكۡبُ﴾ [الآية: 42] أي: العير أو قوادها ﴿أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ﴾ [الآية: 42] في مكان أسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين واختلاط أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فإن العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الأرجل ولا يمشي فيها إلا بالتعب ولم يكن بها ماءٌ بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله: ﴿وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ﴾ [الآية: 42] أنتم وهم للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم ﴿لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ﴾ [الآية: 42] أنتم ﴿فِي ٱلۡمِيعَٰدِ﴾ [الآية: 42] هيبة منهم ويأساً من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس إلا صنيعاً من الله خارقاً للعادة فيزادوا إيماناً وشكروا بزيادة العبادة ﴿وَلَٰكِن﴾ [الآية: 42] جمع بينكم على هذه الحالة ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ [الآية: 42] أي: حقيقاً بأن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه.

قال جعفر الصادق: ما قضاه في الأزل يظهره في الحين بعد الحين والوقت بعد الوقت ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عما جرى يوم بدر من القتال وما حصل من فنون الأحوال بحكم التقدير لا بما يحصل للخلق من التدبير وحكم ما يقتضيه رؤية التفكير بل لو كان ذلك عن اختيار وتواعد كنتم عن تلك الجملة عن استكراه وتباعد فجرى ما جرى ﴿لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ [الآية: 42] له مقضياً فحصل من الأمور ما سبق به من التقدير/ ﴿لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ﴾ [الآية: 42] وقرأ نافع والترمذي وأبو بكر من حيين ﴿عَنۢ بَيِّنَةٖۗ﴾ [الآية: 42] أي: ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون لأحد حجة ومعذرة فإن وقعة بدر من الآيات الباهرة أو ليصدر كفر من كفر وإيمان من آمن عن وضوح وبينة على استعارة الهلاك والحياة للغواية والهداية أو المراد بهما المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله في علم الله وقضائه.

348/ ب

وقال الأستاذ: ليضل من زاغ عن الحق بعد لزوم الحجة ويهتدي من أقام على الحق بعد وضوح المحجة ويقال الحق أوضح السبيل ونصب الدليل ولكن سد بصائر قوم عن شهود الرشد وفتح بصائر آخرين لإدراك طريق الحق والهلاك من عمه في أودية التفرقة والحي من اكتحل بنور المعرفة ويقال الهالك من كان بحظه مربوطاً والحي من كان من أسر كل نصيب مستلباً مجذوباً ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 42] بكفر من كفر وشقائه وإيمان من آمن وثوابه ولعل الجمع يبن الوصفين لشمول الأمرين من الإقرار والاعتقاد في الحالين.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ [الآية: 43] أي: يقللهم حال رؤياك في عينك لتختبر به أجلة أصحابك فيكون تبيناً لهم وتشجيعاً على عدوهم ﴿وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا﴾ [الآية: 43] كما في الحال لا في المآل إذ لا عبرة بكثرة عدوهم مع قلة مددهم ﴿لَّفَشِلْتُمْ﴾ [الآية: 43] جنيتم عليّ حسب العادة ﴿وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [الآية: 43] أي: اختلفتم في أمر الحرب مع الكفار وتفرقت آراؤكم بين القرار والفرار ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ﴾ [الآية: 43] أي: أنعم عليكم بالسلامة من الفشل والمنازعة في المقاتلة ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية: 43] ليعلم ما فيها وما سيكون منها وما يغير أحوالها مما يفتريها بعدها.

قال الأستاذ: وكيف أي لا يعلم التغيير ولا منه لصد المقادير.

﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الآية: 44] الضميران مفعولا يرى وقليلاً حال من الثاني وإنما قللهم في أعين المسلمين حين قال ابن مسعود لمن إلى جنبه أتراهم سبعين فقال: أراهم مائة تثبيتاً لهم وتصديقاً لرسولهم ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الآية: 44] حتى قال/ أبو جهل: أن محمداً وأصحابه أكلة جزور قلل المسلمين في أعينهم قبل التحام القتال يتجبروا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يروهم مثليهم حتى لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الواقعة فإن البصر وإن كان قد يرى الكثير قليلاً والقليل كثيراً لكن لا على هذا الوجه ولا إلى هذا الحد وإنما يتصور ذلك بصد

349/ أ

الله الأبصار عن إبصار بعض دون بعض مع التساوي في شروط الرؤية والإدراك.

وأفاد الأستاذ: أن الله إذا أراد أمراً هيأ أسبابه فقلل الكفار في أعين المسلمين فزادوا جسارة وقلل المسلمين في أعين الكفار فازدادوا نشاطاً على القتال صغراً في حكم الله وخسارة ﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الآية: 44] كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لأن المراد بالأمر ثم الالتقاء على الوجه الحكمي وهنا إعزاز الإسلام وأهله وإذلال المشرك وحزبه ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الآية: 44] .

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه إذا أراد نصرة عبد فلو كاده جميع البشر أو أراده الكافة بكل ضرر لا ينفع من شاء مضرته كد ولا يحصل بينه وبين متاح لطفه سد وإذا أراد بعبد سوء فليس له رد ولا ينفعه جد ولا ينعشه بعد ما أسقط حكمه جهد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ [الآية: 45] حاربتم جماعة مخالفة في أمر الديانة ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ [الآية: 45] للقاء ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية: 45] بالثناء والدعاء مستظهرين بذكره مترقبين لنصره ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 45] تفوزون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه نبيه على أن العبد ينبغي أن لا يشغله شيء عن ذكر الله وأن لا يلتجي عند الشدائد إلا إلى مولاه ولا يدعو إلا إياه ولا يرجو ولا يخاف سواه ويتوجه إليه فارغ البال كامل الإقبال واثقاً بأن لطفه لا ينفك عنه في شيء من الأهوال وسائر الأحوال.

وأفاد الأستاذ: إنما يكون بقوة القلب وشدة اليقين ولا يكون ذلك إلا لنفاذ البصيرة والتحقيق بالله وشهود الحادثات كلها منه فعند ذلك يستسلم لله ويرضى بحكمه ويتوقع منه حسن الإعانة ولهذا أحالهم على الذكر فقال: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الآية: 45] ويقال: إن جميع الخيرات في ثبات القلب وبه يتبين أقدار الرجال وإذا أورد على/ الإنسان خاطر يزعجه وهاجس في نفسه 349/ ب يهيجه فمن كان صاحب بصيرة توقف ريثما يتبين له حقيقة الوارد فيثبت لكونه رابط الجأش ساكن القلب صافي اللب وهذا نعت الأكابر مع الرب.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ [الآية: 46] ولا تتنازعوا في اختلاف الآراء بعد حكم الأمر ﴿فَتَفْشَلُواْ﴾ [الآية: 46] جواب النهي ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الآية: 46] أي: دولتكم ففيها استعارة أو المراد بها الحقيقة فإن النصرة لا تكون إلا بريح يبعثها الله في تلك الساعة وفي الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ [الآية: 46] على محاربة الأعداء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الآية: 46] بالمعونة والحفظ والإعلاء.

وأفاد الأستاذ: أن الموافقة بين المسلمين أصل الدين وأول الفساد ورأس الضلال الاختلاف في الأفعال وكما يجب الموافقة في الدين والعقيدة تجب الموافقة في الرأي والعزيمة قال الله تعالى في صفة الكفار ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر، الآية: 14] وإنما تتحد عزائم المسلمين لأنهم كلهم يجمعهم التبري من حولهم وقوتهم ويتمحضون في رجوعهم إلى الله وشهودهم التقدير فيتحدون في هذه الحالة الواحدة وأما الذين توهموا الحادثات من أنفسهم وصلوا في متاهات حسبانهم وأجروا الأمور حتى (يسمح) لرأيهم فكل يبني له على ما يقع ويختار، فإذا تنازعوا تشعبت بهم الآراء وافترقت بهم الطرق فيضعفون وتختلف طرقهم وكما يجب في الدين طاعة الرسول ﷺ يجب طاعة أولي الأمر ولهذا يجب في كل وقت نصب إمام للمسلمين ثم لا يجوز مخالفته وقال عليه السلام أطيعوه ولو كان عبداً مجدعاً[1] وكان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية أمر عليهم أميراً وقال: عليكم بالسواد الأعظم[2] فإجماع المسلمين حجة والصلاة بالجماعة سُنَّة مؤكدة والاتباع محمود والابتداع ضلالة.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم﴾ [الآية: 47] كأهل مكة حين خرجوا لحماية غيرهم بعد عبورهم بخيرهم ﴿بَطَرًا﴾ [الآية: 47] أي: أشراً وفخراً ﴿وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية: 47] للثناء عليهم بالشجاعة والسخاوة ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 47] حال كونهم معرضين عن طريق الحق ورضاه ومانعين الخلق عن اتباع

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 30).
(2) أخرجه أحمد في المسند (4/ 278) رقم (18473)، وانظر: المقاصد الحسنة (1/ 283)، كشف الخفا (1/ 333).

هداه ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الآية: 47] فيجازيهم على أفعالهم بحسب/ 350/ أ أحوالهم.

﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [الآية: 48] في معاداة الرسول وغيرها بأن وسوس لهم بحسن آمالهم ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ﴾ [الآية: 48] هذه مقالة نفسانية ووسوسة شيطانية والمعنى أنه ألقى في روعهم وخيل إليهم في نفوسهم أنهم لا يغلبون لكثرة عددهم ولا يطاقون لقوة عددهم وعقلوا أن الله سبحانه مع المؤمنين في مددهم وأوهمهم أن اتباعهم إياه فيما يظنون أنها قربات عند الله مجير لهم حتى قالوا اللّهم انصر إحدى الفئتين وأفضل الملتين ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ﴾ [الآية: 48] تلاقى الفريقان والتقى الجمعان ﴿نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ﴾ [الآية: 48] رجع القهقرى عما كان عليه وأبطل كيدهم لديه وعاد ما خيل إليه من أنه مجيرهم وخلاصهم سبب هلاكهم ومناصهم ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ﴾ [الآية: 48] مبتعد عنكم ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ﴾ [الآية: 48] مما لا طاقة لكم ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾ [الآية: 48] ما لا تخافون منه لجهلكم والمعنى أنه تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى إمداد الله المسلمين بالملائكة المسومين المقربين أو خاف على نفسه من أن يصيبه مكروه من جهة الملائكة المقربين.

قال الواسطي: ترك الذنوب على ضروب منها من تركه حباً كيوسف ﷺ ومنها تركه خوفاً كإبليس حين نكص على عقبيه.

وأفاد الأستاذ: أن الشيطان إذا زين للإنسان بوساوسه أمراً والنفس إذا سولت له شيئاً عميت بصائر أرباب الغفلة عن شهود صواب الهداية فينجر الغافل معه في قياد وساوسه ثم تلحقه هواجم التقدير وكوامن المكر من حيث لا يرتقب ولا يحتسب في التدبير فلا الشيطان يفي له بما يعده ولا النفس شيئاً مما يتمناه تجده كما قال القائل:

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر[1]

---

(1) نسبت إلى بعض الأعراب كما نقل الأصمعي. انظر: الكشكول (1/ 386)، ونسب إلى=

﴿وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 48] يحتمل أن يكون من تتمة كلامه وأن يكون مستأنفاً من عنده سبحانه.

350/ ب ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية: 49] أي:/ شك وشبهة وقيل هم المشركون ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية: 49] يعنون المسلمين ﴿دِينُهُمْ﴾ [الآية: 49] حين تعرضوا لما لا طاقة لهم فخرجوا ثلاثمائة وبضعة عشر إلى ألف أو أكثر فأجاب الله عنهم بما علم منهم بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 49] أي: يعتمد على قضاه ويلتمس رضاه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 49] غالب على مراده ولا يغلب من استجار به وإن قل وذل في أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 49] يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن إدراكه أصحاب الحيل.

وأفاد الأستاذ: أصحاب الغفلة وأرباب الغرّة إذا هبت رياح صولتهم في زمان غفلتهم يلاحظون أهل الحقيقة بعين الاستحقار ويحكمون لهم بضعف الحال فينسبونهم إلى الضلال ويعدونهم من جملة الجهال وكذلك أهل زمان الفترة في مدة مهلة الغيبة والذين لهم قوة اليقين ونور البصيرة في الدين ساكنون تحت جريان الحكم يرون الغائبات من الحواس بعيون البصيرة من وراء ستر رقيق فلا طوارق الحال تهزهم ولا هواجم الوقت تستفزهم وعن قريب يلوح لهم علم اليسر وينجلي سحاب العسر ويمحق الله كيد الكائدين ويذهب مكر المعاندين.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الآية: 50] لو يجعل المضارع ماضياً عكس أن فالمعنى ولو رأيت ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ [الآية: 50] وقرأ ابن عامر بالتأنيث أي: تبين بقبض أرواح ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ﴾ [الآية: 50] أي: حال كون الملائكة ضاربين ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الآية: 50] أي: ما أقبل وأدبر منهم بمقامع من حديد قائلين لهم خذوا هذا ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الآية: 50] أي: الحرق مع الحجاب الشديد وجواب لو محذوف أي: لرأيت أمراً فظيعاً وحالاً شنيعاً.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يسليهم عندما يتأسون من اختيارات التقدير

= سعيد بن وهب. انظر: محاضرات الأدباء (1/ 484).

بما يذكرهم من زوال المحنة ووشك روح اليسر وسرعة حصول النصر وحلول النقم بمرتكبي الظلم فإن المؤمن لكريم الظفر فإذا شاهدوا بأرباب الجرائم حلول الانتقام رق قلبه لهم فلا ينخرط في سلك الشماتة بل يخلو قلبه عن شهوة الانتقام بل يحنوا على كل أحد بحسن الصفح عن الملام كما قيل:

قـــوم إذا ظـــفــــروا بـــنـــــا جـادوا بـعـتـق رقـابـنـا[1]

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 51] أي: ما ذكر من الضرب والعذاب ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الآية: 51] / أي: بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي الموحية للحجاب والعقاب ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ [الآية: 51] أي: بذي ظلم ﴿لِّلْعَبِيدِ﴾ لاستغنائه عن ظلمهم ولعدم تصور الظلم في فعله بهم. 351/أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كيف ما يعاملهم به من السرّاء والضرّاء فذلك منه حسن وعدل إذ الملك ملكه والخلق خلقه والحكم حكمه.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 52] أي: دأب هؤلاء وعادتهم مثل دأب آل فرعون وطريقتهم التي دأبوا فيها وداموا عليها ﴿وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية: 52] أي: من قبل آل فرعون مما كان على منوال عملهم ﴿كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 52] تفسير لدأبهم ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 52] كما أخذ هؤلاء بعيوبهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ﴾ [الآية: 52] على أمره ﴿شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية: 52] على من كفر من عباده.

وقال الأستاذ: لما سلكوا مسلك آل فرعون في الضلال سلكنا بهم مسلكهم فيما أذقناهم من النكال وسوء الحال ووبال المآل وسُنَّة الله لا تتغير في الإنعام وعادته لا تتبدل في الانتقام ومن لم يعتبر بما يشهده اعتبر به فيما يصنعه.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 53] أي: ما حل بهم من زوال حالهم وسوء مآلهم ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 53] بسبب أنه سبحانه ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ [الآية: 53]

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 5) و(3/ 39).

أي: مبدلاً للنعمة بالنقمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 53] أي: ما يبدلوا بهم من الحالة الحسنى إلى الفعلة السوءى أي كتغيير قريش حالهم في صلة الأرحام والكف عن تعرض الأنبياء السابقين بمعاداة الرسول عليه السلام ومن تبعه من أصحابه الكرام والسعي في إراقته وما أهل الإسلام إلى غير ذلك مما أحدثوا بعد بعثة سيد الأنام وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل هو المفهوم الذي يقتضي ما لهم وهو جري عادته سبحانه على تغيير ما بهم متى تغيروا في حالهم.

قال جعفر الصادق: ما دام العبد يعرف نعمة الله عنده فإن الله لا ينزعها عنه حتى إذا جهل النعمة ولم يشكرها فبالتحري حينئذٍ أن تنتزع منه كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: فيما أطنب وأجاد وزاد في بيان المراد بقوله إذا أنعم الحق سبحانه على قوم نعمة وأرادوا إمهالهم أكرمهم بتوفيق الشكر لهم فإذا شكروا نعمة الله قيدوها فدامت فيهم وإذا أراد الله تعالى إزالة نعمة عن/عبد 351/ب أزاله بخذلان الكفران فإذا حال عن طريق الشكر عرض النعمة للزوال فما دام العبد يشكر النعمة مقيماً كان الحق لإنعامه عليه مديماً فإذا قابل النعمة بالكفران انتشر سلك نظامه فبقدر ما يزيد في إصراره يزول الأمر عن قراره.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [الآية: 54] بعيوبهم تكرير للتأكيد ولما نيط من الوعيد ﴿وَكُلٌّ﴾ [الآية: 54] أي: من الفريقين المكذبين ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الآية: 54] فاستحقوا العذاب الشديد.

وأفاد الأستاذ: أنه تنوع من آل فرعون المعصية فنوع لهم العقوبة فكذلك هؤلاء عوقبوا بأنواع النقمة لما ارتكبوا من أنواع الزلة وفائدة تكرار ذكرهم تأكيد في التعريف لأنه لا يهمل المكلف أصلاً وإن أهمله حيناً ودهراً.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 55] أي: أصروا على كفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 55] لعدم رجوعهم عن أمرهم ولعل هذا في قول علم

الله منهم عدم الإيمان واختيار الكفر والعصيان.

وقال الأستاذ: قوله ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 55] أي: في سابق علمه وصادق حكمه فإذا كانوا في علمه شر الخلائق فكيف يسعدون باختلاف السعايات وصنوف الطوارق هيهات أن تتبدل الحقائق ولذا قال ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 55] وكلامه صدق وقوله حق فلم يبق للرجاء فيهم مساغ ولم ينجع فيهم نصح وإبلاغ.

﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ﴾ [الآية: 56] أي: أخذت العهد ﴿مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 56] أي: من المعاهدة أو المحاربة والموصول بدل من الذين كفروا بدل البعض للاحتراز بل للتخصيص في معرض البيان وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله ﷺ أن يمالؤا عليه فأعانوا المشركين بالسلاح [يوم أحد] وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ما ولوهم عليه يوم الخندق[1] ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 56] تبعة العار ولا عقوبة النار.

وقال الأستاذ: أي الذين صاروا نقض العهد لهم سجية فلم يذروا من استفراغ الوسع في جهلهم بقية وأن من الكبائر التي لا غفران لها في هذا الطريق أن ينقض العبد عهداً أو يترك عقداً التزمه بقلبه مع الله/ أولئك الذين سقطوا عن عين رضاه فرفع عنهم ظل العناية وأزال عنهم حمى الحماية. 352/ أ

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ [الآية: 57] أي: تجدنهم وتظفرن بهم ﴿فِى ٱلْحَرْبِ﴾ [الآية: 57] في وقت حربهم ﴿فَشَرِّدْ بِهِم﴾ [الآية: 57] أي: فرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الآية: 57] من الكفرة فيما وراءهم ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ [الآية: 57] أي المشردين ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 57] يتعظون.

وقال الأستاذ: يريد إن صادقت واحداً من هؤلاء الذين دأبهم نقض عهدهم فاجعلهم عبرة لمن يأتي بعدهم لئلا يسلكوا طريقتهم فيستوجبون عقوبتهم كذلك من فتح عقده مع الله بقلبه برجوعه إلى رخص التأويلات ونزوله إلى السكون مع

(1) تفسير البيضاوي (1/ 116).

العلالات يجعله الله نكالاً لمن بعده بحرمانه ما كان خوله وتنغيصه عليه مأمن حظوظه أمله فيفوته حق الله ولا يكون له امتناع بما آثره على رضاه.

وتبدلت وتبدلنا واحسرتا من ابتغى عوضاً لليلى فلم يجد

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ﴾ [الآية: 58] معاهدين ﴿خِيَانَةً﴾ [الآية: 58] نقض عهد بأمارات تلوح عليهم ﴿فَانۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 58] فاطرح عهدهم إليهم ﴿عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الآية: 58] على حالة مستوية في العلم في النقض بينك وبينهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الآية: 58] أي: من يناجز المعاهدين بالحرب قبل إعلامهم ففي الحديث من كان بينه وين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم عهدهم على سواء(1).

وقال الأستاذ: يريد إذا تحققت بخيانة قوم منهم فصرح بأن لا عهد بينك وبينه وإذا حصلت الخيانة زال سمة الأمانة وخيانة كل أحد على ما يليق بحاله ومن ضن بميسور له ولو (سمسمة) أو سينة أو لحظة عن مطالبات الحقيقة فقد خان في عهده وزاغ عن حده وعقوبته معجلة وهو أن لا يحبه الله ومن لا يحبه الله فإنه يذله ويهينه فيكون عقوبته وإذلاله وإهانته.

﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ﴾ [الآية: 59] أيها النبي عليه أو الحاسب العام ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ﴾ [الآية: 59] استئناف فيه معنى التعليل وفتح ابن عامر الهمزة والمعنى لا يحسبنهم/ سبقوا فاعتصموا وتخلصوا إنهم لا يفوتون الله أو لا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم. 352/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يعارض الحق أو ينازعه من في قبضة تقلبه وبقدرته تصرفه وبتصريفه إياه وعدمه وثبوته.

﴿وَأَعِدُّواْ﴾ [الآية: 60] أيها المؤمنون ﴿لَهُم﴾ [الآية: 60] أي: لناقضي عهودهم وللكافرين بعمومهم ﴿مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الآية: 60] من كل ما يتقوى

---

(1) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (9/ 231) رقم (18627)، وفي شعب الإيمان (4/ 81) رقم (4359)، وأحمد في المسند (4/ 385) رقم (19455)، وأبو داود في السنن (3/ 38) رقم (2761).

به في المحاربة وعن عقبة بن عامر سمعته عليه السلام يقول على المنبر ألا إن القوة الرمي ثلاثاً ولعله خصه بالذكر لأنه أقواه.

وقال أبو علي الروندباري: القوة المنعة بالله ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أعدوا لقتال الأعداء ما يبلغ وسعكم ذلك من قوة وأتمها قوة القلب بالله والناس فيها مختلفون فواحد يقوي قلبه بموعود نصره وآخر يقوي قلبه لتحققه بأنه بمشهد من ربه قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور، الآية: 48] وآخر يقوي قلبه بإيثار رضا الله على مراد نفسه وآخر يقوي قلبه برضاه بما يفعله مولاه ويقال أقوى محبة للعبد تبرّيه عن حوله وقوته ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الآية: 60] اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فقال بمعنى مفعول ﴿تُرْهِبُونَ بِهِۦ﴾ [الآية: 60] أي: تخوفون بما استطعتم أو بالإعداد الذي هو سبب الإمداد ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الآية: 60] يعني كفار مكة ولو من أقاربكم ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ [الآية: 60] من غيرهم من الكفرة كاليهود والمنافقين ومشركي الفرس والروم ونحوهم.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة فيه أن لا يجاهد على رجاء غنيمة تنالها أو استشفاء صدره من قضية حقدنا لها بل قصده أن يكون كلمة الله هي العليا في حالها ومآلها ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ [الآية: 60] لا تعرفونهم بأعيانهم ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الآية: 60] بعزمهم وإصرارهم على كفرانهم ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ﴾ [الآية: 60] من إنفاق مال وبذل روح ومنال ﴿فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] طريق رضاه ﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية: 60] أَجْرَه ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الآية: 60] بنقض ثواب وزيادة عقاب ومغالطة حساب.

﴿وَإِن جَنَحُوا۟﴾ [الآية: 61] مالوا ﴿لِلسَّلْمِ﴾ [الآية: 61] وقرأ شعبة بالكسر أي: للصلح والاستسلام ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الآية: 61] عاهد معهم ولا تمل عنهم وتأنيث ضمير السلم تحمله على نقيضه من الحرب قال:

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع[1]

---

(1) نسب هذا البيت إلى العباس بن مرداس السلمي. انظر: خزانة الأدب (1/ 469)، وإصلاح المنطق (1/ 30).

353/أ / ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 61] ولا تخف أحداً سواه فإنه يعصمك من كيدهم ويحيق بهم ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية: 61] لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية: 61] بحالهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم في حالهم ومآلهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بعث نبيه ﷺ بالرحمة والشفقة على الخليقة وفي مسالمة الكفار رجاء أن يؤمنوا بأيامهم في المستأنفة فإن أبوا فليس أحد يخرج عن قبضة العزة ويقال العبودية هي الوقوف حيث ما وقفت أو أمرت بالقتال فلا تقصر في المجاهدة وإن أمرت بالمواعدة فمرحباً بالمسالمة ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الآية: 61] في كل حالة في أن يختار لك ما فيه الخيرة فيوفقك لما هو الأولى ويختار لك من قسمي الأمر في الحرب والصلح ما هو الأعلى.

﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية: 62] أي: محسبك وكافيك.

قال جرير:

إني وجدت من المكارم حسبكم أن تلبسوا حُرَّ الثياب وتشبعوا

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 62] جميعهم.

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْۚ﴾ [الآية: 63] مع ما فيهم من العصبية والضغينة من أدنى القضية والتهالك عن الانتقام بالجزئية حتى صاروا كنفس واحدة من كمال الإلفة والمواصلة وزوال الوحشة والفرقة وهذا من أظهر أنواع المعجزة وبيانه ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 63] لتناهي عدوانهم البعدة عن حالة الإلفة ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْۚ﴾ [الآية: 63] بقدرته البالغة ﴿إِنَّهُۥ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 63] تام القدرة والغلبة ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 63] صاحب الحكم والحكمة.

وقال الأستاذ: لبسوا عليك وراموا خداعك بطلب الصلح منك ويستنبطون لك بخلاف ما يظهرون عندك فإن الله كافيك فلا تشغل قلبك بغفلتك عن شر ما يكيدونك فإني أعلم وإن لم تعلم وأقدر على ما لا تقدر وهو الذي بنصره أفردك وبلطفه أيدك وعن كل سوء ونصيب طهرك وعن رق

الأشياء حررك وفي جميع الأحوال كان لك وهو الذي أيدك بمن آمن بك من المؤمنين وهو الذي ألف بين قلوبهم المختلفة فجمعها على الدين وإيثار رضاء الحق/ ولو كان ذلك بحيل الخلق لم ينتظم هذه الجملة ولو أبلغت بكل ميسور من الأفعال وبذلت بكل مستطاع من المال. 353/ب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 64] كافيك ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 64] أي: وكافي أتباعك بسبب اتباعك أو كافيك من اتبعك من تمام الأربعين إذ روي أنه أسلم مع النبي ثلاث وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت وقد قال ابن عباس نزلت في إسلام عمر رضي الله عنه فمن على الأول مجرور المحل أو منصوبه على المفعول معه وعلى الثاني مرفوعه.

وأفاد الأستاذ: إن أحسن التأويلات في هذه الآية أن يكون من هاهنا في محل النصب أي من اتبعك من المؤمنين يكفيهم الله ومن أقوى التأويلات في العربية أن من في محل الرفع أي: وحسبك من اتبعك من المؤمنين وقد علم أن استقلال الرسول ﷺ كان بالله لا بمن سوى الله أو كل من هو سوى الله فمحتاج إلى نصرة الله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ﴾ [الآية: 65] أي: بالغ في حثهم عليه واحرص في ترغيبهم إليه.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمن من لا يزداد بنفسه ضعفاً إلا ازداد بقلبه قوة لأن الاستقلال بقوة النفس نتيجة الغفلة وقوة القلب بالله سبحانه على الحقيقة ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ﴾ [الآية: 65] في معنى الأمر بمصابرة الواحد للعشر والوعد بأنهم إن صبروا يحصل لهم الغلبة بالعون والنصر ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ﴾ [الآية: 65] وقرأ الحرميان والشامي بالتأنيث ﴿يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 65] بسبب أنهم جهلة بالله والدار الآخرة فلا يثبتون ثبات المؤمنين لرجاء المثوبة وعلو الدرجة أو لا يستحقون من الله إلا الهوان والخذلان والفضيحة.

وأفاد الأستاذ: أن هذا لهم فأما النبي ﷺ فهو بتوحده كان مأموراً بأن

يثبت لجميع الكفار لكمال قدرته إذ كانت قوته بالله ﷺ قال: «بك أصول» وفي/ تحريضه للمؤمنين على القتال كانت لهم قوة وبأمر الله كانت له قوة فقوة الصحابة كانت بالنبي ﷺ وتحريضه إياهم وقوته عليه السلام كانت بالله وبأمره فشتان ما بينهما ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾ [الآية: 66] .

354/ أ

قال النصر أبادي: التخفيف كان لهم دون الرسول ﷺ لأن من لا يثقله حمل أمانة النبوة كيف يخاطب بتحقيق اللقاء للأضداد وكيف يخاطب به وهو يقول:

اللّهم بك أجول وبك أصول[1]

ذكره السلمي ﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الآية: 66] بالفتح قرأ عاصم وحمزة.

قال ابن عطاء: ما في السماء لا يؤخذ إلا بالافتقار وما في الأرض لا يؤخذ إلا بالاضطرار ذكره السلمي ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ﴾ [الآية: 66] وقرأ الكوفيون بالتذكير ﴿يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾ [الآية: 66] أي: ضعفهم ﴿وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 66] لما أوجب الله على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم في مقام المجاهدة في الآية السابقة وثقل ذلك عليهم خوف العجز عن خروج العهدة خفف عنهم بمقامه الواحد للاثنين وقيل: كان فيهم قلة فأمروا بذلك ثم لما وجد فيهم كثرة خفف عنهم هنالك وتكرير المعنى الواحد بذكر الأعداد المناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد في القضية والضعف ضعف النية والبصيرة إذا كانوا متفاوتين فيها ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الآية: 66] بالنصرة والمعونة.

وأفاد الأستاذ: أن الضعف الذي علمه فيهم كان ضعف الأشباح فخفف الله عنهم وأما القلوب فلا يدخلها الضعف فحمل عنهم في ممارسة القتال بالقدرة المذكورة وفي الكتاب والعوام يحملون المشاق بنفوسهم وجثثهم والخواص بقلوبهم وهممهم قالوا:

حملت بالقلب ما لا يحمل البدن والقلب يحمل ما لا يحمل البدن[2]

(1) نسب إلى الحلاج. انظر: دواوين الشعر العربي (51/ 17).
(2) نسب إلى الحلاج. انظر: دواوين الشعر العربي (51/ 17).

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الآية: 67] وقرأ البصري بالتأنيث ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ [الآية: 67] أي: يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقلّ حزبه ويعز الإسلام ويكثر أهله ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 67] أي: حطامها بأخذكم/ الفداء من الأسرى ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۗ﴾ [الآية: 67] أي: يريد لكم ثواب الآخرة أو سبب نيل الآخرة من إعزاز أوليائه وإذلال أعدائه ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 67] غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 67] في حكمه. 354/ ب

قال الأستاذ: أخذ النبي ﷺ يوم بدر منهم الفداء وكان ذلك جائز لوجوب القول بعصمة الأنبياء ولكن لو قتلهم كان أولى بحسب الأغنياء فإرادتهم عرض الدنيا هو أخذ الفداء والله جعل رضاه في قتل الأعداء أو رحمة الشرع خلاف رحمة الطبع فشرط العبودية أن يرقى العبد لله وإذا كان الأمر بالغلظة فكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النور، الآية: 2] ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 67] بالانتقام من أعدائه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 67] في جميع ما يصنع بأوليائه.

﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ﴾ [الآية: 68] أي: حكم مكتوب ﴿مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾ [الآية: 68] إثباته في اللوح أن لا سبق وهو أن لا يعاقب المخطىء في اجتهاده بأنّ لا يعذب أهل بدر من عبادة أو قوة ما لم يصرح لهم بالمنهي عنه أن الفدية التي أخذوها ستسهل لهم في دينه ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ [الآية: 68] تنالكم ﴿فِيمَآ أَخَذْتُمْ﴾ [الآية: 68] من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الآية: 68] روي أنه عليه السلام قال: لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر بن الخطاب وذلك لما روي أنه ﷺ أتى يوم بدر بسبعين أسيراً فيهم عمه العباس وعقيل بن أبي طالب فاستشار فيهم وقال أبو بكر قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمر: اضرب أعناقهم فإنهم أئمة الكفر والله أغناك عن الفداء ومكني من فلان لنسب له ومكن علياً وحمزة من أخويهما فلنضرب أعناقهم فلم يهوَ ذلك رسول الله ﷺ وقال: إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وأن الله لشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وأن مثلك يا أبي بكر مثل إبراهيم قال: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم، الآية: 36] ومثلك يا عمر

مثل نوح قال: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح، الآية: 26] فخير أصحابه بين القتل والفداء فأخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله/ ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال: يا رسول الله أخبرني فإن أجد بكاء بكيت وإلا تباكيت فقال: أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة بشجرة قريبة[1] والآية دليل على أن الأنبياء مجتهدون وأنه قد يكون خطأً منهم ولكن لا يقرون عليه وزبدة القضية أن الصديق كان مظهر نعوت الجمال وأن الفاروق مظهر صفات الجلال وأنه ﷺ متحل بأوصاف الكمال الشامل للجمال والجلال إلا أنه لكونه رحمة للعالمين مال إلى الجمال وتخلق بأخلاق الملك المتعال حيث ورد في الحديث القدسي والكلام الأنسي سبقت رحمتي غضبي[2].

355/ أ

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ﴾ [الآية: 69] من الفدية فإنها من جملة الغنيمة والفاء للسببية والمعنى لما أزال عنكم العقوبة أباح لكم الغنيمة ﴿حَلَٰلًا﴾ [الآية: 69] حال من المغنوم أو أكلاً حلالاً وفائدته إزاحة ما وقع في نفوسهم بسبب تلك المعاينة أو بسبب حرمتها على الأمم السالفة ولذا زيد في وصفه بقوله: ﴿طَيِّبًا﴾.

قال جعفر الصادق: الحلال ما لا يعصى الله فيه والطيب ما لا ينسى الله فيه ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الحلال ما كان مؤذناً فيه والطيب أن تعلم أن ذلك من قبل الله فضلاً لك من قبله لا استحقاقاً ويقال: هو الذي لا يكون صاحبه عن شهود ربه غافلاً عند أخذه ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 69] في مخالفة أمره ونهيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 69] غفر لكم ما فعلتم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 69] أباح لكم ما أخذتم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم﴾ [الآية: 70] أي: في تصرفكم ﴿مِّنَ

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1763/ 58)، والبيهقي في السنن الكبرى (9/ 67) رقم (17818)، وأحمد في المسند (1/ 32) رقم (221).

(2) سبق تخريجه.

﴿ٱلْأَسْرَىٰٓ﴾ [الآية: 70] وقرأ البصري من الأسارى ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ [الآية: 70] إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾ [الآية: 70] أي: عوضاً من الأشياء خيراً ﴿مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 70] من العذاب ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الآية: 70] في الانتهاء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 70] للمذنبين ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 70] بالمطيعين روي أنها نزلت في العباس كلفه رسول الله ﷺ أن يفدي نفسه وابني أخويه عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال: يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت فقال/ أين 355/ ب الذهب الذي الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها إني لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا إذا حدث لي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال: وما يدريك قال: أخبرني به ربي تعالى قال: فاشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك رسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل قال العباس فأبدلني الله خيراً من ذلك فلي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة[1] أي: الموعدة.

وأفاد الأستاذ: أن الذي يعطيهم خير مما أخذ منهم يحتمل أن يكون في الآخرة من حسن الثواب ويحتمل أن يكون في الدنيا من جميل العوض ويقال ما يؤهلهم له من توفيق الطاعات وحلاوة الإيمان وهو خير مما أخذ منهم ويقال هو ما أعطاهم من الرضا بما كانوا فيه من الفقر بعدما كانوا أغنياء في حال الكفر.

﴿وَإِن يُرِيدُوا۟﴾ [الآية: 71] أي: الأسرى ﴿خِيَانَتَكَ﴾ [الآية: 71] نقض ما عاهدوك ﴿فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 71] بنقض ميثاقه المأخوذ بالنقل والعقل حيث اختاروا الكفر والجهل ﴿مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 71] أي: قبل بعثتك ﴿فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 71] أي: فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر بهم والمعنى وإن عادوا لخيانتك فيمكنك منهم كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ﴾ [الأنفال: 19] ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: 8] ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 71] بأحوال العباد ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 71] فيما دبر

(1) تفسير النيسابوري (4/ 103)، والكشاف (2/ 387)، وتفسير أبي السعود (4/ 37)، وتفسير البيضاوي (1/ 123).

وقضى وأراد.

وقال الأستاذ: يريد وإن عادوا إلى قتالك بعدما مننت عليهم بالإطلاق وخانوا عهدك بالوفاق فالخيانة لهم دأب وطريقه غالباً ثم إنا نمكنك منهم ثانياً كما مكناك من أسرهم أولاً.

إن عادت العقرب عدنا لها وكانت النعل لها حاضرة[1]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية: 72] أي: ثبتوا إيمانهم ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ [الآية: 72] وتركوا أوطانهم حباً لله ولرسوله وهم المهاجرون من أصحابه ﴿وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الآية: 72] فصرفوها على مصالح الجهاد وأنفقوها على المحاويج من العباد ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 72] فبذلوها بمباشرة القتال مع أعدائهم ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 72] لأجل رضاه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ [الآية: 72] هم الأنصار أو/ 356/أ والمهاجرين إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية: 72] مجموع الفريقين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 72] بالنصرة والمظاهرة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الآية: 72] وقرأ حمزة بكسر الواو أي: فليست لهم هذه الموالاة ﴿حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [الآية: 72] أي: استعانوا بكم لأجل الدين بسبب غلبة الكافرين ﴿فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [الآية: 72] أي: فواجب عليكم أن تنصروهم على أعداء الدين ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ﴾ [الآية: 72] عهد فإنه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية: 72] أي: عالم بأحوالكم ومطلع على جميع أعمالكم من القليل والكثير والنقير والقطمير.

وأفاد الأستاذ: أن كمال الهجرة مفارقة الأخلاق الذميمة وهجران النفس في ترك إجابتها إلى ما تدعو إليه من شهواتها الردية ومن ذلك هجران إخوان السوء والخروج والتباعد عن الأوطان التي باشر فيها الزلة ثم الهجرة من أوطان الحظوظ والنصيب إلى أوطان رضا الحق وأما قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ [الآية: 74] فهم الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة،

(1) نسب إلى الفضل بن العباس بن عتبة. انظر زهر الأكم (1/ 127).

وعوام هؤلاء في الأمور الدنيوية وخواصهم في الكرائم الأخروية وخاص الخاص في كل ما يصح فيه الإيثار من الأحوال السنية.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [الآية: 73] في المناصرة والمؤازرة وفي هذا تحريض للمؤمنين على المعاونة فإنهم أولى بالمعروف بمقتضى الديانة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قطع العصمة بينهم وبين المؤمنين فالمؤمن للمؤمن مجانب وللأقارب مقارب والكفار بعضهم لبعض بحسب المراتب كما قيل طير السماء على أُلاّفها تقع ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ [الآية: 73] أي: ما أمرتم من قطع العلائق بينكم وبين الكفار ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية: 73] يحصل فتنة فيها عظيمة من ضعف الإيمان وقوة أهل الكفر والعدوان ﴿وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية: 73] أي: عظيم أو كثير مما يترتب عليه من أمر الأديان.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ [الآية: 74] أي: ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 74] أي: في طريق هداه وطلب رضاه ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ/ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ﴾ [الآية: 74] أي: وهم المهاجرون والمجاهدون والناصرون عدلاً وصدقاً قال المفسرون: لما قسم الله المؤمنين ثلاثة أقسام بين الكاملين في الإيمان منهم ثم الذين حققوا إيمانهم بمقتضاه من الهجرة والمجاهدة وبذل المال ونصرة الحق في جميع الأحوال ووعد لهم الموعود العظيم بقوله: ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية: 74] لا تبعة له ولا منة فيه من النعيم المقيم ثم ألحق بهم في الأمرين من سيلحق بهم ويتسم بسُنَّتهم بقوله: 356/ ب

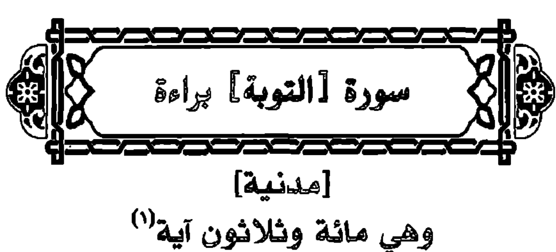
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ﴾ [الآية: 75] أي: من جملتكم أيها المهاجرون والأنصار حيث دخلوا في ملّتكم ووافقوا صفتكم وفي الحديث المتفق على صحته بل المتواتر معنى في قضيته المرء مع من أحب[1] وفي رواية من أحب قوماً حشر معهم[2].

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6169)، ومسلم في الصحيح (2640/ 165).
(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 18) رقم (4294)، وكشف الخفا (2/ 222) رقم (2353).

هذا وتفصيل المناقب مما يعرف في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحديد، الآية: 10] وفي قوله سبحانه: ﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء، الآية: 95] ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الآية: 75] أي: في التوارث من الأجانب كما كان في صدر الإسلام أن المهاجرين والأنصار كانوا يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الأقارب ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الآية: 75] أي: في حكمه وفي اللوح المحفوظ وفي القرآن المبين وهو دليل واضح على توريث ذوي الأرحام كما ذهب إليه علماؤنا الأعلام ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [الآية: 75] بين المواريث بين الأنام والحكمة في إناطتها بنسبة الإسلام وجهة المصاهرة أولاً واعتبار القرابة ثانياً.

وقال الأستاذ: يريد من سلك مسلكهم في الحال ومن سيلحق بهم في الاستقبال ثاني الأحوال فالألفة تجمعهم والولاية تشملهم فلهم من الله في العقبى جزيل الثواب وجميل النجاة من العذاب وفي الدنيا التناصر والولاية والتقارب والمودة.



سورة [التوبة] براءة

[مدنية]

وهي مائة وثلاثون آية(1)

وإنما تركت التسمية فيها لأنها نزلت لرفع الأمان بها وبسم الله الرحمن الرحيم أمان فلا يلائم عنوان السورة بكتبها وهذا توجيه علي كرّم الله وجهه وقيل: لما اختلفت الصحابة في أن الأنفال/ والتوبة سورة واحدة وهي سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة لم تكتب البسملة(2). 357/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرد هذه السورة عن ذكر البسملة ليعلم أنه يخصّ من يشاء وما يشاء بما يشاء ويفرد من يشاء وما يشاء عما يشاء وليس لصنعه سبب ولا له في أفعاله عرض ولا أرب واتضح للكافة أن هذه الآية أثبتت حيث أثبتت في الكتاب لأنها منزلة وفي الأمر هنالك محصلة.

وأفاد الأستاذ: أن بعض السور المفتتح بذكر الكفار مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [محمد، الآية: 1] وقوله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد، الآية: 1] ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ [الهمزة، الآية: 1] وأمثالها مما ثبتت البسملة في أوائلها إلا أنها ليس ذكر البراءة فيها صريحاً وإن تضمنته تلويحاً ويقال إذا كان تجرد السورة عن هذه الآية يشير إلى أنها لذكر الفراق فبالتحري أن يخشى ويمنع تجرد الصلاة عنها عن كمال الوصلة والاستحقاق.

﴿بَرَآءَةٌ﴾ [التوبة، الآية: 1] أي: هذه براءة واصلة ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 1] والمعنى أن الله ورسوله برئا من العهد الذي عاهدتم به من المشركين وإنما علقت البراءة بالله وبرسوله والمعاهدة للمسلمين الدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين إليهم وإن كانت صادرة بإذن الله

(1) كذا في الأصل المخطوط.
(2) تفسير النيسابوري (4/ 108).

لهم واتفاق الرسول معهم فإنهما برئا منه وهم في حكمهما وتابع لصلحهما وحربهما وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا إلا ناساً منهم بني ضمرة وبني كنانة فأمرهم بنبذ العهد إلى الناكثين وأمهل الشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤوا بقوله:

﴿فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [الآية: 2] شوّال وذي العقدة وذي الحجة والمحرم لأنها نزلت في شوّال ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 2] أي: لا تفوتونه وإن أمهلكم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [الآية: 2] بالقتل والأسر في الدنيا والعذاب والحجاب في العقبى فلا يمهلهم ولا يتركهم سدى.

وأفاد الأستاذ: أن الفراق شديد وأشده أن لا يعقبه وصال وفراق المشركين كذلك لأنه قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء، الآية: 48] ويقال من مني بفراق أحبابه فبئست صحبته أنه/ كان بين رسول الله ﷺ وبين أولئك المشركين عهد ولا شك أنهم كانوا قد وطنوا أنفسهم عليه فنزل الخبر من الغيب بغتة وأتاهم الإعلام بالفرقة فجأة فقال: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ [الآية: 1] أي: هذه براءة كما قيل:

357/ ب

فبتنا بخير والدنيا مطمئنة فأصبحت يوماً والزمان تقلبا

وما أشد الفرقة لا سيما إذا كانت بغتة على غير ترقب قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم، الآية: 39] وأنشدوا:

فكان سراج الوصل أزهر بيننا فهبت به ريح من البين فانطفى[1]

ثم إنه سبحانه وإن قطع عنهم الوصلة فقد ضرب لهم المدة على وجه المهلة فأمنهم في الحال ليتأهبوا لتحمل مقاساة البراءة فيما يستقبلونه من الحال والإشارة فيه أنهم إن أقلعوا في مدة الإمهال عن الغي والضلال وجدوا في المآل ما فقدوا من الوصال وإن أبوا إلا التمادي في ترك الخدمة انقطع ما بينه وبينهم من العصمة وفي قوله: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ﴾ [الآية: 2] الآية من الإشارة أنهم

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 345) وعتده: لليلى.

إن أصررتم على قبيح آثاركم مشيتم إلى هلاككم بقدمكم وسعيتم في عاجلكم في دمكم وحصلتم في آجلكم على خسرانكم وندمكم وما خسرتم إلا في صفقتكم وما ضر جرمكم سواكم.

تبدلت وتبدلنا واحسرتا لمن ابتغى عوضاً لسلمى فلم يجد

﴿وَأَذَانٌ﴾ [الآية: 3] أي: فعال بمعنى الأفعال كالعطاء والأمان وهذا إيذان وإعلام ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ [الآية: 3] يوم العيد الأضحى لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولأن الإعلام كان فيه حيث قام علي كرّم الله وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم فقالوا: بماذا؟ فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال: أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده ولما روي أنه عليه السلام وقت يوم النحر عيد الجمرات في حجة الوداع فقال: هذا يوم الحج الأكبر وإنما وصف بالأكبر/ لأن العمرة تسمى بالحج الأصغر أو لأنه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 3] أي: بأن الله ﴿بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 3] أي: من عهودهم ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية: 3] أي: كذلك أو هو عطف على المستكن في بريء.

358/ أ

وقال الأستاذ: أي ليكن إعلام من الله ورسوله للناس بنقض عهودهم وإعلان فيهم بأنهم [ما] فطموا عن مألوفهم من الإهمال ومعهودهم فقد برح الجفاء بأن ليس لهم ولا إذا لم يكن لهم فيما عقدوا وفاء وليعلم الكافة بأنهم أعداء فمن رأى من الأغيار شظية من الآثار ولم يرَ حصولها بتصاريف الأقدار فقد أشرك في التحقيق واستوجب هذه البراءة ومن لاحظ الخلق تصنعاً أو طالع نفسه إعجاباً فقد جعل ما لله لغير الله وظن ما من الله من غير الله فهو على خطر من الشرك بالله ﴿فَإِن تُبۡتُمۡ﴾ [الآية: 3] من الكفر والغدر ﴿فَهُوَ﴾ [الآية: 3] أي: الثواب ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [الآية: 3] أي: دنيا وأخرى ﴿وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ﴾

[الآية: 3] أي: أعرضتم عن التوبة وتبتم عن الحوبة ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ﴾ [الآية: 3] لا تفوتونه طلباً ولا تعجزونه هرباً وهذا في الدنيا ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 3] في العقبى.

وقال الأستاذ: إن عادوا إلى الباب لم يقطع رجاءهم ومد إلى وضوح العذر إرجاؤهم وبين أنهم إن أصروا على عتوهم فإلى ما لا يطيقون من العذاب منقلبهم وفي النار مثواهم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 4] استثناء من المشركين في قوله ﴿بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 3] في معنى الاستدراك مكانه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد إلى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منكم ﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [الآية: 4] من شروط العهد ولم يظاهروا عليكم أحداً أي: من أعداءكم ولعل هذا تخصيص بعد تعميم للاهتمام به ﴿وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ﴾ [الآية: 4] أي: إلى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين لعهدتهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 4] في ملتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من وفى بحق عقده قدره على حفظ عهده إذ لا يستوي من وفاه ومن جفاه كما قيل:

وما سوّي إذا اختلفتم ترك وفاء وحفظ عهد

358/ب / ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ﴾ [الآية: 5] أي: التي أبيح للناكثين أن سيحوا فيها ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية: 5] أي: الناكثين ﴿حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [الآية: 5] من حل ومن حرم ﴿وَخُذُوهُمۡ﴾ [الآية: 5] وأسروهم ﴿وَٱحۡصُرُوهُمۡ﴾ [الآية: 5] واحبسوهم ﴿وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ﴾ [الآية: 5] كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاء ولا يفسدوا العباد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أراد إذا انسلخ الحرم فاقتلوا من لا عهد له من المشركين فإنّهم وإن لم يكن لهم عهد وكانوا حرماً جعل لهم من الأمان في مدة هذه المهلة شعباً فكيف يأمر بترك قتال من أبى وكيف يرضى بقطع

وصال من أتى.

ثم أفاد فيما أجاد: أنه سبحانه أمرهم بجميع أنواع معالجة قتال الأعداء وأعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك فسبيل العبد في مباشرة الجهاد الأكبر في النفس بتضييق النفس عليه بالمبالغة في جميع أنواع الرياضات واستفراغ الوسع في القيام بصدق المعاملات ومن تلك الجملة أن لا ينزل بساحات الرخص والتأويلات أو يأخذ بالأشق في جميع الحالات ﴿فَإِن تَابُوا۟﴾ [الآية: 5] رجعوا عن الشرك بالإيمان ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 5] أي: وقاموا بالعبادة البدنية والطاعة المالية تصديقاً لما بهم من الإيقان ﴿فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [الآية: 5] أي: فاتركوا سبيل تعرضهم بالإساءة إليهم واشهدوا لهم بالإحسان ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 5] غفر لهم ما مضى من المعصية رحيم فيما بقي بتوفيق الطاعة وتحقيق المعصية وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله بل يجب التعرض له بما يقتضي زجره.

وأفاد الأستاذ: أن حقيقة التوبة هي الرجوع بالكلية من غير أن يترك بقية فإذا أسلم الكافر بعد شركه ولم يقصر في واجب عليه من قسمي فعله وتركه حصل الإذن في تخلية سبيله وفكه.

إن وجدنا لما ادعيت شهوداً ولم تجد عندنا لحق حدوداً

وكذلك النفس إذا انخنست وآثار البشرية إذا اندرست فلا حرج في التحقيق في المعاملات في أوان مراعاة الخطرات مع الله عند حصول المكاشفات والجلوس/مع الله أولى من القيام بباب الله قال الله تعالى فيما ورد به الخبر اللدني أنا جليس من ذكرني[1]. 359/أ

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية: 6] أي: المأمور بالتعرض لهم ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾ [الآية: 6] أي: استأمنك وطلب جوارك ﴿فَأَجِرْهُ﴾ [الآية: 6] فأمنه في ديارك ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 6] أي: بتدبره ويطلع على حقيقة أخبارهِ ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [الآية: 6] أي: أوصله موضع أمنه إن لم يسلم بطيب قلبه ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 6] الأمن

(1) سبق تخريجه.

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 6] ما الإيمان فلا بد من الإيمان مقدار ما يسمعون ويتأملون.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمن استعاذ طول عمره من الفراق حتى لا يمنع عن سماع كلام الله وحتى لا يكون في زمرة من يقول لهم ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون، الآية: 108] وإذا قال اليوم لأعدائه ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [الآية: 6] وإن لم يؤمن بعد سماع كلامه نهي عن تعرضه بقوله ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [الآية: 6] أترى أنه لا يؤمن أولياءه غداً من فراقه وقد عاشوا اليوم على إيمانه ووفاقه وكلا إنّه يمتحنهم بذلك قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء، الآية: 103] ثم قال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 6] فإذا كان هذا أمره فيمن لا يعلم فكيف بأمره بمن يعلم قيل:

ومتى يضيع من ينيخ ببابنا والمعرضون لهم نعيم وافر

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾ [الآية: 7] إنكار واستبعاد لأن يكون عهد ثابت مع وغرة صدورهم للمؤمنين ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الآية: 7] استثناء منقطع أي: ولكن الذين عاهدتم عند الحرم المحترم منهم فتربصوا أمرهم وانتظروا عهدهم كما دل عليه قوله: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ [الآية: 7] أي: فاستقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء بالوعد وهو قوله سبحانه ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ [الآية: 4] غير أنه مطلق وهذا مقيد بالاستقامة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 7] ما يخالف الديانة.

وقال الأستاذ: كيف يكون المفلس من عرفانه كالمخلص في إيمانه وكيف يكون المحجوب عن شهوده كالمستهلك في وجوده وكيف يكون من يقول أنا كمن يقول أنت/ وأنشدوا: 359/ب

فأحبابنا شتان وافٍ وناقض ولا يستوى قط المحب وباغض[1]

ثم إن تمسكوا بحبل وفائنا أحللناهم في ظل ولائنا وإن زاغوا عن عهدنا أبليناهم بصدنا ثم لم يربحوا علي بعدنا والمتقي الذي يستحق محبته من يتقي

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 68) و(3/ 299) و(6/ 336).

محبة نفسه فإذا اتقى محبة نفسه قال: بترك حظه وقام بحق ربه.

﴿كَيْفَ﴾ [الآية: 8] تكرار لاستبعاد ثباتهم على عهدهم ونفي حكمهم مع وعدهم ﴿وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ [الآية: 8] أي: وحالهم معكم أنهم إن يظهروا عليكم ويغلبوا عليكم ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ﴾ [الآية: 8] لا يراعوا في حقكم ﴿إِلًّا﴾ [الآية: 8] حلفاً ولا قرابة ولا تربية ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ [الآية: 8] عهداً أو حقاً أو حرمة.

وأفاد الأستاذ: أن الله سبحانه وصفهم بلؤم الظفر وفي هذا إشارة إلى أن الكريم إذا ظفر غفر وإذا قدر ما غدر بل ما غادر فيما سر وبرّ ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [الآية: 8] أي: بألسنتهم والجملة استئناف لبيان حالتهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية إلى عدم مراقبتهم عند الظفر للوعد ﴿وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 8] أي: ما يتفوه به أفواههم ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الآية: 8] متمردون لا عقيدة تردعهم ولا مروءة تمنعهم من يتحامى عن الغدر فقليل منهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لا عجب من صنيعهم فإنّهم في حقنا كذلك يفعلون يظهرون الإيمان ويضمرون الكفران كذلك يعيشون معكم في زي الوفاق ويستبطنون عين الشقاق وسوء النفاق.

﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ [الآية: 9] أي: اختاروا على طريق رضاه وسبيل هداه ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [الآية: 9] عرضاً يسيراً وعوضاً حقيراً من لذات الدنيا وشهوات النفس والهوى ﴿فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ﴾ [الآية: 9] أي: فاعرضوا بأنفسهم ومنعوا غيرهم عن الوصول إلى دينه النافع لهم في الدنيا والعقبى ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 9] من مخالفة التقوى وموافقة الهوى.

وأفاد الأستاذ: أن من رضي من الله بغير رضاه أرخص في صفقته ثم إنه خسر في تجارته فلا له بما آثر على الله استماع ولا في دونه سبحانه له إقناع بقي عن الله ولم يستمتع بغير الله هذا هو الخسران المبين.

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا/ وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ [الآية: 10] في عدم 360/أ المراقبة ونقض المعاهدة قيل: الأول عام في المنافقين وهذا خاص باليهود والمنافقين.

وقال الأستاذ: من لا يراعي حق الله كيف يراعي حق الخلق في الله إن أخلاقهم لتشابهت في ترك الحرمة.

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [الآية: 11] أي: فهم إخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم.

وقال الأستاذ: معناه إن قبلناهم وصلحوا لولائنا فلحمة النسب ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ [الآية: 11] بينكم وبينهم واشجة وإلا فليكن الأجانب منا على جانب منكم ﴿وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 11] جملة اعتراضية بين الشرطية الماضية والآتية للتأمل على ما فصل من أحكام المعاهدين وخصال التائبين.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم﴾ [الآية: 12] أي: نقضوا ما بايعوا عليه من أيمانهم ونقضوا وفاءهم بعهودهم ﴿مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [الآية: 12] بتصريح الكذب وتقبيح الحكم ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [الآية: 12] أي: رؤوساءهم فإن قتلهم أهم والمنع من مراقبتهم أتم وفيه دليل على أن الذمي إذا طعن في الإسلام فقد نكث عهده في الاحتكام ثم محل بيان الهمزتين للقراء كتبهم المبسوطة في بيان كيفية الأداء وتواضيح تحقيق البناء ﴿إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ﴾ [الآية: 12] على الحقيقة وإلا لما طعنوا ولم ينكثوا العقدة وقرأ ابن عامر لا إيمان بالكسر بمعنى لا أمان أو لا إسلام أو ليس لهم إيمان فيراقبوا لأجله وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾ [الآية: 12] متعلق بقاتلوا أي: ليكن غرضكم في المقاتلة أن ينتهوا عماهم عليه من المخالفة لا مجرد إيصال الأذية.

وقال الأستاذ: إن جنحوا إلى الغدر ونكثوا ما قدموه من ضمان الوفاء بالعهد وبسطوا ألسنتهم فيكم باللوم فاقصدوا من رحى الفتنة عليه تدور وغصن الشر من أصله ينشعب وهم سادة الكفار وقادتهم وحق القتال أعداء القوة جهراً والتبري من الحول والقوة سراً.

﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ [الآية: 13] دخلت الهمزة على النفي للأفكار فأفادت المبالغة في العقل المختار والمعنى بالغوا في أن تقاتلوا ﴿قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ﴾

360/ب [الآية: 13] التي حلفوها مع الرسول/ والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم ولا

على مخالفيهم المشركين فعاونوا بني بكر على خزاعة بعد صلح الحديبية ﴿وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 13] من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة وثم قيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا بإخراجه من المدينة ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 13] بالمعاداة والمقاتلة فإنه عليه السلام بدأهم بالدعوة وإلزام الحجة بإتيان الكتاب والتحدي به على جهة المعجزة فعدلوا على معارضته إلى المعاداة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم بالغلبة ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ [الآية: 13] أي: أتتركون قتالهم مخافة أن يصيبكم مكروه منهم ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ [الآية: 13] فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا قضاه ورضاه ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 13] فإن قضية الإيمان أن لا يخشى العبد إلا من مولاه ولا يلتفت إلى ما سواه.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه حرضهم على القتال على ملاحظة أمر الله بذلك لا على الانطواء على الحقد في أحد فإن من غضب لنفسه فمذموم الوصف ومن غضب لله فإن نصر الله قريب والخشية من الله بشير الوصلة والخشية من غير الله نذير الفرقة وحقيقة الخشية تقبض السر عن ارتكاب الزجر ومخالفة الأمر.

﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ [الآية: 14] أي: أمروهم بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ والتوعيد على تركه ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ﴾ [الآية: 14] يذلهم ﴿وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 14] وعدلهم إن قاتلوهم بالنصر عليهم والمتمكن من قتلهم وإذلالهم ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 14] يعني بني جذاعة ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 15] لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم فالآية من المعجزات حيث تحقق ما أخبرت به من المغيبات ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 15] ابتداء إخبار بأن بعضهم يتوب عن كفره وكان ذلك أيضاً كذلك في آخر أمره ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 15] بما كان وما سيكون من القضية ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 15] لا يفعل ولا يحكم إلا على وفق الحكمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه هون عليهم كلفة المخاطرة بالمهجة بما

وعدهم من الظفر والنصر فإن شهود خزي العدو مقاساة الضر والسوء والظفر بالأرب يذهب تعب الطلب/ وشفاء صدور المؤمنين على حسب مراتبهم في المقام ودرجات اليقين فمنهم من شفا صدره في قهر عدوه ومنهم من شفي صدره في نيل مرجوه ومنهم من شفي صدره في الظفر بمطلوبه ومنهم من شفي صدره في لقاء محبوبه ومنهم من شفي صدره في درك مقصوده ومنهم من شفي صدره بلقاء معبوده وكذلك ذهاب غيظ قلوبهم تختلف أسبابه ويتنوّع أبوابه وفيما ذكرنا تلويح لما تركنا ويتوب الله على من يشاء حتى يكون استقلاله بمحول الأحوال لا بصفاء الأحوال.

361/ أ

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ [الآية: 16] خطاب للمؤمنين حيث كره بعضهم القتال وأم منعطفة بمعنى بل والهمزة وهي فيها للتوبيخ على الحسبان ﴿أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ﴾ [الآية: 16] أي: ولم يتبين الخلص منكم والذين جاهدوا من غيركم ونفى العلم وأراد المعلوم للمبالغة فإنه كالبرهان عليه من حيث أن تعلق العلم به مستلزم لوقوعه أو المراد علم ظهوره وتنجيزه المترتب عليه الجزاء في حكمه ويشير إليه التغيير بلما المتوقع حصول منفيه ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟﴾ [الآية: 16] عطف على جاهدوا داخل في الصلاة ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [الآية: 16] بطانة ويفشون إليهم أسرارهم ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 16] أي: بأعمالكم وبصير بأحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن من ظن أنه يقنع منه بالدعوى دون التحقق بالمعنى فهو على غلط من حسبانه وفي غفلة من حسبانه والذي طالبهم به من حيث الأمر صدق المجاهدة في الله وترك الركون إلى غير الله والتباعد عن مساكن أعداء الله ثقة بالله واكتفاءً بالله وبالتبري عن غير الله وهذا هو الذي أمرهم بأن لا يتخذوا من دون المؤمنين وليجة والمعنى في ذلك كي لا يفشوا في الكفار أسرار المسلمين وأولى من يهجره المسلم لئلا يطلع على أسرار نفسه التي هي أعدى عدوه وفي هذا المعنى قال قائلهم:

كتابي إليكم بعد موتي بليلة ... ولم أدر أني بعد موتي أكتب

والذي في الحكاية أنه قال أبو يزيد فيما يخبر أنه قال للحق في بعض أوقات مكاشفته كيف أطلبك فقال: فارق نفسك ويقال:/ ولا يتم ذلك بل 361/ ب يحصل منه شظية إلا بكيّ عروق الأطماع والمطالبات لا في الدنيا ولا في العقبى ولا في رؤية الحال والمقام ولو بسينة والحرية عزيزة قال قائلهم:

أتـمـنـى عـلـى الـزمـان مـحـالاً أن تـرى مـقـلـتـاي طـلـعـة حـر

﴿مَا كَانَ﴾ [الآية: 17] ما صح ﴿لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 17] شيئاً من المساجد فضلاً عن المسجد الحرام وقيل: هو المراد وجمع لأنه قبلة المساجد أو لكبره في المشاهدة أو لأن جهاته الأربع مساجد فعامره كعامر الجميع في خدمة الواحد ويدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو بالتوحيد ﴿شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [الآية: 17] أي: بإظهار الشرك وتكذيب الرسول عليه السلام وهو حال من الوأد والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة ما سواه ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ﴾ [الآية: 17] حيث لم يكن على وفق رضائه ﴿وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾ [الآية: 17] محجوبون عن لقائه.

وأفاد الأستاذ: أن عمارة المساجد بإقامة العبادة فيها والعبادات لا تقبل إلا بخلوص النيات والمشرك فاقد الإخلاص فهو بمعزل عن مقام الاختصاص.

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [الآية: 18] اكتفى بطرفي المؤمن به عما بقي من أنواعه ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الآية: 18] خصنا بالذكر من بين الأمور الدينية لأنهما أُمّا العبادات الدينية والمالية والمعنى إنما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للفضائل العملية والفواضل العملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وتنظيفها وتطييبها وإدامة العبادة والذكر وإفادة العلم فيها وصيانتها مما لا تبين له كحديث الدنيا ومتعلقاتها فقد روي قال الله تعالى أن بيوتي في أرض المساجد وأن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر من بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾

[الآية: 18] أي: في سبيل هداه وطريق رضاه ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الآية: 18] إلى وصول لقائه وحصول بقائه وفي التغيير بصفة التوقع تنبيه/ نبيه للمؤمنين أن لا يغتروا بأحوالهم ولا يتكلوا على أعمالهم. 362/أ

وقال الأستاذ: لا يكون عمارة المساجد إلا بتخريب أوطان البشرية فعمارة العابد المساجد بتخريب أوطان شهوته والزاهد يعمرها بتخريب أوطان منيته والعارف يعمرها بتخريب أوطان علاقته والموحد يعمرها بتخريب أوطان ملاحظته ومساكنته وكذلك رتبتهم في الإيمان مختلفة فإيمان من حيث البرهان وإيمان من حيث البيان وإيمان من حيث العيان وشتانهم ما هم قال قائلهم:

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 19] أي: كإيمان من آمن والمعنى إنكار أن يكون أفعال المشركين المحبطة حاوية لأعمال المؤمنين المثبتة ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 19] تقرير لما سبق وزيادة تحرير فيما ألحق به ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 19] إلى طريق الحق وكيف يستوي من هدي إلى صوب بساط الصواب ومن طرد عن الباب وبعد الحجاب والآية نزلت كما روي أنه لما أسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوءنا وتكتمون محاسننا إنما نعمر المسجد[1] الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني.

وقال الأستاذ: ليس من قام بمعاملة ظواهره كمن استقام في مواصلة سرائره ولا من اقتبس من سراج معالمه كمن استبصر بشموس معارفه ولا من نصب بالباب من حيث الخدمة كمن مكن من البساط من حيث القربة وليس نعت من تكلف بها نفاقاً كوصف من تحقق بها وفاقاً بينهما بون بيّن.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 20] أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات الحميدة

(1) في المخطوطة مساجد.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [الآية: 20] بحصول المثوبة ووصول القربة.

وقال الأستاذ: آمنوا بأن شاهدوا بأنوار بصائرهم حتى لم يبق في سماء يقينهم سحاب ريب ولا/ في هواء معارفهم ضباب شك وهاجروا فلم يعرجوا 362/ ب في أوطان التفرقة فتمحصت حركاتهم وسكناتهم بالله وجاهدوا لا لملاحظة غرض أو مطالعة عوض فلم يدخروا لأنفسهم من ميسورهم شيئاً إلا آثروا الحق به عليهم وظفروا بالبغية من مقامهم بالحق بعد فنائهم من الخلق.

﴿يُبَشِّرُهُمۡ﴾ [الآية: 21] وقرأ حمزة يبشرهم بضم الشين من البشارة ﴿رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا﴾ [الآية: 21] في الجنات ﴿نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾ [الآية: 21] دائم.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [الآية: 22] يستحقر دونه ما استوجبوه لأجله ولعله إشارة إلى الحديث القدسي والكلام الأنسي أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1].

وأفاد الأستاذ: أن البشارة من الله على قسمين بشارة بواسطة الملك عند التوفي في ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: 30] وبشارة بلا واسطة بقول الملك ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ﴾ [الآية: 21] وذلك عند الحساب يبشرهم بلا واسطة بحسن التولي فعاجل بشارتهم بنعمة الله وآجل بشارتهم برحمة الله فشتان ما بينهما ويقال البشارة بالنعمة والجنة لأصحاب الإحسان والبشارة بالرحمة لأرباب العصيان فأصحاب الإحسان صلح أمرهم للشهرة فأظهر أمرهم للملك حتى بشروهم جهراً وأهل العصيان لم يصلح أحوالهم لا للستر فتولى بشارتهم من غير واسطة ليس ستراً ويقال إن كان للمطيع بشارة بالاختصاص فإن للعاصي بشارة بالخلاص وإن كان للمطيع بشارة بالدرجات فإن للعاصي بشارة بالخلاص بالنجاة ويقال: إن القلوب مجبولة على محبة من بشر بالخير فأراد الحق سبحانه أن يكون محبة العبد له سبحانه على الخصوص فتولى بشارتهم بعزيز خطابه من غير واسطة فقال

---

(1) سبق تخريجه.

﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ [الآية: 21] وفي معناه أنشدوا:

لولا تمتع مقلتي بلقائه لوهبتها لمبشري بإيابه[1]

363/ أ ويقال بشر العاصي بالرحمة والمطيع بالرضوان ثم الكافة بالجنة فقدم/ العاصي في الذكر وقدم المطيع في البر فالذكر قوله وهو قديم والبر طوله وهو عميم وقوله الذي لم يزل أعز من طوله الذي حصل لا لتقديم العصاة على المطيعين ولكن لضعفهم والضعيف أولى بالرفق من القوي ويقال تقدم أمر العاصي بالرحمة حتى إذا كان يوم العرض وحضور الجمع لا يفتضح العاصي ويقال ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ﴾ [الآية: 21] يعرفهم أنهم لم يصلوا إلى ما وصلوا من نيل تلك الدرجات لسعيهم وطاعتهم ولكن برحمته سبحانه وصلوا إلى طاعتهم لا بطاعته وصلوا إلى نعمته قال رسول الله ﷺ ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته[2] وقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [الآية: 21] قوم نعيمهم عطاء ربهم على وصف التمام وقوم نعيمهم لقاء ربهم على نعت الدوام فالعابدون لهم تمام عطائه والعارفون لهم دوام لقائه ثم قال ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الآية: 22] الكناية في قوله: فيها كما يرجع إلى الجنة يصلح أن يرجع إلى الحالة لا سيما وقد ذكر الأجر بعدها فكما لا ينقطع عطاؤه عنهم في الجنة لا يمتنع عنهم لقاؤه متى شاؤوا في الجنة قال الله تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة، الآية: 33] لا مقطوعة عنهم نعمته ولا ممنوعة منهم رؤيته.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [الآية: 23] يمنعونكم عن الإيمان ويحملونكم على العصيان ﴿إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ [الآية: 23] اختار الكفر المقتضي للهجران على الإيمان الموجب للأمان ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الآية: 23] بوضع الموالاة موضع العادات.

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 81)، وذكر في نهاية الأرب (2/ 416)، والمنتحل (1/ 60).

(2) سبق تخريجه.

وأفاد الأستاذ: أن من لا يصلح بطاعة ربك لا تستخلصه لصحبة نفسك.

﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ [الآية: 24] أقاربكم مأخوذ من العشرة وقيل: من العشيرة وقرأ أبو بكر عشيراتكم وقريء عشايركم ﴿وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ [الآية: 24] أي: اكتسبتموها ﴿وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ [الآية: 24] فوات وقت رواجها أو تخافون فناءها ﴿وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾ [الآية: 24] ترضونها تحبون سكناها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 24] / أي: 363/ ب من أمره وحكمه في دينه ﴿وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ [الآية: 24] خص للاهتمام بشأنه ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ [الآية: 24] انتظروا عاقبته ﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الآية: 24] إما بلية عاجلة وإما عقوبة آجلة ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 24] لا يرشدهم إلى طريق المحبة الحقيقية الموحية للنعمة السرمدية والمراد بما سبق حب الاختياري دون الطبيعي الاضطراري إذ لا يدخل تحت الحكم التكليفي.

وأفاد الأستاذ: أن علامة الصدق في التوحيد قطع العلاقات ومفارقة العادات وهجران المعارف والاكتفاء بالله على دوام الحالات ويقال: من نفق سوق دينه كسدت أسواق حظوظه ما لم يخل منك منازل الحظوظ لا يعمر بك مشاهد الحقوق انتهى وقد قيل: من رق ثوبه رق دينه.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ [الآية: 25] أي: أوقات متعددة كبدر وأحد والأحزاب وفتح مكة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [الآية: 25] وهو وادٍ بين مكة والطائف ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [الآية: 25] إذا المسلمون يومئذٍ اثنا عشر ألفاً والكفار أربعة آلاف فلما التقوا قال بعض أصحاب رسول الله ﷺ لن نغلب اليوم من قلة إعجاباً بكثرتهم فانهزم أكثرهم وكان عمه العباس أخذ بلجام بغلته وابن عمه أبو سفيان وابن الحارث أخذ بركابه وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس صِح بالناس يا أصحاب الشجرة يا أصحاب سورة البقرة فقالوا: يا عباد الله هلموا إلى رسول الله ﷺ فكروا بعدما فروا قائلين لبيك لبيك ونزلت الملائكة نصرة للمؤمنين فالتقوا مع المشركين ثم أخذ كفاً من التراب فرماها في وجوههم

فقال: شاهت الوجوه ثم قال: انهزموا ورب الكعبة فانهزموا[1] ﴿فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا﴾ [الآية: 25] أي: كثرتكم شيئاً من الأغنياء أو من أمر الأعداء ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [الآية: 25] أي: ببرحها وسعتها لا يجدون فيها مقراً يثبتون بها ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم﴾ [الآية: 25] أي: الكفار ظهوركم ﴿مُّدْبِرِينَ﴾ [الآية: 25] أي: قاصدين الفرار منهزمين والإدبار بالذهاب إلى خلف خلاف الإقبال.

وأفاد الأستاذ: أن النصرة من الله في شهود القدرة والمنصور من يأخذ الحق سبحانه بيده/ فيخرجه من مهواة تدبيره ويوقفه على وصف التبصر بقضاء شهود تقديره. 364/ أ

﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ [الآية: 26] رحمته التي سكنوا إليها واطمأنوا بها وآمنوا فيها ﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا﴾ [الآية: 26] من الملائكة ﴿لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الآية: 26] بأعينكم ﴿وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 26] بالقتل والأسر والسبي ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 26] في الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه، الآية: 127] قال بعضهم: السكينة التي أنزلها على رسوله وهو سكون قلبه مع ربه بلا علاقة غيره والسكينة التي أنزلها على المؤمنين هو سكون قلوبهم بما يأتيه نبيهم من عند ربهم من وعد ووعيد وترغيب وترهيب ذكر السلمي.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية: 27] منهم بتوفيقه للإسلام ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 27] بالتجاوز عنهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 27] بالتفضل عليهم.

وأفاد الأستاذ: أن السكينة هي الطمأنينة والخمود آثار البشرية بالكلية والرضا بما بدا من عالم القضاء من غير معارضة اختيار ودعوى اقتدار وأنزل جنوداً لم تروها وفود اليقين وزوائد الاستبصار في أمر الدين وعذب الذين كفروا بالتطوح في متاهات التفرقة والسقوط في وهدة ضيق التدبير ومحنة الغفلة والغيبة عن شهود التقدير ثم يتوب الله بأن ردهم من الجهل عن حقائق

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (1775/ 76)، والدارمي في السنن (2/ 289) رقم (2452)، وابن حبان في الصحيح (14/ 450) رقم (6520).

العلم ثم نقلهم من تلك المنازل إلى مشاهد اليقين ثم رقاهم عن تلك الجهلة بما لقيهم به من عين الجمع.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [الآية: 28] لخبث بواطنهم ولو نطقت ظواهرهم ﴿فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ [الآية: 28] لنجاستهم أو للمنع في دخول الحرم أو المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن مطلق الدخول وإليه ذهب أبو حنيفة وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع والنهي عن الاقتراب للمبالغة ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾ [الآية: 28] يعني سَنَة براءة وهي التاسعة وقيل: سنة حجة الوداع قيل: فيه دليل على الكفار يخاطبون بالقروع وقد يقال المعنى لا تمكنوا الكفار بأهل الإسلام من دخول الحرم الحرام ولو بقصد الإحرام ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [الآية: 28] فقراً وحاجة بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والانتفاع/ بأنواع الرفق من الجوانب ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الآية: 28] أي: عطاءه ﴿إِن شَآءَ﴾ [الآية: 28] أي: على وفق قضائه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الآية: 28] في منعه وعطائه. 364/ ب

وأفاد الأستاذ: أنهم فقدوا طهارة الأسرار بماء التوحيد فبقوا في قذرات الظنون والأوهام فمنعوا قربان المساجد التي هي مشاهد القرب وأما المؤمنون فطهرهم عن التدنس بشهود الأغيار فطالعوا الحق فرداً فيما يبينه من الأمر ويمضيه من الحكم ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [الآية: 28] توقع الإفقار من الأسباب من قضايا انغلاق باب التوحيد ومن لم يفرد معبوده بالقسمة بقي في فقر سرمد يقال: من أناخ بعفوة كرم مولاه واستمطر سحاب جوده، أغناه عن كل سبب وكفاه كل تعب وقضى له كل سؤل وأرب وأعطاه من غير طلب.

﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الآية: 29] فإيمانهم كلاً إيمان للنقصان في مراتب الإيقان ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية: 29] أي: ما ثبت تحريمه بالكتاب والسُنَّة على الأعيان ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية: 29] أي: الثابت الذي هو ناسخ سائر الأديان ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الآية:

29] بيان للذين لا يؤمنون ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ﴾ [الآية: 29] ما تقرر عليهم أن يعطوه من الكلية والجزئية ﴿عَن يَدٍ﴾ [الآية: 29] قاهرة عليهم بالغلبة ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [الآية: 29] في غاية من المذلة.

وأفاد الأستاذ: أن من استوجب الهوان لا ينجيك من شره غير ما يستحقه من الإذلال على صغره ومن داهن عدوه فالتحري أن يلقي سوءه ومن أشد الناس عداوة لك نفسك المجبولة على الشر فلا تفلح معها إلا بذبحها بمدية المجاهدة فإنها لا تؤمن بالتقدير ولذلك تخلد إلى التدبير ولا يسكن إلا بوجود المعلوم يعني ومن المعلوم شؤم فإنه في الحقيقة مجهول وموهوم.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 30] قرأ عاصم والكسائي بتنوين عزير على أنه عربي مخبر عنه بابن عير موصوف به وحذفه في القراءة الأخرى بمنع صرفه بالعجمة والعلمية ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الآية: 30] لأنه مجرد قول خال عن بيان البرهان يوجد في الأفواه ولا/ يوجد مفهومه في الأعيان ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ 365/أ [الآية: 30] المضاهاة المشابهة والهمزة فيه لغة وبه قرأ عاصم أي: يضاهي قولهم قول الكفار من قبلهم والمراد قدماً واهم على معنى أن الكفر قديم فيهم ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 30] دعا عليهم بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو أنشأ للإخبار بسوء حالهم في مآلهم أو تعجب من شناعة أقوالهم ويؤيده قوله: ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الآية: 30] كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل المحق.

﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ﴾ [الآية: 31] علماءهم ﴿وَرُهْبَٰنَهُمْ﴾ [الآية: 31] عبادهم ﴿أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 31] بأن أطاعوهم في سبيل هداه وطريق رضاه ﴿وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [الآية: 31] بأن جعلوا أنبياء الله ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟﴾ [الآية: 31] أي: المتخذون والمتخذون أجمعوا ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟﴾ [الآية: 31] ليطيعوا ﴿إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [الآية: 31] وهو الله وأما طاعة الرسل وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 31] استئناف منذر بالتوحيد ومحرر للتقرير ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 31] قال بعضهم سكنوا

إلى أمثالهم وطلبوا الحق من غير مظانه وطريق الحق واضحة لمن كحل بنور التوفيق وبصر سبل التوفيق ومن عمي عن ذلك كان مردوداً من طريق الحق إلى طريق الأجناس من الخلق ذكره السلمي.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟﴾ [الآية: 32] يخمدوا ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 32] حجة الإله على وحدانيته المقرونة بصحة نبوة محمد ﷺ ورسالته ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الآية: 32] بأقوالهم الباطلة وحججهم الداحضة ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ﴾ [الآية: 32] أي: يمتنع ولا يرضى ﴿إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [الآية: 32] بإعلاء التوحيد وإعذار أهل التفريد ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 32] الكافرون حذف جوابه لدلالة ما قبله أو لو بمعنى أن الوصلية.

وأفاد الأستاذ: أن من رام أن يستر شعاع الشمس بدخان ما يوقده من نيرانه أو عالج أن يمنع حكم السماء بمحن تدبيره أو يسقط نجوم الفلك بسهام قوسه أظهر رعونته ثم لم يحظ بمراده كذلك من توهم أن سُنَّة التوحيد يعلوها وهج شبهة فقد أخلّ في ظنه وافتضح في وهمه.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ﴾ [الآية: 33] ليعلي دينه أو يغلّب رسوله ﴿عَلَى ٱلدِّينِ/ كُلِّهِۦ﴾ [الآية: 33] أي: الآيات جميعها بنسخ أحكامها أو بنصر رسوله على جميع أهلها ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الآية: 33] والمراد بالكافرين ثمة أهل الكتاب وقدموا لكونهم أهل الخطاب أو تخصيص بعد تعميم باب الإطناب. 365/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أزاح العلل بما ألاح من الحجج وأزال الشبهة بما أوضح من النهج فشموس الحق طالعة وأدلة الشرع لامعة كما قال:

هي الشمس إلا أن للشمس غيبة وهذا الذي نعنيه ليس يغيب[1]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ﴾ [الآية: 34] أي:

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 92) و(3/ 194) و(3/ 494).

العلماء والمشايخ من اليهود والنصارى ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ [الآية: 34] يأخذونها بالرشى في الأحكام وبسائر مآكل الحرام ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 34] دينه الإسلام.

وأفاد الأستاذ: أن العالم إذا ارتفق بأموال الناس عرضاً مما يعلمهم زالت بركات علمه ولم يطب في طريق الزهد مطعمه والعارف إذا انتفع بخدمة المريد أو ارتفق بشيء من أحواله وأعماله زالت آثار همته ولم تجد في حكم التوحيد أسرار حالته ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ [الآية: 34] منهم ومن غيرهم ﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 34] أي: لا يصرفون ما يتعلق بها من الحق في مصارفه من الخلق لقوله ﷺ ما أدي زكاته فليس بكنز[1] أي: مما أوعد عليه فإن الوعيد على الكنز مع عدم الإنفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه بالاتفاق والضمير إلى أجناس الذهب والفضة أو إلى الدنانير والدراهم أو الكنوز المستفادة من الفعل أو الأموال بقرينة الحال والفضة وتخصيصها لقربها وإدلاله حكمها على ما سواها أو لكونها أكثر إنفاقاً مما عداها ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية: 34] في الدنيا والعقبى.

وقال الأستاذ: فلهم في الآجل عقوبة والذين لا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فلهم في العاجل حجبة وقليل من عباده من سلم من الحجاب في محتضره ومن العتاب في منتظره.

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ﴾ [الآية: 35] يوقد ﴿عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [الآية: 35] لأن جمعهم وإمساكهم كان بطلب الوجاهة الرضية والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لأنها أشرف الأعضاء/ الظاهرة أو لأنها أصول الجهات الأربع في مقاديم البدن ومؤخره وجنبيه أو لأنهم ازوروا عن السائل بجنوبهم وأعرضوا عنه بوجوههم وولوه بظهورهم. 366/أ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 547) رقم (1438)، والطبراني في المعجم الكبير (23/ 281) رقم (613)، وابن ماجه في السنن (1/ 569) رقم (1787)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 83) رقم (7025).

وأفاد الأستاذ: أنهم لما طلبوا الجاه عند الخلق بمالهم وبخلوا بإخراج حق الله عنه شان الله وجوههم ولما أسندوا ظهورهم إلى أموالهم قال تعالى: ﴿فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [الآية: 35] ويقال: عبسوا في وجوه العفاة وعقدوا في وجوههم حواجبهم فوضعت الكية (غداً) على تلك الجباه المقبوضة على الفقراء ولما طووا كشحهم دون الفقراء إذا جالسوهم وضع المكواة على جنوبهم ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 35] أي: يقال لهم هذا ما جمعتم ومنعتم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب وبالها في مآلها ﴿فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [الآية: 35] أي: جزاءه.

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ [الآية: 36] أي: مبلغ عددها ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ [الآية: 36] أي في حكمه ﴿اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [الآية: 36] تمييز تأكيد ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الآية: 36] أي: كائنة في اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الآية: 36] أي: ثابت منذ خلق الله الأجرام العلوية والسفلية والأظهر الأيام والليالي الزمانية ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [الآية: 36] واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذي القعدة وذو الحجة والمحرم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما علم أنهم لا يداومون على ملازمة القرب والعبادات منها أفرد بعض الشهود بالتفضيل ليخصوها باستكثار الطاعة فيها فأما الخواص من عباده فجميع الشهور لهم شعبان ورمضان وكذلك جميع الأيام لهم جمعة وجميع البقاع لهم كمكة وجميع المشاهد كالمساجد وفي معناه أنشد بعضهم:

يا رب إن جهادي غير منقطع وكل أرض لي ثغر طرسوس[1]

﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الآية: 36] أي تحريم الأشهر الأربعة هو الدين القويم والطريق القديم وملّة إبراهيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [الآية: 36] بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولو الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فإنه أعظم وزراً كارتكابها في الحرم وحال الإحرام إلا

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 95) و(5/ 233).

366/ب أنه كيفية لا كمية ومما يدل على نسخها أن غزوة/ حنين وقعت في ذي القعدة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قال للعوام لا تظلموا في بعض الشهور أنفسكم يعني بارتكاب الزلة وأما الخواص فمأمورون أن لا يظلموا في جميع الشهور قلوبهم باحتقاب الغفلة ويقال: الظلم على النفس أن يجعل العبد زمامه بيد شهواته فتورده مواطن هلكاته ويقال: الظلم على النفس بخدمة الخلق بدل طاعة الحق ويقال: من ظلم على نفسه بارتكاب المحظورات بلي بالفترة في الطاعات ومن ظلم على قلبه بمضاجعات امتحن بعدم الصغرة في مرور الأوقات ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾ [الآية: 36] جميعاً وهي مصدر كف عن الشيء فإن الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 36] بشارة بمعية المعونة وضمان بالنصرة بسبب التقوى عن المعصية والغفلة.

وأفاد الأستاذ: أنه لا سلاح أمضى على عدوك من تبريك عن حولك وقوتك.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ﴾ [الآية: 37] كانوا إذا جاء شهر حرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهراً آخر حتى رفضوا خصوص الأشهر واعتبروا مجرد العقد والمعنى أنها تأخر حرمة الشهر إلى شهر آخر ﴿زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ [الآية: 37] لأنه تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر ضموه إلى كفرهم ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 37] ضلالاً زائد وقرأ حمزة والكسائي وحفص يُضَلّ عن بناء المفعول وعن يعقوب يُضِلّ على أن الفاعل هو الله ﴿يُحِلُّونَهُۥ﴾ [الآية: 37] المنسي من الأشهر الحرام ﴿عَامًا﴾ [الآية: 37] سنة ويحرمون مكانه شهراً آخر ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ [الآية: 37] فيتركونه على حرمته والجملتان حال وتفسير للضلال ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 37] ليوافقوا عدة الأربعة المحرمة ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 37] بمواطأة العدة من غير موافقة الأزمنة ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ﴾ [الآية: 37] وقرئ على بناء الفاعل وهو الله تعالى فإنه المزين الحقيقي وقد تنسب إلى الشيطان بالإسناد المجازي والمعنى أضلهم حتى حسبوا قبيح

أعمالهم حسناً ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 37] إلى تحسين حالهم/ في 367/ أ الدنيا وتزيين مآلهم في العقبى.

وأفاد الأستاذ: أن الدين ملاحظة الأمر ومجانبة الوزر وترك التقدم بين يدي الله ورسوله في جميع أحكام شرعه ورسوم دينه فالآجال في الطاعات مضروبة والتوفيق في عرفانه متبع والصلاح في الأمور بالإقامة على نعت العبودية فالشهر ما سماه الله شهراً والحول ما أعلم الخلق أنه قدم ما بينه شرعاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 38] أخرجوا إلى الجهاد في طريق رضاه ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾ [الآية: 38] ومعنى تثاقلتم على الأصل والمعنى تباطأتم وتمايلتم ﴿إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية: 38] بالتخلف فيها والتوقف بها عن الصعود إلى مكارم الأخلاق ومعاليها كما قيل:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[1]

وكان ذلك في غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسرة وشدة حرارة وبعد مسافة وكثرة أعداء بشوكة فتشق على المنافقين وبعض الضعفاء من المؤمنين ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 38] وغرورها ﴿مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [الآية: 38] أي: بدلها من نعيم قصورها وحورها وسائر سرورها ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 38] أي: التمتع بها أو ما ينتفع منها ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الآية: 38] في جنبها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية: 38] يسير حقير.

وقال الأستاذ: عاتبهم على ترك البدار عن توجه الأمر وانتهاز فرصة الرخصة وأمرهم بالجد في العزم والقصد في الفعل فالجنوح إلى التكاسل والاسترواح إلى التثاقل إمارات ضعف الإيمان إذ الإيمان غريم لازم ولا يرضى من العبد بغير ممارسة الأشق وملابسة الأحق ثم قال ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية: 38] من الآخرة أي: وهل يحمد بالعابد أن يختار دنياه على عقباه أم هل يحسن بالعارف أن يؤثر هواه على رضا مولاه فغيبة يوم من الزاهد

(1) نسب إلى الحطيئة. انظر: العقد الفريد (2/ 324)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 16).

عن الباب تعدل شهوراً وغيبة لحظة من العارف عن البساط تعدل دهوراً ﴿إِلَّا تَنفِرُوا﴾ [الآية: 39] أي: أن لا تنفر إلى ما استقريتم إليه مديماً ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الآية: 39] بإهلاككم في الدنيا بسبب فظيع ونوع شنيع كقحط وظهور عدو وقد ورد اللّهم إني أسألك عيشة نقية وميتة سوية[1].

367/ ب وأفاد الأستاذ:/ أن العذاب الأليم هو أن لا يعاتبه على تأخير الرجوع أو إذا أعرض العبد عن الطاعة لا يبعث وراءه من جند التوفيق ما يرده إلى الباب أو هوان يسلبه حلاوة النجوى إذا آب وهو الصدود يوم الورود وهو الوعيد بالفراق فأما نفس الفراق فهو تمام التلف للعشاق وأنشدوا:

وزعمت أن البين منك غداً هدد بذلك من يعيش غدا[2]

ويقال: من تلك النصرة إبقاؤه إياه فيما لقاءه به من كشوفاته في تلك الحالة ولولا نصرته لتلاشى تحت سطوات كشفه من الحضرة ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [الآية: 39] أي: يستبدل بكم جمعاً آخرين مطيعين خيراً منكم كأبناء فارس واليمنين.

وقال الأستاذ: أي يصرف ما كان عليه من إقباله إلى غيره من أشكاله وليس كل من حفر بئراً يشرب من معينها.

أسقى رياحين الحفاظ مدامعي وسواي في روض التواصل يرتع[3]

﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ [الآية: 39] فإنه الغني عن كل شيء في كل أمر ولا تضروا دينه أو رسوله فإن الله وعدله بالغلبة والنصرة وكلامه حق ووعده صدق ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية: 39] ومنه التغيير والتبديل على وفق التقدير.

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [الآية: 40] إلا تنصروه فسينصره الله كما نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الآية: 40] أي: يتسببون لإذن الله له بخروجه

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 725) رقم (1986).

(2) و(3) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 98).

وهموا بإخراجه ثاني اثنين حال كونه لم يكن معه إلا رجل واحد موحد ليس له ثان في الوجود من الكرم والجود ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الآية: 40] سبقاً في ميدان الشهود وفي هذا منقبة عظيمة للصديق في تخصيص مقام التوفيق.

وقال السلمي: أي نصرة الله حين أغناه عن نصرتكم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة، الآية: 67] فمن كان في ميدان العصمة كان مستغنياً عن نصرة المخلوقين.

وأفاد الأستاذ: أن من عزيز تلك النصرة أنه لم يستأنس بثانيه الذي كان معه بل رد الصديق إلى الله ونهاه عن مساكنته إياه فقال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما[1] ويقال: كان ﷺ ثاني اثنين بظاهر شبحه ولكن كان مستهلك الشاهد في الواحد بسره ﴿إِذۡ هُمَا/ فِي ٱلۡغَارِ﴾ [الآية: 40] وهو نقب في أعلى جبل 368/ أ ثور بمكة على مسافة ساعة نجومية مكثا فيه ثلاثة أيام.

قال ابن عطاء: أي في محل القرب وكهف الأنوار وغار الأسرار.

وقال الأستاذ: صحيح ما قالوه للبقاع دول ما خطر ببال أحد أن ذلك الغار يصير مأوى سيد الأبرار وسيد الأخيار ولكن يختص بقسمته من يشاء كما ﴿يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [البقرة: 105] ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ﴾ [الآية: 40] وهو أبو بكر بإجماع المفسرين فمن أنكر صحبته صار من الكافرين[2] ﴿لَا تَحۡزَنۡ﴾ [الآية: 40] أي: على أو عليك أو علينا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [الآية: 40] بالعصمة والمعونة لنا.

وقال ابن عطاء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [الآية: 40] في الأزل حيث وصل بيننا وصلة الصيحة وما انفصل.

وقال الفارسي: إنما نهى عن الحزن لأن الحزن لا يحل بمثله لأنه في محل قربة.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3653)، ومسلم في الصحيح (2381/ 1).
(2) باعتبار أنه أنكر ما في القرآن من صريح الآية.

وأفاد الأستاذ: أنه علقت قلوب قوم بالعرش فطلبوا الحق منه وهو تعالى يقول ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ [الآية: 40] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [الآية: 40] إنه سبحانه وأنه تقدس عن كل مكان ولكنه في هذا الخطاب حياة لأسرار أرباب المواجيد وينشد:

يا طالب الله في العرش الرفيع به لا تطلب العرش إن المجد في الغار[1]

أقول ولعل هذا الغار حصل له تجلي الجمال فثبت في مقامه تبعاً لأصحابه مرامه بخلاف الطور حيث ما أطاق النور فإنه لما وصل له تجلى الجلال ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف، الآية: 143] مع أحكامه وأيضاً في تسميته بالغار إشارة إلى أنه سبحانه غار على حبيبه حتى ستره عن أعين الأغيار.

ثم قال الأستاذ: في الآية دليل على تحقيق صحبة الصديق حيث سماه الله صاحبه وعده ثانية ولما كان في الإيمان تالية كان من جملة أصحابه في الغار ثانيه ثم في القبر ضجيعه وفي الجنة يكون رفيقه ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ [الآية: 40] أمنه الذي يسكن عنده القلوب وطمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ [الآية: 40] أي: على النبي زيادة في كماله أو على صاحبه لأنه كان منزعجاً في حاله ولا يبعد أن يقال على كل منهما بما يليق في مقامهما لاحتياجهما إلى تسكين خاطرهما واطمئنان قلبهما في كل لحظة ولمحة إلى ربهما فتقدير الآية فأنزل الله سكينته على النبي بحسب الأصالة وعلى الصديق بسبب التبعية فإنهما كانا في مقام الضيافة/ الإلهية 368/ ب وفي خصوصيته الحالة المعية وقال بعضهم: السكينة سكون القلب إلى ما يبدو من محل الأقدار ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الكناية في الهاء من عليه تعود إلى الرسول ﷺ ويحتمل أن يكون عائدة إلى الصديق فإن حملت على الصديق يكون خصوصية من بين المؤمنين على الانفراد قال الله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح، الآية: 4] للصديق على التخصيص ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ كما قال عليه السلام «إن الله يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 99).

خاصةً» وإنما كان حزن الصديق ذلك اليوم لأجل الرسول ﷺ إشفاقاً عليه لا لأجل نفسه ثم أنه نفى عليه السلام عنه حزنه وسلاه بأن قال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [الآية: 40] وحزن لا يذهب إلا بمعية الحق لا يكون إلا لحق الحق ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الآية: 40] يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار عن عين الأغيار وليعينوه يوم بدر والأحزاب وحنين على أعدائه من الكفار فتكون الجملة حينئذٍ معطوفة على قوله نصره.

وقال جعفر الصادق: ذاك جنود اليقين والثقة بالله والتوكل عليه والإعراض عما سواه ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ﴾ [الآية: 40] يعني الشرك أو دعوة الكفر ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾ [الآية: 40] يعني التوحيد أو دعوة الإسلام ولا يخفى نكتة اختلاف الجملتين حيث يدل الجملة الفعلية على الحدوث في المقام والإسمية على الاستمرار والدوام على وفق المرام والمعنى وجعل ذاك بتخليص سيد الأبرار عن أيدي الكفار بهجرته من مكة إلى المدينة أو بتأييده إياه بالملائكة في المواطن المذكورة المشهورة وبحفظه ونصره حيث حضر من السفر والحضر[1].

وقال الأستاذ: بإظهار حجج دينه وتمهيد سبيل حقه ويقينه فرايات الحق إلى الأبد عالية وتمويهات الباطل واهية وحزب الحق منصورون ووفد الباطل مقهورون ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 40] في قدره ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 40] في أمره.

﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا﴾ [الآية: 41] حال نشاطكم له ﴿وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 41] حال مشقته عليكم أو لقلة عيالكم ولكثرتها أو ركباناً أو مشاتاً أو خفافاً وثقالاً من السلاح أو صحاحاً ومراضاً ولذا لما قال ابن/ أم مكتوم لرسول الله ﷺ أنفر قال: نعم حتى نزلت ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ [النور الآية: 61] . 369/ أ

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أمرهم بالقيام بحقه والبدار إلى أداء أمره على

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 83) رقم (4463)، وانظر: تلخيص كتاب الموضوعات للذهبي (1/ 42).

جميع أحوالهم ﴿خِفَافًا﴾ [الآية: 41] يعني في حال حضور قلوبكم فلا يمسنكم نصب المجاهدات ﴿وَثِقَالًا﴾ [الآية: 41] إذا أردتم إليكم في مقاساة تعب المكابدات فإن البيعة أخذت عليهم في المنشط والمكره ويقال: ﴿خِفَافًا﴾ [الآية: 41] إذا كنتم محمولين في حال الجمع ﴿وَثِقَالًا﴾ [الآية: 41] إذا كنتم متحملين في إيوان الفرق.

﴿لَوْ كَانَ﴾ [الآية: 42] ما دعوه إليكم فرضاً وتقديراً ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ [الآية: 42] نفعاً دنيوياً قريب المأخذ وسهلاً يسيراً ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ [الآية: 42] متوسطاً ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ [الآية: 42] لوافقوك أو رافقوك ﴿وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ [الآية: 42] المسافة التي تقطع بالمشقة.

قال الأستاذ: يريد به المتخلفين عنه في غزوة تبوك بين سبحانه أنه لو كانت المسافة قريبة والأمر هيناً لما تخلفوا عنك وهكذا من كان غير متحقق في قصده كان غير مبالغ في جهده يعيش على حرف وينصرف بحرف ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [الحج، الآية: 11] وإذا رأيت المريد يتبع الرخص وينجح إلى الكسل ويتعلل بالتأويلات فاعلم أنه منصرف عن الطريق متخلف عن السلوك وأنشدوا:

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ... ملّ الوصال وقال كان وكانا[1]

﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ [الآية: 42] أي: المتخلفون إذا رجعت من تبوك حيث يعتذرون ويقولون: ﴿لَوِ اسْتَطَعْنَا﴾ [الآية: 42] لو كان لنا استطاعة العدة أو طاقة البدن والبنية ﴿لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ [الآية: 42] سد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لأنه إخبار عما وقع قبل وقوعه من الحادثات ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 42] بإيقاعها في العذاب لأن الحلف الكاذب إيقاع للنفس في الهلاك والحجاب.

وأفاد الأستاذ: يمين المتعلل والمتأول بمعنى فاجرة يشهد بكذبها عيون

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (1/ 415) و(2/ 426) و(3/ 102، 152) و(4/ 204) و(4/ 309) و(6/ 54)، وذكر في محاضرات الأدباء (1/ 338) ونسب إلى أعرابي.

الفراسة ونفرت قلوب أرباب الكياسة ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية: 42] في ذلك لأنهم كانوا مستطيعين للخروج هنالك.

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ [الآية: 43] حسن خطاب في مبدأ عتاب بينه بقوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [الآية: 43] أي: لأي شيء أذنت لهم حتى استأذنوك واعتلوا بأكاذيب فيما أظهروك وهلّا توقفت/ ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ﴾ [الآية: 43] في الاعتذار ﴿وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [الآية: 43] حال الاختبار. 369/ب

وقال الأستاذ: لما لم يكن منه عليه السلام خرق حد محذور ولا تعاطي أمر محظور وإنما بدر منه ترك ما هو الأولى قدم الله تعالى ذكر العفو على الخطاب الذي هو في صورة العتاب بقوله: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [الآية: 43] ومن جوز الزلة على الأنبياء إذا لم يكن ذلك في تبليغ أمر وتمهيد شرع يقول قابله بالعفو قبل أن وفقه للعذر وكذا سُنَّة الأحباب مع الأحباب قال قائلهم:

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كأنهم أثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا[1]

ويقال: حسنات الأعداء وإن كانت حسنات فكالمردودة وسيئات الأحباب وإن كانت سيئات فكالمغفورة كما قيل:

من ذا يؤاخذ من يحب بذنبه وله شفيع في الفؤاد مشفع[2]

﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [الآية: 44] ليس من عادتهم أن يستأذنوك في التخلف عنك ﴿أَن يُجَٰهِدُواْ﴾ [الآية: 44] أي: كراهة أن يجاهدوا ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الآية: 44] وإنما قد يستأذنوك لعذر بهم ومانع لهم من أحوالهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 44] أي: بأمورهم وأعمالهم.

وأفاد الأستاذ: أن المخلص في عقدة غير مؤثر شيئاً على أمره ولا مدخر مستطاعاً في استفراغ وسعه وبذل جهده من مقاسات كده واستعمال جده.

---

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: ربيع الأبرار (1/ 170)، والمنتحل (1/ 61).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 103).

﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ﴾ [الآية: 45] في التخلف عن الجهاد ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الآية: 45] أي: بالمبدأ أو المواد وخُصّا فإن الإيمان بهما باعث على المجاهدة وعدمه حامل على نفي المكايدة ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [الآية: 45] أي: في ميادين شكوكهم وظنونهم يتحيرون.

وأفاد الأستاذ: أن من رام من عهده الإلزام فرجة وانتهز في التأخر والتخلف فرصة فلعدم إيمانه وتصديقه ولما استكن من الريبة في قلبه وسره أولئك الذين يتقلبون في ريبهم ويترددون في شكهم.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ﴾ [الآية: 46] في الغزوة ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ﴾ [الآية: 46] للخروج ﴿عُدَّةً﴾ [الآية: 46] أهبة ﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [الآية: 46] والمعنى ما خرجوا ولكن تثبطوا لأنه سبحانه كره نهوضهم للخروج وقيامهم عن الولوج ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ [الآية: 46] فحبسهم بالجبن والكسل ومنعهم بالخوف والفشل ﴿وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟/ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ [الآية: 46] تمثيل لقاء الله كراهة الخروج إليهم أو تصويراً لوسوسة الشيطان بحكم القعود عليهم أو حكاية قول بعضهم لديهم والقاعدين يتحمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لهم. 370/أ

وأفاد الأستاذ: أنهم لو صدقوا في الطاعة لاستجابوا ببذل الوسع والطاقة ولكن سقمت إرادتهم فحصلت دون الخروج بلادتهم ولذا قيل:

لو صح منك الهوى أرشدت للحيل[1]

وقوله: ﴿وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [الآية: 46] ألزمهم الخروج من حيث التكليف والامتحان ولكن ثبتهم في بيوتهم بالخذلان فبأمر الإلزام دعاهم وبأمر

---

(1) هذا صدر البيت وعجزه:

لكن حبّك لي قول بلا عمل

انظر: التمثيل والمحاضرة (١/ ٤٨).

ونسب إلى أبي حفص الشطرنجي وهو عجز لبيت وصدره:

اتبعت لما ملكت الوعد بالعلل

انظر: مصارع العشاق (١/ ١١٩)، وقالوا أنه من الأمثال. انظر: جمهرة الأمثال (١/ ١٨٥).

التكوين أقصاهم.

﴿لَوۡ خَرَجُواْ﴾ [الآية: 47] أي: فرضاً وتقديراً ﴿فِيكُم﴾ [الآية: 47] أي: فيما بينكم أو في وقت خروجكم ودخلوا في طريقكم معكم ﴿مَّا زَادُوكُمۡ﴾ [الآية: 47] بخروجهم شيئاً ﴿إِلَّا خَبَالٗا﴾ [الآية: 47] فساداً وشراً ودغلاً وضراً فالاستثناء متصل وما زادوكم خيراً ولكن زادوكم ضيراً فالاستثناء منفصل ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ﴾ [الآية: 47] ولأسرعوا ركابيهم بينكم بالنميمة والهزيمة ﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [الآية: 47] يطلعون لكم إيقاع المخالفة حال المخالطة وترك الموافقة حين المخالفة ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [الآية: 47] جماعة ضعفة يسمعون قولهم ويطيعون أمرهم أو جمع يسمعون حديثكم للنقل إليهم واظهار حالكم اليهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية: 47] فيعلم ضمائرهم كما يعلم ظواهرهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر نبيه النبيه عن سابق علمه بهم وذكر ما علم أن لا يكون إن لو كان كيف يكون فقال: لو ساعدوكم في الخروج لكان ما يلحقكم من سوء سيرهم في التضريب بينكم والنميمة فيكم والسعي فيما يسوؤكم أكثر مما نالكم بتخلفهم من نقصان عددكم ومن ضره أكثر من نفعه فعدمه خير من وجوده ومن لا يحصل من شيء غير شروره فتخلفه أنفع من حضوره.

﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [الآية: 48] أي: طلبوا تشتيت أمرك وتفريق قومك ﴿مِن قَبۡلُ﴾ [الآية: 48] أي: يوم أُحُد قال ابن أبي وأصحابه: كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول ﷺ أي: ذي جدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أُحُد ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ﴾ [الآية: 48] أي: دبروا الحيل والمكائد لأجلك ودوروا الآراء في إبطال أمرك/ ﴿حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية: 48] الأمر السلطاني والفتح 370/ ب السبحاني لنصرك ﴿وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 48] بأعلى دينك ﴿وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [الآية: 48] ظهور شأنك فوقع الأمر على رغم أنفهم وفضاحة حالهم وكشف عملهم الإتيان لتسليته عليه السلام والمؤمنين على تخلفهم وبيان حسن اختيار الله لهم في تثبيط مخالفيهم وكراهة انبعاثهم وهتك أستارهم وكشف أسرارهم وإزاحة

أعذارهم وإزالة اقتدارهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم وإن ظهروا وفاقكم فقد استبطنوا نفاقكم واعلموا أنهم يؤازرونكم ويعاونونكم ويناصرونكم وراموا بكيدهم تشويش أموركم حتى كشف الله عوراتهم وأخبارهم وفضحهم حتى تحذرتم عنهم بما تحققتم من أسرارهم.

﴿وَمِنْهُم﴾ [الآية: 49] أي: من المنافقين أو المتخلفين ﴿مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي﴾ [الآية: 49] في القعود عن المجاهدة ﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [الآية: 49] أي: توقعني في الفتنة من العصيان والمخالفة بأن لا تأذن لي في التخلف عن هذه الغزوة أو في الفتنة بسبب فساد المال وضياع العيال إذ لا كافل لهم بعدي في حال الترحال أو في الفتنة بنساء الروم لما رووا أن جد ابن قيس قال: لقد علمت الأنصار أني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر ولكن أعينك بمالي ما تركتني في حالي وفي رحالي ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ [الآية: 49] انتبهوا على الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف بها ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية: 49] جامعة لهم يوم القيامة وهذه الساعة لأن إحاطة أسبابها كوجود ما بها.

وأفاد الأستاذ: أنهم أبرزوا قبيح أفعالهم في معرض التخرج لمعذرتهم وراموا أن يلبسوا على الرسول والمؤمنين خبث سيرتهم وسريرتهم فبين الله أن الذي منه فروا بزعمهم سقطوا فيه بفعلهم وكذا المتجلد بما يهواه متطوح في وادي بلواه وسيلقى في الآخرة من الهوان ما يغني عن الحاجة إلى البرهان.

﴿إِن تُصِبْكَ﴾ [الآية: 50] في بعض غزواتك ﴿حَسَنَةٌ﴾ [الآية: 50] نصرة وغنيمة كما في بدر ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ [الآية: 50] تحزنهم لفرط حسدهم ﴿وَإِن تُصِبْكَ﴾ [الآية: 50] في بعضها ﴿مُصِيبَةٌ﴾ [الآية: 50] شدة ومحنة كما أصاب يوم أُحد ﴿يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ﴾ [الآية: 50] يتبجحوا بانصرافهم ويتخمدوا/ في التخلف لرأيهم ﴿وَيَتَوَلَّوا۟﴾ [الآية: 50] أي: ينقلبوا عن متحدثهم بذلك وعن محبتهم هنالك ﴿وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [الآية: 50] مسرورون فيما بدا لك. 371/أ

وأفاد الأستاذ: أنه هكذا صفة الحسود يتصاعد أنين قلبه عند شهود

الحسنى ولا يسر قلبه غير حلول البلوى ولا دواء لجروح الحسود فإنه لا يرضى بغير زوال النعمة عن صاحبه ولذا قالوا:

كل العداوة قد ترجى إماتتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وأن الله عجل عقوبة الحاسد وذلك حزن قلبه بسلامة محسوده فالنعمة للمحسود فقدر الوحشة للحاسد تَعُد.

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [الآية: 51] أي: ما قدره وقضاه علينا أو أثبته في اللوح المحفوظ لأجلنا لا يتغير بموافقتكم ولا يتبدل بمخالفتكم أو ما اختصنا بإثباته من النصرة أو إيجابه من الشهادة.

قال إبراهيم ابن آدم: من رضي بالمقادير لم يقم ذكر السلم.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمن لا يلحقه شماتة عدوه لأنه ليس يرى إلا مراد وليه فهو يتحقق أن ما يناله مراد مولاه فيسقط عن قلبه ما يهواه ويستقل بروح رضاه فيعذب عنده ما كان يصعب من بلواه وأنشدوا في معناه:

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما بجرح إذا أرضاكم ألم[1]

ويقال: شهود جريان التقدير يخفف عن العبد كل عسير ﴿هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [الآية: 51] ناصرنا ومتولي أمرنا ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية: 51] لا على ما سواه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 51] أي: ليعتمدوا عليه ويلتجئوا في جميع أمورهم إليه بل وليكونوا كالميت بين يديه.

وأفاد الأستاذ: إن قوله هو مولانا تعريف للعبيد أن له [سبحانه] أن يفعل ما يريد لأنه تصرف مالك الأعيان في ملكه وهو يبدي ويجري ما يريد بحق حكمه وأول التوكل هو الثقة بالله بوعده ثم الرضا باختياره ثم نسيان أمورك بما يغلب على قلبك من أذكاره ويقال: التوكل سكون السير عند حلول الأمر ونهايته التفويض فهو يساوي الحلو والمر والنفع والضر والنعمة والمحنة.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ﴾ [الآية: 52] ما تنتظرون لنا ﴿إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: سر الفصاحة (1/ 63)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 243).

[الآية: 52] أي: العاقبتين اللتين كل منهما حسني العواقب ويمني المراتب من النصرة والشهادة ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ [الآية: 52] أي: إحدى السوايف/ ﴿أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ [الآية: 52] كقارعة من السماء ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [الآية: 52] أي: أو بعذاب على أيدينا وهو القتل على الكفر ﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ﴾ [الآية: 52] أي: ما هو عاقبتنا ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [الآية: 52] ما هو عاقبتكم.

371/أ

وأفاد الأستاذ: أن سبحانه في هذه الآية بيّن الفرق بين الفريقين من المؤمنين والكافرين فقال الذي تنتظرون أيها الكفار من شأن الأبرار وقوع الدائرة عليهم في القتال أو القتل ينالهم في الحال وأي واحد منهما تولهم من الله نعمة لأنا إن ظفرنا بكم فنصر وغنيمة وإعزاز للدين ورفعة وإن قتلنا فشهادة ورحمة ورضوان من الله وزلفة وإن كان الذي يصيبنا في الدنيا هزيمة ونكبة فذلك موجب لأجر ومثوبة فإذاً لن يستقبلنا إلا ما هو حسنى ونعمة وما أنتم فإن ظفرنا بكم فتعجيل ذل لكم ومحنة وإن قتلتم فعقوبة من الله وسخطة وإن كانت اليد لكم في الحال فخذلان من الله وسبب عذاب وزيادة نقمة ويقال ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [الآية: 52] إما قيام بحق الله في الحال فيكون بوصف الرضا وهي في التحقيق الجنة الكبرى وإما وصول إلى الله في المآل بوصف الشهادة ووجدان الزلفة في العقبى وهي الكرامة العظمى.

﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا﴾ [الآية: 53] بحسب الظاهر ﴿أَوْ كَرْهًا﴾ [الآية: 53] بحسب الباطن فأو للتنويع ويضم الكاف الكوفيون ﴿لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ﴾ [الآية: 53] وهو أمر في معنى الخبر أي: لمن تقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً وفائدته مع أنهم لا يتفقون إلا وهم كارهون هو المبالغة في تساوي الإنفاقين في عدم القبول ولو وقع طوعاً فرضاً ونفي التقبل يحتمل أمرين أن لا يؤاخذ منهم أو أن لا يثابوا عليه ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الآية: 53] خارجين عن الطاعة والجملة استئناف بيان وتعليل برهان لما قبله.

وأفاد الأستاذ: أن المردود لا يقبل منه التوسل ولا يغير حكم شقاوته بتكثير التكلف والتعمل ويقال تقرب العدو يوجب زيادة المقت له وتحبب

الحبيب يقتضي زيادة العطف عليه قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان، الآية: 70].

﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ﴾ [الآية: 54] وقرأ حمزة والكسائي تقبل بالتذكير أي: وما منعهم قبول نفقاتهم ﴿إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 54] أي: إلا كفرهم بها ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [الآية: 54] متثاقلون ﴿وَلَا يُنفِقُونَ/ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [الآية: 54] حيث لا يرجون بفعلهما ثواباً ولا يخافون على تركها عقاباً. 372/أ

وأفاد الأستاذ: أنهم فقدوا الإخلاص في أعمالهم فعدموا الاختصاص في أحوالهم وحرموا الخلاص في عاجلهم ومآلهم ومن أطاع في العبادة من حيث العادة من غير أن تحمل عليها لوعة الإرادة لم يجد لطاعته راحة وزيادة ويقال: من لاحظ الخلق في الهجر من أعماله وركن إلى الكسل في السر من أحواله فقد وسم بالخذلان وختم بالحرمان وهذه هي أمارة القطيعة وعلامة الفرقة الموجبة للحرقة.

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْۚ﴾ [الآية: 55] أي: كثرة مالهم وسعة جاههم وزيادة رجالهم فإن ذلك استدراج لهم في مبدأ حالهم ومعادهم ومآلهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية: 55] بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ﴾ [الآية: 55] أي: تخرج أرواحهم بصعوبة عن أشباحهم لتعلقهم بأموالهم وأولادهم ولقلة زادهم في رحلة معادهم ﴿وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 55] بنعمة العافية مصروفون عن النظر في العاقبة وطلب حسن الخاتمة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه بين ما حسبوه نعمة واعتدوه من الله منّة فهو في التحقيق محنة وسبب شقاء وفرقة وإنما دس التقدير سموم الصاب فيما استلذوه من الشراب ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون، الآيتان: 55 ـ 56].

﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 56] يعني المنافقين ﴿إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ﴾ [الآية: 56] من

جملة المؤمنين المنافقين ﴿وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [الآية: 56] في السيرة ولو كانوا معكم في الصورة ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [الآية: 56] يخافون أن يكون للمشركين دولة فيظهرون الإسلام تقية.

وأفاد الأستاذ: أن إظهار التلبيس من أشعار إبليس لا يكسو الأسرار برد السكون ولا يشفي البصائر برد الثقة واليقين ما لا يكون فلا يكون بجلة إبداؤه وهو كائن سيكون.

﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً﴾ [الآية: 57] حصناً يلوذون إليه أو يلتجؤون إليه ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ [الآية: 57] جمع مغارة وهي مكان الغار أي: مكاناً عالياً يصعدون عليه ﴿أَوْ مُدَّخَلًا﴾ [الآية: 57] أي: نفقاً وسرباً يختبؤون لديه ﴿لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ﴾ [الآية: 57] لأقبلوا إلى نحوه ومالوا إلى صوبه ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [الآية: 57] أي: يسرعون/ إسراعاً لا يرده شيء كالفرس الجموح في عدوه. 372/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الممارق في الخلة ينسل عن سلكها بأضعف خلة إن وجد مهرباً آوى إليه رجعة وإن أمل أن ينال ما يتعلل به عد ذلك فرصة.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ﴾ [الآية: 58] بكسر الميم للسبعة وضمها يعقوب من العشرة أي: ومن المنافقين من يعينك ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ [الآية: 58] أي: في قسمها باختلاف الحالات ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا﴾ [الآية: 58] أي: شيئاً كثيراً ﴿رَضُوا﴾ [الآية: 58] أي: استحسنوا وأحبوا ومدحوا ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا﴾ [الآية: 58] أي: مطلقاً وأعطوا يسيراً ﴿إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [الآية: 58] أي: كرهوا وغضبوا وذموا.

وقال الأستاذ: أولئك أصحاب الأطماع يتملقون في الظاهر ما دامت الصدقات إليهم واصلة فإن انقطعت انقلبوا كأن لم يكن بينكم وبينهم مودة ويقال من كان رضاه بوجدان سببه وسخطه في عدم ما يؤمّله من نصيبه فهو ليس من أهل الولاء إنما هو قائم بحظه غير صالح لصحبه وأما المتحقق فكما قيل:

فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش[1]

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 43)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 182).

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 59] من النعمة ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾ [الآية: 59] من الغنيمة والصدقة أو ذكر الله للتعظيم والتنبيه على أنما فعله النبي النبيه إنما كان بحكمه وأمره وعلى وفق قضائه وقدره ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [الآية: 59] كافينا ووافينا وإنعامه دائم فينا ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ [الآية: 59] أي: نعمة أخرى ترضينا ﴿إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [الآية: 59] فهو يغنينا فيما يقينا ويهنينا فيما يمنينا وجواب الشرط مقدر أي: لكان خيراً لهم في دنياهم وأخراهم.

وأفاد الأستاذ: أنهم لو وقفوا مع الله بشرط الرضا لأتتهم فنون العطاء وتحقيق المنى ولو حفظوا مع الله الأدب لسعدوا بوجدان مالهم من الأدب من غير معاناة تعب ولا مقاساة نصب لكنهم عرجوا في أوطان الطمع فوقعوا في الذل والحرب.

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [الآية: 60] أي: الزكاة فهؤلاء المعدودين دون غيرهم من الطماعين المردودين والفقير من ليس له مال يغنيه ولا كسب يكفيه من الفقر كأنه يصيب فقاره الكسر والعار والمسكين من لا شيء له من/ 373/ أ المال مأخوذ من السكون كأن العجز أسكنه عن طلب معاشه ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد، الآية: 16] وقيل: بالعكس لقوله تعالى ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ﴾ [الكهف، الآية: 79] وأجيب بأنهم كانوا عملة لها واستدلوا أيضاً بأنه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقراء أجيب أنه كان يتعوذ من فقراء القلب أو الافتقار إلى غير الرب ويسأل السكون والسكينة اللّازمة للسكنة بأنه كان دائماً بصفة الفقر لكن لا من قلة المال بوصف المسكنة ولا من فقد المال في جميع الحال بل لأن الله تعالى أثبت الافتقار ولما سواه من الأنبياء والأصفياء بقوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد، الآية: 38] وقد أورد الفقر فخري[1] وإن لم يصح إسناده عند المحدثين لكنه معتبر في المعنى عند المحققين.

---

(1) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 128) رقم (207)، والموضوعات للصغاني (1/ 52) رقم (77).

ولذا قال سهل التستري: الفقر معزة والمسكنة مذلة ﴿وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا﴾ [الآية: 60] الساعين في تحصيلها وجمعها ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 60] وهم قوم ضعاف أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فتستألف قلوبهم بنية تقوية يقينهم أو جمع أشراف يترقب بإعطائهم إسلام نظائرهم وكان سهم المؤلفة لتكثير سواد الأمة فلما أعز اللّه المسلمين وكثرهم سقط سهم المؤلفة ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [الآية: 60] أي: وللصرف من فك الرقاب بأن يعاون المكاتب لشيء منها على أداء نجومه أو بأن تبتاع الرقاب فتعتق قربة قال مالك وأحمد أو بأن يفدي الأسارى ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ [الآية: 60] أو المديونين لأنفسهم في غير معصية إذا لم يكن لهم وفاء أو لإصلاح ذات بين وإن كانوا أغنياء لحديث لا تحل الصدقة لغني(1) إلا لخمسة لغازٍ في سبيل الله أو لغارم أو رجل اشتراها بماله أو رجل له جارٌ مسكين فيتصدق على المسكين فأهدى المسكين للغني أو لعامل عليها ﴿وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] أو منقطع الغزاة عند أبي يوسف ومنقطع الحاج عند محمد والمراد الفقراء منهم وعند الشافعي يجوز التصرف إلى أغنياء المتطوعة الذين يتطوعون الجهاد لظاهر الحديث المذكور ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 60] المسافر المنقطع عن ماله ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] مصدر لما دل عليه الآية أي: فرض الله لهم الصدقات فريضة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 60] يعلم أحوال الكائنات بأسرها/ ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 60] يضع الأشياء في مواضعها وقد روي عن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها إلى صنف واحد وبه قالت الأئمة الثلاثة خلافاً للشافعي وقد أفتى بعض أصحابه على خلافه على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج لإيجاب قسمها عليهم وأخذ الشافعي بظاهر الآية المقتضية تخصيص استحقاق الزكاة بالأصناف الثمانية ووجوب الصرف إلى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم مفضية للاشتراك وهولاً يخفي ما فيه من الحرج المرفوع من هذه الأمة.

373/ ب

وأفاد الأستاذ: أن الفقهاء تكلموا في صفة الفقير والفرق بينه وبين

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 565) رقم (1477)، وابن ماجه في السنن (1/ 589) رقم (1839)، والترمذي في الجامع الصحيح (3/ 43).

المسكين لما احتاجوا إليه في قسم الزكاة المفروضة والشافعي رحمه الله يقول الفقير الذي لا شيء له والمسكين الذي له بلغة من العيش وأبو حنيفة رضي الله عنه يقول بالعكس وأهل المعرفة اختلفوا فيه فمنهم من قال بالأول ومنهم من قال بالثاني واختلافهم ليس كاختلاف الفقهاء وذلك لأن كل واحد منهم أشار إلى ما هو حاله أو وقته ووجوده وشربه ومقامه فمن أهل للمعرفة من رأى أخذ الزكاة المفروضة أولى وقالوا: لأن الله سبحانه جعل ذلك ملكاً للفقراء فهو أحل له مما يتطوع به عليه ومنهم من قال الزكاة المفروضة مستحقة لأقوام ورأوا الإيثار على الإخوان أولى فلم يزاحموا أرباب السهمان وتحرجوا من أخذ الزكاة وقالوا الأولى تسليم ذلك لهم ومنهم من قال: إن ذلك وسخ الأموال وهو لأصحاب الضرورة وقالوا: نحن آثرنا الفقراء اختياراً فلم يأخذوا الزكاة المفروضة ثم على مقتضى أصولهم في الجملة لا في أخذ الزكاة للفقراء مراتب أولها الحاجة ثم الفقر ثم المسكنة فذو الحاجة من يرضى بدنياه وتسد الدنيا فقره والفقير هو الذي يكتفي بعقباه وتجبر الجنة فقره والمسكين هو الذي هو لا يرضى بغير مولاه لا إلى الدنيا يلتفت ولا بالآخرة يشتغل ولا بغير مولاه يكتفي قال ﷺ «اللّهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين»[1] وقال عليه السلام: «وأغننا من الفقر» لأن عليه بقية فهو ببقيته محجوب عن ربه[2]/ ويحسن أن يقال الفقر المستعاذ منه 374/أ أن لا يكون له شيء والمسكنة المطلوبة أن يكون له بلغة ليتفرغ بوجود تلك البلغة إلى العبادة وإذا لم يكن له بلغة ليتفرغ بوجود ذلك البلغة إلى العبادة وإذا لم يكن له بلغة شغله فقر عن أداء حقه فلذلك استعاذ منه، وقوم سمت هممهم عن هذا الاعتبار وهذا أولى بأصولهم فالفقير الصادق عندهم من لا سماء تظله ولا أرض تقله ولا سمة تتناوله ولا معلوم تشغله فهو عبد بالله يرد إلى التمييز في أوان العبودية وفي غير هذا الوقت مصطلم عن شواهده

(1) أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1381) رقم (4126)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 577) رقم (2352)، والبيهقي في السنن الكبرى (7/ 12) رقم (12930).
(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2713/ 61).

واقف بربه منشق عن جملته ويقال الفقير من كسر فقاره وهذا في العربية والفقير عندهم من سقط اختياره وتعطلت عنه دياره فاندرست في استيلاء من اصطلمه آثاره وكأنه لم يبق منه إلا أخباره وأما المسكين فهو الذي أسكنته حاله بباب مقصوده لا يبوح عن سره فهو معتكف قلبه لا يغفل لحظة عن ربه وأما العاملون عليها فعلى لسان العلم من يتولى جميع الزكاة على شرائطها معروفة على لسان الإشارة أولى الناس التعاون عن أخذ الزكاة من صدق في أعماله لله فإنهم لا يرجون على أعمالهم عوضاً ولا يطلعون في مقابلة أحوالهم غرضاً كما قيل:

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ... قبيح هوى يرجى عليه ثواب[1]

وأما ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الآية: 60] فعلى لسان العلم من يستمال قلبه بنوع إرفاق معه ليتوفر في الدين نشاطه فلهم من الزكاة سهم استعطافاً لهم وحاشا أن يكون في القوم من يكون حضوره بسبب طمع أو لنيل ثواب أو لرؤية مقام أو لتطلع حال وذلك في صفة العوام وأما الخواص فكما قالوا:

من لم يكن بك فانياً عن حظه ... وعن الهوى والأنس بالأحباب

أو تيمته صبابة جمعت له ... ما كان مفترقاً من الأسباب

فلأنه بين المراتب واقف ... لمنال حظ أو لحسن مآب[2]

وأما قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ [الآية: 60] فهو على لسان العلم المكاتبون وهؤلاء القوم لا يتحرون ولهم تعريج على سبب أو بقي لهم في الدنيا والعقبى أرباب أو لا يستفزهم طلب فمن كان ببقية من هذه الجملة فهو بعد لم يتحرر قال ﷺ المكاتب عبد ما بقي عليه درهم[3] وأنشد/ بعضهم: 374/ب

أتمنى على الزمان محالا ... أن ترى مقلتاي طلعة حر[4]

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر: يتيمة الدهر (1/ 59)، وشرح ديوان المتنبي (1/ 341).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 121). (3) سبق تخريجه.
(4) نسب إلى أبي الحسن البديهي الشهرزوري. انظر: المنتحل (1/ 37)، ولباب الألباب (1/ 63).

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱلْغَٰرِمِينَ﴾ فيهم على لسان العلم من ركبهم دَين وهؤلاء القوم لا يقضي عليهم ما ألزمهم أملاك الخلق ولهذا قيل: المعرفة غريم لا يقضي دينه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 60] فعلى طريق العلم من سلك سبيل الله وجب له في الزكوات سهم وعلى هذه الطريقة من سلك سبيل الله يتوجه عليه المطالبات فيبذل أولاً ماله ثم جاهه ثم نفسه ثم روحه وهذا في أول قدم له.

وأما قوله تعالى: ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية: 60] فهو على لسان العلم من وقع في القربة وفارق وطنه على أوصاف مخصوصة وعند القوم إذا تقرب العبد عن مألوفات أوطانه فهو في قرى الحق فالجوع طعامه والخلوة مجلسه والمحبة شرابه والأنس منشوده والحق تعالى مشهوده ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان، الآية: 21] لقوم وعد بالجنة والآخرين فقد في الوقت وهو شراب المحاب وعذاب شراب الثواب وفي معناه أنشدوا:

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا ... وأعمى سقيناه ثلاثاً فأبصرا
وأخرس لم ينطق ثلاثين حجة ... أدرنا عليه الكأس يوماً فأخبرا[1]

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [الآية: 61] أي: يخالفونه قولاً وفعلاً وينكرون عليه حالاً يكون كمالاً ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [الآية: 61] أي: يسمع كلما يلقى إليه ويصدق كلما يقال لديه وسمي بالجارحة كرجل عدى للمبالغة كأنه من فرط استماعه جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عيناً لهذا المعنى بلا نزاع روي أنهم قالوا محمد أذن سامعة تقول ما شئنا ثم نأتيه بعذرنا فيصدقنا ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [الآية: 61] يسمع الخير ويقبله ويعرض عن الشر وينكره كما فسره بقوله: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ﴾ [الآية: 61] أي: يصدق به لما قام عنده من الأدلة على موجب تصديقه ﴿وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 61] أي: ويصدقهم لما علم من خلوصهم به واللام مزية للتفرقة بين الإيمان الذي بمعنى التصديق والتسليم وإيمان الأمان الذي بمعنى

---

(1) نسب إلى الأقيشر السعدي. واسمه المغيرة. انظر: حماسة القرشي (1/ 35)، ونهاية الأرب (1/ 423)، ونسب إلى أبي نوّاس. انظر: المحب والمحبوب (1/ 124).

تحقيق التكريم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ [الآية: 61] أي: وهو رحمة للعالمين عموماً وخصوصاً ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ﴾ [الآية: 61] أي: لمن ظهر الإيمان حيث يقبله/ ولا يكشف 375/أ سره ولا يهتك ستره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلاً بحالكم بل رفقاً بكم وتآلفاً لأمثالكم وقرأ حمزة بجر رحمة عطفاً على خير والباقون برفعها عطفاً على ﴿أُذُنُ﴾ [الآية: 61] أي: هو إذن ورحمة للذين آمنوا منكم ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 61] أي: في الدنيا والفرقة وفي العقبى بالحرقة.

وأفاد الأستاذ: إن عين العداوة بالمساوىء موكلة وعين الرضا عن المعايب كليلة بسط الأئمة اللسان في صاحب الرسالة فعابوه بما هو إمارة كرمه ودلالة فضله فقالوا إنه لحسن خلقه يسمع ما يقال له فقد قال ﷺ «المؤمن عزّ كريم والمنافق خب لئيم»[1] وقد قيل من العاقل قالوا: الفطن المتغافل وفي معناه أنشدوا:

وإذا الكريم أتيته بخديعة فرأيته فيما تروم يسارع
فاعلم بأنك لم تخادع جاهلاً إن الكريم بفضله يتخادع[2]

﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ﴾ [الآية: 62] على معاذيرهم في مقالهم أو تخلفهم ﴿لِيُرْضُوكُمْ﴾ [الآية: 62] أي: لترضوا عنهم أيها المؤمنون الغافلون منهم ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [الآية: 62] أولى للأرض بالطاعة ورعاية الموافقة وتوحيد الضمير لتلازم الرضا بين القضية ﴿إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 62] في إيمانهم صادقين وفي تصديقهم موافقين.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أن من تزين للخلق وتقرب إليهم وأدام رضاهم واتبع في ذلك هواهم فإن الله تعالى يسقط به عند الخلق حياءهم ويشينهم بما توهموا أنه يزينهم وأن الله لا يضيع ما كان لله فأما ما كان لغيره فوبال من أصابه ومحال من طلبه ويقال: إن الخلق لا يصدقك وإن حلفت له

(1) تفسير الطبري (7/ 293).
(2) نسب إلى علي بن الجهم. انظر: بهجة المجالس (1/ 138)، ونسب إلى أبي شراعة. انظر: المنتحل (1/ 66)، ونسب إلى محمد بن حازم الباهلي. انظر: البصائر والذخائر (2/ 2)، ودواوين الشعر (83/ 316).

والحق يقبلك وإن تخلفت عنه فالاشتغال بالخلق محنة غير مأجور عليها والإقبال على الحق نعمة وأنت مشكور عليها فالمغبون من ترك ما يشكر عليه ويؤثر ما لا يؤجر عليه.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ﴾ [الآية: 63] أي: الشأن ﴿مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 63] أي: يشاققهما ويخالفهما ﴿فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ﴾ [الآية: 63] على حذف الخبر أي: فحق أن له نار جهنم ﴿ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 63] أي: العذاب المقيم.

وأفاد الأستاذ: أنه يعجل عقوبته في الحال بالفرقة وفي المآل بالخلود في الحرقة.

﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ/ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 64] على المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْۚ﴾ [الآية: 64] تنبهم بأسرارهم وتكشف على أستارهم ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ﴾ [الآية: 64] أمر تهديد ووعيد شديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [الآية: 64] أي: مظهر ما تحذرونه من إنزال السورة وأظهار السريرة أي: عن سبب استهزائهم. 375/ ب

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾ [الآية: 65] أي: في الكلام ﴿وَنَلْعَبُۚ﴾ [الآية: 65] في مقام المرام ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية: 65] توبيخ على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء في حقهم وسبب نزوله أن ركباً من المنافقين مروا على رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله نبيه فدعاهم فقال: قلتم كذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الراكب ليقصر بعضنا على بعض وعثاء السفر فصدق في حقهم أن السفر قطعة من سقر[1].

﴿لَا تَعْتَذِرُواْ﴾ [الآية: 66] أي: لا تشتغلوا باعتذاراتكم المؤكدة فإيمانكم ﴿قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ﴾ [الآية: 66] أي: أظهرتم الكفر الذي في طويتكم بعد إظهاركم

(1) تفسير البيضاوي (1/ 155)، تفسير الثعالبي (2/ 139).

الإيمان بألسنتكم ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ﴾ [الآية: 66] لتوبتهم وإخلاصهم في الالتجاء أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء ﴿نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [الآية: 66] أي: مصرين على النفاق أو مقدمين على الشقاق وقرأ عاصم بالنور فيهما على صيغة المعلوم ونصب طائفة الثانية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جرد العفو والعذاب عن علة الجرم وسبب الفعل على العبد حيث أحال على المشيئة إذ لو كان الموجب لعفوه وتعذيبه صفة العبد السوي بينهم عند تساويهم في الوصف فلما اشتركوا في الكفر بعد الإيمان وعفا عن بعضهم وعذب بعضهم دل على أنه يفعل ما يشاء ويختص من يشاء أقول هذا إن كان المراد عذاب الدنيا فهو ظاهر وإن كان عذاب العقبى فصرف بعضهم عن الكفر دون بعض إنما هو من باب الفضل والعدل ولا يسأل عما يفعل فتأمل فإنه موضع زلل وخطل ومحل ووحل وخلل.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [الآية: 67] متشابهة في النفاق كأبعاض الشيء الواحد في الوفاق ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية: 67] بالكفر والمعصية ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 67] عن الإيمان والطاعة/ ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] عن الصلة والبرّة وقبض اليد كناية عن الشح والخسة ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 67] أي: أغفلوا ذكره وتركوا شكره ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] أي: تركهم من لطفه وفضله ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 67] الكاملون في الخروج عن دائرة الخير والإحسان حيث صدرت صفاتهم على خلاف نعت الإيمان. 376/أ

قال أبو بكر الوراق: يستر المنافق المنافق عن عوراته والمؤمن مرآة المؤمن يبصره عيوبه ويدله على سبيل نجاته.

وقال سهل: نسوا نعم الله عندهم فأنبأهم شكر النعمة لهم.

وأفاد الأستاذ أن المؤمن بالمؤمن يتقوى والمنافق بالمنافق يتعاضد وطير السماء على ألآفها تقع فالمنافق لصاحبه أسر به قوامه وأصل به قيامه بعينه على فساده ويعمي عليه طريق رشاده والمؤمن ينصر المؤمن ويبصره عيوبه ويبغضها لديه ويقبح في غيبته ذنوبه فهو على السداد يتخذه ومن الفساد يبعده

ومعنى ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] لا ينفقون في سبيل الله ولا يجدون في إعانة عباد الله ولا يأخذون بأيدي الضعفاء لأجل الله ثم لا يرفعون أيديهم في طلب الحوائج إلى الله ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [الآية: 67] أي جازاهم في نسيانهم وتركوا طاعته وآثروا مخالفته فتركهم وما اختاروه لأنفسهم قال تعالى: ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة، الآية: 17].

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ﴾ [الآية: 68] أي: وسائر الكفار الفجار ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 68] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [الآية: 68] مقدرين الخلود في دار البوار ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ [الآية: 68] أي: عقاباً وجزاءً ووفاقاً ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 68] أبعدهم عن رحمته وطردهم عن جنته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ [الآية: 68] وحجاب جسيم.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [الآية: 69] أي: أنتم كمن قبلكم أو فعلكم مثل ما فعل الذين من قبلكم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ [الآية: 69] أي: في أنفسهم أو شوكة وغلبة في جاههم ﴿وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾ [الآية: 69] أي: أتباعاً وأجناداً والجهلة بيان لتشبيتهم وتمثيل حالهم بحالهم ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ﴾ [الآية: 69] نصيبهم الذي خلق لهم من ملاذ الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ﴾ [الآية: 69] أي: على طبق أخلاقهم ﴿كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ﴾ [الآية: 69] ذم الأولين باستمتاعهم بحظوظهم الناقصة من الشهوات الفانية واشتغالهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل الملاذ الحقيقية الباقية تمهيداً لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء/ سيرتهم واتباع طريقتهم ﴿وَخُضْتُمْ﴾ [الآية: 69] أي: دخلتم في الباطل واستغرقتم فيما لا طائل فيه ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [الآية: 69] أي: كالقوم الذين خاضوا أو كالخوض الذي خاضوه ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [الآية: 69] أي: الصورية ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [الآية: 69] لم يستحقوا عليها ثواباً لا في الدنيا ولا في الجزاء في العقبى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الآية: 69] الذي خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وحالة الندامة.

376/ ب

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الآية: 70] أغرقوا بالطوفان

﴿وَعَادٍ﴾ [الآية: 70] أهلكوا بالريح ﴿وَثَمُودَ﴾ [الآية: 70] عوقبوا بالرجفة ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الآية: 70] أهلك نمرود ببعوض ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ [الآية: 70] أهلكه وقوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ [الآية: 70] أي: قرى قوم لوط أي: ائتفكت بهم وانقلبت عليهم فصارت عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضودة مسومة ﴿أَتَتْهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: كلهم ﴿رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الآية: 70] أي: بالمعجزات الواضحات والحجج الطاهرات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ [الآية: 70] أي: لم يكن من عادته سبحانه ما يشاء به ظلم الناس كالعقوبة من غير الجريمة ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية: 70] حيث عرضوها للعقاب ووقعوا في ظلمة الحجاب.

وقال الأستاذ: أي ألم ينته إليهم خبر القرون الماضية ونبأ الأمم الخالية كيف دمرنا جمعهم وكيف بددنا شملهم وقضينا فيهم بالعدل وحكمنا عليهم باستئصال الكل فلم يبق منهم نافخ نار ولم يخلصوا إلا على عار وشنار.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الآية: 71] .

قال أبو عثمان: المؤمنون يتعاونون على العبادة ويتبادرون إلى الطاعة وكل واحد منهم يشد ظهر صاحبه ويقيم على سبيل مرضاة ربه كما قال ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً[1] ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الآية: 71] في سائر أنواع العبادة فهم كاملون مكملون في أمر الطاعة وطريق أهل السعادة ﴿أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 71] لا محالة فإن السير مؤكدة لوقوع الحالة أو أراد الرحمة الخاصة الواقعة بهم يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ [الآية: 71] غالب في حكمه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 71] في صنعه.

وأفاد الأستاذ: أن المؤمنين يعين بعضهم بعضاً على الطاعات ويتواصون بينهم بترك المحظورات فتحابهم في الله وقيامهم بحق الله وصحبتهم لله/ 377/أ

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (481)، ومسلم في الصحيح (2585/ 65).

وعداوتهم لأجل الله تركوا حظوظهم بحق الله وآثروا على هواهم رضا الله أولئك الذين عصمهم الله في الحال وسيرحمهم الله في المآل.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً﴾ [الآية: 72] ستطيبها النفس المطيبة وتطيب فيها المعيشة وفي الخبر أنها قصور من اللؤلؤ الزبرجد والياقوت الأحمر[1] ﴿فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [الآية: 72] أي: بساتين إقامة ونزهة دائمة وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولا يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون[2] والشهداء يقول الله تعالى: طوبى لمن دخلك[3] ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [الآية: 72] لأنه المبدأ لكل كرامة وسعادة والمؤدي إلى حصول الأصول والفوز باللقاء والريادة ففي الحديث أن الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا أن لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم أبداً ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 72] الرضوان ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 72] الذين يستحقر دوونه كل نعيم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه وعدهم جميعهم الجنة ومساكن طيبة ولا يطيب المسكن إلا برؤية المحبوب وكل محب يطيب مسكنه برؤية محبوبه ولكنهم يختلفون في الهمم فمن مربوط بحظ مردود إلى خلق ومن مجذوب إلى حق موصول بحق وفي الجملة الأمر كما قيل:

أجيراننا ما أوحش الدار بعدكم إذا غبتم عنها ونحن حضور[4]

ويقال: قوم يطيب مسكنهم بوجود عطائه وقوم يطيب مسكنهم بشهود لقائه ثم أمارة أهل الرضوان وجدان طعمه نقداً فهو في روح الأنس وروح الأنس لا تتقاصر عن راحة دار القدس بل هو أتم وأعظم والله أعلم.

---

(1) الدر المنثور (8/ 649).
(2) تفسير الطبري (21/ 221)، وتفسير القرطبي (15/ 295)، جامع الأحاديث (1/ 229).
(3) تفسير الطبري (14/ 351) رقم (16943) و(16944)، والكشاف (2/ 447).
(4) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 133) و(7/ 423).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الآية: 73] بالسيوف الحادة ﴿وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية: 73] بإقامة الحدود وإلزام الحجة ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 73] بعدم المحاباة والملايمة ﴿وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الآية: 73] مصيرهم دار العقوبة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه دعا الخلق كافة إلى حسن الخلق ودعا نبينا ﷺ/ عن حسن الخلق قال لموسى عليه السلام ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه، الآية: 44] وقال لنبينا ﷺ ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 73] أقول ذلك لأن موسى عليه السلام كان يغلب عليه صفة الجلال فأمر بالتليين والتهوين لحصول الاعتدال وكان نبينا ﷺ يغلب عليه نعت الجمال فأمر بالتغليظ والتشديد لوصول الكمال ونظيره أنه ﷺ أمر الصديق برفع بعض الصوت في القراءة والفاروق بحفظ بعضه في تلك الحالة بناءً على هذه الحكمة الجلية والنكتة العلية ثم قال: ويقال إنما قال بعض إظهار الحجة لما أزاح عدوهم بأيام المهلة ففي الأول أمرهم بالرفق حيث قال: قل إنما أعظكم بواحدة فلما أصروا واستكبروا أمره بالغلظة فإن المجاهدة أولها باللسان بشرح البرهان وإيضاح الحجج والبيان ثم إن حصل من العدو جحد بعد إزالة العذر فبالوعيد والزجر فإن لم ينجع الكلام ولم يتبع الملام فالقتال والخراب وبذل الوسع في هذا الباب.

377/ب

﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ﴾ [الآية: 74] روي أن عليه السلام أقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد: لئن كان ما يقول محمد لإخواننا حقاً لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله ﷺ فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته(1) ﴿وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ﴾ [الآية: 74] وهي شكهم في أمر دينهم ﴿وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [الآية: 74] أي: أظهروا الكفر بعد إظهار إيمانهم ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾ [الآية: 74] من قتله عليه السلام وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته إلى البوادي إذ تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف

(1) تفسير الرازي (8/ 97)، الكشاف (2/ 449).

الإبل وقعقعة السلاح فقال إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا أو من إخراجه وإخراج المؤمنين من المدينة أو ما سولت لهم أنفسهم أنه يخرج الأعز منهم الأذل[1].

وقال الأستاذ: وتمنوا زوال [دولة] الإسلام فأبى الله إلا إعلاء أمرها بالإتمام ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟﴾ [الآية: 74] أي: ما أنكروا ﴿إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ/ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية: 74] فإن أكثر أهل المدينة قبل الهجرة النبوة كانوا محاويج في ضيق من جهة المعيشة فلما قدم رسول الله ﷺ كثر مالهم بالغنيمة مع زيادة النماء والبركة والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو أشمل التعاليل ﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ﴾ [الآية: 74] أي: التوب من الحوب ﴿خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الآية: 74] في الدارين ﴿وَإِن يَتَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: 74] بالإصرار على فعل الكفار ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الآية: 74] بالقتل والنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ﴾ [الآية: 74] بل أمرهم بأن ينفعهم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ [الآية: 74] ينصرهم بدفع الضرر عنهم.

378/ أ

﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الآية: 75] نزلت في ثعلبة بن حاطب أتى النبي ﷺ وقال: ادع الله أن يرزقني مالاً فقال عليه السلام: قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه فقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل: كثر ماله حتى لا يسعه وادٍ فقال: يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله ﷺ مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه إلا جزية؟ ما هذه إلا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ: قبل أن كلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت هذه الآية فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السلام: إن الله منعني أن أقبل منك فجعل التراب يحثو على رأسه فقال هذا عملك أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها إلى أبي

(1) تفسير الرازي (8/ 97)، تفسير النيسابوري (4/ 181)، تفسير أبي السعود (4/ 84)، تفسير البيضاوي (1/ 158).

بكر فلم يقبلها ثم جاء بها إلى عمر فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان[1].

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ﴾ [الآية: 76] منعوا حق الله منه ﴿وَتَوَلَّواْ﴾ [الآية: 76] أعرضوا عن طاعة الله بسببه ﴿وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الآية: 76] أي: والمنافقون قوم عادتهم الإعراض ودأبهم حصول الأعواض ووصول/ الأغراض سئل أبو حفصة ما البخل؟ فقال: ترك الإيثار عند الحاجة والاضطرار. وقال حمدون: من رأى لنفسه ملكاً فقد بخل لأنه قصر عنه أيدي الآخرين كذا تفسير السلمي. وأفاد الأستاذ: أن ثعلبة تطلب إحسان ربه وتقرب إليه بإبرام عهده فلما حقق الله سؤله وصدق مأموله فسخ ما أبرمه وانسلخ عما ألزمه واستولى عليه البخل وضنّ بإخراج حقه فلحقه شؤم النفاق بما بقي إلى الأبد في أسره وجد البخل على لسان العلم مع الواجب وبخل كل أحد على ما يليق بحاله وكل من آثر شيئاً دون رضا ربه فقد اتصف ببخله فمن بخيل بخل بماله فيزول البركة عنه حتى يؤول إلى وارث أو يزول بحادث ومنهم من بخل بنفسه فتقاعس عن طاعته فتفارقه الصحة حتى لا يستمتع بحياته والذي بخل بروحه عنه عوقب بالخذلان حتى يكون حياته سبب شقائه. 378/ ب

﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 77] أي: فجعل الله عاقبة فعلهم سوء اعتقاد في صدورهم أو فأورثهم البخل نفاقاً متمكناً في قلوبهم ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ﴾ [الآية: 77] أي: الله بالموت أو عملهم بمعنى جزائه وهو يوم القيامة ﴿بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية: 77] بسبب إخلافهم إياه ﴿مَا وَعَدُوهُ﴾ [الآية: 77] من التصدق والتصديق وصلاح أعمالهم ﴿وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [الآية: 77] وبكونهم كاذبين فيه وفي غيره.

وأفاد الأستاذ: أن من نقض العهد في نفسه رفض الود من أصله وكل من أظهر في الجملة خيراً واستبطن شراً فقد نافق بقسطه والمنافق في الصف الأخير في دنياه وفي الدرك الأسفل من النار في عقباه.

---

(1) تفسير الطبري (14/ 371)، تفسير ابن كثير (4/ 184)، تفسير أبي السعود (4/ 85)، تفسير البيضاوي (1/ 159).

﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ﴾ [الآية: 78] ما أسروه في أنفسهم ﴿وَنَجۡوَىٰهُمۡ﴾ [الآية: 78] وما يتناجون فيما بينهم ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [الآية: 78] فلا يخفى عليه شيء من العيوب فقد خوفهم بعلمه كما خوفهم في مواضع بفعله.

﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ﴾ [الآية: 79] أي: يعيبون المتطوعين ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [الآية: 79] إن كان قليلة أو جزيلة روي أنه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي ثمانية آلاف/ فأقرضت ربي أربعة وأمسكت لعيالي أربعة فقال رسول الله ﷺ: بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت إحدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وشقّ تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري بصاع تمر فقال: بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله ﷺ أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكن أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت[1] ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [الآية: 79] أي: وسعهم وطاقتهم ووجدهم ﴿فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ﴾ [الآية: 79] يستهزؤون بهم ﴿سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ﴾ [الآية: 79] جازاهم على سخريتهم ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 79] على كفرهم ومعصيتهم.

379/ أ

وأفاد الأستاذ: أن قليل أهل الإخلاص في الوفاق أفضل من كثير أهل النفاق قلت: وقد ورد: سبق درهم مائة ألف درهم[2] ثم قال: ولما أوحشوا المسلمين بسخريتهم وصف الله سبحانه بما يستحيل في وصفه على التحقيق من السخرية بأحد تطيباً لقلوب أوليائه وأن تقدس عن ذلك العزة بِكبريائه.

(1) تفسير الطبري (14/ 391)، وتفسير البغوي (4/ 78)، الكشاف (2/ 452).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 576) رقم (1519)، والبيهقي في السنن الكبرى (4/ 181) رقم (7568)، والنسائي في السنن الكبرى (2/ 32) رقم (2306).

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [الآية: 80] يريد به التساوي بين الأمرين في عدم الإفادة لهم في الدارين كما أوضحه بقوله: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [الآية: 80] روي أن عبد الله بن عبد الله بن أبي وكان من المخلصين سأل رسول الله ﷺ في مرض أبيه أن يستغفر له النبي النبيه فنزلت[1] فقال عليه السلام: لأزيدن على السبعين فنزلت ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون، الآية: 6] لأنه عليه السلام فهم من السبعين العدد المخصوص لأنه الأصل فجوز أن يكون ذلك حد يخالفه حكم ما وراءه فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاستعمال السبعة على جملة أقسام العدد/ بأسره ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الآية: 80] فيه تنبيه على أن يأسهم من المغفرة عنهم وعدم قبول استغفارك لهم ليس ببخل منا ولا لقصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عن مجاوزتهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 80] الخارجين عن الطاعة المتمردين في المخالفة. وأفاد الأستاذ: أن من غلبته شقوته لم ينفعه تضرعه ودعوته ويقال: صريع القدر لا ينعشه الجهد والحيلة.

379/ ب

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ﴾ [الآية: 81] بقعودهم عن العز ﴿خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ [الآية: 81] أي: خلفه أو لمخالفته ﴿وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 81] إيثاراً للدعة والسعة على العبادة والطاعة بخلاف المؤمنين حيث أحبوا المجاهدة ببذل المال والمهجة ﴿وَقَالُوا﴾ [الآية: 81] للمؤمنين أو لبعض أحد من المنافقين ﴿لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ [الآية: 81] في شدة الحرارة وكثرة العثرة ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [الآية: 81] فينبغي دفعها في العقبى بالمجاهدة في الدنيا ﴿لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 81] إن ما يهم إليها وممرهم عليها تركوا ما بهم من إيثار الدعة على الطاعة مع أن الدنيا في جنب طول القيامة كساعة.

وقال الأستاذ: استقرهم سرورهم بتخلفهم ولم يعلموا أن ثبورهم في تأخرهم وما آثروه من راحة نفوسهم على أداء حق الله والخروج في صحبة

(1) تفسير الرازي (8/ 107)، تفسير أبي السعود (4/ 87)، تفسير الثعالبي (4/ 305).

رسول الله نزع الله الراحة منهم بما عاتبهم وسيصلون سعيراً في الآخرة بما قدموه من نفاقهم وعاقبهم.

﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا﴾ [الآية: 82] إحياء عما يؤول إليه أمرهم في الدنيا والأخرى وقد أخرجه عن صيغة الأمر لدلالة على أنه حتم واجب الوقوع.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يبدل خبرتهم بحسرة وفرحتهم بترحة وراحتهم بعبرة حتى يكثر بكاؤهم في العقبى كما كثر ضحكهم في الدنيا وذلك ﴿جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 82] من كفر بربه وعصى.

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية: 83] أي: ردك إلى المدينة وفيها طائفة المتخلفين من المنافقين فإن بعضهم كانوا مؤمنين أو من بقي منهم على حياته أو على نفاقه فإن منهم من مات ومنهم من تاب ﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ [الآية: 83] إلى غزوة أخرى يعذبوك ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [الآية: 83] إخبار في/ النهي للمبالغة ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الآية: 83] وهي 380/أ الخرجة إلى غزوة تبوك والجملة تعليل لما قبله وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم تخلفهم ﴿فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [الآية: 83] أي: المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنسوان والأولاد وقد قال الفرزدق:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي[(1)]

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه يقول: بعد ما ظهرت خيانتهم وشقاقهم وتقرر كذبهم ونفاقهم لا تنخدع بتملقهم ولا تثق بقولهم ولا تمكنهم من صحبتك فيما يظهرونه من وفائك وإذا وهَى سلك العهد فلا يحتمل بعده الشد وإذا اتسع الخرق فلا ينفع بعده الرقع.

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [الآية: 84] روي أن ابن أبي دعا رسول الله ﷺ في مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات أرسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي

---

(1) هذا البيت للحطيئة وقد سبق التعليق عليه. ولم يثبت إطلاقاً في مرجع أنه للفرزدق.

عليه فنزلت: وإنما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لأن الضنة بالقميص كان مخلاً بالكرم أو لأنه كان مكافأة لإلباسه العباس قميصه حين أسر ببدر ولأنه لم يمنعه عن عذابه بخلاف الصلاة عليه بالدعاء والاستغفار منه ﷺ فإنه مظنة المغفرة ومينة لاستحقاق الرحمة.

وقد طلب مزيد من أبي يزيد أن يعطيه فروته ليتكفن به فقال له: لو لبست جلدتي ما نفعتك إلا تبعيتي ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [الآية: 84] ولا تقف عليه حال دفنه أو وقت زيارته لعدم منفعة دعوته ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الآية: 84] تعليل للنهي عما تقوم ذكره.

﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ﴾ [الآية: 85] واكتفى هنا بنفي زيادة لا للتأكيد لما تقدم فيه من المزيد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 85] وفيما سبق ليعذبهم إيماءً إلى الإيجاز بعد الإطناب وقد كرر للتأكيد في هذا الباب وجوز أن يكون هذه في فريق غير الأول وهو أقرب إلى الصواب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يقول: لا تحسبن أن يمكن أهل النفاق من تنفيذ/ مرادهم وتكثير أموالهم وأولادهم إسداء معروف منا إليهم أو إسباغ إنعام من لدنا عليهم إنما ذلك مكربهم واستدراج لهم وإمهال لا إهمال وسيلقونه غبه عن قريب في المآل. 380/ب

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [الآية: 86] أي: كلها أو بعضها وفيها ﴿أَنْ ءَامِنُواْ﴾ [الآية: 86] أي: آمنوا أو بأن آمنوا ﴿بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [الآية: 86] ذو الفضل في المال والسعة في رخاء الحال ﴿وَقَالُواْ ذَرْنَا﴾ [الآية: 86] دعنا في الدعة ﴿نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [الآية: 86] بحسب الضرورة ووفق المعذرة.

قال الأستاذ: أولئك الذين خصهم الله بخذلانه وصرف قلوبهم عن ابتغاء رضوانه.

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [الآية: 87] جمع خالفة وهن النسوان ولعل فيه تغليباً لهن على الصبيان ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 87] أي: ختم لهم بالشقاوة

﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 87] ما في المجاهدة وموافقة الرسول من السعادة وما في الخلف عنه من فوت الزيادة.

وأفاد الأستاذ: أنهم أبعدوا عن بساط الطاعة واستطابوا الدعة ورضوا بالتعريج في أوطان الفرقة ومنازل الفرقة ولو أنهم رجعوا إلى الله بصدق الندم لقابلهم ربهم بالفضل والكرم ولكن القضاء غالب والأمر لازب.

﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية: 88] أي: إن تخلف هؤلاء الأغنياء فقد جاهد سيد الأنبياء مع أصحابه الأصفياء ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ [الآية: 88] النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في العقبى ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الآية: 88] الفائزون بالمطالب العليا أو بلقاء المولى.

وقال الأستاذ: ليس من أقبل كمن صد ولا من قبل أمره كمن رد ولا من وحّد كمن جحد ولا من عبد كمن عَنَد ولا من أتى كمن أبى فلا جرم ربحت تجارتهم وجلت رتبتهم.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 89] بيان لمالهم من الخيرات الأخروية والنعيم المقيم.

وأفاد الأستاذ: إن الآية تشير إلى أن راحاتهم في المآل موعودة فتدل على أن الآلام والأتعاب في الحال لهم موجودة مشهودة ويقال صادق يقينهم بالثواب يهون/ عليهم مقاساة ما يلقونه إلى الوقت من الأتعاب. 381/ أ

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ [الآية: 90] أي: المعتذرون ﴿مِنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الآية: 90] كأسد وغطفان ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ [الآية: 90] حيث استأذنوا في التخلف معتذرين بقلة المال وكثرة العيال وكان اعتذارهم تصنعاً لقوله تعالى ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 90] في دعوى الاعتذار ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية: 90] أي: أصروا على كفرهم ﴿مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية: 90] وحجاب جسيم.

﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ [الآية: 91] كالهرمى الزمنى ﴿وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 91] كالفقراء ﴿حَرَجٌ﴾ [الآية: 91] إثم في

التأخر عن المجاهدة ﴿إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الآية: 91] أي: أخلصوا لهما بالإيمان والطاعة في السر والعلانية.

وأفاد الأستاذ: أن قيمة الفقر تظهر عند سقوط الأمر ولو لم يكن في القلة خير إلا هذا لكفى لها بذلك فضيلة بقوا في أوطانهم لم يتوجه عليهم في الجهاد أمر ولا بمفارقة المنازل امتحان وخير اكتفى عنهم بنصحة القلب واعتقاد أن لو قدروا لخرجوا وأصحاب الأموال امتحنوا اليوم بجمعها ثم بحفظها ثم ملكتهم محبتها حتى شقت عليهم الغيبة عنها ثم ينزجر اللوم عليهم في ترك إنفاقهم ثم ما يتعقبه غداً من الحساب والعذاب يربو على الجميع ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ﴾ [الآية: 91] ليس عليهم جناح ولا تبعة ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [الآية: 91] للمسيء فكيف للمحسن ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 91] بجنس المؤمن قبل المحسن من رأى إحسان الله إليه ولا يرى نفسه محسناً لديه ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن المحسن هو الذي لا يكون للشرع منه مطالبته لا في حق الله ولا في حق الخلق حتى لو كان خير في حكمه وقصر في أمره لم يكن محسناً في نفسه.

﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ [الآية: 92] أي: لتعينهم بدابة ونحوها في سفرهم ﴿قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 92] جملة حالية من المفعول في أتوك بتقدير قد وجواب إذا قوله تعالى ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ [الآية: 92] أي: يسيل دمعها فإن من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لأنه يدل على أن العين صارت دمعاً فياضاً ﴿حَزَنًا﴾ [الآية: 92] نصب على العلة ﴿أَلَّا يَجِدُواْ﴾ [الآية: 92] لئلا/ 381/ب تجدوا متعلق بحزناً أو تفيض ﴿مَا يُنفِقُونَ﴾ [الآية: 92] في سبيل مرضات ربهم والمراد بهم البكاؤون وهم سبعة من الأنصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن عتمة وعبد الله بن معقل وعلية بن زيد أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نفروا معك فقال: لا أجد فتولوا وهم يبكون وقيل: هم أبو

موسى وأصحابه وأميرهم[1] كما قال قائلهم:

قال لي من أحب والبين قد حلّ ودمعي موافق لشهيق
ما ترى في الطريق تصنع بعدي قلت أبكي عليك طول الطريق[2]

﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ﴾ [الآية: 92] أي: باللوم والمعاتبة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ [الآية: 92] أي: بلا معذرة ﴿وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ [الآية: 92] واجدون الأهبة والمكنة ولهم الاستطاعة والقدرة فإن من صدق في الولاء لم يحتشم من مقاساة العناء والذي هو في الولاء مماذق وللصدق مفارق يتعلل بما لا أصل له لأنه حرم الخلوص فيما هؤلاء أهل له:

وكذا الملول إذا أراد قطيعة ملَّ الوصال وقال كان وكانا

﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [الآية: 93] استئناف بيان لما هو سبب استئذانهم من غير علة وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف إيثار للدعة ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 93] حتى غفلوا عن وخامة العاقبة ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية: 93] تبعية المعتبة.

وقال الأستاذ: قيل في تفسير مع الخوالف مع النساء في البيوت والإسلام يثني على الشجاعة وفي الخبر أن الله تعالى يحب الشجاعة ولو على قتل حية[3] وفي معناه أنشدوا:

كتب القتل والقتال علينا وعلى المحصنات جر الذيول[4]

ومن استوطن مركب الكسل واكتسى لباس الفشل وركن إلى مخاريق الحيل فلا جرم حرم استحقاق القربة ومن أراد الله تعالى هوانه وأذاق خذلانه فليس له عن حكم الله مناص ولا عن عذابه خلاص.

---

(1) تفسير النيسابوري (4/ 194)، تفسير أبي السعود (4/ 92).
(2) سبق التعليق عليه.
(3) تفسير القرطبي (1/ 315)، تفسير القشيري (3/ 152).
(4) نسب إلى عمر بن أبي ربيعة. انظر: العقد الفريد (2/ 147)، والكامل في اللغة (1/ 253).

﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ [الآية: 94] في التخلف عنكم ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 94] من هذه السفرة لديهم ﴿قُل لَّا تَعْتَذِرُوا﴾ [الآية: 94] بالمعاذير الكاذبة منكم لأنه ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ﴾ [الآية: 94] / لن نصدقكم لأنه ﴿قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ [الآية: 94] 382/أ أي أخبرنا بأخباره بالوحي إلى نبيه بعض أخباركم وهو السر والفساد مما في أسراركم ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ [الآية: 94] فكأنه استتابة وإمهال للتوبة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 94] فيجازيكم على أعمالكم بحسب أحوالكم وحسب أعمالكم.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 95] بأن لا تعاتبوهم وتقبلوا العذر منهم ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 95] بعد توبيخهم وإظهار تفضيحهم ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ [الآية: 95] لا ينفع فيهم التغيير فإن المقصود منه التطهير بالحمل على الإنابة وقبول التغيير وهؤلاء كأنهم عين النجاسة فلا يتصور فيهم الطهارة فالجملة علة الإعراض وترك المعاتبة ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الآية: 95] نصبه على المصدر والعلة.

﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 96] بحلفهم فتستديموا عليهم بما كنتم تصنعون بهم ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ [الآية: 96] أي: فرضاً وتقديراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [الآية: 96] فإن رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط ربهم والمقصود من الآية النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الأمر بالإعراض عنهم وعدم الالتفات نحوهم.

وأفاد الأستاذ: أن من كان مسخوط الحق لا ينفعه أن يكون مرضي الخلق وليست العبرة بقبول غير الله إنما المدار على ما سبق من السعادة حكم الله.

﴿الْأَعْرَابُ﴾ [الآية: 97] أي: سكان البادية ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ [الآية: 97] من أهل القرية لتوحشهم وقساوتهم وغلظتهم وعدم مخالطتهم لأهل العلم والمعرفة وقلة استعمالهم للكتاب والسنّة ﴿وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾ [الآية: 97] وأحق بأن لا يعرفوا ﴿حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ [الآية: 97] من تفاصيل الشريعة ﴿وَاللَّهُ

﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 97] يعلم حال أهل الوبر والمدر ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 97] فيما خلق ودبر ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ﴾ [الآيـة: 98] أي: بـعـدمـا يـصـرفـه فـي سـبـيـل الله ﴿مَغْرَمًا﴾ [الآية: 98] أي: غرامة وخسارة حيث لا ينفعه إلا رياء وتقية ولا يحتسب له عند الله أجراً ومثوبة ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [الآية: 98] أي: ينتظر لكم دوائر الزمان لينقلب الأمر/ فيتخلص من الهوان ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الآية: 98] جملة اعتراضية للدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه لهم أو إخبارية عن وقوع ما يتربصون به عليهم والدائر من الأصل مصدر واسم فاعل من دار يدور سمي بها عقبة الزمان ونوبة الدوران والسوء بالفتح مصدر ضيف إليه للمبالغة كقولهم رجل سوء وقرأ ابن كثير وأبو عمر وبضم السين هنا وفي مثاني سورة الفتح ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 98] لمقالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 98] بأحوالهم.

382/ ب

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [الآية: 99] فليسوا سواء في السرائر ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾ [الآية: 99] هي ثاني مفعولي يتخذ أي سبب ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 99] صفتها أو متعلق بعاملها ﴿وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [الآية: 99] أي: وسبب دعواته لأنه كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق وهو آخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق عند أخذ الصدقة ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ [الآية: 99] أي: نفقتهم ﴿قُرْبَةٌ لَّهُمْ﴾ [الآية: 99] شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم وقرأ ورش بضم الراء ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ﴾ [الآية: 99] أي: مكان رحمته من جنته والسين لتحقيق قضيته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 99] لتقرير محبته التي هي موجبة لجنته ورحمته.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [الآية: 100] وهم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدراً والذين أسلموا قبل الهجرة ﴿وَٱلْأَنصَارِ﴾ [الآية: 100] أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين أو الذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [الآية: 100] يعني اللاحقين بالسابقين من القبلتين أو من اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى قيام الساعة ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [الآية: 100] بتوفيق الطاعة وقبول العبادة ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [الآية: 100] بما نالوه من النعمة الدينية والدنيوية.

وقال ابن عطاء: السابق من سبق له في الأزل من الحق حسن العناية وقد ظهر عليه في وقت إيجاده أنوار تلك السابقة ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: السابقون مختلفون فمن سابق بصدق قدمه ومن سابق بصدق هممه ويقال السابق من سعادته القسمة بالتوفيق وأسعدته القضية بالتحقيق فبسبق عنايته بهم/ سبقوا بطاعته لهم أقول ولعل هذا المعنى هو 383/أ المراد بقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة، الآيتان: 10 ـ 11] ويقال: جمع الرضا صفيّهم السابق منهم واللاحق بهم ويقال ليس اللاحق كالسابق فالسابق في روح الطلب واللاحق في مقاساة التعب ومعاناة النصب حال الطلب ويقال رضاهم عن الله قضية رضي الله عنهم ولولا أنه رضي عنهم في آزاله وإلا فمتى وصلوا إلى رضاهم عنه في آباده ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الآية: 100] وقرأ ابن كثير من تحتها الأنهار ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 100] والحظ الجسيم والنعيم المقيم.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم﴾ [الآية: 101] أي: حول بلدتكم وهي المكنية وهي المدينة السكينة ﴿مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ﴾ [الآية: 101] أي: وقوم من سكانها ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [الآية: 101] أي: أصروا واستمروا على ترك الوفاق ودوام الشقاق ﴿لَا تَعْلَمُهُمْۖ﴾ [الآية: 101] أي: لا تعرفهم بأعيانهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ﴾ [الآية: 101] نطمع على سرائرهم وضمائرهم والمعنى أنهم أن قدروا أن يلتبسوا عليك لم يقدروا أن يلتبسوا علينا.

وقال الأستاذ: تشاكل المخلص والمنافق في الصورة فلم يتميز بالخبث والمباني وإن تباينا في الحقائق والمعاني ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [الآية: 101] بالفضيحة والقتل وبأحدها وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهكة البنية وإن مرض المؤمن كفارة ومرض المنافق عقوبة أو إتعاب أبدانهم بكثرة الطاعة وعدم المثوبة ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [الآية: 101] وحجاب عن كريم.

﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الآية: 102] ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة لهم وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سواري المسجد لما

بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكروا له أنهم أقسموا أنهم لا يحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أؤمر فيهم فنزلت فأطلقهم.

وقال الأستاذ: إن اتصفوا بعيوبهم فلقد اعترفوا بذنوبهم والإقرار يؤكد الحقوق فيما بين الخلق في مشاهد الحكم ولكن الإقرار بحق الله سبحانه يوجب/ إسقاط الجرم في مقتضى سُنَّة كرم الحق سبحانه وفي معناه أنشدوا: 383/ ب

قيل لي قد أساء فيك فلان وجلوس[1] الفتى على الضيم عار
قلت قد جاءني فأحسن عذرا دية الذنب عندنا الاعتذار[2]

﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [الآية: 102] أي: خلطوا العمل الصالح الذي هو إظهار الندامة والاعتراف بالخطيئة بعمل آخر سيئ هو التخلف وموافقة أهل المخالفة والواو بمعنى الباء كما في قوله بعت الشاء شاة ودرهماً أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر وهذا هو الأظهر فتدبر ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 102] أي: يرجع بالرحمة إليهم فيعتبر توبتهم ويغسل حوبتهم وفيه إيماءً إلى أن اعترافهم كان مقروناً بالندامة مع العزم على تأبيد تلك الجناية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ [الآية: 102] لمن تاب ﴿رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 102] لمن آب إلى الباب.

وأفاد الأستاذ: أن في قوله تعالى ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [الآية: 102] بعد قوله ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الآية: 102] دليل على أن الزلة لا تحبط ثواب الطاعة إذ لو حبطته لم يكن العمل صالحاً ويؤكد ذلك قوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم وعسى كما قيل من الله واجب وقد يحب من الله الشيء ولا يجب عليه شيء فتجب منه لأن قوله صدق فإذا أخبر أنه يفعل شيئاً يجب أن يفعل ويقال قوله: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الآية: 102] يحتمل أن معناه أنهم يتوبون والتوبة عمل صالح وقوله ﴿وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [الآية: 102] يحتمل أن نقضهم التوبة فيكون الإشارة في قوله ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 102] إلى أنهم إن نقضوا توبتهم وعادوا إلى ما تركوه من زلتهم

(1) في تفسير القشيري: سكوت، وفي بهجة المجالس وقعود، وفي رسائل الثعالبي: ومقام.
(2) نسب إلى ابن المعتز. انظر: رسائل الثعالبي (1/ 22).

فواجب منا أن نتوب عليهم فلئن بطلت بنقضهم توبتهم لما اختلفت بفضلنا توبتنا عليهم.

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [الآية: 103] تشهد على صدق أحوالهم روي أنهم لما أطلقوا قالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها عنا وطهرنا عنها فقال ما أمرت أن آخذ من أموالكم[1] شيئاً فنزلت ﴿تُطَهِّرُهُمْ﴾ [الآية: 103] أي: عن الذنوب أو حب المال المؤدي بهم إلى العيوب ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [الآية: 103] وتنمي بها حسناتهم وترفعهم إلى منازل المخلصين ودرجاتهم ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 103] أي: أدع لهم واستغفر لذنوبه ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ [الآية: 103] وقرأ/ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد ﴿سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [الآية: 103] سكن إليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتحدد المدعو لهم وإفرادها لإرادة جنسها الشامل لكلهم ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ [الآية: 103] لأقوالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ [الآية: 103] بأحوالهم. قال رويم: تطهر قلوبهم وتزكي أنفسهم.

384/أ

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ﴾ [الآية: 104] أي: ادع لهم فإن دعاك يكون سكوناً لهم إلى العقبى وانقطاعاً بهم عن الدنيا ذكر السلمي.

وقال الأستاذ: تطهرهم من طلب الأعواض عليها تزكيهم عن ملاحظتهم إياها وتطهرهم بها عن شح نفوسهم وتزكيهم بها بأن لا يتكبروا بأموالهم بل يتعززون بالتجرد عنها ويرون عظيم منة الله عليهم بوجدان التحذر منها وقوله ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [الآية: 103] أي انتعاشهم بهتك معهم أتم لهم من استقلالهم بأموالهم.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ﴾ [الآية: 104] الضمير إما للمتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقهم وإما لغيرهم والمراد به التخصيص على التوبة وعدم الشك في قبولها بعد حصول شرائط الصحة والهمزة استفهام تقرير وإعلام تحرير فكأنه قال ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ﴾ [المائدة، الآية: 98] أي: لا غيره

(1) تفسير الطبري (14/ 454) رقم (17152)، تفسير القرطبي (8/ 242)، تفسير الرازي (8/ 135)، تفسير ابن أبي حاتم (7/ 400) رقم (10769).

﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الآية: 104] أي: بالتجاوز عن السيئات والتبديل بالحسنات ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [الآية: 104] أي: يقبلها ليزيد لهم في الدرجات وتقربهم إلى علو الحالات والمقامات ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [الآية: 104] أي: بتوفيق التوبة وقبولها ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 104] بثبوتها بعد حصولها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه تمدح بقبول توبة العاصين إذ به يظهر كرمه كما تمدح بجلال عزه ونبههم عن أن يعرفوا به جلاله وقدمه وكما تؤخذ باستحقاق كبريائه وعظته تفرد بقبول توبة العبد عن جرمه وزلته فكما لا شبيه له في جلاله وجماله لا شريك له في أفضاله وإقباله ويأخذ الصدقات قلت أو كثرت فقدر الصدقة وخطرها بأخذه لها لا بكثرتها وقلتها قلت في الصورة صدقتهم ولكن أخذها وقبلها حلت بقبوله لها كما قيل:

يكون أجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم تلقى طيبكم فيطيب[1]

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟﴾ [الآية: 105] بما شئتم جهراً أو سراً ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [الآية: 105] خيراً أو شراً ﴿وَرَسُولُهُۥ/ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [الآية: 105] باطلاعه سبحانه إياهم على الأعمال كما رأيتم وتبين لكم من الأحوال ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية: 105] برجوعكم عند الموت إليه ﴿فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 105] حين المجازاة عليه قيل اعمل وأصلح العمل واخلص النية فإن الله سيريك وضميرك والرسول يراه رؤية المشاهدة والمؤمنون يرون رؤية الفراسة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر، الآية: 75] ذكره السلمي ويؤيده حديث اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عزَّ وجلَّ[2] وأفاد الأستاذ أنه سبحانه خوفهم برؤيته تعالى أعمالهم فلما علم أن فيهم من يتقاصر حالته على الاحتشام لاطلاع الحق قال ورسوله ثم قال: ولمن نزلت رتبته والمؤمنون وقد خسر من لا يمنعه الحياء ولا يردعه الاحتشام وسقط عن عين الله من هتك جلباب الحياء كما قيل إذا قل

384/ ب

---

(1) نسب إلى ابن الدمينة. انظر: العقد الفريد (2/ 418)، وإلى العباس بن الأحنف. انظر: بهجة المجالس (1/ 173)، وزهر الآداب (1/ 400)، والأشباه والنظائر (1/ 3)، والحماسة المغربية (1/ 99). ونسب إلى المجنون. انظر: التذكرة الحمدونية (2/ 199).

(2) سبق تخريجه.

ماء الوجه قل حياؤه ولا خير في وجه إذا قل ماؤه ومن لم يمنعه الحياء عن تعاطي المكروهات في العاجل يلقى غب ذلك حسراته عن قريب في الآجل.

﴿وَءَاخَرُونَ﴾ [الآية: 106] من المتخلفين ﴿مُرْجَوْنَ﴾ [الآية: 106] وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون وهما لغتان أي: مؤخرون وفي أمرهم موقوفون ﴿لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 106] في شأنهم بأحد الحكمين ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ [الآية: 106] أي: أصروا ﴿وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية: 106] أي: يرحمهم إن تابوا والترديد بالنسبة إلى العبيد وفيه دليل على أن كلا الأمرين بإرادة المريد ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 106] بأحوالهم كلهم ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 106] فيما يفعل بهم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن الربيع ومرارة بن الربيع يجمع أوائل أسمائهم حرون مكة لأجل إيمائهم وسيأتي عند قوله سبحانه وعلى الثلاثة الذين خلفوا تتمة أحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يصرح بقبول توبتهم ولم يسمهم باليأس عن مغفرتهم بل وقفوا على قدم الخجالة متميلين بين الرغبة والرهبة مترددين بين المخافة والمهابة أخبر الله سبحانه أنه إن عذبهم فلا اعتراض يتوجه عليه وإن رحمهم فلا سبيل لأحد إليه وقد قال بعضهم:

ويشبعني من الآمال وعد ومن علمي/ بتقصيري وعيد 385/ أ

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا﴾ [الآية: 107] عطف على ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 106] أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو على الاستئناف ﴿ضِرَارًا﴾ [الآية: 107] المضارة للمؤمنين ﴿وَكُفْرًا﴾ [الآية: 107] أي: وتقوية للكفر الذي تضمرونه ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 107] الذين كانوا يجتمعون في مسجد قباء من المصلين روي أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم فيصلي فيه فأتياه فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجداً على قصد أن يؤمهم فيه ابن عامر الراهب إذا قدم من الشام فلما أتوه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا قد بنينا مسجداً لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى تتخذوه مصلى فأخذ ثوبه

ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعل فاتخذ[1] مكانه كناسة ﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [الآية: 107] أي: ترقباً وانتظاراً للراهب الذاهب إلى الشام الهارب عن مقام المرام فإنه قال رسول الله ﷺ يوم أُحُد لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين وانهزم مع هوازن وذهب إلى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله ﷺ ومات بقنسرين وحيداً ﴿مِن قَبْلُۚ﴾ [الآية: 107] متعلق بحارب أو باتخذوا أي: اتخذوا مسجداً من قبل أن ينافق هؤلاء المذكورون سابقاً بالتخلف لما روي أنه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله ﷺ بأن يأتيه فقال: أنا على جناح سفر وإذا قدمنا إن شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية: 107] أي: ما أردنا بهذا البناء إلا الخصلة الحسنى وهي إرادة الصلاة والذكر والتوسعة على المسلمين ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الآية: 107] في هذا اليمين.

وأفاد الأستاذ إن من لم يكن مخلصاً في ولائه لم يأنس القلب بكده/ 385/ ب وعنائه فتودده بالظاهر ينادي عليه بالنوائه وبقوله بالتكليف شهادة صدق على عدم صفائه.

من لم يكن للوصال أهلًا ... فكل طاعاته ذنوب[2]

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [الآية: 108] من أيام وجوده ﴿أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [الآية: 108] أولى بأن تصلي ﴿فِيهِ﴾ [الآية: 108] قال جماعة من السلف منهم ابن عباس رضي الله عنهم أنه يعني مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بيننا من الإثنين إلى الجمعة وقال آخرون: ومسجد رسول الله ﷺ لقول أبي سعيد سألت رسول الله ﷺ فقال: هو مسجدكم هذا مسجد المدينة والقول الأول وهو الأوفق للقصة والثاني هو اللاحق بالقضية

(1) تفسير القرطبي (8/ 253)، وتفسير البغوي (4/ 94)، الكشاف (2/ 473)، تفسير النيسابوري (4/ 204)، تفسير أبي السعود (4/ 102)، تفسير البيضاوي (1/ 171).
(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 166)، واللفظ عنده (فكل إحسانه).

فإنه رواه مسلم في صحيحه ومع بيانه عليه السلام لا عبرة بقول غيره ولو كانوا من الصحابة الكرام فإن قيل لا منافاة لأنه إذا كان في مسجد قباء قد أسس على التقوى فمسجد المدينة بالأولى والأحرى فليكن المراد من قوله: المسجد أي مسجد موصوف بهذه الصفة ويكون الحديث الصحيح مبيناً للفرد الأكمل منه فالجواب أنه يأتي هذا الجمع ما رواه الترمذي والنسائي وغيرهما أن رجلين تخاصما في أن المسجد المؤسس على التقوى هو مسجد المدينة أو قباء فأتيا رسول الله ﷺ وسألاه فقال رسول الله ﷺ: مسجدي هذا[1] إلا أن فيه إشكالاً[2] حيث اتفق المفسرون على أن قوله سبحانه ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [الآية: 108] نزل في أهل قباء لكن يمكن الجمع بأن يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فما رواه الترمذي وأبو داوود أن هذه الآية نزلت في أهل قباء[3] لا يعارض ما تقدم مما صح عنه ﷺ أعلم وأما ما رواه ابن ماجه عن أبي أيوب وجابر وأنس أن هذه الآية لما نزلت ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ [الآية: 108] قال عليه السلام واقفاً على مسجد قباء يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيراً في الطهور فما طهوركم[4] الحديث فلا يدل على اختصاص/ 386/أ أهل قباء ولا ينافي على أهل مسجده من الأنصار أيضاً ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [الآية: 108] أي: المتطهرين من الأحداث والنجاساة أو من الذنوب والسيئات والمعنى يرضى عنهم ويقربهم تقريب المحب إلى الحبيب.

وأفاد الأستاذ: في قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الآية: 108] إن المقام في أماكن العصيان والتعريج في أوطان أهل الجحود والطغيان من علامات الممالأة مع أربابها وسكانها وموالاة أصحابها وقطانها والتباعد عن مساكنهم

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (6/ 207) رقم (6025)، وانظر: جامع الأصول (9/ 6955) رقم (6955).

(2) تفسير ابن كثير (4/ 214).

(3) أخرجه ابن ماجه في السنن (1/ 128) رقم (357)، وابن أبي شيبة في المصنف (1/ 142) رقم (1632).

(4) أخرجه الحاكم في المستدرك (1/ 257) رقم (554)، وابن ماجه في السنن (1/ 127) رقم (355)، والبيهقي في شعب الإيمان (3/ 18) رقم (2747).

وهجران من جنح إلى مسالكهم علم لمن أشرب قلبه مخالفتهم وباشر مسرهم عداوتهم ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ [الآية: 108] أي: يتطهرون عن (وهر) المعاصي وذلك سمة العابدين ويتطهرون عن الشهوات والأماني وذلك صفة الزاهدين ويتطهرون عن محبة المخلوقين عن شهود أنفسهم فيما به يتصفون وذلك نعت العارفين ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [الآية: 108] بأسرارهم عن المساكنة إلى كل مخلوق أو ملاحظة كل محدث مسبوق.

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ﴾ [الآية: 109] أي: بنيان دينه وحيطان يقنه ﴿عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ﴾ [الآية: 109] أي: على قاعدة محكمة وهي التقوى وطلب مرضاة المولى ﴿خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [الآية: 109] أي: على طرف بئر ساقط والمعنى على قاعدة هي أضعف القواعد وأوهنها وأرخاها وأوهاها ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [الآية: 109] أي: فأدى به لخوره وقلة استمساكه أي: السقوط في النار وقيل: ضميريه راجع إلى الباني واصل الجرف ما جرفه الوادي الهائر ولما جعل الحرف الهاير مجازاً عن الباطل قيل: ﴿فَٱنْهَارَ بِهِۦ﴾ [الآية: 109] على معنى فصاخ الباطل في نار جهنم وقرأ ابن عامر وأبو بكر وحمزة بسكون الراء تحقيقاً وقرأ نافع وابن عامر أسس بالبناء للمفعول ورفع بنيانه ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الآية: 109] إلى ما فيه نجاة وصلاح في أمر الدين.

وأفاد الأستاذ: أن المريد يجب أن يؤسس بنيانه على يقين صادق فيما يعتقد ثم على خلوص في العزيمة أن لا ينصرف قبل الوصول على الطريق الذي يسلكه ثم على انسلاخه من جميع مناه وشهواته ومآربه ومطالباته ثم يبني بناء أمره على دوام ذكره بحيث لا يعترضه/ نسيان يمنعه عن شكره ثم على ملازمة حقوق المسلمين وتقديم جمهورهم بإيثار على نفسه والذي ضيّع الأصول في ابتدائه حرم الوصول في انتهائه والذي لم يحكم الأساس في بنيانه سقط السقف بجدرانه. 386/ ب

﴿لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟﴾ [الآية: 110] أي: بنيانهم الذي بنوا مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك وصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله: ﴿رِيبَةً فِى

﴿قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 110] أي: شكاً ونفاقاً والمعنى أن بناءهم هذا لا يزال بسبب شكهم وتزايد نفاقهم فإنه حملهم على ذلك ثم لما هدم الرسول ﷺ أثر ما هنالك رسخ الشك ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية: 110] وازداد النفاق في قلوبهم صدورهم بحيث لا يزول وسمه ورسمه عنهم ﴿إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۚ﴾ [الآية: 110] قطعاً قطعاً بحيث لا ينفي لها قابلية الإدراك أصلاً وقطعاً وهو في غاية المبالغة والاستثناء من أعم الأحوال أو الأزمنة وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة تقطع بمعنى ينقطع ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 110] بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية: 110] في صنعه.

وأفاد الأستاذ: أن عروق النفاق لا تقلع عن عرصات اليقين إلا بمنجل التحقيق بصحيح البرهان فمن أيدّ لإدامة المسير ووفق لتأمل البرهان وصل إلى ثلج الصدور وروح العرفان ومن أقام على معتاد التقليد لم يسترح قلبه عن كد التردد وظلمة التجويز وجولان الخواطر المشككة بالقلب.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَۚ﴾ [الآية: 111] تمثيل لإثابة الله إياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم في سبيل الجنة.

قال أبو عثمان: ﴿ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 111] كيلا يخاصمون عنها فإنها ليست لهم والإنسان لا يخاصم عما ليس له كذا ذكر السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان من المؤمنين تسليم النفس والمال لحكم الله ومن الله الجزاء والثواب شبه الشرى الذي فيه العوض والمعوض فلما بينهما من المشابهة أطلق لفظ الاشتراء فهو كما قال ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم﴾ [الصف، الآية: 10] وقال ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة، الآية: 16] وإلا ففي الحقيقة لا يصح في وصف الحق سبحانه الاشتراء لأنه لا مالك سواه وللمقال في هذه الآية مجال فيقال البائع لا يستحق الثمن إذ امتنع من تسليم المبيع ويقال: لا يجوز في الشرع أن يبيع ويشترى شيئاً واحداً ويكون/ واحداً بائعاً أو مشترياً إلا إذا كان أباً أو جداً ذلك لفرط الشفقة وانتفاء التهمة والتحقق بأنه نظر له واحتياط في أمره وللمولى عليه في ذلك غبطة ولما كانت رحمته سبحانه بالعبد أتم ونظره

387/أ

له أبلغ وأعم وكان للمؤمن فيه من الغبطة ما لا يخفى صح تلك الصفقة وإن كان حكمه لا يقاس على حكم غيره ويقال: إنما قال ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية: 111] ولم يقل قلوبهم لأن النفس محل الآفات وجعل الجنة في مقابلتها وجعل ثمن القلب أعلى من جنته وهو ما يخص به أولياءه فيها من عزيز رؤيته ويقال النفس محل العيب والكريم يرغب في شري ما يزهد فيه غيره ويقال: من اشترى شيئاً لينتفع به اشترى خير ما يجده ومن اشترى شيئاً لينتفع به غيره يشتري ما رد على صاحبه لينفعه بثمنه وفي بعض الكتب المنزلة يا بني آدم ما خلقتكم لأربح عليكم وإنما خلقتكم لتربحوا عليّ.

وكان الشيخ أبو علي الدقاق يقول: لم يقل اشترى قلوبهم لئن القلب وقف على محبته والوقف لا يشترى ويقال: الطير في الهواء والسمك في السماء لا يصح شراؤه لأنه غير ممكن التسليم كذلك القلب صاحبه لا يمكنه تسليمه قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال، الآية: 24] في التوراة الجنة جنتي والمال مالي فاشتروا جنتي بمالي فإن ربحتم فلكم وإن خسرتم فعليّ ويقال أخبر أنه اشتراها لئلا يدعي العبد فيها ولا يساكنها ولا يلاحظها ولا يعجب بها ﴿يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 111] استئناف بيان ما لأجله الشري وقيل: يقاتلون في معنى الأمر ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [الآية: 111] وقرأ حمزة والكسائي تقديم المبني للمفعول فإن الواو لا تفيد الترتيب وفعل البعض قد يسند إلى الكل.

قال الأستاذ: وسيان عندهم أن يقتلوا أو يقتلوا قال قائلهم:

وإن دماً أجريته لك شاكر وأن فؤاداً رعته لك حامد[1]

﴿وَعْدًا عَلَيْهِ﴾ [الآية: 111] مصدر مؤكد لما تدل عليه اشترى فإنه بمعنى الوعد وقوله: ﴿حَقًّا﴾ [الآية: 111] نعت له ﴿فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾ [الآية: 111] مذكوراً فيها كما أثبت في الفرقان ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 111]

---

(1) نسب إلى المتنبي.. انظر: شرح ديوان المتنبي (1/ 233)، والمنتحل (1/ 70)، وعنده بدل لك شاكر بك فاخر.

مبالغة في إيجازه وعداً وتقريراً لكونه حقاً والمعنى لا أحد أوفى بعهده منه ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ﴾ [الآية: 111] أي: فافرحوا به غاية الفرح والطرب فإنه أوجب لكم عظيم/ المطلب ولذلك حال ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية: 111] فإنه يشتمل على النعيم المقيم. 387/ب

وأفاد الأستاذ: أنه يقال: لم يكن منا بيع وأنه أخبر عن نفسه بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 111] فجعل بيعه بيعنا وهذا مثل ما قال في نعت نبينا ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال، الآية: 17] وهذا عين الجمع الذي أشار إليه جميع القوم التائبون رفع على المدح أي: هم.

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ﴾ [الآية: 112] والمراد بهم المؤمنون المذكورون الذين تابوا من الكفر وسائر المناهي ورجعوا عن الغفلات والملاهي ﴿ٱلْعَٰبِدُونَ﴾ [الآية: 112] لله المخلصون في طريق رضاه ﴿ٱلْحَٰمِدُونَ﴾ [الآية: 112] أي: الشاكرون للنعماء ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [الآية: 112] روى الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة مرفوعاً السائحون هم الصائمون شبه الصوم بالسياحة من حيث أنه تفوق عن جنس الشهوات وقيل: هم السائرون للجهاد أو لتحصيل العلم في البلاد ﴿ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ [الآية: 112] في الصلاة أي: المصلون ﴿ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [الآية: 112] بالإيمان والطاعات ﴿وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية: 112] أي: عن الكفر والسيئات وزيد العاطف فيه للدلالة على أنه عطف عليه في حكم خصلة واحدة فكأنه قال الجامعون بين الوصفين أو لتلازمها باعتبار منطوقها ومفهومها وأما العاطف في قوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 112] أي: فيما بينه وعينه من العقائد والشرائع فلتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا محل الشمائل ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 112] الموصوفين بما يجلّ عن إحاطة الأفهام وتعبير الكلام قال بعضهم: التائب الراجع إلى الله من كل ما سواه فالعابد المداوم على الخدمة مع رؤية التقصير في العبودية والحامد الذي يحمده سبحانه على الضرّاء والسرّاء والسائح الذي يسيح في طلب الأولياء والراكع الساجد في الخاضع لله في جميع الأحوال والآمرون بالمعروف هم المتحابون في الله والناهون عن المنكر هم المتباغضون في الله والحافظون لحدود الله العاملون معه على آداب الكتاب والسُنَّة كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه تعالى مدحهم بعدما أوقع عليهم سمة الاشتراء بقوله: / ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ﴾ [الآية: 112] ومن رضي ببيع ما اشتراه فليس له حق الرد ويقال من اشترى شيئاً فظهر بالبيع له عيب فله حق الرد إذا لم يعلم العيب وقت الشراء فأما إذا كان عالماً به فليس له الرد ولقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان، الآية: 32] ويقال: من اشترى شيئاً فوجد به عيباً فله حق الرد فإذا رده رده على من اشتراه منه فاشترى هو نفوسنا منه سبحانه فإذا أراد الرد فلا يرد إلا على نفسه وكما أن الرد إليه فلو ردنا كان الرد عليه ثم التائبون الراجعون إلى الله فمن راجع يرجع عن زلته إلى طاعته ومن راجع يرجع عن متابعة هواه إلى موافقة رضاه ومن راجع يرجع عن شهود نفسه إلى شهود لطفه ومن راجع يرجع عن الإحساس بنفسه وأبناء جنسه إلى الاستغراق في حقائق حقه ويقال: تائب يرجع من أفعاله إلى تبديل أحواله فيجد غداً فنون أفضاله وصنوف لطفه ونواله وراجع يرجع عن كل غير وضد وند إلى ربه بربه لربه بمحو كل أرب وعدم الإحساس والخبر عن كل طلب ويقال: تائب يرجع لحظ نفسه من جزيل ثوابه أو حذاراً عن نفسه من أليم عقابه وتائب يرجع لأمره له برجوعه وإيابه وتائب يرجع طلباً لفرح نفسه حيث نجا من أوضاره وتخلص من شؤم أوزاره وأما قولهم العابدون فهم الخاضعون بكل وجه للمولى الذين لا يسترقهم كرائم الدنيا ولا يستبعدهم عظائم العقبى ولا يكون العبد عبداً له على الحقيقة إلا بعد تحرره عن كل شيء حادث في الطريقة وكل أحد فهو له عبد من حيث الخلقة قال الله تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم، الآية: 93] ولكن صاحب العبودية عزيز بالخصوصية الحامدون الشاكرون له على وجود أفضال المثنون عليه عند شهود جلاله وجماله ويقال: الحامدون بلا اعتراض على ما يحصل بقدرته ولا انقباض عما يجب من طاعته ويقال: الحامدون على منعه وبلائه كما يحمدون على نفعه وعطائه ويقال: الشاكرون له إن أدناهم والحامدون له إن أقصاهم السائحون الصائمون ولكن عن شهود غير الله الممتنعون عن خدمة غير الله المكتفون من الله/ بالله ويقال: السائحون الذين يسيحون في الأرض على جهة الاعتبار طلباً للاستبصار ويسيحون بقلوبهم في

388/ أ

388/ ب

مشارق الأرض ومغاربها بالتفكر في جوانبها ومناكبها والاستدلال بتغيرها على مشيئها يسيحون بأسرارهم في الملكوت فيجدون روح الوصال ويعيشون بنسيم الأنس للتحقق بشهود الحق ذي الجمال والكمال الراكعون الخاضعون لله في جميع الأحوال بخمودهم تحت سلطان تجلي الجلال وفي الخبر أن الله إذا تجلى لشيء خشع له[1] وكما يكون في الظاهر راكعاً يكون في الباطن خاشعاً ففي الظاهر لإحسان الحق إليه بحسن توليه وفي الباطن كالعيان للحق بأنوار تجليه الساجدون في الظاهر بنفوسهم على بساط العبودية وفي الباطن بقلوبهم عند شهود الربوبية والسجود على أقسام سجود عند صحة القصود فيسجد بنعت التذلل على بساط الافتقار ولا يرفع رأسه عن السجود إلا عند تباشير الوصال وسجود عند الشهود إذا تجلى الحق لقلبه فلم ينظر بعده إلى غيره في جميع الأحوال وسجود في حال الوجود وذلك بخموده عن كليته وفنائه عن الإحساس بجميع أوصافه وجملته وهذا نهايات مقام أرباب الكمال ﴿ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الآية: 112] هم الذين يدعون الخلق إلى الله ويحذرونهم عن غير الله يتواصون بالإقبال على الله وترك الأشغال بغير الله ويأمرون نفوسهم بالتزام الطاعة لحملهم إياها على سنن الاستقامة وينهون نفوسهم عن المنى واتباع الشهوة بترك التقريح في أوطان الغفلة وما تعودوه من المساكنة والاستنابة ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 112] الواقفون حيث وقفهم الله الذين يتحركون إذا حركهم ويسكنون إذ أسكنهم ويحفظون مع الله أنفاسهم.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الآية: 113] بأن ماتوا على الكفر روي أنه عليه السلام قال لعمه أبا طالب حين حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك عند الله فأبى فقال: لا أزال استغفر لك ما لم أنه عنه/ فنزلت[2] وروي أنه لما فتح مكة خرج إلى الأبواء فزار قبر أمه ثم قام باكياً فقال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل عليّ الآيتين[3]

389/أ

(1) سبق تخريجه.

(2) تفسير أبي السعود (4/ 10)، وتفسير البيضاوي (1/ 175).

(3) تفسير أبي السعود (4/ 107).

ومفهوم الآية السابقة يدل على جواز الاستغفار لإحياء الكفار فإنه طلب توفيقهم للإيمان وعمل البر به رفع النقض باستغفار إبراهيم لأبيه الكافر فقال:

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [الآية: 114] أي: وعدها إياه كما قرئ به حيث قال له: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [الممتحنة، الآية: 4] أي: لأطلبن مغفرتك بالتوفيق للإيمان ولأطلبن ما يستحق به المغفرة والإحسان أو وعدها أبوه بالرجوع على الكفران ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ [الآية: 114] بأن مات على الكفر أو أوحى إليه فيه بأنه لن يؤمن ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [الآية: 114] وقطع استغفاره عنه ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ [الآية: 114] كثير التأوه والقائل آهٍ واهٍ وهو الكناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه ﴿حَلِيمٌ﴾ [الآية: 114] صبور على أذى أبيه وسوء خلقه.

وأفاد الأستاذ: إن أصل الدين هو التبري من الأعداء والتولي للأولياء والولي لا حميم له ولا قريب ولا صديق له ولا نسيب ثم لما أمر الله سبحانه المسلمين بالتبري عن المشركين والإعراض عنهم والانقباض من الاستغفار لهم يبين أن هذا سبيل الأولياء وطريق الأنبياء وأن إبراهيم وإن استغفر لأبيه فإنما كان من قبل تحققه بأنه لا يؤمن فلما علم أنه عدو لله أظهر البراءة عنه.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا﴾ [الآية: 115] أي: لينسبهم إلى الضلال ومؤاخذهم مؤاخذة الضلال ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ﴾ [الآية: 115] للإسلام وطريق أهل الكمال ﴿حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [الآية: 115] أي: خطر ما يجب اتقاؤه في جميع الأحوال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الآية: 115] ومنه أمرهم قبل البناء وبعده فالجملة كالتيمم.

قال السلمي: أي ما كان الله ليضل قوماً في الأبد بعد إذ هداهم في الأزل.

وأفاد الأستاذ في معناه أن الله لا يحكم بضلالكم وذهابكم عن طريق الحق باستغفاركم للمشركين إلا بعد أن يبين لكم أنهم منتهون عنه فإذا علمتم أنكم نهيتم عن استغفاركم لهم فإن أقدمتم على ذلك فحينئذٍ ضللتم عن الحق

بعقلكم بعد ما نهيتم من استغفارهم هذا بيان التفسير والتأويل للآية والإشارة فيها لأنه لا سلب لعطائه/ إلا بترك أدب منكم ويقال من أهله لبساط الوصلة ما مني بعده بعذاب الفرقة إلا لمن سلف عند ترك الحرمة. 389/ب

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية: 116] أي: جميع الموجودات من العلويات والسفليات ﴿يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [الآية: 116] فتوجهوا إلى الله تعالى وتبرأوا عما عداه حتى لا يبقى لكم مقصود سواه.

وأفاد الأستاذ: أن الحق لا يتجمل بوجود مملوكاته ولا يلحقه نقص بعدم مخلوقاته فقيل: إن أوجد شيئاً من الحدثان كان ملكاً وملكاً أكثر مبالغة من مالكاً وملكه قدرته على إبداع ما هو ملكه فالمعدوم مقدوره ومملوكه فإذا وجده فهو في حال حدوثه مقدوره ومملوكه فإذا أعدمه خرج عن الموجود ولم يخرج عن كونه مقدوراً له ثم يحيي من يشاء بعرفانه وتوحيده ويميت من يشاء بكفره وإلحاده وترديده ويقال: يحيي قلوب العارفين بأنوار المواصلة ويميت نفوس العابدين بآثار المنازلة ويقال: يحيي من أقبل عليه بفضله ويميت من أعرض عنه بتكبره بعدله.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الآية: 117] من أذن المنافقين للتخلف عنه في غزوة تبوك ﴿وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ﴾ [الآية: 117] أي: الذين كانوا قد خرجوا معه حين هموا بالانصراف عنه لما أصابهم العسرة من الجوع والعطش والإعياء في تلك الغزوة والمعنى أنه سبحانه وفقهم للتوبة وقبل توبتهم من تلك الحوبة وفيه توطئة لتوبة الثلاثة وتسلية لهم في هذه البلية وإيماءً إلى أن ما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [النور، الآية: 31] لأنه ليس أحد إلا وله مقام ينتقص دونه ما هو فيه من الرتبة والترقي إليه توبة من تلك النقيصة مع ما فيه من الإشارة إلى إظهار فضيلة التوبة بأنها مقام أرباب النبوة وأصحاب الولاية ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ﴾ [الآية: 117] أي: في وقت الشدة والمحنة حتى يعتقب على بعير واحد عشرة ويقسم الرجلان تمرة وشرب

بعضهم ماء الكرش من كثرة العطش وشدة الحرارة ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ﴾ [الآية: 117] وحمزة وحفص بالتذكير أي: بعدما قارب للقوم أن يميل ﴿قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ﴾ [الآية: 117] عن الثبات على الإيمان/ أو عن اتباع الرسول في ذلك الشأن 390/ أ وأراد بالفريق المتخلفين أو بعض الضعفاء من المؤمنين.

وقال الأستاذ: فتوبته عليهم أن تدارك قلوبهم حتى لم تزغ وهكذا سُنة الحق سبحانه مع أوليائه إذا أشرفوا على العطب وقاربوا من التلف واستمكن اليأس في قلوبهم من النصرة ووطنوا أنفسهم أن يذوقوا أليم البأس يمطر عليهم سحائب الجود بوجود الإجابة فيعود عود الحياة بعد يبسه طرياً ويرد ورد الأنس عقب ذبوله غضاً جنياً ويصير أحوالهم كما قال بعضهم.

كنا كمن ألبس أكفانه ... وقرب النعش من اللحد

فحال ماء الروح في وحشة ... ورده الوصل إلى الورد

تبارك الله سبحانه ... ما كل هم هو بالسرمد[1]

﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية: 117] أي: أثبت التوبة لديهم ولم يكل حالهم إليهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [الآية: 117] وبأحوالهم حكيم وبأعمالهم عليم.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ﴾ [الآية: 118] أي: وتاب على الثلاثة ﴿ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [الآية: 118] تخلفوا عن الغزو وخلف أمرهم فأنهم آخرون مرجون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ﴾ [الآية: 118] أي: برحبها وسعتها لإعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة ﴿وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [الآية: 118] وسببه أنه ﷺ أمر أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وطهروا طوياتهم ﴿وَظَنُّوٓاْ﴾ [الآية: 118] علموا ﴿أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 118] لا مخلص من سخطه ولا مهرب من عقابه ﴿إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [الآية: 118] أي: إلى طلب رضاه والاستغفار عن رؤية ما سواه ففرضوا أمرهم إلى الله ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الآية: 118] أي: قبل توبتهم بعد توفيقهم لها ﴿لِيَتُوبُوٓاْۚ﴾ [الآية: 118] ليعدوا من جملة التوابين أو أثبت التوبة عليهم ليدوموا ورجع عليهم بالرحمة ليستقيموا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

(1) سبق التعليق عليه.

﴿هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ [الآية: 118] لمن تاب وآب ولو عاد في اليوم بلا حساب ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية: 118] بالتفضل والإحسان له في المآب.

وأفاد الأستاذ: أنه لما صدق منهم اللجاء سبق إليهم الشفاء وسقط عنهم البلاء وكذلك الحق يكور نهار اليسر على ليال العسر ويطلع شموس المنّة على نحوس الفتنة ويدير فلك السعادة فيمحق تأثر طوارق النكادة سُنَّة منه تعالى لا يبدلها وعادة منه في الكرم يجريها ولا يحولها.

390/ب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية: 119] في/ إيمانهم وأيمانهم وتوبتهم وإنابتهم والصدق كما يكون في الأقوال يكون في الأحوال بل هو أتم أقسامه عند أرباب الكمال ففي الزبور كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني أي اختار على حضوري غيبتي.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الآية: 120] أي: عن أمره وحكمه وهو نهي عبر عنه للمبالغة بصيغة النهي ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ﴾ [الآية: 120] أي: ولا أن يميلوا ﴿بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [الآية: 120] بأن يصرفوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه والحاصل أنهم أمروا بأن يصحبوه عن البأساء والضرّاء ويكابروا معه الأهوال في الأحوال برغبة ونشاط من غير فتور وملال روي أن أبا خيثم بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال: ظل ظليل ورطب يانع أي: ناضج وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله ﷺ في الضح[1] والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله ﷺ طرفه إلى الطريق فإذا ركب يزها السراب أي: يدفعه فقال: كن أبا خيثمة فكان ففرح به رسول الله ﷺ واستغفر له[2] ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية: 120] أي: وجوب المتابعة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ [الآية: 120] سبب أنهم ﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ [الآية: 120] أي: شدة عطش

(1) الكشاف (2/ 483)، تفسير أبي السعود (4/ 110)، تفسير البيضاوي (1/ 178)، وانظر: ما أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (8/ 493) رقم (2769).

(2) أخرجه مسلم في الصحيح (2769/ 53)، والطبراني في المعجم الكبير (19/ 85) رقم (173)، وابن حبان في الصحيح (8/ 155) رقم (3370).

من فقد الماء ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ [الآية: 120] تعب من الإعياء ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الآية: 120] أي: مجاعة في سبيل الأعداء ﴿وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا﴾ [الآية: 120] أي: لا يدوسون مكان وطيئة ﴿يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ [الآية: 120] يغضبهم ﴿وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا﴾ [الآية: 120] كالجرح والقتل والأسر والنهب ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ [الآية: 120] يستوجبون به الثواب في دار المآب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية: 120] أي: منهم ومن غيرهم على إحسانهم.

﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً﴾ [الآية: 121] أي: قليلة ولو علاقة أو تمرة ﴿وَلَا كَبِيرَةً﴾ [الآية: 121] أي: كثيرة كمثل ما أنفق عثمان في جيش العسرة ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ [الآية: 121] من الأودية ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ [الآية: 121] أي: أثبت لهم ذلك هنالك ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [الآية: 121] بذلك ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية: 121] أي: جزاء حسن أعمالهم أو حسن جزاء أعمالهم.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يجوز لهم أن يؤثروا على النبي ﷺ شيئاً من نفس وروح ومال وولد وأهل وليسوا يخسرون على الله وأنى ذلك وأنهم لا يرفعون لأجله سبحانه خطوة إلا/ قابلهم بألف خطوة ولا ينقلون فيه قدماً إلا لقّاهم لطفاً وكرماً ولا يقاسون فيه عطشاً إلا سقاهم من شراب محابه كأساً ولا يتحملون لأجله مشقة إلا لقاهم لطفاً وإيناساً. 391/ أ

﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾ [الآية: 122] أي: وما استقالهم أن ينفروا جميعهم لنحو غزو وجهاد وطلب علم واجتهاد فإنه يخل بأمر المعاش كما لم يستقم لهم أن ينشطوا عن ذلك جميعاً فإنه يخل بأمر المعاد ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ [الآية: 122] أي: فهلّا أخرج من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلده جماعة قليلة ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ [الآية: 122] ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتعلموا ما يناسبه وما ينافيه ليكملوا في أنفسهم ويكملوا غيرهم كما أشير إليه بقوله ﴿وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [الآية: 122] أي: ليجفوهم ويرغبوهم فهو من باب الاكتفاء وخص الإنذار بالذكر لأنه أهم الأشياء ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [الآية: 122] أراده أن قومهم يحذرون عما منه ينذرون وفيه دليل على أن الجهاد وتعلم

الفقه وتعليمه من فروض الكفاية وأن أخبار الآحاد حجة لأن عموم كل فرقة يقتضي أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة النفقة لتنذر فرقتها فلو لم يعتبر الخبر ما لم يتواتر لم يفد ذلك عموم ما هنالك.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه جعل المسلمين على مراتب أمر الدين ومقامات اليقين فعوامهم كالرعية للملك وكتبة [الحديث] كخزان الملك وأهل القرآن كحفاظ الدفاتر ونفائيس الذخائر والفقهاء بمنزلة الوكلاء للملك إذ الفقيه يوقع عن الله وعلماء الأصول كالقواد وأمراء الجيوش والأولياء كأركان الباب وأرباب القلوب وأصحاب الصفاء كخواص الملك وجلسائه فيشتغل قوم بحفظ أركان الشرع وآخرون بإمضاء الأحكام وآخرون بالرد على المخالفين وآخرون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعل قوماً مفردين بحضور القلب وهم أصحاب الشهود ليس لهم شغل يراعون مع الله أنفاسهم وهم أصحاب الفراغ لا يستفزهم طلب ولا يهزهم أرب فهم بالله لله وهم محوٌ عما سوى الله وأما الذين يتفقهون في الدين فهم الداعون وإنما يفهم الخلق عن الله إذا كان/ يفهم عن الله قلت والجامع لهذه المقامات والحاوي لتلك الحالات أمة ولو كان واحداً من الأمة كما قال قائل: 391/ب

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد(1)

ثم اعلم أن العالم العامل هو الإنسان الكامل فإن الخلق كلهم هلكى إلا العالمون.

والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم(2) في الخاتمة من تعبير اللاحقة بتقدير السابقة فنسأل الله الحماية والعافية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم﴾ [الآية: 123] من الكفار أي: أمروا

---

(1) نسب إلى أبي نوّاس. انظر: التمثيل والمحاضرة (1/ 89)، ويتيمة الدهر (1/ 44).
(2) تفسير النيسابوري (1/ 173)، كشف الخفا (2/ 312) رقم (2796)، والموضوعات للصغاني (1/ 38) رقم (39).

بقتال الأقرب منهم فالأقرب كما أمر رسول الله ﷺ أولاً بإنذار عشيرته الأقربين فإن الأقرب أحق بالشفقة في حقه واصطلاح أمره وقد ورد أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك(1) وفي حديث آخر أعدى عدوك زوجتك التي تضاجعك وما ملكت يمينك(2) رواه الديلمي.

وأفاد الأستاذ: إن أقرب الأعداء إلى المسلم ﴿مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [الآية: 123] الذين يجب عليه منازعته أعدى عدوه وهو نفسه فيجب أن يبدأ بمقاتلة نفسه ثم بمجاهدته للكفار قال عليه السلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر(3) ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [الآية: 123] أي: شدة على المجاهدة وقوة على المكابدة.

وأفاد الأستاذ: إن من حابى عدوه قهر فكذلك المريد في حال مجاهدته يحب أن لا يجنح إلى رخص التأويلات ويأخذ في الأمور بأشق الحالات فإن نزول المريد عن مطالبات الحقيقة إلى ما يطلبه من التأويل فسخ لعهدة ونقض لعهدته وذلك كالردة لأهل الظاهر ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية: 123] بالحراسة والإعانة ومعية جميعة المحبة.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم﴾ [الآية: 124] / أي: فمن المنافقين ﴿مَّن يَقُولُ﴾ [الآية: 124] لأمثالهم إنكاراً واستهزاءً ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ﴾ [الآية: 124] السورة ﴿إِيمَٰنًا﴾ [الآية: 124] أي: إيقاناً ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الآية: 124] بزيادة العلم الحاصل من تدبر الصورة وانضمام الإيمان بها وبما فيها إلى إيمانهم فالزيادة باعتبار المؤمن به لا في نفس الإيمان لأنه عند المحققين غير قابل للزيادة والنقصان ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الآية: 124] وهم يفرحون بنزولها لأنه سبب لزيادة كمالاتهم ورفعة درجاتهم. 392/أ

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الآية: 125] شك وكفر ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [الآية: 125] أي: كفراً بها متضمن إلى الكفر بغيرها ﴿وَمَاتُوا۟ وَهُمْ

(1) سبق تخريجه.
(2) جامع الأحاديث (5/ 47) رقم (3709)، كنز العمال (16/ 283) رقم (44483)، والمقاصد الحسنة (1/ 120)، كشف الخفا (1/ 13) رقم (382).
(3) سبق تخريجه.

﴿كَٰفِرُونَ﴾ [الآية: 125] لاستحكام ذلك فيهم حتى انتقلوا إلى الآخرة إلى حالهم فسبحان من جعل بحر القرآن الجليل كنهر النيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة، الآية: 26] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء، الآية: 82].

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه جعل إنزال القرآن لقوم شفاءً ولقوم شقاءً فإذا ما أنزلت سورة جديدة زاد شكهم وتحييرهم فأسقام بعضهم حال بعض ثم لم تزدادوا إلا تحيراً قال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [فصلت: 44] وأما المؤمنون فزادتهم السورة إيماناً فليرتقوا من حد تأمل البرهان إلى روح البيان ثم من روح البيان إلى روح العيان فشموس العرفان طالعة على أسرارهم وأنوار التحقيق لامعة لأسرارهم فلا لهم نعت الطلب ولا لهم حاجة إلى السير ولا عليهم سلطان للكفر.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ [الآية: 126] المنافقون وقرأ حمزة بالخطاب فالمعنى أيها المؤمنون ﴿أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾ [الآية: 126] ليتلون بأنصاف البليات ﴿فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ [الآية: 126] ولا يبعد أن يراد بالتثنية التكثير المقصود به المرات ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ [الآية: 126] لا يرجعون عن النفاق وخبث الطويات ﴿وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الآية: 126] أي: لا يعتبرون/ بأنواع الموعظات. 392/ ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يخل أرباب التكليف عن دلائل التعريف والتحريك لهم في كل وقت بنوع من البيان والتكليف في كل أوان بضرب الامتحان وكما لم يردد لهم إلا إيضاح البرهان ولم يتجدد لهم من الله إلا زيادة الخذلان والحجبة عن البيان وأما أصحاب الحقائق فما للأغيار في كل عام مرة أو مرتين فلهم في كل نفس مرات لا يخليهم الحق سبحانه من زواجر توجب بصائر وخواطر وزواهر تتضمن بتكليفات وأوامر.

﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الآية: 127] تغامزوا بعيونهم غيظاً لما فيها من عيوبهم أو إنكاراً وسخرية فيما بينهم قائلين لبعضهم ﴿هَلْ

﴿يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [الآية: 127] إن قمتم من خدمة الحضرة فإن لم يرحم أحد قاموا وإلا فأقاموا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ﴾ [الآية: 127] عن الحضرة مخافة الفضيحة ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [الآية: 127] عن الإيمان والجملة اختبارية أو دعائية ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ [الآية: 127] بسيئاتهم ﴿قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الآية: 127] لسوء فهمهم وعدم تدبرهم.

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [الآية: 128] من جنسكم عربي أو بشر مثلكم وقرأ من أنفسكم أي: أشرفكم ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ [الآية: 128] شاق شديد ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ [الآية: 128] ما مصدرية أي: عنتكم ولقاؤكم المكروه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ [الآية: 128] أي: على تحصيل إيمانكم وتصحيح شأنكم ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية: 128] منكم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الآية: 128] والرأفة أشد الرحمة فتقديم الأبلغ مع أن التدرج أنسب محافظة للفاصلة أو مراعاة للنعيم فيكون كالذليل، والتتميم قال بعضهم: حريص على هدايتكم لو كانت الهداية إليه مشفق على من اتبعه أن يأتيه نزغة من نزغات الشيطان الرحيم يستجلب برحمته لهم رحمة الله إياه.

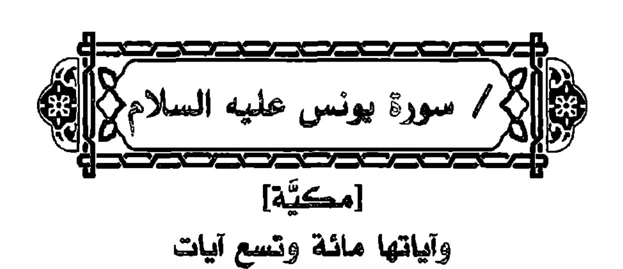
وأفاد الأستاذ: أن المعنى جاءكم رسول يشاكلكم في البشرية لكنه يباينكم فيها أفردناه به من الخصوصية ألبسناه لباس الرحمة عليكم وأقمناه بشواهد العطف والشفقة على جملتكم قد وكل همته بشأنكم أكبر همومه/ هم إيمانكم. 393/ أ

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ [الآية: 129] أعرضوا عن الإيمان بك ﴿فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 129] فإنه يكفيك ويعينك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية: 129] كالدليل لما قبله ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية: 129] أي: اعتمدت فيما أخافه وأرجوه ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الآية: 129] أي: الملك الفخيم أو الجسيم الأعظم المحيط بجميع الكائنات الذي تنزل منه الأحكام المقدرات.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قال له ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ﴾ [الأنفال: 64] ومن ثم أمر بأن يقول ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 129] لقوله حسبك الله عين الجمع وقل ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ [الآية: 129] فرق أقول بل هو جمع الجمع أي: قل ولكن بنا تقول

فنحن المتولي عنك وأنت مستهلك في عين التوحيد منك فأنت بنا ومحو عن غيرنا انتهى.

فنحمده شاكرين ونشكره قاصرين وفي مقام قصورنا عن مرام حضورنا صابرين وقد ختم الجزء الأول الشريف بالحمد المنيف كما ابتدأ به وسيبدأ بنا الجزء الثاني من تفسير السبع المثاني المسمى بأنوار القرآن وأسرار الفرقان لظهور نور العبارة وسرور حبور الإشارة وكان الفراغ من كتابته يوم الأربع المبارك ثاني عشرون جمادي أول من شهور سنة ألف ومائة تسعة وثلاثون من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وحسبنا اللّٰه ونعم الوكيل.



/ سورة يونس عليه السلام

1/أ

[مكيَّة]

وآياتها مائة وتسع آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله: أي باسم المعبود واجب الوجود المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة جلائلها ودقائقها، عمومها وخصوصها.

وقال الأستاذ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ كلمة سماعها يوجب شفاء كل عائد، ضياء كل قاصد، غذاء كل فاقد، بل كل واحد هو كل خائف، سلوى كل عارف، أمان كل تائب، بيان كل طالب، قلوب العارفين لا تفرح إلا بسماع بسم الله، كروب الخائفين لا تبرح إلا عند سماع بسم الله.

﴿الٓر﴾ [الآية 1] فتحها نافع وابن كثير وحفص وأمالها الباقون إجراء لألف الراء مجرى المنقلبة من الياء، قيل: معناه إن الله أري، ذكره السلمي.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الآية 1] إشارة إلى ما تضمنته السورة أو القرآن من الآي، والمراد من الكتاب أحدهما فإنه يطلق عليها، ووصفه الحكيم لاشتماله على الحكم أو الحكيم أو لأنه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شيء منها.

وأفاد الأستاذ أن الألف مفتاح اسم الله واللام مفتاح اسمه اللطيف، والراء مفتاح اسمه الرحيم، أقسم بهذه الأسماء أن هذا الكتاب هو الموعود لكم يوم الميثاق.

والإشارة فيه إنما خلقنا لكم الميعاد، وصعدنا لكم غناج الوداد، وانقضى لكم زمان الميعاد، فالعصاة ملقاة والأيام بالسرور متلقاة، فبادروا إلى شرب كاسات المحاب، واستقيموا بالباب على نهج الأحباب.

﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ [الآية 2] أو استفهام إنكار للتعجب، وعجباً خبر كان واسمه ﴿أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ [الآية 2] أي لإظهار التوحيد أو تحقيق التفريد حيث قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: الآية 5]، أو تعجبوا أن يبعث الرسول بشراً، وجوزوا أن يكون الإلٰه حجراً ﴿أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 2] أن مفسرة، والمعنى: خوِّف الكفار والفجار بالنار ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الآية 2] أي خص البشارة أن لا يصح للكفرة ما يصح أن يبشروا به وعمَّم الإنذار لأنه قلما من أحد ليس فيه ما ينبغي أن ينذر منه أو لأن في الإنذار ولم يكن بوجود الكفار.

وأن الاستناد أن تعجبهم كان من ثلاثة أشياء: من جواز البعث بعد الموت، ومن إرسال الرسل إلى الخلق، ثم من تخصيص محمد ﷺ/ بالرسالة من بين الخلق، ولو عرفوا كمال قدرته لم ينكروا جواز البعث، ولو علموا كمال ملكه لم يجحدوا إرسال الرسل إلى خلقه، ولو عرفوا أن له أن يفعل ما يريد لم يتعجبوا من تخصيص محمد ﷺ بالنبوة من بين الخليقة ولكن سدت بصائرهم فتاهوا في أودية الحيرة وعثروا من الضلالة في كل وهدة.

2/ب

﴿أَنَّ لَهُمْ﴾ [الآية 2] أي بأن لهم ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْۗ﴾ [الآية 2] مسابقة منيعة ومنزلة رفيعة، وسميت قدماً لأن السبق بها كما سميت النعمة يداً لأنها يعطى بها، وأضافها إلى الصدق لتحققها وللتنبيه على أنهم إنما ينالوا هذا بصدق البينة في طلبها.

وحاصله: إن لهم أجراً حسناً بما قدموا من العبادات أو بما سبقت لهم من الله السعادة.

وأفاد الأستاذ أن ما قدموه لأنفسهم من صنوف طاعات أخلصوا فيها وفنون عبادات صدقوا في القيام بتحقيقها، ويقال هو ما قدم الحق لهم يوم القسمة من مقتضى عنايته بشأنهم وما حكم لهم من أنواع إحسانه بهم وأجناس ما أفردهم به من إمتاعهم. ويقال: قدم صدق عند ربهم هو ما رفعوه من أقدامهم في بدايتهم أيام إرادتهم، فإن لأقدام المريدين المرفوعة لأجل الله

حرمة عند الله، ولأيامهم الخالية في حال ترددهم ولياليهم الماضية في طلبه، وهم في حرقة تحيرهم حقاً يرعاه الله.

﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا﴾ [الآية 3] أي ما هذا الكتاب الحكيم أو الذي جاء به الرسول الكريم ﴿لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 76] وقرأ ابن كثير والكوفيون: لساحر، على أن الإشارة للرسول ﷺ وفيه إشارة إلى اعترافهم في الجملة بأنهم شاهدوا أموراً خارقة معجزة إياهم عن المعارضة.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 3] أي أصول الموجودات ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الآية 2] أي أوقات أو في مقدار ستة أيام كهذه الأيام أو كل يوم ألف سنة مما يعده الأنام للعباد أن يدرجوا في أمر المعاش والمعاد ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ [الآية 3] أي أمره وحكمه ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 3] المحيط للعلو والعرش ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 3] يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ومضت به مشيئته، وأصل التدبير النظر في دبر الحادثة لتجيء / محمودة العاقبة. 3/ أ
وقال بعضهم: يختار للعبد ما هو خير له من اختياره لنفسه، ذكره السلمي.

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [الآية 3] تقرير لعظمته وتحرير لعزّته وغلبته ورد على مَن زعم منهم أن آلهتهم تشفع له وإثبات الشفاعة لمن حصل إذن من ربهم ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الآية 3] أي الموصوف بتلك الصفات العلية المقتضية للألوهية والربوبية ﴿رَبُّكُمْ﴾ [الآية 3] لا غيره إذ لا يشاركه أحد في ذلك ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الآية 3] وحِّدوه بالعبادة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 3] في أمركم أيها المشركون تتعرفون أنه المستحق للعبادة لا ما تعبدونه من الصقر والشبه والحجارة التي هي أحسن مراتب جنس الأشياء الحادثة.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لا يحتاج فعله إلى مدة ولا إلى عدة وكيف ذلك ومن جملة أفعاله الزمان والمدة فخلق السماوات والأرض في ستة أيام وتلك الأيام أيضاً من جملة ما خلق الله سبحانه كما خلق سائر الأنام ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 3] توحيد بجلاله الكبرياء بوصف الملكوت وإليها فلوكنا إذا أراد، والتجلي والظهور لرعيتهم وحشمهم يروا لهم على سرير ملكهم

في إيوان مشاهدهم، فأخبر الحق سبحانه بما يقرب من لهم الخليقة بما ألقي إليهم من هذه الكلمة، ومعناه: اتصافه بعز الصمدية وجلال الأحدية وإفراده بنفي الجبروت وعلاء الربوبية وتقدس الجبار عن الأقطار والمعبود عن الحدود.

و﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 3] أي الحادثات صادرة عن تقديره حاصلة بتدبيره فلا شريك يصده وما قضاه فلا أحد يرده، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [الآية 3] هو الذي ينطق من يخاطبه وهو الذي يحقق ما يشاء على مَن يشاء إذا التمس مطالبه ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 4] تعريف، وقوله: ﴿فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الآية 4] تكليف، فحصول التفريق بتحقيقه ووصول ما به التكليف بتوفيقه ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ [الآية 4] بالموت والنشور لا إلى سواه فاستعدوا للقائه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 4] مصدر مؤكد لنفسه، لأن قوله: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 4] وعد من الله ﴿حَقًّا﴾ [الآية 4] مصدر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله.

وأفاد الأستاذ أن الرجوع يقتضي ابتداء الأرواح، قبل حصولها في الأشباح كان لها في مواطن التسبيح والتقديس إقامة والغائب إذا رجع إلى وطنه/ من سفره فلقدومه أثر عند مجيئه ورؤيته، ويقال المطيع إذا رجع إلى الله 3/ب فله الزلفى والمثوبة والحسنى، والعاصي إذا رجع إلى ربه رجع بنعت الإفلاس في الطريق والخسران فيلقى لباس الغفران وحلة الصفح والأمان ورحمة مولاه خير له من نسكه وتقواه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ [الآية 4] فموعود المطيع الفراديس العلى، وموعود العاصي الرحمة والرضا والجنة لطف الحق والرحمة وصف الحق، فاللطف فعل لم يكن ثم حصل الوصل، والوصف نعت لم يزل.

﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الآية 4] بعد بدئه وإهلاكه ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية 4] أي بعدله أو بعدالتهم وقيامهم على العدل في مرامهم أو بما كتب لهم من نصيبهم وحظهم أو بحسب أعمالهم ومقتضى أحوالهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [الآية 4] أي بأنواع كفرهم وأصناف شركهم.

وأفاد الأستاذ أن مَن كان له في جميع عمره نفس على وصف ما ابتدأه

الحق سبحانه ففي الإشارة يكون لذلك إعادة ولقد أنشد قائلهم:

كل نهر فيه ماء قد جرى فإليه الماء يوماً سيعود[1]

قلت: ويؤيده ليس يتحسر أهل الجنة يوم القيامة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها، ولله در القائل: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة. ويناسبه ما قال بعضهم: كما تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ [الآية 5] أي ذات ضياء أو وصف بالمصدر مبالغة، وقرأ قنبل ضياء بهمزتين ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ [الآية 5] أي ذات نور أو سمي نوراً للمبالغة وهو أعم من الضياء فإن الضياء أقوى النور. وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، وقد نبّه سبحانه بذلك على أن خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيراً يعرض مقابلتها، والاكتساب بها الاكتساب منها ﴿وَقَدَّرَهُۥ﴾ [الآية 5] أي مسير كل واحد منهما أو القمر ﴿مَنَازِلَ﴾ [الآية 5] أو قدر القمر ذا منازل، وتخصيصه بالذكر لتعلق أحكام الشرع به ولذا علله بقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [الآية 5] أي حساب الأوقات من الأشهر والأيام/ في المعاملات 4/ أ والتصرفات في الأحكام.

﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 5] أي جميع ما ذكر ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الآية 5] متلبساً بالحق مراعياً فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 5] وهم المؤمنون لأنهم المنتفعون بها أو القوم يقبلون بمعنى يستعملون عقولهم بالتأمل فيها. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص بفصل الياء.

وقال الأستاذ: العقول نجوم وهي للشياطين رجوم، وللعلوم أقمار وهي أنوار واستبصار، وللعارف شموس ولها على أسرار العارفين طلوع واستظهار، كما قيل: إن شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليس تغيب، وكما أن في السماء كوكبين شمس وقمر فالشمس أبداً بضيائها والقمر في الزيادة والنقصان كما يستر بمحاقه، بدأ بعد ذلك حتى يكمل بدراً بنعت

---

(1) لم ينسب لأحد، ذكره القشيري في تفسيره (3/ 192) و(6/ 98)، وانظر نظم العقيان في أعيان الأعيان (1/ 3)، والتدوين في أخبار قزوين (1/ 113).

إشراقه ثم يأخذ في النقص إلى أن لا يبقى شيء منه لتمام امتحاقه ثم يعود جديداً وكل ليلة يجد مزيداً، فإذا صار بدراً تماماً لم يجد أكثر من ليلة لكماله مقاماً ثم يأخذ في النقصان إلى أن يخفى شخصه ويتم نقصه، كذلك من الناس من هو متردد بين قبضه وبسطه وصحوه ومحوه وذهابه وإيابه لإفنائه فيستريح ولإقباله دوام صحيح. وقيل:

كلما قلت قد دنا حل قيدي قدموني فأوثقوا المسمارا[1]

﴿إِنَّ فِي ٱخۡتِلَـٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 6] ظلمة ونوراً وبرداً وحراً وطولاً وقصراً ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 6] أي فيما أوجده من أنواع الكائنات في جهة العلويات والسفليات أو في اختلاف ما أبرزه من المصنوعات ﴿لَأَيَـٰتٍ﴾ [الآية 6] أي لدلالات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته ﴿لِّقَوۡمٍ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 6] يحذرون من مخالفته ويخافون من عقوبته أو يتقون عواقب الأمر فإنه يحملهم على النذير والفكر.

وأفاد الأستاذ أن في اختصاص النهار بضيائه وانفراد الليل بظلماته من غير استيجاب لهذا، أو غير استحقاق عتاب مع هذا، دلالات على أن الرد والقبول والمنع والوصول ليس بمعلول بسبب، ولا بحاصل الأمر مكتسب، كلا إنها إرادة ومشيئة وحكم وقضية، والنهار وقت حضور أهل الغفلة في/ أوطان كسبهم ووقت أرباب القربة والوصلة بانفرادهم لشهود ربهم، قال قائلهم: 4/ب

هي الشمس إلا أنَّ للشمس غيبة وهذا الذي نعنيه ليس يغيب[2]

والليل لأحد الشخصين إما للمحبين فوقت النجوى، وإما للعاصين فبثّ الشكوى، وفي المثل: «لا يعرف قدر الليل إلا صديق صادق أو عاشق فاسق».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الآية 7] لا يتوقعونه لا رجاء ولا خوف لإنكارهم البعث أصلاً ﴿وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 7] لجهلهم بها وغفلتهم عن

---

(1) هذا البيت منسوب للشبلي. انظر محاضرات الأدباء (2/ 49).

(2) لم ينسب لأحد. ذكره القشيري في تفسيره (3/ 194)، وانظر روح المعاني (11/ 91).

كثرة عنائها وقلة غنائها وسرعة فنائها وخسة شركائها ﴿وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ [الآية 7] سكنوا إليها قاصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أو سكنوا فيها لانهماكهم فيما يضادها وينافيها ولاشتغالهم بحب العاجل عن التأمل في أمر الآجل ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨﴾ [الآية 8] بما واظبوا عليه من المناهي وتمزقوا به من الملاهي.

وأفاد الأستاذ أنهم أنكروا جواز الرؤية فلم يرجوها والمؤمنون آمنوا بجوازها فأملوها. ويقال: لا يرجون لقاءه لأنهم لم يشتاقوا إليه ولن يشتاقوا إليه لأنهم لم يحبوه ولن يحبوه لأنهم لم يعرفوه ولن يعرفوه لأنهم لم يطلبوه ولن يطلبوه لأنه أراد أن لا يطلبوه. قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: الآية 42]، ويقال: لو أراد أن يطلبوا لطلبوا ولو طلبوا لعرفوا ولو عرفوا لأحبوا ولو أحبوا لاشتاقوا ولو اشتاقوا لرجوا ولو رجوا لبروا، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السَّجدَة: الآية 13]. ثم أصحاب الدنيا رضوا بالحياة الدنيا فحرموا الجنة، والزهاد والعباد ركنوا إلى الجنة ورضوا بها فبقوا عن الوصلة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ﴾ [الآية 9] أي يدلهم بسبب إيمانهم إلى سلوك سبيل يؤدي إلى الجنة أو لما يريدونه فيها من أنواع اللذّة، وهذا بالنسبة إلى الآخرة. وأما في الدنيا فإلى أحوال الطريقة ومقامات الحقيقة. فقد ورد عنه ﷺ: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»(1). وفي الاكتفاء بنسبة الإيمان لدخول الجنان من غير فرض لعمل/ الإحسان الموجب 5/أ لزيادة الامتنان. رد على المعتزلة حيث دل على استقلال الإيمان بالسببية وأن العمل الصالح كالنعمة والتكملة في القضية.

﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ﴾ [الآية 9] أي من تحت تصرفهم أو تحت قصورهم ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الآية 9] أي الأنهار الأربعة من جوانب دورهم ﴿فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾

(1) أخرجه أبو نعيم في الحلية. انظر الدرر المنثورة في الأحاديث المشهورة (1/ 20)، وتذكرة الموضوعات (1/ 20)، وتخريج أحاديث الإحياء (1/ 168).

[الآية 9] أي النعيم المقيم ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا﴾ [الآية 10] أي دعاءهم في الجنة ﴿سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ﴾ [الآية 10] أي نسبحك من المنقصة في الممدحة ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ﴾ [الآية 10] أي ما يحيي بعضهم بعضاً أو تحية الملائكة إياهم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [الآية 10] أو تحية الله لهم في مقام التكريم كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس:الآية 58]، ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الآية 10] أي غاية دعائهم وتمام مدعائهم ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 10] أي قولهم هذا الكلام لحصول جميع المرام في ذلك المقام وأن هي المحققة من النقلة في قراءة شاذة، وعن كثير من السلف إن أهل الجنة كلما اشتهوا شيئاً قالوا: سبحانك اللهم، فيأتيهم الملك بما يشتهونه فيسلِّم عليهم فيردون عليه وذلك تحيتهم، فإن أكلوا حمدوا وذلك قوله: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ﴾ [الآية 10].

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ﴾ [الآية 11] أي لو يسرع إليهم الضرر ﴿ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ﴾ [الآية 11] أي بالنفع المقرر وعدل عن تعجيله لهم بالخير للإشعار بسرعة إجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم. وتوضيحه: أنهم يستعجلون بالخير فيجيب الله لهم أسرع إجابة حتى كان استعجالهم نفس تعجيله تعالى لهم، فاستعجاله لهم مثل استعجالهم صفة محذوف ﴿لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [الآية 11] أي لأميتوا وأهلكوا ولكن بفضله يستجيب لهم سريعاً في الخير لا في الشر، وفيه إيماء إلى أنه سبحانه يجيب دعاءهم بسرعة في منفعتهم بخلاف دعائهم في مضرتهم، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:الآية 11] أي لكونه ظلوماً جهولاً، وفي هذه تسلية لأرباب الأدعية وتقييد لقوله سبحانه: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:الآية 60] الآية. وقرأ ابن عامر: (لقضي) على البناء للفاعل وهو الله سبحانه، وفي قراءة شاذة: لقضينا.

وأفاد الأستاذ: أن المراد لو أجبناهم إذا دعوا على أنفسهم وأعزّتهم من أهلهم عند غيظهم وضجرهم لعجلنا إهلاكهم/ ولكنا بحلمنا لا نجيبهم وبرحمتنا 5/ب عليهم لا نسمع بالإجابة فيهم دعاءهم، وإنما يشكو العبد بأنه لا يجيب دعاه ويجيب رجاه لجهله بأن ترك إجابته لطف منه بحاله لما علم الله أن في ذلك بلاء

لو أجابه كما قيل:

أنـــاس أعـــرضـــوا عـــنـــا بـــلا جـــرم ولا مـــعـــنـــى
أســـاؤوا ظـــنـــهـــم فـــيـــنـــا فـــهـــلّا أحـــســـنـــوا الـــظـــنّـــا

﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الآية 11] أي في ظلمات ظلالهم يتحيرون، وفيه إيماء إلى أن مَن يرجو اللقاء لم ييأس من قبول الدعاء ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا﴾ [الآية 12] لإزالته مخلصاً بجنبه ملقياً عليه مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا﴾ [الآية 12] أو للتنويع مشيراً إلى نعيم الدعاء في جميع الأحوال أو في أصناف المضار والأهوال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ﴾ [الآية 12] ذهب على طريقته قبل الضر ونسي الأمر واستمر على الكفر أو مر على موقف الدعاء ونزّ عن مقام اللقاء ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ﴾ [الآية 12] أي كأنه لم يدعنا قبل ذلك ﴿إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [الآية 12] أي إلى كشف ضر أصابه ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 12] أي مثل ذلك التزيين ﴿زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 12] من الانهماك في الشهوات والإعراض عن العبادات وترك الدعوات. وقد قال سيد الأنبياء: «من سرّه أن يستجيب الله له في البلاء فليكثر الدعاء في الرخاء»(1).

وقال الأستاذ: إذا امتحن العبد وأصابته الضرورة وأزعجته الحال إلى التخلص مما ناله فيعلم أن غير الله لا ينجيه فتحمله الضرورة على صدق الالتجاء إلى الله وإذا كشف الله عنه ما يدعوه لأجله، شغلته راحة الإخلاص عن تلك الحالة وزايله ذلك الاتباع ومداركاته لم يكن في بلاء قط:

وكأن الفتى لم يعر يوماً إذا اكتسى ولـم يـك صـعـلـوكـاً إذا مـا تـمـوّلا(2)

ويقال: بلاء يلجئك إلى الانتصاب بين يدي معبودك أجدى لك من عطاء ينسيك ويقصيك. قلت: ومن حكم ابن العطاء: ربما أعطاك فمنعك وربما منعك فأعطاك.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ﴾ [الآية 13] الأمم الماضية ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾ [الآية 13] يا

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 200) و(5/ 492)، وابن عجيبة في البحر المديد (4/ 388).
(2) نسب إلى جابر بن ثعلب الطائي. انظر الحماسة البصرية (1/ 48).

أهل مكة لما ظلموا حين ظلموا أنفسهم بارتكاب المناهي واكتساب الملاهي ﴿وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم/ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 13] حال من الواو أو عطف على ظلموا. 6/أ

قال ابن عطاء: أي لما اعتمدوا سوانا. وقال الصادق: لما قابلوا نعمنا بالكفران.

وقال أبو عثمان: لما لم يعرفوا حقوق أكابرهم ولم يتباينوا بأدائهم، ذكره السلمي.

﴿وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ [الآية 13] وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم باختيار كفرهم وعلمه بأنهم يموتون على ضلالهم ﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 13] أي مثل ذلك الجزاء، وهو إهلاكهم، بسبب تكذيب الأنبياء ﴿نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 13] أسوأ الإجزاء.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه قد أجرى سنّته بإهلاك الظالمين وكما في الخبر: لو كان الظلم بيتاً في الجنة لسلط الله عليه الخراب[1]، والظلم وضع الشيء في غير موضعه فإذا وضع العبد قصده عند حوائجه إلى المخلوقين فيعلق قلبه بهم في الاستعانة وطلب المأمول، فقد وضع الشيء في غير موضعه وهو ظلم فعقوبة هذا الظلم خراب القلب وهو انسداد طريق رجوع ذلك القلب إلى الرب لأنه لو رجع إلى الله لأعانه وأغاثه وكفاه ولكنه يصر على تعلق قلبه بالمخلوق فيبقى عن الله ولا ترتفع حاجته من غير الله، فكان من فقره وحاجته في مضرة فإنصاف إلى معرفة المذلة وحاجة الكريم إلى اللئيم، ثم لا يرتفع محنة عظيمة، وعلى هذا القياس إذا أحب مخلوقاً فقد وضع محبته في غير موضعها وهو ظلم، فعقوبته خراب روحه لعدم صفاء ودّه ومحبته لله وذهاب ما كان يجده من الإنس بالله، ثم إذا بقي عن الله يذيقه الخلق طعم المخلوقين فلا له مع الحق سلوة ولا منه إلّا الجفوة بينه وبين الله استيلاء القسوة وعدم الصفوة.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الآية 14] أي استخلفناكم فيها

(1) سيأتي تخريجه لاحقاً.

بعد القرون التي أهلكناهم استخلاف من نختبر ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 14] أتعملون خيراً أو شراً فيعاملكم على مقتضى أعمالكم وبحسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ أن معناه: عرّفناكم سير مَن كان قبلكم وما أصابهم بسبب ذنوبهم فإن اعتبرتم بهم نجوتم وإن لم تعتبروا أحللنا بكم من العقوبة ما يعتبر بكم غيركم لأن مَن لم يعتبر بمن سبقه اعتبر به مَن لحقه ومن لم يعتبر بما يسمعه اعتبر به من يتبعه.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ [الآية 15] أي حال تلك الآيات/ واضحة الدلالات ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾ [الآية 15] من المشركين ﴿ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ﴾ [الآية 15] أي بكتاب آخر ليس فيه ما نكرهه من معايب آلهتنا أو ما نستبعده من البعث بعد موتنا ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [الآية 15] أي غيِّره أو حوِّله بأن يجعل مكان الآية المشتملة على ما لا نحبه آية أخرى يكون فيها ما نقول، وأو للتخيير بين الأمرين أو للتنويع باختلاف القائلين ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ﴾ [الآية 15] ما يتصور لعصمتي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ [الآية 15] أي مِن قِبَلها إذ ليس الأمر باختيارها وإنما أكتفي بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الآخر منهما أو لمفهوم القضية الأخرى بالأولى والأخرى، أو المراد بالتبديل بل ما يشملها كما يدل عليهما قوله: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ [الآية 15] أي وتقديراً ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [لآية 15] وفيه تعريض بأنهم استوجبوا باقتراحهم العذاب الأليم. 6/ب

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 16] أي غير ذلك ﴿مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [الآية 16] أي ولا أعلمكم الله به على لسان غيري، ثم قرره بقوله: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ [الآية 16] مقدار أربعين سنة ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 16] أي قبل القرآن لأتلوه عليكم ولا أعلمه بكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 16] أفلا تستعجلون عقولكم بالتدبر والتفكر في أمركم لتعلموا أنه ليس إلا من الله إليكم فما لكم تعرضون، وفي أمركم ما تنظرون.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الآية 17] فيه براءة مما أضافوا إليه

بالكفاية ﴿أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ﴾ [الآية 17] تعريض لهم في القضية ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 17] أي الشأن ﴿لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 17] بالكذب والتكذيب ونحو ذلك مما يعقلون.

وأفاد الأستاذ أن من المفترين على الله الذين يظهرون من الأحوال ما ليسوا فيها صادقين، وجزاؤهم أن يحرموا ذلك أبد الآبدين ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ [الآية 18] في أشياء لا يقدرون على دفع ضر ولا جلب نفع لهم ﴿وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 18] الأصنام ﴿شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 18] تشفع لنا في أمورنا العارضة في الدنيا، وهذا من فرط جهالتهم وشدة غباوتهم وحماقتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يُعلم قطعاً أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنها ربما تشفع ﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 18] أي أتخبرونه/ بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض إن هؤلاء شفعاء، وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات الكائنة في عالم العلويات والسفليات لا يكون له تحقق ما في الموجودات والممكنات، فنفى العلم وأراد نفي المعلوم. 7/أ

﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الآية 18] أي عن إشراكهم أو عن الذين تشركونهم به، وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب بناء على أن الالتفات في الباب.

وأفاد الأستاذ أن من فرط غباوتهم أنهم انتظروا الشفاعة في المآل من لا يوجد فيهم الضر والنفع في الحال. أخبر أنهم يخبرون عما ليس على الوجه الذي قالوه معلوماً لله ولو كان كما قالوه لعلمه الحق سبحانه لأنه لا يغرب عن علمه معلوم.

ومعنى قوله ﴿لَا يَعْلَمُ﴾ أي يعلم بخلافه ومن تعلق قلبه بالمخلوقين في استدفاع المعتاد واستجلاء المسار، فكالسالك سبيل من عبد الأصنام إذ المنشىء والموجد للشيء من العدم هو الله الملك العلّام ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 19] موحدين على الفطرة أو متفقين على طريقة الحنيفية وذلك من عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل، أو بعد الطوفان أو على الضلالة في فترة من أصحاب الرسالة فاختلفوا باتباع الهوى وإيضاع الهدى أو بنبيئة الأنبياء

فتبعتهم طائفة وكفرتهم أخرى.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 19] بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة فإنه يوم الفصل ووقت الجزاء والعقوبة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 19] بإهلاكهم عاجلاً في الدنيا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 19] بأنني المبطل وإنني المحق.

وأفاد الأستاذ أنهم إنما اختلفوا لأن الله خص قوماً بقبوله وعنايته، وآخرين بإبعاده وإهانته، ولولا تلك الإرادة لما وقفت هذه المخالفة.

﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 20] أي من الآيات التي اقترحوها حيث أعرضوا عن الآيات التي شاهدوها ﴿فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [الآية 20] أي هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة من مفاسد مانعة عن إنزالها ومنها نختم العذاب منكرها عند ظهورها ﴿فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف:الآية 71] لما يفعل الله بي وبكم.

7/ب وأفاد الأستاذ أن الآية تشير أنه ﷺ في ستر الغيب وخفاء/ الأمر عليه في الجملة فكما اهتم في الانتظار لما يحدث في المستأنف من التغيير، فهو أيضاً في انتظار ما يوجد من المقادير، والفرق بينه وبينهم أنه يشهد ما يحصل به ومنه على حسب الإرادة وهم متطرحون في أودية الجهالة يحيلون الأمر مرة على الدهر ومرة على النجم ومرة على الطبع وكل ذلك حيرة وعمى خارجة عن طريق العقل والشرع.

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً﴾ [الآية 21] صحة وسعة ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ﴾ [الآية 21] كبلية وشدة ﴿إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا﴾ [الآية 21] بالطعن فيها والاحتيال في دفعها وإطفائها ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ [الآية 21] منكم حيث دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم واحفلوا حقاً الكيد وهو من الله سبحانه، إما الاستدراج أو الجزاء على المكر ويؤيده قوله: ﴿إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [الآية 21] حيث يطلعون على ما يمكرون فيجازون بما يفعلون.

وقال الأستاذ: يعني إذا أصابهم مضرة ومحنة فرحمناهم وكشفنا عنهم

أحالوا الأمر على غيرنا ونزهوه من سواها بقولهم مطرنا بنو كذا، وقولهم إن هذه بسعادة نجم ومساعدة دولة ووقاية فلك وحيرات وسر، فهذا كان مكرهم ومكر الله بهم جزاؤهم على مكرهم، والإشارة في هذا أنه ربما يكون لكم يد أو للطالب حجبة أو فترة إذا أحاله الحق بكشفٍ وتجلٍّ وإقبال فمن حقهم أن لا يلاحظوها فضلاً من أن يساكنوها فإذا لم يرتفعوا عن ملاحظة أحوالهم إلى الغيبة بشهود الحق لهم، مكر الله بهم بأن ينبئهم في تلك الأحوال من غير ترق عنها ووجود الزيادة عليها فهذا مكره بخواصهم وما سبق في حق عوامهم.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ [الآية 22] يحملكم على السير ويمكّنكم من السفر، وقرأ ابن عامر: ينشركم من النشر أي بينكم ويفرقكم ﴿فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الآية 22].

قال ابن عطاء: سير الأولياء بقلوبهم وسير الأعداء بنفوسهم، ذكره السلمي. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [الآية 22] أي السفن وأريد بهذا الجمع لقوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ [الآية 22] بمن فيها ولعل حكمة العدول عن الخطاب إلى الغيبة وهو أنه تذكير لغيرهم على وجه العبرة ليتعجب من حالهم وينكر عليهم في مآلهم بريح عاصف أي ذات عصف شديدة الهبوب ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ﴾ [الآية 22] اضطراب الماء ﴿مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [الآية 22] يتصور منه مجيء/ 8/أ الموج ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [الآية 22] أهلكوا بأن سدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الآية 22] أي الانقياد والطاعة، والجملة بدل مما قبله، والمعنى أنهم رجعوا إلى أصل الفطرة لزوال العارض من جهة الشدة ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الآية 22] على إرادة القول أو مفعول دعوا لأنه بمعنى قالوا: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ﴾ [الآية 23] عما أبلاهم ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 23] أي يطلبون فيها الفساد بل بالظلم في حق العباد والبلاد.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ﴾ [الآية 23] أي ظلمكم ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [الآية 23] فذلك وباله عليكم وضرره راجع إليكم ﴿مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 23] أي

منفعة الحياة الدنية حاصلة لديكم حيث ينكشف بقاؤها ويطول حسابها ويبقى عقابها، ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد أي يتمتعون متاع الحياة الدنيا ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 23] أي رجوعكم في العقبى ﴿فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 23] فيجازيكم بما تدرون وبما تفعلون.

وقال الأستاذ: يريد أنهم يصبحون في النِّعم يجرون أذيالهم ثم يمسون يبكون بلياليهم وقد يبيتون والصّحة ملكهم ثم يصبحون وخفايا التقدير أهلكتهم هـ. وأنشدوا:

أقمت زماناً والعيون قريرة وأصبحت يوماً والجفون سوافك[1]

فإذا رجعوا إلى الله بإخلاص الدعاء يجود عليهم بكشف البلاء، فلما أنجاهم وبالإجابة أرعاهم إذ أنهم إلى غيهم يرجعون وعلى مناهجتهم في تمردهم يسلكون، ثم قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البَقَرَة:الآية 21] إلى آخره، أي نمتعكم زماناً قليلاً ثم تلقون غبّ ذلك وبيلاً وتقاسون عذاباً طويلاً.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 24] أي حالها العجيبة وصفتها الغريبة في سرعة زوالها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بمنالها وغفلتهم عن مآلها ﴿كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 24] أي وأنبتنا به الأشياء ﴿فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 24] فاشتبك بسببه حتى تخالط بعضه ببعض ﴿مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ﴾ [الآية 24] من أصناف الزرع والثمار وأنواع الكلأ والحشيش والأشجار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ [الآية 24] أي زينتها بأجناس أزهارها ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ [الآية 24] بنفائس أنوارها وأشكالها المختلفة/ وألوانها المؤتلفة كعروس أخذت الثياب 8/ب الملونة وأفنان الحلي المزيّنة فتزينت بها، وأصل ﴿وَٱزَّيَّنَتْ﴾ تزينت وقد قرئ بها ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ﴾ [الآية 24] أي أصحاب الأرض المائلون إليها ﴿أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا﴾ [الآية 24] أي جاءها أمرنا بإفنائها فضرب زرعها بما يجتاحها ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ [الآية 24] لاستوائها في أمرها ﴿فَجَعَلْنَـٰهَا﴾ [الآية 24] أي نباتها ﴿حَصِيدًا﴾ [الآية 24] شبيه زروع حصودها ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [الآية 24] أي

(1) نسب إلى عبد الكريم بن هوازن. انظر مرآة الجنان (1/ 439).

كأنه لم يلبث ولم ينبت زروعها فيما سبق من حالها ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الآية 24] أي نبيّنها الكرّات والمرّات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 24] في المصنوعات وعجائب المخلوقات.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه شبّه الحياة الدنيا بالماء المنزل من السماء ينبت به النبات وتخضر الأرض بالأزهار وتظهر الثمار ويوطن أربابها نفوسهم عليها فتصيبها جائحة سماوية بغتة وتصير كأن لم تكن، كذلك الإنسان بعد كمال سنه وتمام قوته واستجماع الخصال المحمودة فيه تخترمه المنية وتبطل أموره المنتظمة كما قيل:

فقدناه لما تمّ واعتمّ بالعلا وكذاك كسوف البدر عند تمامه[1]

ومن وجوه نسبة الأموال الدنيوية الماء المنزل من السماء أن المطر لا يستنزل بالحيلة كذلك الدنيا لا تساعد إلا بالغنيمة، ثم إن المطر وإن كان لا يجيء إلا بالتقدير فقد يستسقى كذلك الرزق وإن كان بالغنيمة فقد يلتمس من الله ويستعطى، ومنها أن الماء في موضعه سبب حياة الناس وفي غير موضعه سبب الخراب. كذلك المال لمستحقه سبب سلامته وانقطاع المتصلين به وعند من لا يستحقه سبب طغيانه وسبب بلاء من هو متصل به كما قيل:

نِعَم الله لا تعاب ولكن ربما استقبحت على إنسان[2]

وقد ورد: نعم المال الصالح للرجل الصالح[3]، ومنها أن المال إذا كان بمقدار كان سبب الصلاح وإذا جاوز الحد أوجب الكفران والطغيان والنقم،

---

(1) قاله أبو الفتح البستي في رثاء أبي القاسم الصاحب. انظر زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 162)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 52) وانظره في تفسير القشيري (3/ 211).

(2) ذكر بلفظ:

نعمة الله لا تُعاب ولكن ربما استقبحت على أقوام

قاله عمر بن إبراهيم بن عمر بن حبيب البصري في عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزير. انظر الوافي بالوفيات (٧/ ١٢٧)، وطبقات الشعراء (١/ ١٢٦).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 91) رقم (1248)، وفي الآداب (3/ 86) رقم (791). وانظر كشف الخفا (2/ 320) رقم (2823).

وقد ورد: قليل يكفيك خير من كثير يطغيك[1]. ومنها أن الماء ما دام جارياً كان طيباً فإذا طال مكثه تغير كذلك المال إذا أنفقه صاحبه كان محموداً فإذا ادّخره صاحبه وأمسكه كان معلولاً مذموماً، ومنه قولهم: اصرف ما/ في الجيب يأتيك ما في الغيب[2]، ويشير إليه قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سَبَإ:الآية 39]، ومنها أن الماء إذا كان طاهراً يصلح للشرب وللطهور وإذا كان غير طاهر فبالعكس كذلك المال إذا كان حلالاً وبعسكه إذا كان حراماً، ويوميء إليه قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ [المَائدة:الآية 100]. ويقال: كما أن الربيع ينوره أشجاره ويظهر أزهاره ويخضرّ رياعه ويتزين بالنبات وهاده وتلاعه ثم لا يؤمن أن تصيبه آفة من غير الارتقاب وينقلب الحلال بما لم يكن في الحساب كذلك من الناس من يكون له أحوال صافية وأعمال بشرط الخلوص زاكية وغصون أنسه متدلية ورياض قربه موفقة ثم تصيبه عين فيذبل عود وصاله وتنسد أبواب عوائد إقباله كما قيل: 9/أ

عين أصابتك إن العين صائبة والعين تسرع أحياناً إلى الحسد[3]

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الآية 25] أي دار السلامة من الآفة والملامة أو دار الله، ولا يخفى ما في تخصيص هذا الاسم من المناسبة المبينة لوجه التسمية، أو دار يكثر فيما بين أهلها السلام أو يحصل لهم تحية الملائكة الكرام من عند الملك العلّام، والمراد بها الجنة ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 25] بالتوفيق للهداية ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الآية 25] أي في غاية من الاستقامة المؤدية إلى وصول الجنة وحصول الوصلة وهو الإيمان والإسلام والتدرُّع بلباس التقوى في جميع الأحكام وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دلالة على أن الأمر غير الإرادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله له الهداية، ويمكن أن يقال والله يدعو من يشاء إلى صراط مستقيم وإلى دار السلام هو اعتناق أوامره والانتهاء عن

---

(1) نقل عن ابن مسعود بلفظ: ما من يوم إلا وملك ينادي يا ابن آدم قليل يكفيك. انظر إحياء علوم الدين (4/ 436).

(2) هذا قول وليس بحكم شرعي لأنّه يجوز الادخار لا عن بخل أو شح به.

(3) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 211).

الزواجر، فالدعاء من حيث التكليف والهداية تفريق والتكليف على العموم والتفريق على الخصوص، ويقال: التكليف بحق سلطانه والتقريب بحكم إحسانه. ويقال: الدعاء قوله، والهداية طوله، دخل الكل تحت قوله وانفرد الأولياء بتخصيص طوله. ومعنى ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [الآية 25] أن أهلها فيها سالمون من الحرقة والفرقة، / سلموا من الحرقة فحصلوا في لذة عطائه، وسلموا من الفرقة فوصلوا إلى عزيز لقائه. ويقال: تلك الدار درجات للأبرار فالذي يسلم قلبه عن محيد الأغيار درجته أعلى من درجة من سلم نفسه من الذنوب والأوصار، ويقال: قوم سلمت صدورهم من الغل والحسد والحقد والجور، وقوم سلم الحق منهم فليس بينهم وبين أحد محاسبة وليس لهم على أحد مناقشة، فالمسلم مَن سلم المسلمون مِن لسانه ويده، والمحسن مَن سلم الخلق بأجمعهم من قلبه. ويقال: الصراط المستقيم طريق المسلمين، فهذا للعوام بشرط علم اليقين ثم طريق المؤمنين وهو للخواص بشرط عين اليقين، ثم طريق المحسنين وهو الخاص الخاص بشرط حق اليقين، فهو ثبوت العقل أصحاب البرهان وهؤلاء بكشف العلم أصحاب البيان وهؤلاء بضياء المعرفة بالوصف كالعيان وهو الذي قال ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»(1).

9/ ب

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾ [الآية 26] أي في مراتب الإيمان والإسلام والإحسان ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 26] المثوبة، الحسنى: وهي الجنة العليا ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [الآية 26] أي وما يزيد على المثوبة الشاملة للدونية لكنها لما كانت على نهاية الوصلة وغاية الفرقة فسر بها ﷺ كما في صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجه وثبت عن الصدِّيق الأكبر وأكثر أكابر الصحابة وأئمة أهل السنَّة خلافاً للمعتزلة وسائر المبتدعة المحرومين من هذه الرتبة العلية ولعل تسميتها بالزيادة لقوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الآية 26]، ولقوله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:الآية 35] وهذا العموم الذي اخترناه لا ينافي ما روي عن ابن عباس من أن الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها إلى أضعافها، ولعله مقتبس من مقابلة قوله الآتي:

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ [الآية 27] ولكن رفعه بأن هذا في مقابلة الحسنى كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا﴾ [الروم:الآية 10] السوء المقابل للزيادة الموجبة لكمال العزة قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [الآية 27] ويؤيده تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (22) إِلَى رَبِّهَا/ نَاظِرَةٌ (23)﴾ [القِيَامَة: الآيتان 22 - 23] الآية. 10/أ
وأما ما نقل عن مجاهد أن الزيادة هي المغفرة والرضوان ففيه أن المغفرة مقدمة على دخول الجنة والرضا هو الموجب للقاء.

وأفاد الأستاذ أن الحسنى التي لهم في الجنة وما فيها من صنوف النعمة، وقوله تعالى: ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [الآية 26] فعلى موجب الخبر وإجماع السلف النظر إلى الله، ويحتمل الحسنى الرؤية والزيادة دوامها، ويحتمل أن تكون الحسنى اللقاء والزيادة البقاء في حال اللقاء.

﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ﴾ [الآية 26] لا يغشيها ﴿قَتَرٌ﴾ [الآية 26] سواد وغبرة ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [الآية 26] مهانة، والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل الحرقة ولا يلحقهم سوء حالة من جهة الفرقة كما لتلك الفرقة ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ [الآية 26] ملازموها ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية 26] دائمون لا انقراض لها ولا زوال لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها.

وأفاد الأستاذ في قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [الآية 26] لا يقع عليها غبار الحجاب وبعكسه حديث الكفار ولو من أهل الكتاب حيث قال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ [عبس:الآية 40]، قلت: وسيأتي قوله: ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [الآية 27] قال: والذلة التي تصيبهم أن لا يردوا من غير شهوده إلى رؤية غيره ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الآية 26] أي في فنون إفضالهم في جميع أحوالهم.

﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الآية 27] أي اللمم وجزاؤهم ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ [الآية 27] لا يزاد عليها، وفيه تنبيه نبيه أن الزيادة هي الفضل وإن تركها هو العدل ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [الآية 27] أي مذلة يصيبهم منها قترة وغبرة ﴿مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [الآية 27] أي أحد يعصمهم من السخط والعقوبة.

وقال الأستاذ: والذين كسبوا السيئات وعملوا الذلات لهم جزاء سيئة مثلها والباء صلة أي للواحد واحد بلا زيادة، ﴿وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [الآية 27] آثار الحجاب على وجوههم لائحة فإن الأسرّة تدل على السريرة ﴿مَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ [الآية 27] أي ما لهم عاصم من العذاب ومانع من ذلّ الحجاب ﴿كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ [الآية 27] لفرط سوادها، وقرأ ابن كثير والكسائي: قطعاً بالسكون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 27] ولعل المراد بالسيئات أنواع الكفر وأصناف الشرك لتختص الآية/ بالكفار ولا تعم الفساق والفجار كما عليه أئمة أهل السنَّة خلافاً للخوارج والمعتزلة. 10/ب

والظاهر أن الله سبحانه قد اقتصر على بيان حالة الفريقين من المؤمنين والكافرين من جهة الوعد والوعيد من جميع القرآن الحميد وسترى بيان حال الفاسقين حتى يبقوا بين الرجاء والخشية ولا يعفو في اليأس والأمنة وليعلموا أنهم تحت المشيئة مع أن بعضهم لهم عقوبة سابقة ونقمة لاحقة.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية 28] أي الفريقين ﴿جَمِيعًا﴾ [الآية 28] أي جميعهم أو مجتمعين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [الآية 28] أي لجميع المشركين ﴿مَكَانَكُمْ﴾ [الآية 28] أي الزموا مكانكم حتى تنظروا ما نفعل بكم ﴿أَنتُمْ﴾ [الآية 28] تأكيد للضمير المنتقل إليه من عامله ﴿وَشُرَكَآؤُكُمْ﴾ [الآية 28] عطف عليه وقرىء بالنصب على المفعول معه ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 28] الضمير للمشركين أو لهم وللمعبودين ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت عندهم.

﴿وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 28] قيل هذا إيجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فإنهم إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم لأنها الآمرة بالإشراك لا ما أشركوا والأظهر أن القول على حقيقته، فالمراد بالشركاء الملائكة والمسيح ونحوهم، أو أنه سبحانه ينطق الأصنام فنشأ فهمهم بذلك الكلام مكان الشفاعة التي كانوا تفرقوا منها في ذلك المقام، أو المراد بالشركاء الشياطين وهو الأظهر ويؤيده خطيئة رئيسهم كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [إبراهيم:الآية 22] الآية، ولا يبعد أن يراد بشركائهم من حملهم على الشرك من

رؤسائهم كما يدل عليه قوله سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة:الآية 166] الآية. وفي الجملة يتبرأ بعضهم من بعض بقوله: ويذوق كل وبال فعله.

قال الأستاذ: وفائدة هذا التعريف أن ما ليس لله فهو وبال عليهم فاشتغالهم اليوم بذلك من المحال ولهم في المآل من ذلك الوبال التمني. ثم لا يخفى أن إرادة الأصنام أو الملائكة الكرام أولى بالمقام لقوله سبحانه حكاية عن جوابهم: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 29] فإنه العالم بالحال والمآل ﴿إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾ [الآية 29] فإن متحققة واللام فارقة ولا يبعد أن يكون الحكم مجملاً والقول مفصلاً.

﴿هُنَالِكَ﴾ [الآية 30]/ في ذلك المكان أو الزمان ﴿تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [الآية 30] تختبر ما قدمت من خير وشر، فتعاين ما يترتب عليها من نفع وضر. وقرأ حمزة والكسائي: تتلوا من التلاوة أي تقرأ ذكر ما قدمت من صحيفة عمله أو من التلوا أي تتبع عملها فيقودها إلى الجنة أو إلى العقوبة، وقرأ يتلو بالنون ونصب كل وإبدال ما منه والمعنى يعاملها معاملة المختبر بحالها المعترف بسعادتها وشقاوتها بتفرق ما أسلفت من عبادتها وخطيئاتها. 11/أ

وفي تفسير السلمي قيل: المعنى تطلب كل مدع بحقيقة ما ادعى، قلت: وما يسر الدعوى وما أعسر المعنى.

﴿وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أي ارجعوا إلى جزائه وانقلبوا إلى رضائه ﴿مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 30] أي متولي أمورهم على الحقيقة ﴿وَضَلَّ﴾ [الآية 30] أي ضاع وبطل وغاب ﴿عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 30] من دعوى بشفاعة الآلهة أو من دعوى الصلاح والديانة.

وقال الأستاذ: إنما يقفوا على خسرانهم إذا ذاقوا طعم هوانهم وإذا ردوا إلى الله لم يجدوا إلا البعد من الله والطرد من قبل الله وذلك جزاء من آثر على الله.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 31] أي منهما جميعاً فإن الأرزاق

تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو مِن لبيان مَن على تقدير مضاف أي من أهل السماء والأرض ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الآية 31] أم من يستطيع خلقهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انتقالها من أدنى شيء مما يضرها ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ [الآية 31] أي من ينشيء الحيوان من النطفة والنطفة منه ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 31] أي أمر العالم كله وهو تعميم بعد تخصيص له.

قال الواسطي: إذا قال من يدبر الأمر كيف يجوز لقائل يقول فعلي وعملي أي بتدبيري وتحقيق هذا التغيير في التنوير لإسقاط النذير ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 31] أي لا يقدرون على المكابرة والعناد لفرط وضوح الأمر أنه لا خالق سواه للعباد، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزّخرُف:الآية 87].

﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الآية 31] مخالفته أو معاقبته بإشراككم إياه ما لا وجود له إلا بإيجاد الله.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه كما توحّد بكونه خالقاً تفرّد بكونه رازقاً وكما لا خالق سواه فلا رازق سواه، ثم إن الرزق/ على أقسام، فللأشباح رزق: وهو لقوم توفيق الطاعات، ولآخرين خذلان الذات. وللأرواح رزق: وهو لقوم حقائق الوصلة ولآخرين في الدنيا الغفلة وفي العقبى العقوبة والمهانة. وقوله: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الآية 31] فيكحّل بعض الأبصار بالتوحيد وبعضها بعميها عن التحقيق والتأييد، ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الآية 31] المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 31] ولكن ظناً لا عن تحقق بصيرة ونطقاً لا عن تصديق سريرة.

11/ب

﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 32] أي المتولي لهذه الأمور وهو المستحق للعبادة هو ربكم بالربوبية حيث أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أمركم على وفق المشيئة والإرادة ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [الآية 32] ليس بعد الحق إلا الباطل، فمن يخطىء الحق الذي هو عبادة الحق وقع في تيه الضلال الموجب

للإعلال والإنكار ﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [الآية 32] عن الحق إلى الباطل مع وضوح أن ليس تحته طائل.

وأفاد الأستاذ أن للكون موضوعات الحق ومتعلقات الإرادة ومتناولات التشبيه ومحسبات التقدير ومصرفات القدرة فهي أشباح خالية وأحكام التقدير عليها جارية.

﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 33] أي كما حقت الربوبية له حقت كلمة الله وحكمه وعدله ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ﴾ [الآية 33] تمردوا في خروجهم عن طاعة ربهم ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 33] علة أو بدل من الكلمة، والمراد بها العِدَة بالعقوبة لقوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ﴾ [هُود:الآية 119] ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ﴾ [السَّجدَة:الآية 13] الآية.

وأفاد الأستاذ أنه سبق منه الحكم وصدق فيهم القول فلا لحكمه تحويل ولا لقوله تبديل وأن العلل لا تغير الأزل.

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الآية 34] جعل الإعادة كآية في الإلزام بها لظهور برهانها وإن لم يساعدوا على بيانها ولذلك خصّ الرسول ﷺ في الخطاب بأن ينوب عنهم في الجواب فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [الآية 34] عن طريق الحق وسبيل الصدق.

قال ابن عطاء: يبدىء الخلق بإظهار القدرة فيوجد المعدوم ثم يعيدها بإظهار الهيبة فيفقد/ الموجود، ذكره السلمي. 12/أ

﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 35] بنصب الآيات وإرسال الرسل ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾ [الآية 35] يقال هداه للحق وإلى الحق، فجمع بينهما تفنناً في العبارة واقتصر عليه الزمخشري ويؤيده أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسرَاء:الآية 9]، وفي موضع آخر: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشّورى:الآية 52] لكن قد يقتدي بنفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:الآية 6]. وحقق ابن قيم الجوزية الفرق في مقام الجمع بقوله: اللام تكون للفاعل في المعنى نحو قولك: لمن هذا؟ فيقال: لزيد، فيأتي

باللام[1]. وأما إلى فيكون للمفعول في المعتبر نحو قولك: لمن هذا؟ فيقال لزيد، إلى من يصل هذا الكتاب؟ فيقال في الجواب: إلى عبد الله، وسر ذلك أن اللام في الأصل للملك أو الاختصاص أو الاستحقاق، والملك والاستحقاق إنما يكون للفاعل الذي يملك ويستحق وإلى انتهاء الغاية، والغاية: منتهى ما يقتضيه العقل فهو بالعقول أليق لا عن تمام بمقتضى الفعل. والله أعلم بأسرار كتابه.

وأفاد الأستاذ أن الحق اسم الله سبحانه فهو حق ومعناه أنه موجود وأنه هو الحق ومحق الحق وأما الحق من أوصاف الخلق ما حسن فعله وصح اعتقاده وجاز النطق به و﴿ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ﴾ [الآية 35] أي إلى الحق. هدايته وهداه له وهداه الجنة بمعنى، فمن هداه الحق للحق وفقه للحق وعزيز من هداه الحق إلى الحق للحق فلا نصيب له ولا حظ انتهى. ولا يخفى أن قوله للحق له مزية على قوله: إلى الحق، على ما نطق به أهل الحق فينبغي أن يكون التقدير ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ﴾ [الآية 35] للحق لأن الهداية للحق من خواص الحق بخلاف الهداية المطلقة وتوضيحه: أن المراد بهدايته الحقيقية في الهداية الموصلة بخلاف هداية غيره من الأنبياء والكتب المنزلة، وهذا هو المعنى الحقيقي في حق الحق وهو لا ينافي استعمال الهداية في حقه أيضاً على الطريقة المجازية كما حقق في قوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ﴾ [فُصِّلَت:الآية 17] فإنه بمعنى الدلالة بالوجه المطلق إلى الحق، لا بمعنى الدلالة إلى الحق المقيد بكونه للحق. فتدبره/ 12/ب تحقق.

والحاصل أن الهداية بنوعيها منتفية عن الشركاء في الألوهية وثابتة لله سبحانه بالنسبة الحقيقية والمجازية، وقد يوجد إسناد المجازية إلى غيره سبحانه من الأنبياء والعلماء والكلمات القرآنية ﴿أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ﴾ [الآية 35] أي أم الذي لا يهتدي من قوله هدي بنفسه إذا اهتدى وهو الموافق لما عليه جمهور القراء، ولا يهدي غيره إلا أن

(1) زاد المعاد (1/ 87).

يهديه الله وهذا حال أشرف الشركاء كالملائكة وبعض الأنبياء، وقرأ ابن كثير وورش وابن عامر يهدي بفتح الياء وتشديد الدال، وحفص بكسر الياء والتشديد، وأصله يهتدي، وأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء المنقولة إليها أو كسرت لالتقاء الساكنين، وقالوا باختلاس فتحة الهاء، وأبو بكر باتباع الياء الهاء المكسورة لما سبق والباقي وهو حمزة والكسائي أي بتخفيف الدال كما تقدم.

﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الآية 35] بما يقتضي صريح العقل بطلانه وأظهر العقل والشرع برهانه ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ﴾ [الآية 36] في معتقدهم ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية 36] مستنداً إلى خيالات كاسدة ومقدمات فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة، والمراد بأكثرهم جميعهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ [الآية 36] من العلم الحق والاعتقاد الصدق ﴿شَيْئًا﴾ [الآية 36] من الاعتبار أو لا ينفع شيئاً من الأشياء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 36] وعيداً على اتِّباعهم الظنون وإعراضهم عن اليقين في القرون.

قال أبو جعفر: كيف يجوز لنا أن نتكلم في حقائق الأصول والله يقول ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا﴾ [الآية 36] ذكره السلمي.

فأفاد الأستاذ أن العبد يجب أن يكون على ظن في مآل حاله إذ لا يعرف أحد غيب نفسه في مآله وفي صفة الحق يجب أن يكون على قطع وبصيرة، فالظن في الله معلول، والظن فيما من الله غير محمود، ولا يجوز بوجه من الوجوه أن يكون أهل المعرفة به سبحانه فيما يعود إلى صفته على الظن كيف وقد قال تعالى فيما أمر نبيه عليه السلام أن يقول: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:الآية 108] وكما قلت:

طلع الصباح/ فلات حين سراج	وأتى اليقين فلات حجاج 13/أ
حصل الذي كنا نؤمل نيله	من عقد ألوية وحل رتاج
فالبعد قوض بالدنو خيامه	والوصل وكذا سجله معتاج
قد حان السرور فحيلا	لهواجم الأحزان بالإزعاج

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ﴾ [الآية 37] أي افترى أو مفترى ﴿مِنْ دُونِ

﴿ٱللَّهِ﴾ [الآية 36] أي مما سواه ﴿وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 37] أي ولكن كان تطبيقاً أو مطابقاً لما تقدمه من الكتب الإلٰهية وموافقاً لما سبقه من كلمات الرُّسل الماضية ﴿وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 37] أي وتبيين ما حقق وأثبت من العقائد الدينية والأحكام الشرعية ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الآية 37] أي منهياً عنه الشك عند أرباب اليقين ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 37] أي كائناً من عند أرحم الراحمين.

وأفاد الأستاذ أن أبصارهم انسدت فلم يزدادوا بكثرة سماع القرآن إلا عمى على عمى كما أن أهل الحقيقة ما ازدادوا إلا هدى على هدى، فسبحان من جعل خطابه لقوم سبب لخيرهم ولآخرين موجب لضرهم.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الآية 38] بلى أتقولون اختلقه محمد، فأم منقطعة وبل للانتقال والهمزة لإنكار المقال ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ﴾ [الآية 38] في بلاغة المبنى وجزالة المعنى فإنكم مثله في العربية والفصاحة وأشد تمرُّناً منه في النظم والقيادة ﴿وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾ [الآية 38] أي استعينوا مع ذلك بمن أمكنكم من الاستعانة ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] أي مما سواه فإن له القوة العالية والحجة البالغة ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 38] في تكذيب صاحب الرسالة.

وقال الأستاذ: اعترف كل خطيب بليغ فصيح بالعجز على معارضته وما أراد معارضته إلا من افتضح في مقالته.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [الآية 39] أي بل سارعوا في تكذيبهم بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتأملوا ما فيه ويعلموه ﴿وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الآية 39] ولم يتفقوا بعد على تأويل معانيه ولم يبلغ أذهانهم تحسين معانيه ولم يتبين حقيقة أخبار ما فيه ولذا تكلموا بما ينافيه ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 39] المرسلين ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 39] فيه وعيد للمكذبين، ووعد للمصدقين.

13/ب وأفاد الأستاذ أنهم قابلوا الحق بالتكذيب لتقاصر/ علومهم عن التحقيق فإن التحقيق من شرط التصديق وإنما يؤمن بالغيب من لوح بقلبه حقائق

البرهان وصرف عنه دواعي الريب في جميع الأزمان.

﴿وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [الآية 40] أي ومن المكذبين من يصدق به في باطنه ولكن يعاند في ظاهرهِ أو من مرية ﴿وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾ [الآية 40] لكثرة جهالته وغلبة ضلالته فيموت على كفره ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الآية 40] أي المصرين والمعاندين، ولا يبعد أن يكون ضمير منهم راجع إلى الخلق جميعهم كقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن:الآية 2].

واختاره الأستاذ حيث أفاد بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:الآية 26] فمنهم الذين كحل الحق أبصار قلوبهم بنور اليقين، وأما الذين لم يؤمنوا فهم الذين وسم قلوبهم بالعمى وزالوا بالضلالة عن الهدى تلك سنَّة الله في الطائفتين ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:الآية 43]، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:الآية 62].

﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ [الآية 41] أي فتبرأ منهم فقد أزلت عذرهم، والمعنى قل مختص لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقاً كان أو باطلاً وهذا إرخاء العنان في معرض البيان ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 41] أي لا تؤاخذون بعملي ولا أؤاخذ بعملكم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:الآية 164] ولما فيه إيهام الإعراض عنهم وتخلية سبيلهم، قيل إنه منسوخ بأمر القتال معهم.

وأفاد الأستاذ أنه اختار الطريقين واستبان حقائق العرفان فلا المحسن بجرم المسيىء معاقب ولا المسيىء بجرم المحسن معاتب كل على حدة مما يعمل أو على ما يفعله يُحاسب.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 42] إذا قرأت القرآن وأوضحت الشرائع بالبرهان ولكن لا يقبلون فصلاً كالأصم الذي لا يسمع أصلاً ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ﴾ [الآية 42] أي تقدر على إسماعهم العلم ﴿وَلَوْ كَانُواْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 42] ولو انضم إلى صممهم عدم تعقلهم.

وأفاد الأستاذ أن مَن استمع بتكليفه ازداد في تخلقه بزيادة تصرفه ومن

أسمعه الحق تفضله استغنى عن إدراكه عن فعله، والحق سبحانه يسمع أولياءه بما يناجيهم به في أسرارهم فإذا سمعوا دعاء الواسطة قابلوه بالقبول لما سبق لهم من/ إسماع الحق ومن عدم إسماع الحق إياه من حيث التفهيم لم يرده سماع الخلق إلا جحداً على جحد ومن لم يحط به إلا بعداً على بعد. 14/أ

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ [الآية 43] فعاينوا دلائل نبوتك ولكن لا يصدقون برسالتك ﴿أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ﴾ [الآية 43] أي تقدر على هدايتهم ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 43] أي وإن انضم إلى عدم بصرهم عدم بصيرتهم فإن المقصود من الإبصار هو الاعتبار والاستبصار والعمد في تلك البصيرة ولذلك بحدس الأعمى المستبصر ويتفطن بما لا يدركه البصير الأحمق حين يتحمق، والآية كالتعليل بالهمز للتبرىء منهم والإعراض عنهم.

وأفاد الأستاذ أن من سُدّت بصيرته بالغفلة والغيبة لم يزده إدراك البصر إلا حجبة على حجبة ومن لم ينظر إلى الله بالله ولم يسمع من الله بالله فقصاراه العمى والصم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: الآية 46]، وقد قال عليه السلام فيما أخبر عن الله: «فبي يسمع وبي يبصر»(1). وأنشد قائلهم:

تأمل بعين الحق إن كنت ناظراً إلى منظر منه إليه يعود(2)

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [الآية 44] بسبب سمعهم وبصرهم وعقيدتهم ﴿وَلَٰكِنَّ النَّاسَ﴾ [الآية 44] وقرأ حمزة والكسائي بالتخفيف والرفع ﴿أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الآية 44] بإفساد حواسهم وتفويت منافعهم وفيه دلالة على أن العبد ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت الجبرية.

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه نفى عن ذاته ما يستحيل تقديره في نعته، وكيف يوصف بالظلم وكما يتوهم أن لو فعله لكان له ذلك إذ الحق حقه والملك

(1) أورده ابن كثير في تفسيره (4/ 590).
(2) نسب إلى غلام تحدّث إليه أبو الحسين النوري فأنشد هذا الشعر. انظر طبقات الصوفية (1/ 58)، وحلية الأولياء (10/ 254)، والوافي بالوفيات (1/ 119)، وتاريخ بغداد (5/ 133).

ملكه ومن لا يصح تقدير فتح فعل منه أنى يوصف بالظلم جوازاً أو وجوداً.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ [الآية 45] وقرأ حفص بالياء ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ [الآية 45] أي جميعهم مشبهين بمن لم يلبثوا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 45] يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لطول هول ما يشاهدونه في العقبى ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 45] أي أول ما حشروا ثم يتقطع التعارف لشدة الأمر عليهم حين نشروا.

وأفاد الأستاذ أن الأيام والشهور والأعوام والدهور بعد مضيها في حكم اللحظة لمن تفكر فيها، ومتى يكون لها أثر بعد تقضيها، والآتي من الوقت قريب فكأنه مر، والماضي من الدهر كأن لم يعهد.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 45]/ أي بالبعث والجزاء ﴿وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [الآية 45] إلى طريق الأولياء في تصديق الأنبياء ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ﴾ [الآية 46] بنصرتك ﴿بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ [الآية 46] أي من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الآية 46] قبل أن نريد فنري أصحابك في الدنيا ﴿فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ [الآية 46] في الدنيا والأخرى فنريكه في العقبى فهو جواب لهما، وقيل هو جواب نتوفينك وجواب نريك محذوف أي فذاك وأو للتنويع أو التخيير ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 46] أي مطلع على أفعالهم ومجازاتهم بحسب أحوالهم. 14/ب

وقال الأستاذ: معناه أن خبره صدق ووعده ووعيده حق وبعد النشر حشر وفي ذلك الوقت مطالبة وحساب ثم على الأعمال ثواب وعقاب وما أسرع ما يكون المعلوم مشاهداً موجوداً.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ [الآية 47] أي جماعة من الأمم الماضية ﴿رَّسُولٌ﴾ [الآية 47] يبعث إليهم ليدعوهم إلى ما يعود نفعه عليهم ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ﴾ [الآية 47] بالبينات فكذّبه أكثرهم ﴿قُضِىَ بَيْنَهُم﴾ [الآية 47] أي الرسل ومكذبيهم ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية 47] بالعدل فأنجي الرسول والمؤمنون وأهلك المكذبون ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 47].

وأفاد الأستاذ أنه سبحانه لم يخل زماناً من شرع ولم يخل شرعاً من

حكم ولم يخل حكماً مما يتعقبه من ثواب وعقاب.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ [الآية 48] استبعاداً له واستهزاءاً به ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 48] خطاب منهم للنبي والمؤمنين أو لمجموع المرسلين.

وأفاد الأستاذ أن الاستعجال بهجوم الموعود من أمارات أصحاب التكذيب وأما أهل التصديق والتحقيق فليس لهم واردٌ يَرِدُ عليهم استقباله قبل وروده ولا استعجال على حين كونه ووجوده ولا إذا أورد استعمال لما تضمنه من حكمه فهم مطروحون في أسر حكمه لهم لا يتحرك عرق عنهم باختيارهم.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [الآية 49] أي دفع ضر ولا جلب نفع ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الآية 49] أن أملكه منهما ومن غيرهما أو ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لا محالة.

وأفاد الأستاذ أن الملوك متى يكون لهم ملكه وإذا كان سيد البرايا لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً فمن نزلت رتبته وفقرت حالته متى يملك أمره أو يكون باختياره نسمة ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ [الآية 49] مضروب/ لهلاكهم ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ [الآية 49] أي قارب وقت إهلاكهم ﴿فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الآية 49] أي لا يتأخرون ولا يتقدمون لمحة، وإذا تحقق انتهاء زمان من هو هالك فلا يستأخرون ساعة هنالك ولا يستقدمون. قيل: ولكن كذلك أو كما لا يتصور وجود تقدمهم بعد تحقق مجيء أجلهم بالفعل لا يتصور وقوع تأخرهم بالفعل والمعنى أنكم لا تستعجلوا إهلاككم فإنه سيجيء وقتكم وينجز وعدكم.

15/أ

﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ [الآية 50] الذي تستعجلونه ﴿بَيَٰتًا﴾ [الآية 50] وقت بيتوتة واشتغال بنوم راحة ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ [الآية 24] حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم في غفلة ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [الآية 50] أي أي نوع من العذاب يستعجلونه وكل أنواعه تكرهونه وهو جواب الشرط كقولك: إن أتيتك ماذا تعطيني؟ والجملة متعلقة بأرأيتم فإنه بمعنى أخبروني.

وأفاد الأستاذ أن من عرف كمال القدرة لم يأمن فجأة الأخذ بالشدة ومن

خاف البيان لم يمتلك بالسباق، ويقال من توسد الغفلة اختطفته فجأة العقوبة ومن استوطن مركب الزلة عثر به في وهدة من المحنة.

﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ [الآية 51] أي أبعد وقوعه ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [الآية 51] حين عدم نفعه ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ [الآية 51] أي قيل لهم في تلك الحالة في هذا الزمان آمنتم به ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الآية 51] قبل مجيئه، وقرأ نافع الآن بالقصر.

وقال الأستاذ: لا حجة بعد إزاحة العلة ولا عذر بعد وضوح الحجة. ويقال بعد انهتاك ستر الغيب لا يقبل تضرُّع المعاذير في الغيب.

﴿ثُمَّ قِيلَ﴾ [الآية 52] عطف على قيل المقدر ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية 52] بالكفر والآثام ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ [الآية 52] أي الإيلام والآثام على الدوام ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الآية 52] في الليالي والأيام فإن الدنيا مزرعة الغني.

وقال الأستاذ: لا تكلف نفس إلا تجرُّع ما سقت ولا تحصد إلا سنابل ما زرَعت.

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ [الآية 53] يستخبرونك أحق ما تقول من الوعيد وحق مبتدأ والضمير مرتفع به سادسه خبره ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ﴾ [الآية 53] أي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [الآية 53] أي أن العذاب لكائن ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الآية 53] فايتين العذاب الواقع.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ [الآية 54] على نفسها أو غيرها، والمعنى لو ثبت لنفس عصت/ بربّها ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 54] من أموالها وخزائنها 15/ب ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ﴾ [الآية 54] أي لجعلته فدية من العذاب بخلاصها.

وقال الأستاذ: لا يقبل منهم عدل ولا صرف ولا يحصل فيما سبق لهم من الوعيد خلف ولا ندامة تنفعهم وإن صدقوها ولا كرامة تنالهم وإن طلبوها ولا ظلم يجري عليهم ولا حيف كلا بل هو الله العدل في قضائه العزّ في علائه بنعت كبريائه ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾ [الآية 54] أي أخفوها لأنهم بهتوا بما

عاينوا فلم يقدروا أن ينطقوا، وقيل أظهروها، وقيل أخلصوها ﴿لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [الآية 54] أي بالعدل أو بحسب الفعل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الآية 54] ولا تكرار، فإن الأول قضى بين المرسلين والمكذبين والثاني حكم بين الظالمين والمظلومين وتشير إليهم دلالة الظلم عليهم.

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 55] تقرير للقدرة على المثوبة والعقوبة ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] أي ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف في هذا الباب ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 55] أمور العقبى لقصور نظرهم على ظاهر الدنيا، قيل المعنيون من رجع إلى غير ربه في سؤاله لأن الكل له فمن طلب بعضها من غيره فقد أخطأ في طريقه ﴿أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الآية 55] أي يحرم سائل غيره ويبعد عليه وجه طلبه ولا يخيب مقصود سائله ويبلغه إلى قضي مسائله ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ أن الحادثات بأسرها معه ملكاً وبه ظهوراً وملكاً ومنه ابتداء وإليه انتهاء فقوله حق ووعده صدق وأمره حتم وقضاؤه جزم وهو عَلِيٌّ وعلى حالنا قويّ.

﴿هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [الآية 56] في الدنيا فهو قادر عليها في العقبى لأن القادر لذاته لا تزال قدرته ولا تحول قوته والمادة القابلة للحياة والممات قابلة لهما في جميع الأوقات ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 56] في جميع الحالات. وقال بعضهم: هو يحيي القلوب بإماتة النفوس بحياة النفوس، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: يحيي القلوب بأنوار المشاهدة ويميت النفوس بأنواع المجاهدة فنفوس العابدين أتلفها فنون المجاهدات وقلوب العارفين سرّ منها عيون المشاهدات. ويقال: يحيي/ مَن أقبل عليه ويُميت مَن غفل عنه ولم يمل إليه. 16/أ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الآية 57] أي جاءكم كتاب ناصح جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الأعمال وجمائح الأحوال المرغبة وفي مستحسناتها والمنفرة عن

مستقبحاتها وحاوٍ نافع للحكمة العلية التي هي شفاء لما في الصدور من سوء العقائد وأخلاق الشرور وهداية للمتقين إلى الحق واليقين ورحمة شاملة لأنواع نعمة المؤمنين والتنكير فيها لتعظيمها.

وقال ابن عطاء: الموعظة للنفوس والشفاء للقلوب والهدي للأسرار والرحمة لمن هذه صفته من الأبرار، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الموعظة للكافة أجمعين لكنها لا تتجمع في قوم تمتنع في آخرين فمن أصغى ليسمع سره اتضح نور التحقيق في صدره ومن استمع إليه بنعت غيبته ما اتصف إلا بدوام حجبته. ويقال الموعظة لأرباب الغيبة ليتوبوا والشفاء لأصحاب الحضور ليطيبوا، ويقال: الموعظة للعوام والشفاء للخواص والهدى لخاص الخاص والرحمة لجميعهم، وبرحمته وصلوا إلى جميع ذلك. ويقال: شفاء كل أحد على حسب ذاته، فشفاء المذنبين بوجود الرحمة، وشفاء المطيعين بوجود النعمة، وشهود العارفين بوجود القربة، وشفاء الواجدين بوجود الحقيقة. ويقال: شفاء العاصين بوجود النجاة، وشفاء المطيعين بوجود الدرجات، وشفاء العارفين بالقرب والمناجات.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ [الآية 58] بإعطاء الإيمان ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ [الآية 58] بإيجاد القرآن فافرحوا ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ [الآية 58] أي لا بغيره ﴿فَلْيَفْرَحُوا﴾ [الآية 58] وفائدة التكرير التأكيد والبيان بعد الإجماع للتأبيد مع ما فيه من عموم الحكم للخاطئين والغائبين على ما أخبرناه من التقدير المفيد للتقييد. وعن يعقوب من القرّاء العشرة: فلتفرحوا بالخطاب على الأصل المتروك في هذا الباب، وقد روي مرفوعاً ويؤيده أنه قرىء فافرحوا وهما يقويان ما قدرنا على نهج ما قررنا.

وأفاد الأستاذ: أن الفضل هو الإحسان الذي ليس بواجب على فاعله والرحمة إرادة النعمة. وقيل هي النعمة أي بمعنى الإنعام، فعلى الأول هي من صفات الذات، وعلى الثاني من صفات الأفعال، والإحسان/ على أقسام، 16/ب وكذلك النعمة ونعم الله أكثر من أن تحصى. ويقال: فضل الله ما أكرمهم به من أجر الطاعات ورحمته ما عصمهم من ارتكاب الزلات. ويقال: فضل الله دوام

التوفيق ورحمته تمام التحقيق. ويقال: فضل الله ما يخص به أهل الطاعات من صنوف إحسانه ورحمته ما يخص به أهل الزلات من وجوه غفرانه. ويقال: فضل الله الرؤية ورحمته إبقاؤه في تلك الحالة. ويقال: فضل الله المعرفة في البداية ورحمته المغفرة في النهاية. وقوله: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [الآية 58] أي بما أهلكم له لا بما تتكلفون من حركاتكم وسكناتكم وتصلون إليه بنوع من تكلفكم ﴿هُوَ﴾ [الآية 58] أي ذلك الفضل والرحمة العليا ﴿خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الآية 58] من حطام الدنيا وأمثالها، فإن مآلها إلى زوال. وقرأ ابن عامر بالخطاب أي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما يجمعون أيها المخاطبون.

وقال الأستاذ: أي مما يتصفون به من الأحوال الزاكية الباقية مما تجمعون من الأموال الوافية الفانية، ويقال الذي تكرمته فهو سابق النعمة خير لك مما تكلفته من صنوف الخدمة.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ﴾ [الآية 59] جعل الرزق منزلاً لكونه بأسباب من السماء مقدراً ومحصلاً ﴿فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ [الآية 59] أي بعضه حراماً عليكم أو على بعضكم وبعضه حلالاً لكم من عندكم لقولكم: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ [الآية 59] أي في ذلكم فيحمله تقولون ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [الآية 59].

﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [الآية 60] أي بغير ظنهم ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 60] بزعمهم أيحسبون أن لا يجازوا بذنبهم وفي إتمام الوعيد تهديد شديد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 60] حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بالرسل والكتب إلى طريق الفضل.

وقال الأستاذ: إن الله لذو فضل على الناس في إهمال من أجرم والعصمة لمن لم يجرم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 60] بل هم بنعمة ربهم يكفرون.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ [الآية 61] أي في أمر من الأمور مما يظهر شأنه أو يستر في الصدور ﴿وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ﴾ [الآية 61] / أي من عند الله أو من أجله ﴿مِن 17/أ

قُرْءَانٍ﴾ [الآية 61] متعلق بنتلو، أي بعض قراءة ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الآية 61] تعميم للأعمال والخطاب بعد تخصيص الحكم بالرسول والكتاب ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [الآية 61] مطلعين مراقبين مع الكرام الكاتبين ﴿إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [الآية 61] أي تدخلون فيه وتخرجون منه.

قال شقيق: على العبد أن يلزم قلبه دوام نظر الله عزَّ وجلَّ إليه وقربه منه وقدرته عليه لقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [الآية 61].

وقال بعضهم: من شهد شهود الحق إياه قطعه ذلك عن مشاهدة ما سواه، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: خوّفهم بما عرَّفهم من اطلاعه عليهم في جميع أحوالهم ورؤيته ما يسلفونه من فنون أعمالهم والعلم بأنه يراهم يوجب استحياءهم، وهذه حال المراقبة لهم، فالعبد إذا علم أنه يراه مولاه يستحي منه ويترك متابعة هواه ولا يحوم حول ما نهاه. وأنشدوا في معناه:

كأنّ رقيباً منك حال بهجتي إذا رمت تسهيلاً عليَّ تصعبا[1]

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ﴾ [الآية 61] وقرأ الكسائي بكسر الزاي أي لا يبعد عن علمه ولا يغيب عن حكمه ﴿مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [الآية 61] أي بعض موازن نملة أو هباء صغيرة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 61] أي في السفليات والعلويات الشاملة بجميع الموجودات والممكنات، وقدمت الأرض لأن الكلام في أهلها أو المقصود منه البرهان على إحاطة علمه بها ﴿وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 61] كلام برأسه مقرر لما قبله، ولا نافية، وأصغر اسمها، وفي كتاب خبرها.

وقرأ حمزة برفعهما على الابتداء وجوّز عطفه على لفظ ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الآية 61] وفتح بدل الكسرة لامتناع الصرف وعلى محله مع الجار لما قرأ به

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 185، 247).

رفعه وجعل الاستثناء منقطعاً. والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ أو علم الله المسمى بأمّ الكتاب والأول أوْلى لأنه يفهم منه الثاني بالأحرى بل علم من القضية الأولى ولما فيه/ من الإشارة إلى أن جميع الأمور الحادثة قد دخلت تحت أحكام الكتابة فجف القلم والله سبحانه أعلم. 17/ب

وأفاد الأستاذ: أنه كيف يخفى ذلك عليه أو يتقاصر عنه علمه وهو منشئه وموجده وببعض أحكامه الجائزة مخصصة، وإنما قال: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 61] ردهم إلى كتابه ذلك عليهم لعدم اكتفائهم في الامتناع عما نهوا عنه برؤيته وعلمه بما لديهم.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 62] الذين يتولون بالطاعة أو يتولاهم بالكرامة، ولا يخفى ما بينهما من الملازمة ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 62] من لحوق كراهة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الآية 62] بملامة وندامة ولا خوف عليهم من لحوق عقاب وعتاب ولا هم يحزنون من فوات ثواب. والآية كالجملة يفسرها ما بعدها ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الآية 63] أو بيان لتوليهم من الله أو توليهم إياه، والمعنى الذين آمنوا بترك الشرك الجلي وكانوا يتقُّون الشرك الخفي.

وأفاد الأستاذ: إن المولى على وزن فعيل مبالغة من الفاعل وهو من توالت طاعاته من غير أن يتخللها عصيان، ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول كجريح وقتيل بمعنى مجروح ومقتول فيكون الولي من يتوالى عليه إحسان الله وإفضاله أو يكون بمعنى كونه محفوظاً من المعاصي في عامة أحواله، فكما أن النبي لا يكون إلا معصوماً فالولي لا يكون إلا محفوظاً، والفرق أن المعصوم لا يلم البتة بالسيئات والمحفوظ قد يحصل منه هنات وقد يكون له في الندرة زلات ولكن لا يكون له إصرار عليها وثبات فأولئك يتوبون من قريب ويبدِّل الله سيئاتهم حسنات فلا خوف عليهم في الآخرة ولا هم يحزنون في العاقبة وهو أحسن مما قيل في الآية إلا أن الأولى أن يقال في الخواص منهم مَن ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [الآية 62] لا في الحال ولا في المآل لأن حقيقة الخوف توقع محذور يصيب في المستقبل أو ترقُّب محبوب يزول في

المستأنف فإنهم في حكم الوقت ليس لهم يطلع إلا الاستقبال، والحزن هو أن يناله حزونة في الحال وهم في روح الرضا بكل ما يجري عليهم من الأحوال ولا يكون وليّاً إلا كان موفقاً لجميع ما يلزمه من الطاعات محفوظاً بكل وجه عن جميع الزلات، وكل خصلة حميدة يمكن أن يعبر بها فيقال: هي صفة الأولياء. ويقال: الولي/ لا يقصر في حق الحق ولا يؤخر القيام بحق الخلق، يطيع لا لخوف عقاب ولا لنفع ثواب ولا على ملاحظة حسن مآب أو تطلُّع لعاجل اقتراب ويقضي لكل أحد حقاً يراه واجباً ولا يقتضي من أحد حقاً له لازماً، ولا ينتقم ولا ينتصف ولا يشمت ولا يحقد ولا يقلد أحداً منه ولا يرى لنفسه ولا لما يعمله وعلمه قدراً ولا قيمة، الذين آمنوا في الحال وكانوا يتقون الشرك في المآل، ويقال: لو آمنوا بقلوبهم من حيث المعارف واستقاموا بنفوسهم في أداء الوظائف. ويقال: آمنوا بتلقي التصريف واتقوا بالتوقي عن المحرمات بالتكليف. 18/أ

﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 64] وهو ما بشَّر الله به المتقين في كتابه على لسان نبيِّه وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفة ويلمح لهم من المشاهدة وما يبشرون به عند النزع على لسان الملائكة كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فُصّلَت:الآية 30] أي هم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة في دار المقامة. وقيل: هذه الآية بيان لقولهم من قبل الله وما قبلها برهان لتوليهم إياه. قيل: وفي الأخرى تصديق تلك البشرى.

وأفاد الأستاذ: أن الأمر يدل على الصحة فإذا قاموا بما أُمروا به واستقاموا بما أخبروا بشرتهم الشريعة بالخروج عن عهدة الإلزام وبشّرتهم الحقيقة باستيجاب الإكرام بما كوشفوا به من الإعلام، وهذه البشرى في عاجلهم وأما البشرى في آجلهم فالحق سبحانه يتولى ذلك التفريق والبيان بقولهم: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ﴾ [التّوبَة:الآية 21]. ويقال: البشارة العظمى ما يجدونه في قلوبهم من ظفرهم بنفوسهم بسقوط مآربهم وأي تلك أتم هي البشرى الكبرى. ويقال: الفرق بين هذه البشارة التي لهم وبين البشارة التي لغيرهم أن التي لهم نقد تحصيل وأن التي لغيرهم وعد جميل. ﴿لَا تَبۡدِيلَ

لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 64] لا تغيير لأحكامه ولا خلف لمواعيده ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 64] إشارة إلى كونهم في الدارين من أهل البشارة ﴿هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الآية 64] فإنه الظفر بالنعيم المقيم ولا يحزنك قولهم/ أي في جنابنا أو فيك أو في كتابنا أو إشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم. 18/ب

﴿إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ﴾ [الآية 65] استئناف فيه معنى التعليل. والقراءة الشاذة بالفتح كالدليل كأنه قيل: لا تحزن بقولهم ولا تبالِ بفعلهم ولا تهتم لأمرهم لأن الغلبة لله جميعاً فهو يغلبك عليهم ويعليك لديهم ﴿هُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ [الآية 65] لأقوالهم ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 65] بأعمالهم وأحوالهم.

وأفاد الأستاذ: أن العبد ما دام متفرقاً يضيق صدره ويستوحش قلبه بما يسمع ويشاهد من الأغيار بما يتقدس عنه صفة الجبار فإذا صار عارفاً فإن زالت عنه تلك الصفة لتحققه بأن الحق سبحانه وراء كل طاعة وذلّة فثناء المثنين وتسبيحهم لا يوجب في وصفه زيناً، ومقالات الكفار في نعته لا توجب شيئاً فلا له من هذا استيحاش ولا بذلك استئناس. ثم يتحقق للعارف بأن المجري لطاعة أرباب الوفاق الله والمنشىء لأحوال أصحاب الشقاق الله فكما لا يبالي الحق بوجود ما يجري لا يبالي العبد بشهود ما يجري كما قيل:

بنو حق غدوا بالحق صدقاً ونعت الحق فيهم مستعار[1]

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ﴾ [الآية 66] خلقاً وملكاً ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ [الآية 66] من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين وإذا كان هؤلاء الذين هم أشراف الممكنات في رتبة العبودية ولا يصلح أحد منهم للربوبية فما لا يعقل من الموجودات أولاً بأن لا يكون سبحانه شركة في مراتب الكمالات فهو كالتوطينة المتضمنة للحجة على قوله: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ﴾ [الآية 66] على النعت الحقيقي وإن كانوا يسمونها شركاء بالوصف المجازي كما يدل عليه قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُمَر:الآية 3]، ويقولون:

---

(1) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 251).

﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 18] سبحانه وتعالى.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الآية 67] ما يتبعون اليقين وإنما يتبعون الظن في الدين، وقد سبق أن الظّنّ لا يغني من الحق شيئاً وأما قول من قال إنما يتبعون ظنهم إنها شركٌ فبعيد لأنه يبعد هذا الظن من العقلاء ولو كانوا جهلاء. ولما تقدم عنهم من أنهم شفعاء.

قال الأستاذ: ﴿لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ [الآية 66] ملكاً جزماً ويبدي/ عليهم ما يريد حكماً حتماً فلا لقبوله علّة ولا لموجب ردّه زلّة، 19/أ كلا إنما أحكام سابقة لم يوجبها أجرام لاحقة ولا طاعات ولا عبادات صادقة ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية 67] أي مسكناً ومقرّاً ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ﴾ [الآية 67] أي لتبصروا فيه تنبيهاً على جلال قدرته وتنويهاً على كمال نعمته. قال بعضهم: جعل الليل سكوناً لتسكنوا فيه إلى المناجاة والخلوة والنهار مبصراً لتبصروا فيه عجائب القدرة ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الآية 67] سماع التدبير والعبرة.

وأفاد الأستاذ: أن الليل لأهل الغفلة بعد وغيبة ولأهل الندم توبة وأوبة وللمحبين زلفة وقربة، فالليل هو لصورته غير ما مؤنس لكنه وقت القربة لأهل الوصلة كما قيل شعر:

وكم لظلام الليل عندي من يد   تخبر أنّ المانوية[1] تكذب[2]

﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾ [الآية 68] أي تبناه ﴿سُبْحَٰنَهُۥۖ﴾ [الآية 68] أنزّهه أو نزِّهوه عن التبني فإنه لا يتصور إلا ممن يصح أن يكون له الولد وهو في مرتبة التمني.

وأفاد الأستاذ: أنه لا يجوز له التبني لتفرُّده وأنه لا شبيه له في وصفه

(1) قوم من المجوس ينتسبون إلى رجل اسمه ماني وهم يقولون: إنَّ النور مطبوع على الخير والصلاح والظلمة مطبوعة على الشر والفساد. انظر معجز أحمد (1/ 391).

(2) هذا البيت لأبي الطيب. انظر كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام (2/ 520)، والكشكول (1/ 302).

﴿هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ﴾ [الآية 68] الجملة لتنزّهه كالعلة وإن اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الآية 68] تقدير لمعناه أو تحرير لعِتقي كون المملوك ولداً لمولاه ﴿إِنۡ عِندَكُم﴾ [الآية 68] ما عندكم ﴿مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ﴾ [الآية 68] أي برهان بمبدأ البيان فثبت أن قولكم من البطلان الناشىء من قبل الشيطان ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:الآية 28] توبيخ على اختلافهم وتقريع على جهلهم في شقاقهم.

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ﴾ [الآية 69] باتخاذ الولد وإضافة الشرك ونحو ذلك ﴿لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [الآية 69] لا ينجون من الحرقة والفرقة ولا يفوزون بالجنة والتوبة ﴿مَتَٰعٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ [الآية 70] أي لهم تمتع في الحياة الدنية الفانية ﴿ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ﴾ [الآية 70] أي بالموت والبعث والحشر والنشر فيلقون العقوبة القائمة البائنة ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلۡعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ﴾ [الآية 70] بإيقاع الحجاب الأكيد ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [الأنعام:الآية 70] بسبب كفرهم وترك شكهم الناشىء عن عدم فكرهم.

19/ب وأفاد الأستاذ: إن ما فيها من الاستمتاع إنما هي أيام قليلة ثم يتبعها/ آلام طويلة فلا قدم لهم بعد ذلك ترفع ولا ندم بهم ينفع.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [الآية 71] أو خبر أمره مع قومه ﴿إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ﴾ [الآية 71] أي شق وعظم ﴿عَلَيۡكُم مَّقَامِي﴾ [الآية 71] أي قيامي على الدعوة أو إقامتي بينكم طول المدة ﴿وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 71] للنصيحة والموعظة ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ﴾ [الآية 71] أي اعتمدت فيها بتوبتي من المعصية ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ﴾ [الآية 71] أي فاعزموا ﴿أَمۡرَكُمۡ﴾ [الآية 71] بالمكيدة ﴿وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾ [الآية 71] أي معهم، ويؤيده قراءة يعقوب بالرفع عطفاً على الضمير المتصل، وجاز من غير المؤكد بالمتصل لوجود الفصل أو منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم، وقد قرأه يعقوب أيضاً في رواية رويس، وفي قراءة: فاجمعوا من الجمع، وفي قراءة شاذة، والمعنى أنه أمرهم بالعزم أو الاجتماع على قصده والسعي في إهلاكه على أي وجه يمكنهم نفيه بالله وقلة مبالاة بهم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ﴾

[الآية 71] حالكم في قصدي ﴿عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [الآية 71] مستوراً ومكسوفاً بل أحيلوه ظاهراً مكشوفاً ﴿ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ﴾ [الآية 71] أدوا ﴿إِلَيَّ﴾ [الآية 71] وامضوا على ذلك الأمر الذي يريدونه بي ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الآية 71] ولا تمهلون ولا تأخروا أمري.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أنزل هذه الآيةعلى وجه التسلية لنبيه عليه السلام والتحية لما كان يصيبه من قومه من مقاساة الشدة فإن أيام نوح في المحنة وإن طالت فما لبثت كثيراً إلا وقد زالت كما قيل:

وأحسن شيء من النوائب أنها إذا هي نابت لم تكن خلدا[1]

ثم بيَّن أنه بتوكله على ربه [مهما فعلوا] صَبَر ولم يحتشم عبد عندما وثق بربه من كل ما به نزل، ثم إن نوحاً عليه السلام قال: إني توكلت على الله، وهذا عين التفرقة. وقال لنبينا ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾ [الأنفال:الآية 64] وهذا عين الجمع فبانت المزية وظهرت الخصوصية.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ [الآية 72] أعرضتم عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ [الآية 72] يوجب لكم الإعراض أو يجب عليَّ الاعتراض بالحمل على تهمة الإعراض ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 72] إذ لا تعلُّق لي بما سواه ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الآية 72] أي المخلصين في طلب رضاه أو من المنقادين لحكمه لا أخالف في أمره/ ولا أرجو من غيره. 20/أ

وأفاد الأستاذ: أن من كان عمله لله لم يطلب الأجر عليه من غير الله وهكذا جرت سنَّته في جميع أولياء الله.

﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ [الآية 73] أي فأصروا على تكذيبه ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ﴾ [الآية 73] من الغرق ومن تلك الفرق ﴿وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ﴾ [الآية 73] ونجيناهم وكانوا ثمانين ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ﴾ [الآية 73] من الهالكين ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [الآية 73] بسبب الطوفان ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الآية 73] المخوفين عن

(1) لم ينسب لأحد وقد ذكره القشيري في تفسيره (3/ 255).

الكفران بالنيران.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أغرق قومه بأمواج القطرة وفي الحقيقة أغرقهم بأمواج القدرة وحفظ نوحاً وقومه في السفينة وفي الحقيقة نجاهم في سفينة السلامة، كان نوحٌ في سابق حكمه من المحروسين وكان قومه في قديم قضائه من المغرقين فجرت به الأحوال على ما جرت به القسمة في الأزل.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [الآية 74] أي أرسلنا من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ﴾ [الآية 74] كل رسول إلى قومه ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الآية 74] بالمعجزات الواضحة المبينة له صحيح الدعوة ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟﴾ [الآية 74] فما استقام لهم أن يؤمنوا ﴿بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 74] بسبب تفردهم تكذيب الحق قبل بعثة الرسل إلى طريق الصدق.

وقال الأستاذ: جروا في التكذيب على منهاجهم في خلافهم فأجرى سنَّته من غير تحويل في إتلافهم ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الآية 74] لانهماكهم في الضلالة وإهمالهم أمر الدين، وفي أمثال هذه الآية دلالة لامعة على أن الأفعال بقدرة الله واقفة وأن للعبد فيها بحسب الكسب نسبة جامعة.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾ [الآية 75] أي من بعد هؤلاء الرسل ﴿مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 75] بالآيات التسع ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الآية 75] أي للإجرام معتادين فلذلك تهاونوا في أمر الدين وصاروا من المعتدين.

وقال الأستاذ: قص عليه ﷺ نبأ الأولين وشرح له جميع أحوال الغابرين ثم فضله على كافتهم أجمعين فكانوا نجوماً وهو البدر وكانوا أنهاراً وهو البحر ثم به انتظم عقدهم وبنوره أشرق نهارهم وبظهوره ختم عدوهم كما قيل، شعر:

20/ب /يومك وجه الدهر من أجله حسنَّ غد والتفت الأمس[1]

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 258) و(6/ 349) من دون نسبه لأحد وقد ورد في نفس القافية مع اختلاف في صدر البيت.

=

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا﴾ [الآية 76] وتبين لهم الباطل بإظهارنا ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 76] أي واضح في هذا الأمر أو ظاهر أنه من نوع السحر.

﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ﴾ [الآية 77] إنه لسحر فحذف المكي للقول لدلالة ما قبله عليه أو إشارة من بعده إليه ﴿أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ﴾ [الآية 77] من تمام كلام موسى عليه السلام للدلالة على أنه ليس بسحر فإنه لو كان سحر لامتحق سريعاً ولم يبطل سحر السحرة جميعاً.

وقال الأستاذ: ما زادهم الحق بياناً إلا ازدادوا طغياناً وكذلك تعالى أجرى سنَّته في المردودين عن معرفته إنه لا يزيد في الحج هذا إلا ويزيد في قلوبهم عمي، ثم خفي عليهم مقصود النبيين صلوات الله عليهم أجمعين فقالوا: ﴿أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [الشعراء: 35] فنظروا من حيث كانوا ولم يعرفوا طيباً غير ما ذاقوا صفة من قصته السابقة وردته المشيئة.

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ [الآية 78] لتصرفنا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا﴾ [الآية 78] من عبادة الآلهة ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 78] أي الملك والرياسة فيها، وسمي بها لاتفاق الملوك بالكبر والتكبُّر على أتباعهم وأرباب أطماعهم ﴿وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 78] أي فلسنا فيما جئتنا به مصدقين.

وأفاد الأستاذ: أنهم ركنوا إلى التقليد فيما دانوا واستحبوا استدامة ما عليه كانوا فلحقهم شؤم العقيدة وسوء الطريقة حتى توهموا أن الأنبياء عليهم السلام إنما دعوهم إلى الله ليكون لهم الكبرياء على عبادة الله ولم يعلموا أنهم إنما دعوهم إلى الله لله بأمر الله.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [الآية 79] وقرأ حمزة: بكل سحار عليم بالغ في علمه حاذق في بثه.

وأفاد الأستاذ: أن فرعون لما استغاث في استدفاع ما استقبله بغير الله لم

=
ذلك تحرس الدهر من أجله   حنّ غدٌ والنفس أمس

انظر التذكرة الحمدونية (١/ ٤٧٤).

يلبث إلا يسيراً حتى تبرأ عنهم، وبقوله: لأفعلن ولأصنعن وتوعدهم وكذا قصارى كل محبة وولاية في غير الله فإنما تؤول إلى العداوة والبغضة. قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:الآية 67].

﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ﴾ [الآية 80] أي لا نبالي / بسحركم وإنَّا على ربّنا متوكلون. 21/أ

وأفاد الأستاذ: أنه عليه السلام أمرهم أمراً إظهاراً لبطلانهم ليدخل الحق ما أتوا به من التمويه في شأنهم لنظر سلطانهم ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ﴾ [الآية 81] أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سمى فرعون وقومه سحراً. وقرأ أبو عمرو: والسحر بهمزة استفهام ممدودة على ما استفهامية مرفوعة بالابتدائية وجئتم خبر والسحر بدل مما ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ﴾ [الآية 81] سيمحقه ويمحو شأنه ويظهر بطلانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الآية 81] أي لا يبينه صيانة لأمر الدين، وفيه دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة فيه.

وقال الأستاذ: لما التقم عصا موسى عليه السلام جمع ما جاؤوا به من حبالهم وعصيهم علموا أنه أبطل تلك الأعيان وأفناها عن دائرة المكان.

﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ﴾ [الآية 82] أي يبينه ﴿بِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الآية 82] أي بإجراء أمره في قضائه ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [الآية 82] كلياته وجزئياته.

وأفاد الأستاذ: أن من جملة ما أحقه إيمان السحرة وكان عندهم أنهم لفرعون ينصرون وبحياته كانوا يقسمون حيث قالوا لفرعون: ﴿إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء:الآية 44]، وقال سبحانه: بعزّتي إنكم لمغلوبون[1]، فكان على ما قال الله تعالى دون ما قالوا. وفي معناه أنشدوا:

كم رمتني بأسهم صائبات فتعمدتها بسهم فطاشا[2]

﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ﴾ [الآية 83] في مبدأ أمره ﴿إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ﴾ [الآية 83]

(1) انفرد به القشيري في تفسيره (3/ 263).
(2) أورده القشيري في تفسيره (2/ 417) و(3/ 263).

إلا طائفة من أولاد بني إسرائيل دعاهم فلم يظهروا الإجابة من المخافة، أو إلا طائفة من أهل الفتوة وأرباب الفطنة وأصحاب الفطرة فإنهم آمنوا ﴿عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ﴾ [الآية 83] أي مع خوف منه من إشراف عسكرهم والإضافة لأدنى الملابسة ﴿أَن يَفْتِنَهُمْ﴾ [الآية 83] أي يعذبهم فرعون والاكتفاء بضميره للإيمان أن الخوف من الملأ ما كان إلا بسببه ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 83] لمتكبِّر جبَّار أو غالب قهَّار ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الآية 83] في الكبر والمعصية حتى حملته الجرأة على ادعاء الربوبية واسترقاق أسباط أرباب النبوة.

وأفاد الأستاذ: في صدر الآية إن أهل الحقيقة في كل وقت قليل عددهم ولكنه كثير عند الله خطرهم ومددهم. قلت وقد قال مقالي وقليل ما هم.

وقال موسى لما رأى خوف المؤمنين: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ/ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ [الآية 84] أي إليه التجئوا وعنده فافرحوا ﴿إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [الآية 84] منقادين لأمره ومستسلمين لحكمه ومخلصين في دينه. 21/ب

وقال الأستاذ: إنه سبحانه بيَّن أن الإيمان ليس من حيث الأقوال فرداً بل لا بد فيه من صدق الأحوال قصداً، وحقيقة التوكل توسل ينفذ منه تفضل ثم يعلم أنه بفضله سبحانه نجاته تحصل لا بما يأتي به من التكلف والتحمُّل، هذا هو حقيقة التوكل.

﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [الآية 85] لأنهم كانوا مسلمين فصاروا في دعائهم مقبولين ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ [الآية 85] أي موضع فتنة ومحل محنة ﴿لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 85] والمعنى لا تسلِّطهم علينا فيفتنوننا.

﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الآية 86] من لؤم مكائدهم وشؤم مشاهدتهم.

وقال الأستاذ: تبرأنا مما منا من الحول والمنة وتحققنا بما منك من الطول والمنة فلا تجعلنا عرضاً لسهام أحكامك في عقوبتك وانتقامك وارحمنا بلطفك وإكرامك ونجنا ممن غضبت عليهم فأذللتهم وبِكَيِّ فراقك وسمتهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾ [الآية 87] أي اتخذا ﴿لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ [الآية 87] تسكنون فيها أو ترجعون للعبادة إليها ﴿وَٱجْعَلُواْ﴾ [الآية 87] أنتما وقومكما ﴿بُيُوتَكُمْ﴾ [الآية 87] أي تلك البيوت ﴿قِبْلَةً﴾ أي ذوات قبلة، يعني مواضع صلاة وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة، وكان موسى يصلي إليها ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 87] بالغلبة في الدنيا وبالجنة في العقبى.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ [الآية 88] أي هي لهم بعبادتنا منازل وهي نفوسهم ولمعارفنا محال وهي قلوبهم ولمحبتنا مواضع وهي أرواحهم ولمشاهدتنا معاهد وهي أسرارهم، فنفوس العابدين بيوت الخدمة وقلوب العارفين أوطان الحشمة وأرواح المهيمين مشاهد القربة وأسرار الموحدِّين منازل الهيبة ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً﴾ [الآية 88] ما تزين به من اللباس والمركب ونحوهما من أنواع الجمال ﴿وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 88] أي أصنافاً من الأموال ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ﴾ [الآية 88] دعا عليهم بلفظ الأمر بما علم من ممارسة أحوالهم أنه لا يكون غير/ الضلال في أموالهم. وقرأ الكوفيون بضم الياء فاللام للعاقبة وهي متعلقة بآتيت ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الآية 88] أهلكها بذنوبهم ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الآية 88] أي واقسمها واطبع عليها ﴿فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الآية 88] جواب للدعاء أو دعاء بلفظ التمني. 22/أ

قال مشايخ ما وراء النهر[1]: الرضا بكفر العدو مع استقباح نفس الكفر لا يكون كفراً. قال تعالى حكاية عن موسى: ﴿وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ﴾ [الآية 88]، وإنما الرضا بالكفر مع استحسان الكفر كفر كذا في كشف الكشاف، وبه ينكشف ما أشكل من القول بأن الرضا بالكفر كفر والرضا بالقضاء إيمان، وإن أجيب أيضاً بأن الرضا واجب بالقضاء من حيث إنه مقضي وتعلق به تقدير الحق، والكفر كفر من حيث إنه فعل الخلق وإنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر. ومحل القضية اختلاف الحيثية.

(1) يراد بذلك في الأغلب من بخارى وسمرقند وهم المقابلين لعلماء العراق.

وقال الأستاذ: لما أيس من إيمانهم حين دعاهم إلى الله دعا عليهم بإنزال السخطة وإدامة الفرقة، ومن المعلوم أن الأنبياء من حقهم العصمة فإذا دعا عليهم بمثل هذه لم يكن ذلك إلا بإذن من الله في الحقيقة.

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [الآية 89] يعني موسى وهارون لأنه كان يؤمن حال الدعاء ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ [الآية 89] فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزما الحجة ولا تستعجلا في تحصيل الطلبة فقد روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 89] أي طريق الجهلة في العجلة، وفي رواية لابن ذكوان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين. وفي رواية ضعيفة عنه أيضاً بإسكان التاء وفتح الباء وتثقيل النون.

وأفاد الأستاذ: أن الاستقامة في الدعاء بترك الاستعجال في حصول المقصود ولا يسقط الاستعجال من القلب إلا بوجدان السكينة فيه ولا تكون تلك السكينة إلا بحسن الرضا بجميع ما يبدو من الغيب. ويقال: من شرط الدعاء صدق الافتقار في الابتداء، ثم حسن الانتظار في الانتهاء، وكمال هذا الرضا ومجريات الأقدار فيما يبدو من المسارّ والمضارّ. / ويقال: في الآية إشارة إلى أن للأمور آجالاً معلومة فإذا جاء الوقت فلا تأخير للمقدم في الوقت المعلوم. 22/ ب

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾ [الآية 90] أي وجوزناهم في البحر حتى يلقوا الساحل حافظين لهم، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلِّمكم الكلمات التي تكلَّم بها موسى حين جاوز البحر ببني إسرائيل، فقلنا: بلى يا رسول الله، قال: قولوا اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[1].

قال عبد الله: فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله ﷺ، رواه الطبراني في معجمه الصغير بإسناد جيد.

﴿فَأَتْبَعَهُمْ﴾ [الآية 90] أي فتبعهم ولحقهم ﴿فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا﴾

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 356) رقم (3394)، وفي المعجم الصغير (1/ 221) رقم (339).

[الآية 90] أي للبغي والمجاوزة عن الحد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الآية 90] وقرأ حمزة والكسائي بكسر على أنه استئناف بدل أو تفسير لآمنت أو على إضمار قلت: فتنكب على الإيمان أوان القبول وبالغ فيه حين لا ينفع الوصول.

وقال الأستاذ: حملت العزَّة فرعون على تقحُّم البحر في أثرهم فلما تحقق الهلكة حملته ضرورة الحيلة على الاستفادة فلم ينفعه ذلك الافتقار لفوات وقت الاختيار. ويقال: لما شهد صولة القدرة أفاق من سكرة الغلظة لكن بعد شهود اليأس لا ينفع التخاشع والإلباس.

﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾ [الآية 91] أتؤمن الآن حين آيست من نفسك ولم يبق اختيار لك ﴿وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾ [الآية 91] أي قبل ذلك مدة عمرك ﴿وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [الآية 91] الضالين المضلين، وفيه إيماء إلى أن حال اليأس يقبل أي المرتدين بسبقهم في أمر الدين ولذا قال بعض علمائنا: توبة اليائس مقبولة وأيمان اليائس مردودة ولكن مخالف لظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [النِّساء:الآية 18] الآية.

وقال الأستاذ: أبعد طول الإمهال والإصرار على ذميم الأفعال والركض في ميدان الاغترار وانقضاء وقت الاعتذار هيهات/ لقد استوجبت أن ترد في وجهك إذ لا لعذرك قبول ولا لك إلى ما ترومه وصول. 23/أ

﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ﴾ [الآية 92] ننقذك مما وقع فيه قومك من غرق البحر بأن نجعلك طافياً على وجه النيل ليراك بنو إسرائيل ﴿بِبَدَنِكَ﴾ [الآية 92] أي مقروناً ببدنك عارياً عن زوجك أو لباسك ﴿لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ﴾ [الآية 92] لمن وراءك من بني إسرائيل علامة يحصل لهم اطمئنان وسكينة، أو لن يأتي بعدك من القرون إذا سمعوا حال أمرك ممن شاهدك نكالاً عن الطغيان وموعظة وعبرة أو حجة تدلهم على أن الإنسان على ما يكون عليه من عظم الملك وكبرياء الشأن مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [الآية 92] لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ [الآية 93] منزلاً صالحاً مرضياً وهو الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ [الآية 93] أي المستلذات الحلالات ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟﴾ [الآية 93] في أمر دينهم من الحكومات ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ [الآية 93] أي الأمن بعدما قرأوا التوراة وعلموا أحكامها وعرفوا حلالها وحرامها، أو في أمر محمد عليه السلام إلا بعد ما علموا صدق نبوّته بظهور تفوقه وصفاته ومظاهر معجزاته ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الآية 93] بإنجاء المحقين وإهلاك المبطلين.

وقال الأستاذ: أدلنا لهم الأيام وأكثرنا لديهم الأنعام وأكرمنا لهم المقام وأتحنا لهم فنون الحسنات وأدمنا لهم جميع الخيرات فلما قابلوا النعمة بالكفران وأصروا على البغي والعدوان أذقناهم سوء العذاب وسددنا عليهم أبواب ما فتحت لهم من التكريم والإيجاب وذلك جزاء من حاد عن طريق الوفاق وجنح إلى جانب الشقاق.

﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ﴾ [الآية 94] أي فرضاً وتقديراً ﴿مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية 94] مجملاً وتفصيلاً ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [الآية 94] فإنه محقق عندهم ثابت في كتبهم والمراد تحقيق المقدمة والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وأن القرآن مصدق لما فيه من الأصول المجملة والمقصود نهج الرسول وزيادة تثبيته لإمكان وقوع شك له ولذا قال عليه السلام: «لا أشك ولا أسأل»(1)، وفيه / تنبيه على أن من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع في 23/ب حلها بالرجوع إلى العلماء من أهل اليقين.

وقال الأستاذ: أي فإن تنزلت منزلة أهل الأدب في ترك الملاحظة إلى ما خصصناك به فاسأل من أرسلنا قبلك هل بلغنا أحداً منزلتك وهل خصصنا أحداً بمثل تخصيصك ﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 94] واضحاً لا مدخل فيه للمزية لاشتماله على الآيات القاطعة ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [الآية 94] أي المزلزلين عما ألقيت عليه من الجزم واليقين.

(1) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (6/ 125) رقم (10211).

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] وهذا نظير قوله: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [القصص:الآية 86] والمراد بهما التثبيت على أمر الدين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [الآية 96] بأنهم على الكفر يموتون ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 96] إذ لا ينتقض قضاءه ولا يتغير حكمه.

﴿وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ﴾ [الآية 97] فإن السبب الأصلي لإيمانهم وهو تعلق إرادة الله به منقود في شأنهم ﴿حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الآية 97] وحيثية لا ينفعهم الإيمان إذا خرجوا من مقام البرهان وشاهدوا بالعيان.

وأفاد الأستاذ: إن الأعداء حقت عليهم كلمة العقاب والأولياء حقت لهم كلمة الثواب فالكلمة أزلية والأحكام سابقة والأفعال في المستأنف على ممر الأوقات على موجب القضية لاحقة فالذين نصيبهم من القسمة الشقوة لا يؤمنون وإن شاهدوا كل دلالة وعاينوا كل معجزة.

﴿فَلَوۡلَا﴾ [الآية 98] فهلا ﴿كَانَتۡ قَرۡيَةٌ﴾ [الآية 98] من القرى التي أهلكناها ﴿ءَامَنَتۡ﴾ [الآية 98] قبل معاينة العذاب ولما تأخر الإيمان إليها كما أخر فرعون إلى مشاهدة العقاب ﴿فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ﴾ [الآية 98] بأن يتقبله الله منها ويكشف العذاب عنها ﴿إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ﴾ [الآية 98] أي قوم يونس ﴿لَمَّآ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 98] أول ما رأوا أمارة للعذاب ولم يؤخروا إلى حلول العقاب ﴿كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الآية 98] أي إلى حين انتقالهم إلى العقبى.

روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من الموصل فكذّبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب إلى ثلاث، وقيل إلى أربعين، فلما دنا الموعد غامت السماء غيماً أسوداً ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم/ فهابوا فطلبوا 24/أ يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم وفرقوا بين كل والدة وولدها ليكون أرق لقلوبهم وأخلص للدعاء وأقرب إلى الإجابة فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات وأخلصوا التوبة

وأظهروا الإيمان وتضرعوا إلى الرحمٰن فرحمهم وكشف عنهم وكان عاشوراء يوم الجمعة[1].

وأفاد الأستاذ: أن قوم يونس تداركتهم الرحمة الأزلية بما أجري عليهم توفيق التضرع فكشف عنهم العذاب وصرف عنهم ما أظلّ عليهم من العقوبة بعدما عاينوا من تلك الأبواب فبرحمته وصلوا إلى تضرعه لا بتضرعهم وصلوا إلى رحمته.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ﴾ [الآية 99] بحيث لا ينفرد واحد منهم جميعاً مجتمعين على اليقين غير مختلفين في أمر الدين ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 99] روي أنها نزلت لما كان رسول الله ﷺ حريصاً على إيمان قومه شديد الاهتمام به ولذلك قرره بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 100] أي بإرادته سابقاً وتوفيقه لاحقاً ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 100] الدين ولا الشرع لما على قلوبهم من الطبع. وقرأ أبو بكر: ونجعل بالنون.

وقال الأستاذ: لا يمكن حمل الإذن في هذه الآية إلا على معنى المشيئة لأنه أمر للكافة بالإيمان والذي هو مأمور بالشيء لا يقال إنه غير مأذون فيه ولا يجوز حمل هذه الآية على أن معناها: لا يؤمن أحد إلا إذا ألجأه الحق إلى الإيمان واضطره لأنه لا يوجب إذاً أن لا يكون أحد مؤمناً في العالم بالاختيار وذلك خطأ فدل على أنه أراد به إلا أن يشاء الله أن يؤمن هو طوعاً وبمقتضى هذا أن يريد من أحد أن يؤمن طوعاً ثم لا يؤمن به لأنه يبطل فائدة الآية فصح قول أهل السنَّة: إن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟﴾ [الآية 101] أي تفكروا ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 101] من عجائب صنعته لتدلكم على جلال وحدته وكمال قدرته ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ

(1) انظر تفسير الرازي (8/ 350)، وتفسير النيسابوري (4/ 282)، وتفسير ابن أبي حاتم (8/ 100).

وَٱلنُّذُرُ﴾ [الآية 101] أي ما تنفع ولا تدفع الكتب والرسل ﴿عَن قَوۡمٍ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 101] في علم الله وحكمه، وما نافية أو في موضع النصب استفهامية. قال بعضهم: لا تصل العقول الخالية عن التوفيق إلى سبيل النجاة / الباقية إذ ما يغني ضياء النقل مع ظلمة الخذلان وإنما ينفع أنوار الفقر في التحقيق مَن كان مؤيداً بأسرار التوفيق، ذكره السلمي. 24/ب

وأفاد الأستاذ: أن الأدلة وإن كانت لامعة فما تغني إذا كانت البصائر مسدودة كما أن الشموس وإن كانت طالعة فما تغني إذا كانت الأبصار عن الإدراك بالعمى مزودة كما قيل:

وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته إذ استوت عنده الأنوار والظُّلم[1]

﴿فَهَلۡ يَنتَظِرُونَ﴾ [الآية 102] أي ما ينتظرون ﴿إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ﴾ [الآية 102] أي مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم إذ لا يستحقون إلا مثل ما نزل عليهم ﴿قُلۡ فَٱنتَظِرُوٓاْ﴾ [الآية 102] هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُنتَظِرِينَ﴾ [الآية 102] أي نهلك الأمم المكذبين ثم نخلص المؤمنين المخلصين.

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ [الآية 103] أي وجب وعدنا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 103] أي مثل ذلك الإنجاء ننجي محمداً وصحبه حين نهلك أهل الشرك وحزبه، وحقاً نصب بفعله المقدر، والجملة اعتراض مقدر. وقرأ الكسائي وحفص: ننج تخفيفاً ورسمه بحذف الياء اتفاقاً.

وأفاد الأستاذ: أن حروف الصلاة يقوم بعضها مقام بعض بقوله تعالى: ﴿عَلَيۡنَا﴾ [الآية 103] وسمعنا بمعنى منا والأشياء تجب من الله إذا أخبر أنها لكون كلامه صدقاً ولا يجب عليه شيء لكونه إلٰهاً ملكاً فيجب الشيء من الله لصدقه ولا يجب عليه لعزّه.

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي﴾ [الآية 104] أي من جهة صحبتي

---

(1) أورده القشيري في تفسيره (2/ 284)، 3/ 280)، (5/ 337)، (8/ 70)، والماوردي في الحاوي الكبير (12/ 552).

فلا أشك في بطلان دينكم ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾ [الآية 104] أي يحييكم ويميتكم وخص التوفي بالذكر للنذير في الوعيد ﴿وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 104] بما دل عليه العقل وطائفة النقل، والمعنى إن هذا خلاصة ديني من اعتقادي وعملي وهو أني لا أعبد ما تخلقونه وتعبدونه بل إنما أعبد خالقكم وقابضكم فانظروا بعين الإنصاف واتركوا طريق الاعتساف لتعلموا صحة ديني وبطلان دينكم وتتركوا الخلاف.

وقال الأستاذ: إن كنتم في غطاء الريب فأنا في ضياء الغيب، أنتم في ظلمة الجهل وأنا في شموس الوصل. ويقال: قد تميزنا على مفترق الطريق وأنتم وقعتم في وهدة العوج وأنا ثابت على سواء النهج.

/ ﴿وَأَنۡ أَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ﴾ [الآية 105] أي وأمرت بالاستقامة في الدين بامتثال الأوامر والانتهاء عن الزواجر ﴿حَنِيفٗا﴾ [الآية 105] حال من الدين أو الوجه أو من ضمير أقم ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الآية 105] لا شركاً جلياً ولا خفياً. 25/أ

قال ابن عطاء: صحح معرفتك بالله ولا تكونن من الناظرين إلى ما سواه، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أخلص قصدك للدين وجرد قلبك عن إثبات كل ما لحقه قهر التكوين وكن مائلاً عن الزيغ والبدعة داخلاً في جملة من أخلص على الحقيقة.

﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ﴾ [الآية 106] بنفسه إن دعوته ﴿وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [الآية 106] إن خذلته ﴿فَإِن فَعَلۡتَ﴾ [الآية 106] أي دعوته ﴿فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 106] جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء.

قال شقيق: الظالم من طلب نفعه ممن لا يملك [نفع] نفسه واستدفع الضر مما لا يملك الدفاع عن نفسه ومن عجز عن إقامة حاله كيف يقيم أمر غيره، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: ألا تعبد ما لا ينفعك عبادته ولا يضرك ترك عبادته وتلك صفة كل ما يُعبد من دون الله. واستعانة الخلق بالخلق تحيق الوقت بلا طائل ومَن لا يملك ضرّاً ولا نفعاً لنفسه كيف يستعين به مَن هو في مثل حاله.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية 107] أي يصيبك به ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ [الآية 107] يرفعه إلا هو بفضله ﴿وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ [الآية 107] بنفع من أنواعه ﴿فَلَا رَآدَّ﴾ [الآية 107] لا دافع ﴿لِفَضْلِهِۦۚ﴾ [الآية 107] الذي أراد به، ولعل تخصيص الإرادة بالخير والشر للصبر مع تلازم الأمرين للتفنن في العبادة أو للتنبيه على أن الخير مراد بالذات والضرّ إنما مسّهم لا بالقصد الأول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على أنه متفضل بما يزيد به من الخير لاستحقاق لهم عليه ولم يستثن لأن مراد الله لا يمكن رده ﴿يُصِيبُ بِهِۦ﴾ [الآية 107] من الخير ﴿مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ [الآية 107] للمذنبين ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [الآية 107] للمحسنين فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من مغفرته بالمعصية.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كان تفرّد بإبداع الضرّ واختراعه فلا شريك يعضده كذلك توحّد بكشف الضرّ وصرفه فلا نصير ينجده، ويقال: هوّن على المؤمن الضر ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ [الآية 107] حيث الفاقة إلى نفسه والحنظل يستلذ من كف من تحبه.

25/ب ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ/ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ﴾ [الآية 108] أي رسوله أو كتابه فلم يبق لكم عدو عن جنابه ﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [الآية 108] بالإيمان والطاعة ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ﴾ [الآية 108] لأن نفعه لها ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ [الآية 108] أي بالكفر والمعصية ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ﴾ [الآية 108] لأن وبال ضلالها راجع إليها فهذا دواءه وبلاؤه اكتسب وهذا ضياؤه وشقاؤه اجتلب ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ [الآية 108] بحفيظ موكول إليَّ أمركم وإنما أنا بشير ونذير لكم.

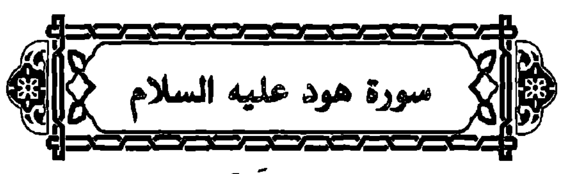
﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ﴾ [الآية 109] على دعوتهم وتحمّل أذيتهم ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ﴾ [الآية 109] بالنصرة أو بالأمر بالمجاهدة ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾

[الآية 109] إذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر واطلاعه على الظواهر.

وقال الأستاذ: قف عند جريان أحكامنا الحقيقية وانسلخ عن مرادك بالكلية ليجري عليك ما يريد لا كما تريد. قلت: لله در القائل في مقام المزيد:

أُريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أُريد لما يريد[1]

(1) هذا البيت منسوب لابن المنجم الواعظ. انظر الوافي بالوفيات (6/ 105).



سورة هود عليه السلام

[مكيّة]

وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الأستاذ: هذه كلمة استولت على عقول قوم فبصّرها وعلى قلوب آخرين فحيّرها، فالتي بصّرها فبنور برهانه، والتي حيّرها فبقهر سلطانه، فعالم سلك سبيل بحثه واستدلاله فسكن لما طلع نجوم عقله تحت ظلال إقباله، وعارف يغوص لنيل وصاله فطاح لما لاح لمعة من تقدسه من الإعلال باستحقاق جلاله.

﴿الٓر﴾ [الآية 1] أي أنا الله أرى وأُري فيا حسرة كبرى لمن لا يرى ﴿كِتَٰبٌ﴾ [الآية 1] أي مضمون هذه السورة كتاب جامع ولباب لامع ﴿أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [الآية 1] أي نسجت نسجاً لا يعتريه خلل من جهة المبنى ولا طريقة المعنى أو منعت نسختها من النسخ في المنتهى أو أحكمت بالحجج والدلائل الدينية أو جعلت حكمية أو حاكمة لاشتمالها على أمهات الحكم النظرية والأحكام العلمية ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ [الآية 1] بفرائد الفوائد وزوائد العوائد من المواعظ والعقائد ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ﴾ [الآية 1] ولذا أُحكمت ﴿خَبِيرٍ﴾ [الآية 1] ولذا فصلته وبيّنت باعتبار شأنه ولمع برهانه.

قال الواسطي: أحكمت بالحلال والحرام وفصلت بالوعد والوعيد للأنام/ من لدن حكيم فيما أنزل خبير بمن أقبل على أمره وأعرض عنه. وقال بعضهم: أحكمت آياته في قلوب العارفين وفصِّلت أحكامه على أبدان الظالمين، ذكره السلمي. 26/أ

وأفاد الأستاذ: أنّ الألف إشارة إلى انفراده بالوحدانية، واللام إشارة إلى لطفه بأهل توحيده، والراء إشارة إلى رحمته بكافة البرية وهي في معنى القسم أي بانفرادي بالربوبية ولطفي بمن عرفني بالأحدية ورحمتي على كافة البرية إن هذا ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [الآية 1] أي حُفِظَت عن التبديل والتغيير ثم فصِّلت ببيان لقوة الحق فيما يتصف به من جلال الصمدية وما تعبد به الخلق من أحكام العبودية ثم ما لاح بقلوب المحبين فيه من لطائف القربة في عاجلهم والبشرى بما وعدهم به من عزيز لقائه في آجلهم وخصائصهم التي امتازوا بها عن مَن سواهم في منازلهم.

﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ [الآية 2] أي لا تعبدوا ﴿إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [الآية 2] لأن لا تعبدوا إلا إياه أو هي بغير الآيات ألا تعبدوا إلا الله أو تقديره الزموا عبادة ما سواه ﴿إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ﴾ [الآية 2] أي من لدن حكيم خبير ﴿نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ بالعقاب، والحجاب على الكفر والكفران، وبالثواب وحسن المآب على الإيمان والإحسان.

وقال الأستاذ: إنني لكم منه نذير من الله بالفرقة بشير بدوام الوصلة فالفرقة لمن في عاجله جحدوا والوصلة لمن في آجله وجدوا.

﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ﴾ [الآية 3] عطف على أن لا تعبدوا أي اعبدوا الحكيم الخبير واستغفروا ربكم عن رؤية العباد وقضيته التقصير ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [الآية 3] أي ارجعوا إليه بالاعتماد عليه في جميع الأمور من النقير والقطمير وثم لتراخي الرتبة وترقي الرتبة قيل: استغفروا من الدعاوي المذمومة وتوبوا إليه من الخطرات الملومة.

وقال الأستاذ: أي توبوا عن توهم أن نجاتكم بتوبتكم لعلمكم بأن نجاتكم بكرمه لا بعبادتكم ﴿يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [الآية 3] متيقناً مستحسناً بحصول العيشة في أمن وسعة وحياة طيبة في قناعة وطاعة ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [الآية 3] وهو آخر الأعمال المقدّرة قبل قيام الساعة.

قال الواسطي: المتاع الحسن هو طيب النفس وسعة/ الرزق والرضا بمقدور الحق فيما قسم بين الخلق. 26/ب

وقال الأستاذ: يعيشكم عيشاً طيباً مباركاً فيه وفي عمركم. ويقال: هو إعطاء الكفاية مع زوال الحرص في البداية والنهاية. ويقال: هو القناعة بالموجود والاعتماد على المعبود. ويقال: هو أن لا يحوجه إلى مخلوق فلا يحيل لأحد عليه منة لا سيما للكبير وقليل المروة. ويقال: هو أن يوفِّقه لاصطناع المعروف إلى من يعرف حاله من أرباب الحاجة. ويقال: هو أن لا يلم حال شبابه في زلّة وفي حال مشيبه لا ينصف عن الله بغفلة. ويقال: هو أن يكون راضياً عليه بما يجري عليه من نوع العسر واليسر وصنفيّ الحلو والمر وجنسيّ النفع والضر.

﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [الآية 3] أي يعطي كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في دنياه وأخراه.

وقال الجرجاني: مَن قدر عليه الفضل في السابق يوصله إلى ذلك عند إيجاده اللاحق.

وأفاد الأستاذ: أن من زادت حسناته على سيئاته أعطاه جزاء ما فضل له من الطاعات، ومن زادت سيئاته على حسناته كافأه بما يستوجبه من زيادة الخيبات. هذا بيان التفسير. ويقال: من فضله بحسن توفيقه وتأييده أوصله إلى ما يستوجبه من لطفه ومزيده وثبّته.

﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ [الآية 3] أي تعرضوا ﴿فَإِنِّىٓ﴾ [الآية 3] أو إن أعرضوا فقل ﴿أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [الآية 3] يوم القيامة ووقت الملامة حين لا ينفع الندامة.

﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ [الآية 4] رجوعكم في الدنيا والآخرة ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الآية 4] ومنه المثوبة والعقوبة.

وقال الأستاذ: تنقطع الدواعي عند الرجوع إلى الله بنفي الظنون ويحصل اليأس من غير الله بكل وجه من الفنون ويبقى العبد بنعت الاضطرار في وصف الانتظار والحق يجري ما سبق به القسمة من أنواع الأقدار.

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [الآية 5] يصرفونها عن الحق ويجرفونها عن

الصدق أو يعطفونها على الباطل وعلى تحصيل ما ليس تحته طائل ﴿لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾ [الآية 5] أي من الله ليسرهم/ فلا يطلع رسوله والمؤمنين على شرهم. 27/ أ

وقال الأستاذ: أي يستسرون ما ينطوي عليه عقائدهم ويضمرون للرسول ﷺ والمؤمنين خلاف ما يظهرون والحق سبحانه مطلع على قلوبهم فهو يعلم ما في صدورهم فتلبيسهم لا يغيِّر من الله شيئاً عنهم، فالله سبحانه أطلع رسوله على ما أخفوه إما بتعريف وحي أو ملك أو مكاشفة بقوَّة نور النبوَّة والمؤمنين بضياء الفراسة فكل مؤمن فله بقدر حاله من الله هداية. قال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإن المؤمن ينظر بنور الله»[1]، ولذا قال قائلهم:

أبعيني أراك أم بفؤادي كل ما في الفؤاد للعين بادي[2]

﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ [الآية 5] أي وقت يأوون إلى فراشهم ومآبهم ويتغطوا بثيابهم ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ [الآية 5] في قلوبهم ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [الآية 5] بأفواههم يبتغون في علمهم سرهم وعلنهم.

وفي تفسير السلمي: يعلم ما تسرون من أحوالكم وما تعلنون من أفعالكم ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الآية 5] بالأسرار ذات الصدور وما بها أو بالقلوب وأحوالها وما بها.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [الآية 6] غذاؤها ومعاشها لتكفله إياه تفضُّلاً ورحمة لها، وأتى بلفظ الوجوب تحقيقاً لوصوله وحملاً على التوكل في حصوله ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [الآية 6] أي أماكنها في حياتها ومماتها أو يعلم بما في أصلاب آبائها وأرحام أمهاتها، أو يعلم مساكنها من الأرض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد حين كانت بعد القوة ﴿كُلٌّ﴾ [الآية 6] من الدواب وأحوالها ﴿فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 6] مذكور في اللوح المحفوظ المكين، وفي هذه الآية إشارة إلى كونه عالماً بالمعلومات كلها وفي ما بعدها إلى

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 312) رقم (3254) والمعجم الكبير (8/ 102) رقم (7497)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 298) رقم (3127).

(2) أورده القشيري في تفسيره (3/ 293).

برهان كونه قادراً على الممكنات بأسرها تقديراً للتوحيد وتحريراً لما سبق من الوعد والوعيد.

وأفاد الأستاذ: أن في الخبر إذا أحيل أحدكم على قلبي فليحتل، ويقال: إذا كان الرزق على الله فمن المحال طلبه مما سواه، والأرزاق مختلفة فرزق كل حيوان على ما يليق بصفته ويناسب بشاكلته لم يقل ما يشتهيه ومقدار ما يكفيه فإنه موكول إلى مشيئته. وقيل: أراد بمستقرها ومستودعها الدنيا/ 27/ب والأخرى. ويقال: مستقر المريد بأن شيخه كمستقر الصبي بباب وليه. ويقال: مستقر الفقراء سدة الكرما. ويقال: مستقر العابدين المساجد ومستقر العارفين المشاهد، فالمساجد مستقر نفوس العابدين والمشاهد مستقر قلوب العارفين. ويقال: الكل له مثوى ومستقر إلا الموجد فإنه لا مستقر له ولا مأوى ولا منزل ولا مثوى.

قلت: لأنه وصل إلى مقام المحو والفناء وحلّ له حال البقاء من غير حلول واتحاد كما توسمه أهل الجفا ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النّجم:الآية 42]. ويقال: النفوس مستودع التوفيق والقلوب مستودع التحقيق. وقيل: القلوب مستودع المعرفة والأرواح مستودع المحبة والأسرار مستودع المشاهدة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ﴾ [الآية 7] أي خلقها وما فيها أو خلق العلويات والسفليات وقدَّم السموات لسبق وجودها أو لشرفها في اعتبار شهودها، وأفرد الأرض لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [الآية 7] أي قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما إلا أنه كان موضوعاً على الماء، ففيه دليل على إمكان الخلاء. وقيل: لما كان الماء على متن الريح والله أعلم بالصحيح ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الآية 7] متعلق بخلق بينهما اعتراض، والمعنى ليعاملكم معاملة المبتلي لأحوالكم في كيفية أعمالكم واختير أحسن على الحسن للتحريض على أحاسن المحاسن والتخصيص على الترقي دائماً في مراتب المكارم من العلم والعمل، فإن المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذا ورد عنه ﷺ في تفسير: «أيكم أحسن عملاً وأورع عن

محارم الله وأسرع في طاعة الله»[1]، فالمعنى أيكم أكرم عملاً وعلماً.

وأفاد الأستاذ: أن الابتداء من قبله سبحانه تعريف للملائكة حال من يبتليه في الشكر عند اليسر والصبر عند العسر، ولم يقل أيكم أكثر عملاً إذ أحسن العمل بموافقة الأمر. ويقال: أحسنهم عملاً أبعدهم عن ملاحظة عمله ووجوده بأن يستغرق في شهود معبوده.

﴿وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ/ مُّبِينٌ﴾ [الآية 7] أي ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره إلا كالسحر في تخديعه. وقرأ حمزة والكسائي: إلا ساحر، على أن الإشارة إلى القائل به. 28/ أ

وقال الأستاذ: استبعدوا النصر لتقاصر علومهم عن التحقيق بكمال قدرة الحق ولو عرفوا ذلك لأيقنوا أنه ليس بمستحيل في الإيجاد والتقدير لأنه على كل شيء قدير.

﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾ [الآية 8] أي الموعود لأرباب الجحود ﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ [الآية 8] إلى جماعة من أزمنة قليلة محدودة ﴿لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ [الآية 8] أي ما يمنعه عن وقوعه ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ [الآية 8] كيوم بدر ونحوه ﴿لَيْسَ﴾ [الآية 8] العذاب ﴿مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ [الآية 8] ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه ﴿وَحَاقَ﴾ [الآية 8] أي وأحاط ﴿بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الآية 8] أي العذاب الذي كانوا به يستعجلون، ووضع المضامين موضع المستقبل مبالغة في التحقيق وتأكيد للتهديد فإن ما هو آت فكأنه الآن كان.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [الآية 9] أي أعطيناه نعمة يجد لها بعض اللذة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا﴾ [الآية 9] سلبنا تلك النعمة ﴿مِنْهُ إِنَّهُۥ﴾ [الآية 9] أي في حالة له من المخالفة ﴿لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ﴾ [الآية 9] مقطوع رجاؤه من فضله لقلّة الصبر وعدم الثقة ﴿كَفُورٌ﴾ [الآية 9] مبالغ في كفران النعمة.

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 408) رقم (10788)، وانظر زوائد الهيثمي (2/ 804) رقم (820)، والمطالب العالية (8/ 183) رقم (2853).

قال أبو سعيد الخراز: من أُذيق حلاوة الذكر وصفاء السر ثم نزع ذلك منه ولم يظهر عليه الاهتمام لفقده ولا يرى مطالبته من سره فليحكم بالموت لقلبه وسره بالعمى عن طريق الهدى، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً﴾ [الآية 9] وهو محل القربة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ﴾ [الآية 9] وهو حجاب النعمة، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن تغير ما صفا من النعمة حالة معهودة فلا أحد إلا وله منه حصة فمن لم يرجع بالتأسف قبله ولم يتضاعف في كل نفس تلهفه وكربه أدرج في ديوان النسيان وأنبت اسمه من جهة أهل الهجران، ومن استمسك بعروة الضراعة واعتكف بعتوة المذلة وتحسى كأس الحسرة عللاً بعد نهل مرة بعد مرة طالعه الحق بنعت الرحمة وجدّد له ما اندرس من أحوال القربة وأطلع عليه شمس الإقبال بعد الأفول والغيبة، كما قيل:

28/ب / تقشع غيم الهجر عن قمر الحب وأشرق نور الصبح في ظلمة الغيب[1]

وليس للأحوال الدنيوية كثير خطر في التحقيق ولا يعد زوالها وتكدرها من جملة المحن عند أرباب التوفيق لكن المحنة الكبرى والرؤية العظمى ذبول غصن الوصال وتكدُّر مشرب القرب وأفول شوارق الأنس ورمد بصائر أرباب الشهود فعند ذلك تقوم القيامة وهنالك تكسب أنواع العبرة وهي أرواح تذوب عندها فتقطر من العيون بتصاعدها فإذا نعق في ساحة هؤلاء غراب البين ارتفع إلى السماء نواح أسرارهم بالويل.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ﴾ [الآية 10] أي نعمة بعد شدة كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم ﴿مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ﴾ [الآية 10] أي المصائب التي هي ساءتني ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ [الآية 10] بطر وبالنعم مغتر ﴿فَخُورٌ﴾ [الآية 10] مفتخر لا شاكر في السر ولا صابر في الضر. وفي لفظ: الإذاقة والمس إيماء إلى أن ما يجده الإنسان من المنن والمحن في الدنيا أنموذج لما يجده في العقبى وإشارة إلى أن الإنسان يقع في الكفران بأدنى شيء من الإحسان لأن الذوق إدراك طعم

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 297).

المحصول والمس مبدأ الوصول.

وقال القاسم: لو رددنا عليه ما قبضناه عنه ﴿لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ﴾ [الآية 10] آمناً من مكري مطمئناً بغيري ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ﴾ [الآية 10] مفروح به ﴿فَخُورٌ﴾ [الآية 10] بما لا يفتخر به، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أمنوا بغتات مكرنا ولم يخافوا فجأة ما يأخذهم من قهرنا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [الآية 11] على الضر استسلاماً بالرضا للقضاء ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الآية 11] شكر السابق لإيلاء حق النعماء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [الآية 11] لما صدر عنهم من المعصية ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الآية 11] أي مثوبة عظيمة لما ظهر منهم من الطاعة والاستثناء منفصل إن أريد بالإنسان الجنس فإنه إذا كان محلّى باللام أفاد استغراق العام ومن حمله على الكافر وجعل اللام للعهد سبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعاً.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ [الآية 12] بترك تبليغ بعض ما أُنزل عليك وهو ما يخالف دين المشركين وقرنائهم مخافة ردهم واستهزائهم ولا يلزم من توقع الشيء لوجود ما يدعو إليه وقوعه بجواز أن يكون ما يصرف/ عنه وهو عصمة صاحب النبوة عن الخيانة في الوحي والتقية في التبليغ. 29/ أ

وأفاد الأستاذ: أنهم اقترحوا عليه من ضلالتهم بأن يأتي بكتاب ليس فيه سب آلهتهم فبيَّن الله سبحانه أنه ﷺ لا يترك تبليغ ما أنزل إليه لأجل كراهتهم ولا يبدل ما يوحى إليه لأجل رعايتهم ﴿وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [الآية 12] أي وعارض لك أحياناً ضيق صدر لأجلهم بأن تتلوه عليهم مخافة ﴿أَن يَقُولُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ﴾ [الآية 12] ينفعه في الاتِّباع كما للملك ﴿أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ [الآية 12] يصدقه في القليل والكثير ﴿إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ﴾ [الآية 12] ليس عليك إلا إنذارك بما أوحي إليك ولا عليك غير ذلك، ردوا أو اقترحوا أو قبلوا واعتقدوا فما بالك يضيق صدرك ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٌ﴾ [الآية 12] فتوكل عليه في جميع أمورك فإنه عالم بحالهم وحالك وفاعل بهم وبك ما يناسبهم ويناسبك، ولعله كان يحصل له ضيق الصدر قبل تيسير الأمر وتكميل القدر فلما ترقى من مقام

التفرقة إلى مقام الجمع ثم إلى جميع الجمع وهو الحالة التي لا تمنع الوحدة عن الكثرة ولا تدفع الكثرة عن الوحدة استراح في أجر الشهود واستغرق عن الشهود بغير وجود المعبود.

وأفاد الأستاذ: أن هذا وجه الاستبعاد أي لا يكون منك ترك ما أوحي إليك ولا يضيق صدرك بما يبدو من الغيب ومن شرح للتوحيد صدره ونوّر بشهود التقدير سرّه متى يلحقه ضيق صدرك أو استكراه أمرك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ [الآية 13] بل أتقولون اختلق القرآن الدال عليه ما يوحي إليه ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [الآية 13] في لطافة المباني وظرافة المعاني وتوحيد المثل باعتبار كل واحد، ولذا لم يقل أمثاله فخزاهم بعشر سور أولاً ثم خزاهم بسورة ثانياً ثم قال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الآية 13] أي بكلام منتظم عند أهله إظهاراً للمعجزة ودفعاً للشبهة ﴿مُفْتَرَيَاتٍ﴾ [الآية 13] أي مختلقات من عند أنفسكم إن اختلقته من عند نفسي فإنكم فصحاء وبلغاء مثلي بل أنتم بحسب الظاهر أقدر مني لتعلمكم القصص والأشعار دوني ﴿وَادْعُوا﴾ [الآية 13] أي للمعاونة وعلى/ المعارضة ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [يُونس:الآية 38] أي ما سواه من الجن والإنس أجمعين ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الآية 13] أي من المفترين.

29/ب

﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا﴾ [الآية 14] بإتيان ما دعوتم إليه، وجمع الضمير إما لتعظيم الرسول ﷺ ويؤيده آية: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ [القَصَص:الآية 50] أو لأن المؤمنين أيضاً كانوا من المتحدّين لقوة يقينهم في الدين ولذا رتب عليه قوله: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [الآية 14] ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله ولا يقدر عليه سواه ﴿وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الآية 14] أي منقادون، حثّ على ثبات الإسلام وبعث على الرسوخ في متابعة الأحكام.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [الآية 15] بعمله وبره بها ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ [الآية 15] نوصل إليهم وافياً جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الأولاد ودفع المكاره ونحوها ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾

[الآية 15] لا ينقصون شيئاً من أجور أعمالهم. والآية نزلت في أهل الرياء كما قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم من الكبراء[1]. وقال أنس والحسن في اليهود والنصارى[2]، وقيل: في المنافقين، وقيل في المشركين وبرهم إلى المساكين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [الآية 16] في مقابلة ما عملوا من الأوزار لأنهم استوفوا ما يقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أثقال العزائم السببية ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ [الآية 16] أي في الدنيا لأنه لم يبق لهم ثواب في العقبى أو لم يكن أجر في الأخرى لأنهم لا يريدوا به وجه الله تعالى فإن العمدة في اقتضاء الثواب هو الإخلاص في الاحتساب ﴿وَبَٰطِلٌ﴾ [الآية 16] أي في نفس الأمر ﴿مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 16] لعدم وجود صحة العمل حيث ما كانوا يعملون.

وقال الأستاذ: أولئك الذين خابت آمالهم وظهرت لهم بخلاف ما احتسبوه مآلهم حبطت أعمالهم وحاق بهم محالهم انتهى. وفي الحديث: «أشد الناس عذاباً من يرى الناس فيه خيراً ولا خير فيه»[3].

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الآية 17] أي حجة وبرهان من عنده يدل على الحق فيما يأتيه ويذره والهمزة لإنكار أن يعقب من هذا شأنه في العقبى هؤلاء المقصورين هم وأفكارهم على/ الدنيا وأن يقارب بينهم في المنزلة العليا 30/أ وهو الذي أغنى عن ذكر الخير هنا وتقديره: أفمن كان على بينة ودلالة على الهدى وترك الهوى كمن كان يريد الحياة الدنيا واتباع الردى وهو حكم يعم كل مؤمن. وقيل: المراد به النبي ﷺ لقوله ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ [الآية 17] أي ويتبع تلك البينة التي هي حجة العقل ﴿شَاهِدٌ﴾ [الآية 17] دليل يسمعه بصحته من النقل وهو العثرات والنعوت بالفرقان ﴿مِّنْهُ﴾ [الآية 17] أي من قبل الرحمٰن وفضله ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 17] قبل القرآن كتاب موسى يعني التوراة فإنها أيضاً تتلوه في التصديق والتحقيق أو التنبيه هو القرآن ويتلوه بمعنى يغزوه والشاهد جبريل

---

(1) تفسير ابن كثير (4/ 311). (2) تفسير ابن كثير (4/ 311).

(3) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (4/ 427) رقم (3483).

والضمير في يتلوه لمن آمن قبله ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ [الآية 17] جملة مبتدأة ﴿إِمَامًا﴾ [الآية 17] كتاباً مؤتماً به في الدين ﴿وَرَحۡمَةًۚ﴾ [الآية 17] نازلة على المؤمنين.

وقال الأستاذ: في الكلام إضمار ومعناه أفمن كان على بينة كمن ليس على بينة أي لا يستويان، والبينة لأقوام برهان العلم ولآخرين بيان الأمر بالقطع والجزم يشهدهم الحق ما لا يطلع عليه غيرهم[1] والشاهد الذي يتلوه هو مشاهد به، وفي الخبر: أولياء الله الذين إذا رأوا ذكر الله. وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ﴾ [محمد:الآية 30]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الآية 17] إشارة إلى من كان على بينة ﴿يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ﴾ [الآية 17] أي بالله أو بكلامه أو برسوله والإيمان بواحد منهما إيمان بغيره، أو المعنى يؤمنون بكل واحد ممن سبق ذكره أو بجميع ما يجب الإيمان به ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ [الآية 17] أي أنواع الكفار الذين تحزبوا على النبي المختار ﴿فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ﴾ [الآية 17] مثوبة ومنزلة ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ﴾ [الآية 17] أي في شك من الموعد أو القرآن ﴿إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الآية 17] لقلة نظرهم واختلال فكرهم ولأنهم لا يوقنون.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾ [الآية 18] فإن أسند إليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 18] في موقف حسابهم بأن يحاسبوا على مراتب أحوالهم ويعرض عليهم سبحانه جميع أعمالهم ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [الآية 18] من الملائكة والنبيين/ أو من جوارحهم الناطقين ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 18] قال بعضهم: المفتري من اتخذ حال الفساد يدعيه لنفسه حالاً وأظهر من نفسه مشاهدة ما لا يشهده، ذكره السلمي. 30/ب

وزاد الأستاذ: فيما أفاد أن من عقوبته أن لا ترزق تلك الحالة أبداً في الاستقبال ثم إنه يكشف للشهداء عيوبه فيفتضح بين الخلق والشهداء قلوب

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (10/ 320) رقم (9707)، وانظر كنز العمال (1/ 418) رقم (1783).

الأولياء ومن شهد قلوبهم عليه بالرد فغير مقبول عند الحق.

﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 19] يعرضون بأنفسهم أو يصدون غيرهم عن دين ربهم ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف:الآية 45] ويطلبون سبيله أن يكون معوجاً أو يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب والإنصاف أو ينفون أهلها أو يعرجوا بالردة والخلاف ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 19] أي والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتأكيد كفرهم وتحقيق اختصاصهم.

وأفاد الأستاذ: أن هذه الآية من جملة صفات المفترين ومن صدّ عن السبيل أن يظهروا من أنفسهم أحوالاً سنية ثم يبخلون بأحكام الشريعة العلية ولا يرون ذلك كبيرة في الطريقة الرضية فيوهمون المستضعفين من أهل الاغترار بهم أن لهم في ذلك رخصة فيَضِلون ويُضِلون ويقتلون. ومن جملة صدهم الناس عن السبيل تغريرهم الناس وإيقاعهم في الغلط كي يرتفقوا للشيء مما في أيديهم من حطام الدنيا ويمدحون غير أهله ويسمحون من لا يستوجبه لأخذ شيء منهم من غير وجهه ويداهنون في دين الله من أمره وغيبه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ﴾ [الآية 20] الله أن يعاقبهم ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 20] أي في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 20] أي يدفعون عنهم العقاب أو يرفعون عنهم الحجاب ولكنه أخر العذاب إلى يوم الحساب ليكون أشد وأبقى ﴿يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ [الآية 20] أي يزاد لهم عذاب فوق العذاب ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ﴾ [الآية 20] لتصاممهم عن سماع الصدق ﴿وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ [الآية 20] لتعاميهم عن رؤية الحق. وقال بعضهم: كيف يستطيع السمع من لم يفتح مسامعه بسماع الحق/ وكيف يبصر من لم يكتحل بنور التوفيق إذ لا سمع إلا عن إسماع ولا بصر إلا عن إبصار، ذكره السلمي. 31/أ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 21] باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الآية 21] من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم يوم القيامة سوى الحسرة والندامة.

﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [الآية 22] وقال الأستاذ: أولئك الذين

هذه صفاتهم لم يربحوا في تجارتهم ولا لحقوا غاية ما طلبوا في غيهم وضلالتهم فنفوا عن الحق ولم يبارك لهم فيما اعتاضوا به من صحبة الخلق أولئك الذين خسرت صفقتهم وبارت بضاعتهم لقوا الهوان وذاقوا اليأس والحرمان فلا محالة أنهم في النشأة الآخرة لأشد الناس خسراناً وأوفرهم من الخيرات نقصاناً.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 23] اطمأنوا إليه وخشعوا لديه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الآية 23] دائمون في النعمة.

قال شاه الكرماني: علامة الإخبات ثلاثة: غم الإياس مع التوبة لكثرة العودة إلى المعصية وخوف الاستدراج في استتابة الستر والمهلة وتوقع العقوبة في كل وقت وساعة حذراً وشفاقاً من العدالة، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إن الإخبات هو التسبيح للرب بالقلب بدوام الانكسار ومن علامة المخبتين الأبرار والقبول تحت جريان الأقدار والحموم بدوام الاستقامة في الأسرار.

﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ﴾ [الآية 24] من المؤمنين والكافرين ﴿كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ﴾ [الآية 24] شبه الكافر بالأعمى لتعاميه عن آيات الله المنصوبة وبالأصم لتصامه عن آياته المتلوة والمؤمن بالسميع والبصير لأن أمره بضد مخالفه فكل منهما مشبه باثنين باعتبار وصفين متغايرين وهذا من باب اللف وصفة الطباق ﴿هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ﴾ [الآية 24] أي الفريقان مثلاً تمثيلاً أو صفة أو حالاً ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 24] بضرب الأمثال والتأمل في الأحوال فتعملون بما يستوجب لكم حسن المآل وحصول الآمال في / الاستقبال. 31/ب

وأفاد الأستاذ: أن مثل الكافر في كفره كالأعمى والأصم ومثل المؤمن في إيمانه كمثل السميع والبصير هذا بيان التفسير. وفي الإشارة الأعمى من عمي عن إبصار رشده والأصم الذي طرش بسمع قلبه فلا باستدلاله شهد سر تقديره في أفعاله، ولا بنور فراسته توسم ما وقف عليه من مكاشفات الغيب بقلبه ولا بسمع القبول استجاب لدواعي الشريعة ولا بحكم الإنصاف انقاد

لما توجب عليه من مطالبات الوقت بما يلوح بسره من تلويحات الحقيقة. وأما البصير فهو الذي يشهد أفعاله سبحانه بعلم اليقين ويشهد صفاته بعين اليقين ويشهد ذاته بحق اليقين والغائبات له حضور والمستورات له كشف، والذي يسمع فصفته أن لا يسمع هواجس النفس ولا وساوس الشيطان فيسمع من دواعي العلم شرعاً ثم من خواطر التعريف قدراً ثم يخاطب بكاشف الخطاب من الحق سراً فهؤلاء لا يستويان ولا في الطريق يلتقيان، وأنشدوا:

راحت مشرقة ورحت مغرباً   فمتى التقاء مشرق ومغرب[1]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [الآية 25] قال الأستاذ: كان نوح عليه السلام أطول الأنبياء عمراً وأشدهم بلاء ولكثرة نياحه على نفسه سمي نوحاً وسبب ذلك أنه مرّ بكلب فقال: ما أقبحه، فأوحى الله إليه أن اخلق أنت أحسن من هذا، فأخذ يبكي وينوح على نفسه حتى أوحى الله إليه: يا نوح كم تنوح، فإذا كان في طول عمره فعل مرة ما لم يكن مرضياً فاحتاج أن ينوح على نفسه كل تلك النياحة فكيف حال مَن لم يذكر يوماً مضى من عمره في مدة تكليفاته ولم يحصل منه فيه إلا كثيراً من زلاته[2] ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ [الآية 25] أي باقي. قال الزمخشري: صلة حال يعني متلبساً بالإنذار. وقال مكي: ثاني مفعول أرسلنا وعدل عن أنه التفاتاً. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بالكسر أي قائلاً وقال: إني لكم ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الآية 25] ناصح أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص من الحجاب.

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الآية 26] بدل / من إني أو مفعول مبين أو إن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير أي لا تعبدوا إلا إياه ولا تعتمدوا على ما سواه ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الآية 26] أي مؤلم مديم. 32/أ

﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ [الآية 27] لا

---

(1) نسب هذا البيت إلى امرىء القيس. انظر إعجاز القرآن للباقلاني (1/ 215)، وقد ذكره القشيري في تفسيره (3/ 311)، وذكر في لفظ مختلف في عجز البيت، فشتان بين مشرق ومغرب في مصادر عدة.

(2) أورده القرطبي في تفسيره (13/ 334).

مزية لك علينا في أصلنا نخصك بوجود الرسالة ووجوب الطاعة.

وأفاد الأستاذ: أنهم أنكروا له صحة النبوة لمشاكلته إياهم في الصورة ولم يعلموا أن المباينة بالسريرة ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [الآية 27] أخساؤنا وأسافلنا ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [الآية 27] أي ظاهره من غير تعمق ومتبادرة من غير تحقق من البدو وأول الرأي من البدأة والباء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها في هذه الحالة، ويؤيده أنه قرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك، وإنما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فإنهم لما لم يعلموا إلا ظاهراً من الحياة الدنيا كان الأحظ منها عندهم أشرف وأفضل والمحروم منها أخس وأرذل وجهلوا أن الامتياز يحصل بالمعاني لا بالمباني من استصغر أحداً ونظر بعين الحقارة إليه سلّطه الله عليه وأهلكه لديه أو على يديه ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ﴾ [الآية 27] أي لك ولا لأتباعك ﴿عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ [الآية 27] أي مزية وخصوصية توجب أهليتك للنبوة وتقتضي لأصحابك استحقاق المتابعة ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [الآية 27] أي في دعوى النبوة وهم في دعوى العلم بصدق الرسالة فقلب المخاطب على الغائبين.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ﴾ [الآية 28] أخبروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [الآية 28] أي على حجة شاهدة بصحة دعوتي ﴿وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً﴾ [الآية 28] بإعطاء البينة أو النبوة ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المَائدة:الآية 52] من فضله ﴿فَعُمِّيَتْ﴾ [الآية 28] أي فخفيت البينة أو النبوة أو كل واحدة أو الرحمة ﴿عَلَيْكُمْ﴾ [الآية 28] ولم يهدكم إلى ما نفعه راجع إليكم. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بضم عين فتشديد ميم أي أخفيت ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [الآية 28] أي ألزمكم على الاهتداء به ﴿وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ﴾ [الآية 28] لا تختارونها ولا تتأملون فيها.

وأفاد الأستاذ: أن الصبح لا خلل في ضيائه بكون الحاضرين عمياناً والسيف لا خلل في مضائه بكون ضاربيه صبياناً / فكيف للبشر قدرة على هداية من أضله الله وإن كان نبياً، هيهات لا ينفع مع الجاحد نصح ولا ينجع في المصر وعظ. 32/ب

﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 29] أي على إظهار البينة أو على التبليغ بقرينة المقام ولو لم يجر له ذكر في الكلام ﴿مَالًاۖ﴾ [الآية 29] جعلاً ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [يُونس:الآية 29] لا على ما سواه فإنه المأمول منه مطلوب العبد ومتمناه.

وأفاد الأستاذ: أن سنَّة الأنبياء عليهم السلام أن لا يطلبوا على رسالتهم أجراً ولا أملوا لأنفسهم عند الخلق قدراً بل عملوا لله فلم يطلبوا شيئاً مما سواه فمن سلك من العلماء على طريقتهم حشر في زمرتهم ومن أخذ على صلاحه من أحد عوضاً أو اكتسب بسداده جاهاً لم يَرَ مِنَ الله إلا هواناً وبعداً ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ﴾ [الآية 29] جواب لهم حين سألوه طردهم ﴿إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ﴾ [الآية 29] فيخاصمون طاردهم أو إنهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف أطردهم ﴿وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ﴾ [الآية 29] بلقاء ربكم أو بأقدارهم أو في التماس طردهم.

﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 30] أي يدفع انتقامه عني ﴿إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ [الآية 30] عن الصحبة والمتابعة وهم بتلك الصفة والمثابة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الآية 30] فتعرفون أن طردهم ليس من الحكمة.

قال أبو عثمان: ما أنا بمعرض عن من أقبل على الله فقد أعرض عن الله، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن مجالسته الفقراء اليوم وهم جلساء الحق غداً أحرى وأجدى من مجالسته قوم من الأغنياء إلا أغنياؤهم من أهل الرد فطرد من قربة الله وأدناه يوجب لصاحبه الخزي في دنياه والعقوبة في عقباه.

﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 31] أي خزائن رزقه حتى جحدتم فضلي وأنكرتم قولي ﴿وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الآية 31] عطف على عندي أي إني أعلم الغيب حتى تكذبوني وتجرموني ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ [الآية 31] حتى تقولوا ما أنت إلا بشراً مثلنا.

وقال الأستاذ: أي لا أتعدى ولا أتخطى خطي أبلغكم ما حملت من

رسالتي ولا أنقص ما كلفت ولا أزيد فيما به أُمرت ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ﴾ [الآية 31] في شأن من استرذلتموهم لفقرهم وعتاكم ﴿لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ [الآية 31] فإن ما أعد الله لهم في العقبى خير مما آتاكم في الدنيا / وأبقى 33/أ ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الآية 31] من قصد الهدى أو نية الردى ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 31] الواقعين في ظلمة الهوى إن قلت شيئاً من ذلك سدى، والأزدرى افتعال من زرى عليه إذا عابه قلبت تاؤه وإلا لتجانس الزاي في صفة الجهر وإسناده إلى الأعين للمبالغة وللإشارة إلى أنهم عابوهم بادي الرؤية من غير الرؤية لما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة مالهم دون تأمل في معاني كمالهم، وفيه إيماء إلى ما ورد في الحديث القدسي والكلام الإلٰهي: «أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري»(1).

﴿قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا﴾ [الآية 32] خاصمتنا ﴿فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ [الآية 32] أي أطلته في نفسه أو أتيته بأنواعه ﴿فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ [الآية 32] من العقوبة ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 32] في دعوى النبوة وإخافة المخالفة فإنه لا يؤثر فينا المناظرة ولو ظهر لك المغالبة.

وقال الأستاذ: أوضح لهم البراهين فيما لو أمعنا النظر فيه أثمر لهم اليقين ولكنهم أصروا على الجحود ولم يقنعوا من الموعود بغير المشهود.

﴿قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ﴾ [الآية 33] أي بموعوده ﴿ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ [الآية 33] عاجلاً أو آجلاً من غير وجوب عليه إلا أنه بمقتضى حكمه بوقوعه لا خلف لوعده ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [الآية 33] لدفع العذاب أو رفع الحجاب أقرّ بالعبودية وتبرأ من الحول والقوة وأحال الأمر على المشيئية. ولقد أنصف من لو يجاوز حده في الدعوى والأنبياء عليهم السلام وإن كانوا أصحاب التحري للناس بمعجزتهم فهم معترفون بأنهم موقوفون عند حدهم ومرتبتهم.

﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾ [الآية 34] شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ﴾ [الآية 34] وتقديره إن

(1) أورده الغزالي في إحياء علوم الدين (6/ 455).

كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي إياكم وفيه دلالة على أن إرادة الله يصح تعلقها بالإغواء وإن خلاف مراده من محال الأشياء ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 34] أي خالقكم ومربيكم والمتصرف فيكم ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الآية 34] فيجازيكم بأعمالكم على حسب أحوالكم.

وأفاد الأستاذ: أن من لم يساعده تعريف الحق بحكم العناية لم ينفعه نصح / الخلق في النهاية. ويقال: من لم يؤهله الحق للوصال في آزاله لم ينفعه 33/ب نصح الخلق في أحواله. ويقال: من سبق الحكم بالضلال أنى ينفعه النصح وبسطه الدلالة. ويقال: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ [الآية 34] ومن المحال اجتماع الهداية والغواية فإذا أراد بقوم الغواية لم يصح أن يكونوا من أهل الهداية، ثم بيَّن المعنى فيه بقوله: ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ [الآية 34] ليعلم أن الرب هو من يفعل بعباده ما يشاء بحكم الربوبية أي وليس لهم إلا التسليم في مقام العبودية.

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الآية 35] أي افترى الكذب على الله ﴿قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ﴾ [الآية 35] لا يضركم ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾ [الآية 35] أي وباله وقرىء بفتح الهمزة أي أثقال أعمالي ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ [الآية 35] أي من إجرامكم عليَّ، إنما مصدرية أو إجرامكم عليَّ إنها موصولة.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ﴾ [الآية 36] أي أبداً ﴿مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [الآية 36] وهم ثمانون ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ [الآية 36] أي لا تحزن عليهم ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الآية 36] فإنهم لما ينزل بهم مستحقون.

وقال الأستاذ: عرفه الحق أنه غني عن إيمانهم فكشف لهم أحكام ما لهم وأنهم ممن سبق لهم الحكم بشقائهم فعند ذلك دعاه بإهلاكهم.

﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الآية 37] بمرئى منا وحال حضورنا لا في غفلة عنا، والتعبير بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشيء ويصان من الخلل والنقصان للمبالغة في الحفظ والصيانة على طريقة التمثيل.

وقال الواسطي: أسقط عن نفسك تدبيرك واصنع ما أنت صانع من أفعالك على مشاهدة دون مشاهدة نفسك ومشاهدة أحد من سوانا ﴿وَوَحْيِنَا﴾

[الآية 37] إليك كيف تصنعها ومتى تركبها ﴿وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ﴾ [الآية 37] لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم ﴿إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ﴾ [الآية 37] محكوم عليهم بالإغراق فلا سبيل إلى كفه عنهم.

قال ذو النون: إن كنت أيدت بشيء من العناية فقد نجوت من الغواية وإلا فالدعاء والنداء لا ينقذ الغرقى.

وقال الأستاذ: أي قم بشرط العبودية في صنع السفينة بأمرنا وتحقق بشهودنا وإن بمرأى منا ومن علم اطلاع الحق عليه /يلاحظ نظر نفسه ولا غيره إليه لا سيما وقد تحقق بأن المجري هو سبحانه. ثم قال له: راع حد الأدب فما لم يكن لك إذن منا بالشفاعة لأحد فلا تخاطبنا فيه، ويقال: سبق لهم الحكم بالغرق وأمواج بحر التقدير تتلاطم وكل بحار القدرة مغرقون إلا من أهّله الحق بحكمه فحمله في سفينة العناية. ويقال: كان قوم نوح عليه السلام من الغرقى في بحر القدرة قبل كونهم غرقى في بحر القَطْرة. 34/أ

﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ [الآية 38] حكاية حال ماضية بالنسبة إلى الأمم الآتية وإلا فلا صباح ضده سبحانه ولا رواح ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ﴾ [الآية 38] استهزؤوا به في عمله فإنه كان يعمل السفينة في بريته التي هي بعيدة عن الماء أوان عزته وكانوا يضحكون منه ويقولون له: صرت بحاراً بعدما كنت نبياً.

وأفاد الأستاذ: أنه لما تحقق بما أمر الله به لم يبال في إمضاء ما كلف بما سمع من الغير ونظر إلى الموعود بطرف التصديق وكان كالمشاهد له قبل الوجود ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ [الآية 38] إذا أخذكم الغرق في الدنيا والخوف في العقبى.

﴿فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ﴾ [الآية 39] في دنياهم ويعني بالموصول إياهم ﴿وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ﴾ [الآية 39] دائم في احترامهم.

قال الأستاذ: فلا طاقة لمخلوق بمقاساة تقديره إلا من يحمل عنه بفضله ما يحمله بحكمه.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا﴾ [الآية 40] حتى هي التي يبتدئ بعدها الكلام فلا يحتاج إلى معنى لنظام المرام ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [الآية 40] أي نبع الماء فيه كالقدر يفور، والمراد بالتنور تنور الخبز وابتداء النبع منه على خرق العادة ولأن في الكوفة في موضع مسجد وقيل غير ذلك ﴿قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا﴾ [الآية 40] في السفينة من كل أي ﴿مِن كُلٍّ﴾ [الآية 40] نوع من الحيوانات ﴿زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الآية 40] ذكر وأنثى وهذا على قراءة حفص والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين أي من كل صنف ذكراً وصنف أنثى ﴿وَأَهۡلَكَ﴾ [الآية 40] عطف على زوجين عند حفص وعلى اثنين عند اليافي والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الآية 40] بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان أو يام على خلاف في اسمه وامرأته واعلة بالعين / المهملة فإنهما كانا من الكافرين ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ﴾ [الآية 40] عطف على أهلك أي وغيرهم من المؤمنين ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [الآية 40] من الكثيرين وكانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة، سام أبو العرب، ويافث أبو الترك، وحام أبو السودان، واثنان وسبعون رجلاً وامرأة من غيرهم. وقد روي أنه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش وفي أعلاها الطير وفي أوسطها الإنس. قال بعضهم: السبق قيد العواقب فمن أجرى له في السبق السعادة كانت عاقبته إلى السعادة ومن أجرى له في السبق الشقاوة ختم له بالشقاوة، وألسنة الأنبياء والأولياء قاصرة على السؤال لمخالفة ما جرى في الأزل لأنه حكم القاهرية وسلطان الجبارية، ذكره السلمي.

34/ ب

وأفاد الأستاذ: أن إبليس جاء إلى نوح عليه السلام وقال: احملني في السفينة، فأبى نوح عليه السلام، فقال إبليس: أما علمت أني من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم ولا مكان اليوم إلا في سفينتك، فأوحى الله إليه احمله يا نوح معك، ويقال: لم يكن لابن نوح معه مكان وهو أقرب الأحباء وأمر بحمل إبليس وهو أضعف الأعداء لأن أسرار تقدير الحق لا تجري على قياس الخلق كافة، قيل له: يا نوح إن ابنك لا تحمله والعدو فأدخله فإنه

سبحانه ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [الآية 107] من محاه وجده لم يثنه كده ومن أقصاه ربه لم يدنه نَسبه ولا حسبه ولا أبوه ولا جده ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الآية 40] بورك فيهم فلم يدخل خلل في الكون فهلك من أهلكه منهم.

﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا﴾ [الآية 41] أي في السفينة ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 41] أي ملازمين للتسمية ومستعينين بالبسملة ﴿مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [الآية 41] أي إجرائها وإرسائها أو مكانها على المجرى والمرسى اسما الزمان أو المكان. روي أنه عليه السلام كان إذا أراد أن تجري قال: بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسوا قال: بسم الله فرست. وقرأ حمزة والكسائي وحفص مجريها بالفتح من جرى وقرأ مرسيها أيضاً من رسي وكلاهما يحتمل الوجهين ﴿إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ/ رَّحِيمٌ﴾ [الآية 41] بالمؤمنين من المذنبين والمطيعين. 35/أ

قال الأستاذ: عرّفه أن نجاته من القطرة لما تقاطرت ليست ما يحيل وإن تنوعت وتكاثرت فببسم الله سلامته وبتوكله على الله نجاته وراحته لا بل بتفضله سبحانه خلاصه وعافيته.

﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ﴾ [الآية 42] أي فركبوا فيها وهي تسري بهم ﴿فِى مَوْجٍ﴾ [الآية 42] من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطراب البحر ﴿كَٱلْجِبَالِ﴾ [الآية 42] أي كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها والمشهور أن الماء على شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعاً ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ [الآية 42] كنعان ﴿وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ﴾ [الآية 42] عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه أبعده منه.

وأفاد الأستاذ: أنه كان في معزل عن أبيه بظاهره وكان في سر تقديره أيضاً بمعزل مما سبق لنوح وقومه من فضله ثم إنه نطق بلسان الشفقة وقال ببيان النصيحة: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ [الآية 42] في السفينة مصاحباً لنا بالدخول في ديننا كما يدل عليه قوله: ﴿وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الآية 42] في الدين أو في الانعزال فإنهم من المغرقين.

وقال الأستاذ: لم يقل له لا تكن من الكافرين لأنه كان حاله متلبسة على

نوح عليه السلام وكان ابنه ينافقه فقيل له: يا نوح إنه مع الكافرين لأنه في سابق حكمنا من الكافرين. هذا والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الإضافة المحذوفة وعاصم فتح الياء هنا وحفص حيث جاء اقتصاراً على الفتح من الألف المبدلة من ياء الإضافة، وقد أدغم الياء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما.

﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ [الآية 43] يحفظني من أن يغرقني.

قال الأستاذ: أخطأ من وجهين أي الهلاك من الماء وكان من الله ورأى النجاة من الجبل وهو من الله. قلت: وكذا حال من اتكل على جبل الفعل ظناً منه أن يمنعه ويعقله عن الخلل ويأبى عن ركوب سفينة الشريعة الموضوعة على متن الطريقة الجارية بين أمواج بحر الحقيقة ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [الآية 43] أي لكن من رحم الله عصمه أو لا معصوم إلا من رحمه.

قال الأنطاكي: لا اعتصام لأحد من خلق الله إلا بالله، / ذكره السلمي. 35/ ب
﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ﴾ [الآية 43] بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل الذي قصده ﴿فَكَانَ﴾ [الآية 43] أي فصار ﴿مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [الآية 43] لكونه كان في علم الله من المهلكين.

﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ﴾ [الآية 44] نقص ﴿وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [الآية 44] أي وكمل أمر إنجاز ما وعد من إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين.

وقال الأستاذ: لما غرق ابن نوح سكن الموج ونضب الماء وأقلعت السماء فكأنه كان المقصود من الطوفان أن يغرق ابن نوح وهو كنعان كما قيل:
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر[1]

(1) هذا البيت منسوب لأبي صخر الهذلي. انظر إعجاز القرآن للباقلاني (1/ 93)، واعتلال القلوب للخرائطي (2/ 336)، ونهاية الإرب (2/ 12).

﴿وَٱسۡتَوَتۡ﴾ [الآية 44] استقرت السفينة وثبتت ﴿عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾ [الآية 44] جبل بالموصل أو غيره. روي أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ستة أيام للأنام ﴿وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 44] هلاكاً لهم.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ﴾ [الآيـة 45] أي أراد يـراه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 45] لي ولغيري وقد وعدت أن تنجي بأهلي فما حاله أو فما له ينجُ، ولعل قوله سبحانه: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ﴾ [الآية 40] كل منهما عنده أو فهم أن المراد به امرأته فقط لا سيما وقد كان ينافقه ولده كما سبق ﴿وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [الآية 45] لأنك أعلمهم وأعدلهم وأكثرهم حكمة.

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [الآيـة 46] الـذي وعـدتـه فـإنـه داخـل فـي المستثنى أو ليس من أهل دينك ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [الآية 46] أي ذو عمل فاسد أو سمي بالمصدر مبالغة كرجل عدل. وقرأ الكسائي عمل بصيغة الماضي ونصب غير أي عمل عملاً غير صالح.

وقال الأستاذ: أي أنه ليس من أهل الوصل قسمة وإن كان من أهلك نسباً ولحمة أو إن خطابك في بابه عمل غير صالح ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ [الآية 46] أصواب هو أو غيره.

وقال الأستاذ: أي سترت عيني في حال أوليائي وأعدائي ولا يعلم غيري سر تقديري هذا. وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذا نافع وابن عامر إلا أنهما كسرا النون كغيرهما على أن أصله تسألني فحذف نون الوقاية لاجتماع النونان وكسرت التشديدة لمحافظة الياء ثم / حذفت بعد كسر ما قبلها للاكتفاء. وأثبت ورش وأبو عمرو في حال الوصل الياء. 36/أ

﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الآية 46].

قال الأستاذ: تلطف له في الجواب بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ [الآية 46] لأنه لما لم يستجب له في ولده تدارك بحسن الخطاب قلبه. قيل: إن ابن نوح بنى من الزجاج بيتاً وقت اشتغال أبيه بالسفينة فلما ركبها نوح دخل ابنه في البيت الذي

اتخذه من الزجاج فسلط الله عليه سبحانه البول حتى أخذ يبول بما امتلأ ذلك البيت من بوله فغرق كل في ماء البحر وغرق ابن نوح في بوله ليعلم أنه لا مفر من القدر. أقول: وليعلم أن من أراد النجاة بعقله أو بفعله فهو مجنون مشحون ببوله.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ﴾ [الآية 47] أي من سؤالي عنك ﴿مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ﴾ [الآية 47] بصحته ﴿عِلۡمٞ﴾ [الآية 47] من عندك ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ [الآية 47] ما صدر عني ﴿وَتَرۡحَمۡنِيٓ﴾ [الآية 47] بتوفيق التوبة وقبولها مني ﴿أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الآية 47] أعمالاً والخائبين آمالاً.

قال الأستاذ: ونسي نوح حديث ابنه في حديث نفسه فاستعاذ بفضله أو استجار بلطفه فوجد السلامة من ربه.

﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ [الآية 48] أي انزل من السفينة مسلَّماً من المكاره من جهتنا أو مسلماً عليك من عندنا وفي كلامنا وعلى ألسنة عبادنا حتى ينقاد الجن المردة والحيوانات المؤذية عند ذكرك المقرون بسلامنا ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ [الآية 48] أي أنواع بركات حاصلة لديك وراجعة إليك أو زيادات في نسلك حتى تصير آدم ثانياً فيمن بعدك ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ [الآية 48] أي وعلى أمم هم الذين معك، فمن بيانية، سموا أمماً لتحزبهم أو لتشعُّب الأمم من نسلهم أو على أمم ناشئة ممن معك فمن ابتدائية والمراد بهم المؤمنون لقوله: ﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ [الآية 48] أي في الدنيا بأنواع النعيم ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الآية 48] في الدنيا والعقبى.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه طهّر وجه الأرض من أعدائه وخصّ نوحاً عليه السلام بالسلامة من بلائه ومن معه من أصدقائه وأقربائه والأمم التي أخبر أنه سيمتعهم ثم يمسهم العذاب هم الذين ليسوا من أهل السعادة / بل إنهم من أهل الشقاوة وأصحاب الحجاب. 36/ب

﴿تِلۡكَ﴾ [الآية 49] أي قصة نوح ﴿مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 49] بعض الأخبار الغيبية ﴿نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾ [الآية 49] الإنباء أو الإيحاء ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ [الآية 49] في السراء والضراء ﴿إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ﴾ [الآية 49]

الحسنى أو الموعودة بالظفر في الدنيا وبالفوز في العقبى ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الآية 49] الشرك والمعصية والغفلة عن ذكر الله بل وعن تصور ما سواه.

وقال الأستاذ: أي أعلمتك بهذه الجملة وأبنائك بهذه القصة المجملة لما خصصناك بتعرفتنا إياك من غير أن نقلته من شخص أو قرأته من كتاب فإن قابلك قومك بالتكذيب فاصبر فإنه تنقلب هذه الأمور عن قريب.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾ [الآية 50] أي وأرسلنا إلى عاد ﴿أَخَاهُمْ﴾ [الآية 50] أي واحداً منهم ﴿هُودًا﴾ [الآية 50] عطف بيان لما قبله ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [الآية 50] وحده ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [الآية 50] على الله في إشراك عبادة ما سواه.

﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الآية 51] أي جعلاً على تبليغي ﴿إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ [الآية 51] خاطب به كل أمة رسول للأمة إزاحة للتهمة وتمحيضاً للنصيحة فإنها لا تنجع ما دامت منسوبة بالطمع ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 51] أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا الحق من الباطل وخطأكم من صوابكم.

وقال الأستاذ: لم يأت نبي من الأنبياء الكرام عليهم السلام إلا من أخبر أنه ليس لهم في مالهم طمع ولا لهم مطالبة أجر وإن الذي يعمل معه لا يطلب الأجر من غير الله بل من عمل لله وعرف الله لم يطلب في الجملة أجراً لا من غير الله ولا من الله. قلت: لأن الأجر حاصل بفضل الله بل ليس لهم مقصود إلا الله ولا مشهود سواه.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ﴾ [الآية 52] أي اطلبوا مغفرته بالإيمان ﴿تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ﴾ [الآية 52] أي توسلوا إلى رحمته بالإحسان وترك العصيان أو استغفروا من الأوزار ثم توبوا إليه من الاستغفار كما قالت رابعة: استغفارنا يحتاج إلى كثير من الاستغفار[1]. وقيل: لأنه متضمن الوجود والقدرة والفعل لما سوى الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ولذا قيل: وجودك ذنب ولا يقاس به ذنب.

(1) إحياء علوم الدين (2/ 111).

وقال الأستاذ: أي استغفروا ربكم ثم توبوا إليه بعد الاستغفار من توهمكم بأن / نجاتكم باستغفاركم بل تحققوا بأنكم لا تجدون نجاتكم إلا بفضل ربكم فبفضله وتوفيقه توصلتم إلى استغفاركم لا باستغفاركم وصلتم إلى نجاتكم ولو أنه برحمته أهّلكم للاستغفار وإلا لما وصلتم إلى توبتكم واستغفاركم وتنصلكم واعتذاركم. 37/أ

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [الآية 52] أي ينزل منها المطر كثير الدر ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [الآية 52] أي ويضاعف قوتكم بزيادة قوتكم أو يمددكم بأموال وبنين كما في آية أخرى.

ومنهم قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: مَن كثر استغفاره كثر نسله أي في نفسه وماله. قيل: وإنما رغَّبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب الزراعة والعمارة.

وأفاد الأستاذ: أن الاستغفار قرع باب الرزق والإكثار للأمطار وإذا رجع العبد إلى الله بحسن ضراعته فتح عليه أبواب رحمته ووفر عليه أسباب نعمته. وقيل: ينزل على ظواهركم أمطار النعمة وعلى ضمائركم أسرار المنَّة ويزدكم قوة تحصلون بها توسعة أنواع الرزق وقوة تحصلون بها تحسين أصناف الخلق ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا۟﴾ [الآية 52] لا تعرضوا عما أدعوكم ﴿مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 52] مصرِّين على إجرامكم.

﴿قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ [الآية 53] بحجة تدل على صحة دعواك النبوة وذلك لفرط عنادهم وعدم اعتذارهم بما جاءهم من المعجزة.

قال الأستاذ: ما زادهم هود بسطاً لآياته وإيضاحاً لمعجزاته إلا زادهم الله عمى على عمى ولم يرزقهم بصيرة ولا هدى ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا﴾ [الآية 53] من جهة العبادة ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ [الآية 53] أي لأجل قولك في دعوى الرسالة ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 53] إقناطاً له من التصديق والإجابة.

﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ﴾ [الآية 54] ما نقول إلا قولاً أصابك ﴿بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ [الآية 54] أي جنون سبّك إياها وصدك عنها.

قال الأستاذ: كيف يظنون أن آلهتهم مسّت أعداءهم بضر وهي لم تمسهم بخير فالأصنام لا تضرّ أعداءها ولا تنفع أولياءها ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ﴾ [الآية 54] أي الذي لا أشاهد سواه ﴿وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الآية 54].

﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝٥٥﴾ [الآية 55] أي لا تهملون ولا تؤخروا أمري وهذا كمال نعمة الله وامتناعهم عن أضراره ليس إلا بعصمته إياه / 37/ب ولذلك عقبه بقوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ [الآية 56] أي لا أعتمد على من سواه.

قال الأستاذ: أخبر أنه بموعود الله له من نصرته واثق وأنه في خلوص طاعته وصفاء معرفته صادق ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ﴾ [الآية 56] أي مالك لها وقادر عليها ومتصرفاً على ما يريد بها والأخذ بالنواصي تمثيل لذلك. قال بعضهم: كيف يكون لك محل وأنت لغيرك قيامك ولذلك قيل: من قال فقد نازع القبضة، ذكره السلمي. ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الآية 56] أي إنه على العدل القويم لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم.

ومن تفسير «**بحر الحقائق**» في قوله: ﴿إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ﴾ [الآية 56] أي هو الذي يربيني على طلب الحق ويربيكم على طلب الباطل ما من دابة تدبّ في طلب الخير والشر إلا هو آخذ بناصيتها يجريها إلى النفع والضر وهي من قبضة قدرته مذلّلة له إن ربي على صراط مستقيم في إصلاح أهل الخير وإفساد حال أهل الشر. ومعناه من يطلبه فليطلبه على صراط مستقيم والشريعة على قدم الطريقة فإنه يصل إليه بالحقيقة وأيضاً يعني الصراط المستقيم هو الذي ينتهي إليه لا إلى غيره بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النّجم:الآية 42].

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ [الآية 57] أصله تولوا ولذا قرأ البزي بتشديد التاء وصلاً فإن تعرضوا عما نفعه عائد إليكم ﴿فَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦٓ إِلَيۡكُمۡۚ﴾ [الآية 57] فلا تقصير مني ولا عذر لكم عني ﴿وَيَسۡتَخۡلِفُ رَبِّي﴾ [الآية 57] في دياركم وأموالكم ﴿قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ﴾ [الآية 57] ثم لا يكونوا أمثالكم بل يكونون أطوع منكم مع أن فناءكم وبقاءكم مستويان عند ربكم إذ الحق سبحانه بوجود الأعيان لا يلحقه زين

وبفقدهم لا يمسهم شين فلا فرق إن وحدوا وعبدوا أو جحدوا وألحدوا ﴿وَيَسْتَخْلِفُ﴾ [الآية 57] مستأنف عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة الشاذة بالجزم على المحل ولا تقرونه شيئاً من الضرر ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [الآية 57] رقيب ومطّلع فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم وفق أحوالكم.

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 58] بالعذاب أو عذابنا المأمور من عندنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [الآية 58] وكانوا أربعة آلاف/ . 38/أ

قال الأستاذ: لم يقل باستحقاقه النجاة بوسيلة نبوته أو لحشمة طاعته ورسالته بل قال ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الآية 58] ليعلم الكل أن الأنبياء عليهم السلام ومَن دونهم عتيق برحمته وغريق منته لا استحقاق لأحد ولا واجب على الله لبشر. قلت: ويدل عليه حديث البخاري وغيره: لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته[1] ﴿وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [الآية 58] تذكير لبيان ما نجي منه وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة فتقطع أمعاءهم وتخرج من أدبارهم. أو المراد به ننجيهم أيضاً من عذاب الأخرى والتعريض بأن المهلكين كما عذبوا في الدنيا فهم معذبون بالعقبى.

﴿وَتِلْكَ عَادٌ﴾ [الآية 59] أي تلك القبيلة ﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 59] كفروا بها وأعرضوا عنها ﴿وَعَصَوْا رُسُلَهُ﴾ [الآية 59] الذين أظهروها ومن عصى رسولاً فقد عصى الرُّسل لأنهم أمروا بطاعة الكل ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [الآية 59] أي متكبّر معاند، والمعنى عصوا من دعاهم إلى الإيمان وما ينجيهم وأطاعوا من دلّهم على الكفران وما يرديهم.

وأفاد الأستاذ: أن إنزال قصتهم تسلية للرسول ﷺ فيما كان يقاسيه من البلاء وتقوية للمؤمنين فيما ندبوا إليه من حسن الرجاء فالعدة في تبديل ما كانوا يلقونه من الشدة بالرخاء.

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6463)، ومسلم في الصحيح (2816/ 71).

﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 60] أي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدنيا والآخرة فهم في محنة الفرقة وعقوبة الحرقة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم خسروا في الدنيا والعقبى أما هذه الدنيا فالاستئصال بألم الشدة ثم ما أتبعوا به من اللعنة، ثم ما يلقونه في الآخرة من تأبيد الشقوة وبقاؤهم عن الرحمة أصعب من صنوف كل تلك المحنة، كما قيل:

تبدلت وتبدلنا واحسرتا من ابتغى عوضاً لسلمى فلم يجد[1]

﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 60] أي جحدوا ربوبيته أو كفروا نعمته ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ﴾ [الآية 60] دعاء عليهم بالإبعاد، وكرر ألا، وذكر أرباب البلاء تعظيماً لأمر مآلهم وتخييباً على الاعتبار بحالهم ﴿قَوْمِ هُودٍ﴾ [الآية 60] عطف بيان لتبيين أنهم عاد/ الأولى دون عاد الثانية وهي عاد إرم والله أعلم. وقيل: 38/ب ينادى يوم القيامة بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا﴾ [الآية 60]... إلى آخر الآية.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 61] هو كوَّنكم منها وكفكم فيها لا غيره فإنه خلقهم من آدم وآدم خلق منها. ومراد الفطن الذي خلق نسله أيضاً منها والمراد منها التراب هنا أو التقدير من ترابها ﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [الآية 61] أعمركم فيها، فاستعمر بمعنى أعمر كاستهلك بمعنى أهلك أو أقدركم على عمارتها.

وعن الضحاك أطال عمركم فيها فإن الواحد كان يعيش ثلاثمائة إلى ألف سنة ﴿فَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [الآية 61] لما مضى ﴿ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ [الآية 61] فيما بقي يسمع كلام مناجيه ﴿إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [الآية 61] من مرام راجيه.

﴿قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا﴾ [الآية 62] أي بيننا ﴿مَرْجُوًّا﴾ [الآية 62] فيك الخير لنا والرشاد والصلاح فيما بين العناء من ﴿قَبْلَ﴾ [الآية 62] فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك ﴿أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا

(1) هذا البيت منسوب لأبي محمد الجوهري. انظر تاريخ دمشق (37/ 288)، وتفسير القشيري (3/ 63).

تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الآية 62] من توحيد الله والتبريء عن ما سواه ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 62] موقع في الريبة وموجب للشبهة.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ﴾ [الآية 63] أي فرضاً وتقديراً ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ [الآية 63] بيان وبصيرة أو حجة ومعجزة ﴿مِّن رَّبِّى﴾ [الآية 63] من عنده ولطفه ﴿وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً﴾ [الآية 63] أي نبوّة من فضله ﴿فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 63] من يمنعني من عذابه ﴿إِنْ عَصَيْتُهُۥ﴾ [الآية 63] في تبليغ المنع عن إشراكه ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِى﴾ [الآية 63] حينئذ باستتباعكم ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ [الآية 63] غير أن تخسرون بإبطال ما منحني الله به.

﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الآية 64] نصبها على الحالية وعاملها معنى الإشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 64] فاتركوها ترعى نباتها وتشرب ماؤها ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [الآية 64] بما يسوؤها ﴿فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ [الآية 64] عاجل لا يتراخى عن مسّكم بالسوء لها إلا يسيراً وهو ثلاثة أيام ولياليها.

﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ﴾ [الآية 65] عيشوا في منازلكم السفلى أو في داركم الدنيا ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ﴾ [الآية 65] الأربعاء والخميس والجمعة ثم العقوبة ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ/ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [الآية 65] أي غير كذاب أو غير مكذوب فيه لأن وقوعه بالنقد في الحال لا بالوعد في المآل. 39/ أ

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الآية 66] كما قدمناه ﴿وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ﴾ [الآية 66] أي ونجيناهم من خزي يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلّهم وفضيحتهم يوم القيامة. وقرأ نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف إلينا من المضاف إليه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ﴾ [الآية 66] القادر على إمضاء حكمه ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ [الآية 66] الغالب على أمره.

﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الآية 67] أي هالكين.

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ﴾ [الآية 68] لم يقيموا فيها سالمين ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟

﴿كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ [الآية 68] قرأ حفص وحمزة بمنع صرفه للعلمية وتأنيث القبلية والباقون بالتنوين باعتبار الحي ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾ [الآية 68] نوَّنه الكسائي وحده.

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ [الآية 69] أي الملائكة وكانوا تسعة أو ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل ﴿إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [الآية 69] ببشارة الولد، وقيل: بهلاك قوم لوط أو بأن نسبة الخلة ثابتة وأنها لا تنقطع. وقيل بخروج محمد ﷺ من نسله، ذكره السلمي. وقيل: كانت البشارة بإسحاق وببقائه حتى يولد له ولد لقوله: ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 71] يعني من نسله ذكره الأستاذ، ولا منع مع الجمع في مقام المراد. ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الآية 69] سلمنا عليك سلاماً أو اذكروا ﴿قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [الآية 69] أمركم سلام وجوابي سلام أو عليكم سلام رفعه في إجابتهم ليكون أحسن من تحيتهم. وقرأ حمزة والكسائي قال سلم بالكسر والسكون وهما لغتان.

قال ابن عطاء: قالوا لك رتبة الخلّة السالمة من الذلّة قال سلام أي هذا السلام الذي يوجب السلامة من السلام.

وقال الترمذي: كان الملائكة قصدوا إهلاك قوم لوط فلما رآهم الخليل عليه السلام فزع منهم فقالوا سلاماً أي قد سلمت أنت وأهلك من قصدنا بالإهلاك فقال: سلام، أي الحمد لله الذي أمَّنني وأهلي من الهلاك.

وأفاد الأستاذ: أن تلك البشارة هو قولهم سلاماً وإن ذلك كان من الله وأي بشارة أتم من سلام الخليل/ على الخليل، وأن صباحاً يكون مفتتحاً بسلام الحبيب فصباح مبارك وهذا إذا كان مساء. 39/ب

﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [الآية 69] أي مشوي وسمين لآية أخرى، والمعنى فما أبطأ بجيبه، وفيه إشارة إلى أنه إذا أنزل الضيف يحبب المبادرة إلى تقديم السفرة.

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ﴾ [الآية 70] لأن الامتناع من أكل ما تقدم إلى الضيف معدود من الجفاء في مذهب أرباب الوفاء.

قال جعفر الصادق: مَن لم يتناول طعام الفقراء فقد أظهر الكبرياء، ذكره السلمي. ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الآية 70] أي أدرك من جهتهم مخافة أو أضمر من أجلهم خشية كما هو من لوازم البشرية أو خاف خوف الرحمة والخشية على الأمة، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [الآية 70].

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ﴾ [الآية 71] على رؤوسهم للخدمة أو وراء الستارة تسمع المحاورة ﴿فَضَحِكَتْ﴾ [الآية 71] سروراً بزوال الخيفة ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 71] نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام، وتقديره ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب ورفعه الباقون على أنه مبتدأ خبره الظرف أي ويعقوب مولود من هذه يعقبه من صلبه.

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ﴾ [الآية 72] أصل من التشرف أطلق في كل أمر فظيع أي يا عجباً ﴿أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ [الآية 72] ابنة تسع وتسعين ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ [الآية 72] ابن مائة وعشرين، ونصبه على الحالية والعامل فيها معنى الإشارة ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [الآية 72] وأمر غريب وهو استعجاب من حيث العادة لأنه من جهة القدرة.

وإليه الإشارة بقوله: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الآية 73] بالهمزة الإنكارية فإن خوارق العادة باعتبار أهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس مما يستغربه عاقلاً فضلاً عمن نشأت وشابت في ملاحظة الآيات، ونصب أهل البيت على المدح أو النداء ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ [الآية 73] محمود بذاته وحامد لصفاته ﴿مَجِيدٌ﴾ [الآية 73] كريم بإظهار مصنوعاته.

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ [الآية 74] أي ما/ أوجس من الخيفة واطمأن قلبه بالمعرفة ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ﴾ [الآية 74] أي بعد المخافة ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [الآية 74] أي يجادل رسلنا في شأنهم ويجادلنه أيام قوله إن فيها لوطاً، وهو جواب لما جيء بالصيغة المضارعة على حكاية الحال الماضية. وقال: لما كان مراجعته مع الله في حق لوط عليه السلام بحق الله لا لحظ نفسه سلم لهم 40/أ

الجدال، وهذا يدل على علو شأنه حيث سومح له في هذا الحال.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ [الآية 75] غير متعجل على الانتقام ﴿أَوَّٰهٌ﴾ [الآية 75] كثير التأوُّه من الآثام والتأسُّف على الأنام ﴿مُّنِيبٌ﴾ [الآية 75] راجع إلى ربه في جميع الليالي والأيام، وفيه إيماء إلى أن رقّة قلبه وفرط مرحمته حملته على مجادلته لأنه حق؛ غير حق أنه كان يقابل ما يرد على ماله ونفسه وولده باحتمال حمله.

﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الآية 76] أي أوحى إليه ونودي به، أو قالت الملائكة له ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ [الآية 76] الجدال أو عن هذا الحال أو توقع المحال ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [الآية 76] بعدائهم على وفق تقديره المحتم بمقتضى قضائه المبرم ﴿وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ [الآية 72] غير مصروف بجدال ولا دعاء فإن الحكم بعذابهم قد نزل ووقت الانتقام منهم قد حصل.

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ﴾ [الآية 77] ساعة مجيئهم لأنهم جاؤوا في صورة غلمان فظن أنهم ناس ضيفان فخاف أن يقصدهم قومه فيعجز عن دفعهم بنفسه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [الآية 77] صدراً وهو كناية عن شدة انقباض الحالة للعجز عن المدافعة ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [الآية 77] شديد مأخوذ من العصبية أو العصابة.

قال الأستاذ: مقاساة الحزن بحق الله محمود ولذا حمده المعبود.

﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ [الآية 78] يسرعون إليه كأنهم يدفعون عليه لطلب الفاحشة من النازلين للضيافة لديه ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ [الآية 78] تخيل تلك الحالة ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الآية 78] أنواع الفاحشة فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا مهاجرين لها ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى﴾ [الآية 78] أراد نسائهم فإن كل نبي أبو أمته من حيث شفقته وحسن تربيته. ففي قراءة ابن مسعود: وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم أو هؤلاء بناتي تزوجوهن وكانوا يطلبوهن ولا يجيبهم لخيانتهم وعدم كفاءتهم فقد أمَّنَ أضيافه / كرامة وحمية لمراعاتهم. 40/ب

قال الأستاذ: ألقى جلباب الحشمة وآثر حق الله ما هو مقتضى البشرية فلم يراهم حق الكفاءة بعدما كان فيه ترك المعصية ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ [الآية 78]

أنطق فعلاً وأفعل المبالغة نحو كمال الطهارة لقولهم: العسل أحلى من الخل، والمعنى أنهن في غاية من الطهارة والحلية لأجلكم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [الآية 78] في مخالفة أمري ﴿وَلَا تُخْزُونِ﴾ [الآية 78] لا تفضحوني ﴿فِي ضَيْفِي﴾ [الآية 78] في شأنهم أو لأجلهم فإن إخزاءهم من إخزائي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [الآية 78] يهتدي إلى سبيل سديد.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ [الآية 79] حاجة ولا ميل إلى النسوان ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [الآية 79] من إتيان الذكران.

قال الأستاذ: أصروا على صبيانهم واستمروا على طغيانهم وزهدوا في المأذون لهم شرعاً وانجروا على ما قادهم الهوى إليه طبعاً وهذه صفة البهائم لا يردعها عقل قائم، انتهى.

وقال جنيد: سمعت السري يقول: رأيت ربّ العزّة في المنام فقال لي: يا سري خلقت الخلق وخلقت الدنيا فذهب مع الدنيا تسعة أعشار الخلق وبقي معي عشر منهم، ثم خلقت الجنة فذهب مع الجنة تسعة أعشارهم وبقي معي منهم العشر، ثم سلطت عليهم البلاء ففر من البلاء تسعة أعشار ما بقي وبقي معي عشر العشر، فقلت: ماذا تريدون لا الدنيا أردتم ولا الجنة طلبتم ولا من البلاء فررتم، فأجابوني وقالوا: إنك لتعلم ما نريد، ذكره السلمي.

فانظر إلى اختلاف المرادين وفرق المريدين من الفريقين في فلول واحد وإنك لتعلم ما تريد وقد نودي أبو يزيد وقيل له: ما تريد، فقال: أريد أن لا أريد، فقال بعض أرباب المريد: هذا أيضاً إرادة غير لائقة من العبيد فإنه سبحانه هو المريد. ولله در القائل:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد[1]

﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [الآية 80] لو قويت بنفسي على دفعكم ﴿أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [الآية 80] أي إلى قوي أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في

(1) هذا البيت منسوب لابن المنجم الواعظ المعري. انظر فوات الوفيات (2/ 301) والوافي بالوفيات (6/ 105).

شدته وثباته في مرتبته، وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم، أو لو للتمني.

41/أ وقال /ابن عطاء: لو أن المعرفة بيدي لأوصلتها إليكم، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: لو أن لي بكم قوة لمنعتكم عن ارتكاب المعصية وإن أهم الأشياء على الأولياء أن لا يجري من الخلق ما ليس فيه رضا الحق، انتهى. وعن النبي ﷺ: «رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد»[1]، في الحقيقة نصرة الله ومعونته فكان النبي ﷺ استغرب من لوط عليه السلام قوله: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ﴾ [الآية 80] وعده نادر إذ لا يمكن أشد من الركن الذي كان يأوي إليه ويعتمد عليه. وروي أنه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء بابه فتسوروا جدار سطحه.

فلما رأت الملائكة ما على لوط من اضطرابه ﴿قَالُواْ يَـٰلُوطُ﴾ [الآية 81] إن ركنك لشديد ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ﴾ [الآية 81] أي إضرارك بإضرارنا فهوّن عليك ودعنا وإياهم فخلاهم فضرب جبريل بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون: النجاة النجاة فإن في بيت لوط سحرة ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الآية 81] القطع من الإسرار وقرأ نافع وابن كثير بالوصل حيث جاء في القرآن من السري وهو السير بالليل ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [الآية 81] بطائفة منه وفيه تجريد أو تأكيد ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ [الآية 81] أي لا يتخلف ﴿مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ [الآية 81] والنهي في اللفظ لأحد وفي المعنى للوط ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [الآية 81] استثناء من قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ [الآية 81] ويدل عليه أنه قرىء فأسر بأهلك بقطع من الليل ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [الآية 81] وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالرفع على البدل من أحد والظاهر أنه استثناء منقطع فيها أي لكن امرأتك لا تسر بها وإنها تسير بنفسها وتلتفت إلى ما وراءها لميلها إليهم ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ [الآية 81] لمشاركتها في المعصية معهم ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [الآية 81] كأنه عليه الأمر بالإسراء ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [الآية 81] كأنه جواب لوط في الاستبطاء. حكي عن السري أنه قال: قلوب الأحرار لا تحتمل الانتظار. وقال بعضهم: انتظار ما هو

(1) انظر تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (2/ 147) رقم (613).

كائن قريب خصوصاً إذا كان ذلك من قائل صدق وموعد حق.

وقال الأستاذ: لما ضاق به الأمر كشف الله عنه الضر فتعرّف إليه الملائكة فقالوا: لا عليك فإنهم / لا يصلون إلينا بسوء ولا إليك وإنَّا رسل ربك جئنا بإهلاكهم فاخرج أنت وأهلك من بينهم واعلم أن من شاركهم في عملهم بنوع قلة من العذاب خصه معهم ومن جملتهم امرأتك التي كانت تدل القوم على تلك الفعلة الفاحشة وأن العقوبة لاحقة بها مدركة لها فإن الجسارة على الزلّة وخيم العاقبة ولا ينفع الاتصال بالأنبياء والأولياء إذا كان في الحكم والقصة من جملة الأشقياء. 41/ب

﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 82] عذابنا أو أمرنا به ﴿جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ [الآية 82] فقد روي أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ [الآية 82] على الدنيا وأهلها أو على شذاذها ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الآية 82] من طين متحجر لقوله في آية أخرى: ﴿حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ [الذّاريَات:الآية 33] وأصله سكن كل معذّب ﴿مَّنضُودٍ﴾ [الآية 82] نضد معداً لعذابهم.

﴿مُّسَوَّمَةً﴾ [الآية 83] معلّمة لعقابهم أو معلَّمة باسم من يرمى بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 83] في خزائنه وحكم قضائه ﴿وَمَا هِيَ﴾ [الآية 83] أي تلك العقوبة أو الحجارة ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [الآية 83] فإنهم بظلمهم حقيق بأن يمطر عليهم، وفيه وعيد لكل ظالم.

وفي تفسير السلمي: الظالم من وضع ما أمر غيره موضعه. قلت: فالظالم من وضع في قلبه غير محبة الله واعتمد في حال على من سواه، وعنه ﷺ: «أنه سأل جبريل عليه السلام فقال: يعني ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة»[1].

(1) انظر تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي (2/ 148) رقم (614).

وفي تفسير السلمي: لما أدركهم الحكم السابق الجاري في الأزل قلبنا لهم أرضهم كما حكمنا عليهم بتقليب قلوبهم وصرفهم عن طريق الحق وسبيل الصدق.

وأفاد الأستاذ: أنه سنَّة الله في عباده قلب الأحوال عليهم والانقلاب من سمات الحدوث والذي لا يزول ولا يحول فهو الذي لم يزل ولا يزال بنعوته الصمدية وإن من عاش في السرور دهراً ثم بدله بعسره عسراً فكمن لا يرى قط خيراً والذي قاسى طول عمره ضراً ثم أعطي يسراً فكمن لم ير عسراً ولذا قيل: أي محنة آخرها الجنة وأي نعمة آخرها / النار، قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:الآية 110]. 42/أ

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ [الآية 84] أراد أولاد مدين ابن إبراهيم عليه السلام أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الآية 84] المعروفين نفسهما أو أحدهما ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [الآية 84] بسعة تقيكم عن النجس الذي هو غاية الخسة ﴿وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [الآية 84] لا ينفذ منه أحد منكم والمراد عذاب الاستئصال في الدنيا أو عقاب العقبى وإضافة العذاب إلى اليوم ظرفية ونسبة الإحاطة إلى اليوم مجازية. قال بعضهم: أقرب حالك إلى الاستدراج أيام الأمن والدعة وزمان تواتر النعمة. وقال بعضهم: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ﴾ [الآية 84] بسعة وإني أخاف عليكم بتقصيركم شكر النعمة. ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر عن قصتهم وما أصابهم من العذاب الأليم والبلاء العظيم وفي الظاهر إجرامهم كانت يسيرة ولعل العوام يرون أمثالها صغيرة ولا يقولون إنها كبيرة إذ ذاك تطفيف في المكيال وليس لذلك كثير أثر في نقص المال وليس قدر الإجرام لأعيانها ولكن بمخالفة الجبار حيث عظّم شأنها كما قال الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النُّور:الآية 15].

قلت: ولهذا المعنى قيل: ليس في الذنوب من صغيرة. وقيل: احتقار كل صغيرة، كبيرة.

﴿وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الآية 85] صرح الأمر بالإبقاء بعد النهي عن ضده مبالغة في الاعتبار وتشبيهاً على أنه لا يكفيهم الكف عن نعمة طلب اللطف بل يلزمهم السعي في الإبقاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها ولا يتصور بغيرها، أو المراد بالأول نقص أنفسهما وبالثاني بخس ما فيهما بالعدل، أي بالسوية من غير النقصان والزيادة فإن الزيادة فضل وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظوراً كما في بيع مثله بمثله ﴿وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ﴾ [الآية 85] تفهيم بعد تخصيص فإنه أعم من أن يكون في المكيل والموزون أو غيرهما كالمعدود والمزروع / ونحوهما، وكذا قوله ﴿وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ [البَقَرَة:الآية 60] فإن العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد. وقيل: المراد بالبخس أحد العشور من المعاملات المسمى بالمكس والعَسْو السرقة الكبرى والصغرى والغارة وفائدة الحال إخراج ما يقصد به إصلاح المال كما فعله الخضر عليه السلام. وقيل معناه: لا تعثوا في الأرض مفسدين أمور دنياكم ومصالح أخراكم. 42/ب

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ [الآية 86] ما أبقاه من مال حال لكم بعد الفترة عما حرم عليكم ﴿خَيۡرٌ لَّكُمۡ﴾ [الآية 86] مما تجمعون بالتطفيف ونحوه من أعمالكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ﴾ [الآية 86] مصدِّقين لي في تضمني لكم ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الآية 86] أحفظكم عن قبائحكم أو أحفظ عليكم أعمالكم وعليها أجازيكم وإنما أنا نذير وقد اعتذرت حين أنذرت. وقال بعضهم: ما ادخره الله من الكرامات خير لكم مما تسألونه من المرادات أن كنتم مؤمنين إن اختيار الحق لعبده خير من اختياره لنفسه، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: يعني القليل من الحلال أجدى من الكثير المعقب للوبال فلم يقابلوه نصيحته لهم إلا بالعنود وبالتمادي بما هو دأبهم من الجحود.

﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ [الآية 87] من الأصنام والأنداد، وقرأ حمزة والكسائي وحفص: صلاتك بالإفراد، والمعنى أصلاتك تأمرك بتكليف أن تترك، فحذف المضاف للعلم بأن الرجل لا يأمر

بالفعل غيره وتركه ﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا۟ۖ﴾ [الآية 87] عطف على مرادي أو أن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا من تقطيع الدراهم والدنانير ونحو ذلك ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [الآية 87] تهكموا به وقصدوا وصفه بضده كما تهكموا بصلاته الزائدة على سائر عباداته.

﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى﴾ [الآية 88] أي معرفة وحكمة ونبوَّة من فضل ربي ﴿وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ﴾ [الآية 88] من المال الحلال من عنده وكرمه بلا كد مني في تحصيله أو في حصول أصله فذر ما يكفيني وعن أمثالكم يغنيني. وجواب الشرط محذوف تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام الكلي الجامع للسعادات الروحانية / والجسمانية أن أخونه في وحيه وأخالفه في أمره وغيبه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف من النهي عن المنكر والأمر بالمعروف.

43/ أ

وأفاد الأستاذ: أن البينة نور يستبصر به ما خفي على من هو تحت خطر الغفلة والرزق الحسن ما به دوام الاستقلال وما ذلك إلا بمقتضى عنايته الأزلية وحسن تولية شأنه في جميع ما فيه خلاصه من إتمام النعمة ودوام العصمة. ويقال: الرزق الحسن ما كفي لصاحبه كد طلبه ولم يصبه نصب بسببه أو هو ما هو غير مرتقب ولا محتسب ولا مكتسب فيصل إليه بلا تعب أو هو ما يستوفيه شهود الرزق ويختطفه من النعم بوجود الإرفاق، أو هو ما لا يشاء الرزاق ويحمل صاحبه على التوسعة في الإنفاق.

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ﴾ [الآية 88] أي ما أريد أن آتي إلى ما أنهاكم عنه لا يستبد به فلو كان صواباً لآثرته ولم أعرض عنه فضلاً عن أن أنهى عنه.

قال أبو عثمان: ليس بواعظ مَن كان واعظاً دون عمله.

وقال الأستاذ: لا يمكن للناصح أن يساعد المأمور في كل ما يأمره به ولكن ~~يجب أن لا يحول حول ما يتمناه عنه فإن الإتيان بجميع الطاعات غير ممكن~~ والتجرد عن جميع المأزورات واجب، ويقال: مَن لم يكن له حكم على نفسه في

المنع عن الهوى لم يمض له حكم على غيره فيما يرشده إليه من الهدى ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ﴾ [الآية 88] ما أريد إلا أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع إصلاحكم ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ [الآية 88] التوفيق جعل الأسباب متوافقة أي وما يكون موافقاً لإصابة الحق وسلوك صوب صواب الصدق ﴿إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الآية 88] أي إلا بهدايته ومعرفته. قيل: مرادي إصلاحكم إن ساءكم التوفيق وما توفيقي إلا بالله في التحقيق. وقيل: التوفيق حسن عناية من الحق سبق إلى بعض الخلق ليس فيه سبب ولا منه مطلب.

وأفاد الأستاذ: أن حقيقة التوفيق ما يتفق به الشيء وفي الشريعة التوفيق ما يتفق به الطاعة وهو قدرة الطاعة ثم كل ما يقرب العبد من الطاعة من توفير الدواعي وفنون التنبيهات يعد من جملة التوفيق على التوسع والاستفادة والتوفيق بالله / ومن الله وهو سبحانه متفضّل بإعطائه ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ﴾ 43/ب [الآية 88] فإنه القادر على كل شيء وما عداه عاجز في حذف أنه بل معدوم ساقط عن درجة اعتباره. وفيه إشارة إلى محض التوحيد الذي هو أنضر مراتب العلم ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الآية 88] إيماء إلى معرفة المعاد.

وأفاد الأستاذ: أن التوكل تفويض الأمر إلى الله وأمارته ترك التدبير بشهود التقدير والثقة بالوعود عند عدم الموجود وتبين ذلك بانتفاء الاضطراب عند عدم الأسباب. ويقال: التوكل سكون القلب بمضمون الرب.

﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ [الآية 89] لا يسيئكم ﴿شِقَاقِيٓ﴾ [الآية 89] مخالفتي ومعاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ [الآية 89] من الغرق ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ﴾ [الآية 89] من الريح ﴿أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍۚ﴾ [الآية 89] من الرجفة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [الآية 89] زماناً ومكاناً فإن لم تعتبروا بمن قبلكم فاعتبروا بهم، وإفراد بعيد للفظ قوم أو أريد إهلاكهم على تقدير مضاف.

﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ﴾ [الآية 90] استعينوا بالمغفرة والإيمان والمعرفة ﴿ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِۚ﴾ [الآية 90] عما أنتم عليه بتجديد التوبة في كل لمحة عن الغفلة.

وأفاد الأستاذ: إن الاستغفار هو التوبة فالمعنى توبوا إليه ثم داوموا عليه

فإنه إذا لم يتصل وفاء المآل بصفاء الحال ولم يحصل القبول وكأن لم يكن لما سلف حصول ﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ [الآية 90] عظيم الرحمة لأهل التوبة ﴿وَدُودٌ﴾ [الآية 90] لأرباب المودة وأصحاب المحبة. والمعنى فاعل بهم من لطفه وإحسانه ما يفعل البليغ المودة بمن يودّه من أهله وجيرانه.

وقال الأستاذ: يرحم العصاة لأنه يودهم، ويقال: يرحمهم ولذلك يودونه والودود يكون بمعنى المودود كالحلوب بمعنى المحلوب، والرحمة تكون لصاحب المعصية فإن المطيع يستحق المثوبة على الطاعة ثم ليس كل من يحب السلطان في محل الأكابر فإن من الجند أصاغرهم قد يحبون الملك على إضعافهم. وأنشدوا:

ألا رُبَّ مَن يدنو ويزعم أنه   يودّك والنائي أودّ وأقرب[1]

قلت: ونظيره قوم في صحن الحرم بوصف الغيبة عن الرب وجميع في تيه اليمن تبعث الحضور بحسب القلب.

44/أ ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [الآية 91] / أي ما نفهم صحة ما تقول من وجوب التوحيد وحرمة البخس ونحوهما وما ذكرت دليلاً عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وناصح الأذكياء ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ [الآية 91] أي مهيناً لا عز لك فينا. وقيل: قليل العقل بمصالح الدنيا، ذكره السلمي ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ [الآية 91] أي عزَّة قومك عندنا لكونهم على ملتنا ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ [الآية 91] لقتلناك برمي الأحجار ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [الآية 91] فتمنعنا عزتك عن رجمنا إياك وهذا دأب السفيه البليد يقابل الحجج بالسب والتهديد.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [الآية 92] أي جعلتموه بالمنسي المنبوذ وراء الظهر بإشراككم به وإهانتكم برسوله فلا تبقون عليّ لله وتراعون جانب من سواه، والهمزة للتوبيخ وظهري منسوب إلى

---

(1) نسبه أبو بكر بن طاهر الأبهري إلى رجل يودع الكعبة. انظر طبقات الصوفية (1/ 109) رقم (12).

الظهر وظهر بالكسر من تغيير النسب ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الآية 92] فلا يخفى عليه شيء منها فيجازيهم عليها بحسب مراتبهم فيها.

قال الأستاذ: إن ربي يكافئكم على أعمالكم وهو أعلم بما تستوجبونه في جميع أحوالكم.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [الآية 93] سبق مثله في سورة الأنعام، والفاء في سوف تعلمون هنا لكي للتصريح بأن الإقرار والتمكن عليه سبب لذلك وحذفها ها هنا لأنه جواب سائل، قال: فما يكون بعد ذلك فهو أبلغ في مقام التهويل عن المهالك ﴿وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ﴾ [الآية 93] على من يأتيه لا لأنه قسيم له بل لأنهم لما أوعدوه وكذبوه قال: سوف تعلمون من المعذّب والكاذب مني ومنكم ﴿وَٱرْتَقِبُوٓاْ﴾ [الآية 93] انتظروا ما يفعل بي وبكم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ [الآية 93] بمجيء عذابنا مراقب لحكم ربي وربكم وهذا من باب إرخاء العنان مع أهل العدوان.

﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا﴾ [الآية 94] بمجيء عذابنا ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [الآية 94] ذكره بالواو كما في قصة عاد وإذا لم يسبقه ذكر وعيد يجري بجري السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فإنه ذكر بعد الوعيد وذلك قوله: ﴿وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ [الآية 65] وقوله: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ﴾ [الآية 81]، ولذلك جاء بفاء السببية قال: ﴿وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الآية 94] / روي أن جبريل صاح بهم فهلك جميعهم ﴿فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الآية 94] ميتين جامدين خامدين. 44/ب

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ﴾ [الآية 95] كأن لم يقيموا في منازلها ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [الآية 95] شبّههم بهم لأن عذابهم كان أيضاً بالصيحة إلا أن صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم.

وأفاد الأستاذ: أن شعيباً عليه السلام وثق بكون الموعود في الاستقبال فأرخى لهم ستر الإمهال فلما حلّت بهم العقوبة وانتهاء آجالهم في الغواية، صاروا كأن لم يكن منهم نافخ نار ولا في ديار الظالمين من ديار. قال

تعالى: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر:الآية 2].

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الآية 96] المعجزات ﴿وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ [الآية 96] أي حجة ظاهرة وهي العصا أو اليد البيضاء وأفردها لأنها أبهرها.

﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ [الآية 97] أتباعه ﴿فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ﴾ [الآية 97] بالكفر بموسى وربه وذلك لفرط غوايتهم وكثرة جهالتهم ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [الآية 97] أي مرشد أو ذي رشد يؤدي إلى طريق السداد وإنما هو من محض يفضي إلى البعاد.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه كرر قصة موسى عليه السلام تفخيماً لشأنه وتنبيهاً على علو قدره ومكانه فالآيات التي أرسل بها معجزاته الباهرة وبراهينه القاهرة وأصعب عدو قهره أولاً نفسه دلّه الله سبحانه على ذلك كما قال: إلٰهي أين أطلبك فقال: عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، فنبَّهه على استصغاره لنفسه وانكساره لربه بقلبه فزالت صولته وصار معصوماً عن شهود فضيلته والسلطان الذي خصه به استيلاؤه على قلوب من رآه كما قال: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾ [طه:الآية 39] فلم يره أحد إلا أحبه.

ثم لم يأخذه في الله ضعف ولا فشل، لطم وجه فرعون وهو رضيع كما في القصة ولطم وجه ملك الموت لما طالبه بقبض روحه كما في الخبر، وأخذ برأس أخيه يجره إليه لما رجع من سماع الخطاب عند المعاتبة، وأقدم بالجسارة على سؤال الرؤية وقتل القبطي لما استعان به من وافقه في العقيدة، وقال الله تعالى: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ﴾ [الأعراف:الآية 155] لما أخبره الحق بما عمل قومه من عبادة العجل بحكم / الضلالة، ففي جميع هذا تجاوز الله عنه لما أعطاه من السلطان والقوة. 45/ أ

﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 98] أي يتقدَّمهم إلى نار العقبى كما كان يتقدمهم إلى الضلالة في الدنيا ﴿فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾ [الآية 98] ذكر بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه وترك النار لهم منزلة الماء فسمي إتيانها موروداً ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ﴾ [الآية 98] أي بئس الورد الذي وردوه فإنه يراد لتبريد الأكباد والنار

لتحريق الأجساد وتقطيع الفؤاد.

﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 99] أي الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الآية 99] أي يلعنون في الدنيا والآخرة، أو تقديره ويوم القيامة يقال لهم ﴿بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [الآية 99] وبئس العون المعان والعطاء المعطى والمخصوص بالذم محذوف أي رفدهم وهو اللعنة في العقبى أو في الدنيا والأخرى.

وقال الأستاذ: أبعدوا في عاجلهم من الإيمان والأمان وفي آجلهم من الغفران والجنان والذي في الحال من الفرقة أعظم في التحقيق من الذي في المآل من الحرقة هذه صفة من امتحنه الله باللعنة.

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 100] أي النبأ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية 100] المهلكة في الدنيا ﴿نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ﴾ [الآية 100] مقصوص عليك ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ﴾ [الآية 100] من تلك القرى باق كالزرع القائم ﴿وَحَصِيدٌ﴾ [الآية 100] ومنها عافي الأثر كالزرع المحصود، والجملة مستأنفة.

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ [الآية 101] بإهلاكنا إياهم ﴿وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الآية 101] باختيار الكفر لهم ﴿فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ [الآية 101] فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم ﴿ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [الآية 101] حين جاءهم عذابهم وحصل حجابهم وأنزل عليهم ما أصابهم ﴿وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ [الآية 101] أي هلاك أو تخسير وتخييب.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ﴾ [الآية 102] أي أهلها ﴿وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [الآية 102] حال منها وفائدتها الإشعار بأنهم أخذوا لظلمهم المؤدي إلى الظلمة والإنذار لكل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [الآية 102] صعب غير مرجو الخلاص والمناص، وهو كناية عن المبالغة في التحذير عن المخالفة.

وأفاد الأستاذ: أن الحق سبحانه يمهل ولكن لا يهمل ويحكم ولكن لا يجهل ويعلم ثم لا يعجل وأنه لا يسأل عما يفعل ويقال إذا أخذ النفوس بالتوفيق فلا سبيل للخذلان وإذا أخذ القلوب بالتحقيق فلا طريق للحرمان

45/ب عليها، / قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البُرُوج:الآية 12].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 103] فيما نزل بالأمم المعذبة أو فيما قصد الله من القصة المقرونة بالقصة ﴿لَآيَةً﴾ [الآية 103] لغيره ﴿لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية 103] يعتبر به من جهة المواعظ لعلمه بأنه ما حاق بهم من العقوبة في الدنيا أنموذج مما أعد الله للمجرمين في العقبى ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 103] إشارة إلى يوم القيامة وعذاب الآخرة ﴿يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ﴾ [الآية 103] أي يجمع له الخلق والمعنى الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة بالمثوبة والعقوبة ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [الآية 103] أي مشهود فيه الكائنات من أهل الأرضين والسموات.

قال أبو سعيد الخراز: مَن غاب في حقيقة عين الجمع لا يهوله ما جمعوا له من ذلك المقام ومن كان في كشف المشاهدة لم يتعجب من شهود ذلك اليوم، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الأيام ثلاثة: مفقود وهو أمس ليس بيدك منه شيء، ويوم مقصود وهو غد لا تدري تدركه أم لا، ويوم مشهود وهو اليوم الذي أنت فيه والمقصود ربما تبلغ فالمشهود وقتك وهو بِعَرضِ الزوال فاشغله بما ينفعك في الحال والمآل.

﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ﴾ [الآية 104] أي اليوم الموعود ﴿إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [الآية 104] أي لانتهاء مدة معدودة وغاية متناهية معلومة. والمراد بالأجل هنا مدة التأجيل كلها لا منتهاها فإنه غير معدود في عالم الوجود.

وأفاد الأستاذ: أن الأجل لا يتقدم ولا يتأخر والحيل متقاصرة والآجال على ما عملها الحق وأرادها به جارية فللطلب وقت إذا جاء أجله وكذلك للوصول وقت أي وإن كان قبله أمله، فالطلب مع رجاء الوصال والوجود مع خوف الزوال. ولقد قال بعض أرباب الحال:

عيب السلامة أن صاحبها متوقع لقواصم الظهر[1]

---

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 374) و(7/ 228).

وقضية البلوى ترقب أهلها عقب الرجاء ونوبة الدهر.

﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ [الآية 105] أي الجزاء أو القضاء، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأتِ بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة ﴿لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ﴾ [الآية 105] لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب أو شفاعة ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [الآية 105] أي بإذن الله وهذا في موقف وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: الآيتان 35،36] في موقف آخر أو المأذون فيه هي الأجوبة الحقة والممنوع عنه الأعذار الباطلة كما يشير إليه قوله سبحانه: / ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبإ:الآية 38]، ﴿فَمِنْهُمْ﴾ [الآية 105] أي من الناس أو من أهل الجمع ﴿شَقِيٌّ﴾ [الآية 105] وجبت له النار بمقتضى الوعيد ﴿وَسَعِيدٌ﴾ [الآية 105] وجبت له الجنة بموجب الوعد نفسه، قال ﷺ: «السعيد مَن سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه»[1] رواه الطبراني في معجمه الصغير عن أبي هريرة مرفوعاً. 46/ أ

قال جنيد: الشقي من حرم الرحمة والسعيد من رزقها.

وقال إبراهيم الخواص: الشقي من اعتمد على نفسه في تدبيره والسعيد من فوّض أمره إلى ربه.

وأفاد الأستاذ: أن الشقي من قسم له الحرمان في آزاله والسعيد من رزق له الإيمان في مآله، يقال: الشقاء على قسمين: قوم شقاؤهم غير مؤبد وقوم شقاؤهم على التأبيد وكذلك القول في السعادة فالشقي الذي على التأبيد من هو في أسر التأبيد ونسيان جريان التقدير والسعيد من رجع من ظلمات التدبير وحصل على وجد شهود أنوار التقدير. وأما الشقي على التأبيد فمنهم أهل الخلود في مقتضى الوعيد والسعيد على التأبيد هم الذين قال الله فيهم: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:الآية 35].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ [الآية 106] إخراج النفس أولاً

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (8/ 223) رقم (8465)، وفي المعجم الصغير (2/ 56) رقم (773)، وانظر كشف الخفا (1/ 452) رقم (1475).

﴿وَشَهِيقٌ﴾ [الآية 106] رد النفس آخراً كما في طريق أصوات الحمير من النهيق شبه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه من شدة كربه.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [الآية 107] عبارة عن التأبيد والمبالغة فإن النصوص دالة على دوام العقوبة والمراد سموات الأرض وأرضها كما يدل عليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:الآية 48] والسموات أو المراد بها العلويات والسفليات ولا يخلو عنهما الكائنات ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 107] استثناء من الخلود في النار لأن بعض أهلها، وهم فسّاق الموحدين، يخرجون منها بوقت شاء ربها وذلك كاف في مسحة الاستثناء لأن زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فإنهم مفارقون عن الجنة أيام العقوبة فإن التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وإن / شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بإيمانهم. 46/ب
وقيل: إلا ها هنا بمعنى سوى كقولك: عليّ ألف إلا الألفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا حد لها على مدة بقاء السموات والأرض. ثم قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 107] أن ينقلهم إلى نوع آخر من العذاب غير الزفير والشهيق يعني وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة وهو الفوز بتتمة الرؤية. ثم قال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الآية 107] أن لا يلحقهم تلك العقوبة قبل أن يدخلهم النار فالاستثناء لبعض أوقاتهم من العقوبة قبل إدخالهم النار لا بعد إدخالهم فيها، يعني وكذلك استثناء أهل الجنة لبعض الأزمنة المتقدمة الحالية من النعمة الحاصلة بدخول الجنة قبل إدخالهم فيها لا بعد استقرارهم بها ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [الآية 107] وهو المحمود في كل أفعاله ولو لم يظهر لنا حكم بعض أفعاله.

وقال الأستاذ: فيه إشارة إلى أن الذي يحصل كما يحصل كل بمشيئته لا باستحقاق عمل ولا بإيجاب مثوبة.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ﴾ [الآية 108] وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالبناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده ﴿فَفِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [الآية 108].

قال الأستاذ: اليوم في جناب القربة وغداً في جناب المثوبة وبضدهم الكفار اليوم في عقوبة الفرقة وغداً في عقوبة الحرقة ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [الآية 108] أي أعطوا عطاء غير مقطوع وهو تصريح بأن الثواب لا ينقطع وتنبيه على أن المراد بالاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولأجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد.

وقال الأستاذ: فيه دلالة على أن تلك النعمة غير مقطوعة ولا ممنوعة.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الآية 109] أي المشركين الحمقى أي من بطلان عبادتهم وبرهان ضلالتهم ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ [الآية 109] من غير علم بأن آلهتهم لا تنفع ولا تضر لعبادتهم مع زيادة إفادة أن الأبناء في تخصيص تقليد الآباء ﴿وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [الآية 109] حفظهم جميعهم من تعذيبهم في العقبى أو من رزقهم في الدنيا ﴿غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [الآية 109] من النصيب وهو تأكيد لتقييد التوفية.

/ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [الآية 110] أي في الكتاب أو في موسى فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة كما اختلفت أمتك في القرآن من جهة الإيمان والكفران ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن﴾ [الآية 110] أي حكم أزلي من ربك بتأخير العقاب إلى العقبى عن قومك ﴿رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ﴾ [الآية 110] لحكم عليهم في الدنيا لتمييز ما بينهم بإنزال ما يستحقه المبطل منهم لتبيين حال الحق فيهم ﴿وَإِنَّهُمْ﴾ [الآية 110] أي كفار قومك ﴿لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ﴾ [الآية 110] من القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾ [الآية 110] موقع في الريب وموجب للشبهة. 47/أ

﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ [الآية 111] قرأ نافع وابن كثير وأبو بكر بتخفيف إن مع العمل اعتباراً للأصل وتنوين كلاً بدل من المضاف إليه، والمعنى وإن جميع المختلفين من المؤمنين والكافرين ﴿لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [الآية 111] اللام الأولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد وما مزيدة للفصل بينهما، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد الميم على أن أصله لمّن ما فقلبت النون ميماً للإدغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن ﴿إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الآية 111] فلا يفوت عنه

شيء وإن خفي عن غيره.

﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [الآية 112] من الاستقامة في العقائد بالتوسط بين التشبيه والتعطيل وفي القيام بوظائف العبادات وكذا في الإنصاف بتحسين الأخلاق من غير إفراط وتفريط في مرتبة الكمال والتكميل ولصعوبة هذا الأمر وغايته في التفسير قالوا: الاستقامة خير من ألف كرامة. وعنه عليه السلام: «شيبتني سورة هود»(1)، والحاصل أن الاستقامة هي ملازمة الصراط المستقيم وملاحظته في كل حالة وهو كالصراط الموعود والجسر الممدود أدق من الشعر في معرفة الحدود وأحد من السيف المحدود، ولهذا المعنى وجب طلب الثبات على هذا المبنى في فاتحة الكتاب التي هي فصل الخطاب.

وأفاد الأستاذ: أن السين في الاستقامة سين الطلب أي سل من الله الإقامة لك على الحق وحقيقة الاستقامة على الطاعة المداومة على القيام بحقها من غير إخلال بها. ويقال: المستقيم من لا ينصرف عن طريق الله ومن لم يصل إلى الله ويصل سيره فيراه وورعه بتقواه ويبالغ في ترك هواه. ويقال: / استقامة النفوس من نفي الزلة واستقامة القلوب بنفي الغفلة واستقامة الأرواح بنفي العلاقة واستقامة الأسرار بنفي الملاحظة. 47/ب

﴿وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [الآية 112] أي من شركه وآمن بك فالمعية بالمشاركة في الجملة وهو عطف على المتمكن في استقم وإن لم يؤكد لمنفصل لما قام مقامه من فاصل.

وقال الأستاذ: أي فليستقم أيضاً ﴿وَلَا تَطْغَوْاْ﴾ [الآية 112] أي لا تخرجوا عما حدّ لكم من الطاعة بالدخول في المعصية والأفول في الغفلة ﴿إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الآية 112] فيجازيكم على القليل والكثير.

﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الآية 113] أي لا تميلوا أدنى ميل إليهم كالتزيي بزيهم ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 113] بركونكم إليهم وبكونكم لديهم

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (25/ 140) رقم (27760)، وانظر كنز العمال (1/ 573) رقم (2590).

وإقبالكم عليهم.

قال حمدون: لا تصاحب الأشرار فإن ذلك يحرمك صحبة الأخيار.

وسئل ابن المبارك عن الخياطين للظَلَمة هل هم من أعوانهم، فقال: إنهم منهم وإنما أعوانه من يبيع الخيط والإبرة لهم.

وقال الأستاذ: لا تعملوا أعمالهم ولا ترضوا بأعمالهم ولا تمدحوهم على أعمالهم ولا تتركوا الأمر بالمعروف عليهم ولا تأخذوا شيئاً من حرام أموالهم ولا تمكّنوهم من قلوبكم ولا تخالطوهم ولا تعاشروهم أي لئلا تشاركوهم في ما لهم بما يلحق من صاحبهم من وبالهم فإن من أحب قوماً حشر معهم ﴿وَمَا لَكُم﴾ [الآية 113] أيها الكفار ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الآية 113] من أنصار ينفون العذاب عنكم في دار القرار ومستقر البوار ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الآية 113] أي ثم لا ينصركم الله من عنده إذ سبق في حكمه أن يعذبكم به، وفيه إشارة إلى أن من طلب النصرة من غير الله حرم نصرة مولاه.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 114] في غدوه وعشيه ﴿وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ﴾ [الآية 114] وفي ساعات منه قريبة من النهار، وصلاة الغدوة وصلاة الفجر لأنها أقرب الصلاة من أول النهار وصلاة العشية العصر وقيل الظهر والعصر لأن أول العشاء ما بعد الزوال وصلاة الزلفا المغرب والعشاء وذكر التهجد في أوقات الأسحار لأنها من آخر الليل قريبة من النهار.

وقال الأستاذ: ولو استغرق جميع الأوقات بالعبادات فإن إخلاله لحظة من الزمان عن فرض يؤديه أو نفل يأتيه حسرة عظيمة وخسارة وخيمة انتهى. وقد قيل: الدنيا ساعة فاجعلها / طاعة. وورد عنه ﷺ: «ليس يتحسر أهل الجنة 48/أ إلاعلى ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها»[1]، ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [الآية 114] أي يكفرنها، والمراد بها الصغائر مع ما يرجى من الكبائر، ففي الحديث: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن من

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (20/ 93) رقم (182)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 392) رقم (512).

اجتناب الكبائر»[1] رواه أبو نعيم في الحلية بسند صحيح عن أنس. وفي سبب النزول أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إني أصبت من امرأة غير أني لم آتِها، فنزلت[2].

قال الواسطي: أقول إن الطاعات تذهب بظلم الخطيئات. وقال بعضهم: رواية الفضل تسقط عن العبد رؤية العمل، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن الحسنات ما يجود به الحق والسيئات ما يذنب به العبد فإذا أدخل حسنات عفوه على قبائح العبد وجرمه محاها وأبطلها، ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 114] أي قوله فاستقم وما بعده أو القرآن جميعه ﴿ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ﴾ [الآية 114] موعظة للمتعظين من الصابرين في البلية والشاكرين على العطية.

﴿وَاصْبِرْ﴾ [الآية 115] على الطاعة وعن المعصية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 115] أي المخلصين لما ورد من أن الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه[3].

وأفاد الأستاذ: إن الصبر حبس النفس عن معاتقة الأمر ومفارقة الرجز والمحسنون هم العالمون الذين يعلمون أن الأجر على الصبر بالفضل لا باستحقاق العمل.

﴿فَلَوْلَا﴾ [الآية 116] فهل ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ [الآية 116] من العقل أو الفضل وجوز أن يكون مصدراً كالتقية أي ذوي اتقاء على أنفسهم وصيانة لها من عذاب ربهم، ويؤيده أي ترى بقية في الشعر إذ بفتح فسكون وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه إذا راقبه ﴿يَنْهَوْنَ﴾ [الآية 116] الناس بألسنتهم أو

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (233/ 14)، والترمذي في الجامع الصحيح (1/ 418) رقم (214)، وابن حبان في الصحيح (5/ 24) رقم (1733)، وأحمد في المسند (14/ 333) رقم (8715).

(2) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (4/ 316) رقم (7318)، وانظر تفسير البيضاوي (1/ 267).

(3) أخرجه البخاري في الصحيح (50)، ومسلم في الصحيح (9/ 5).

ينكرون عليهم بقلوبهم أو يمنعون أنفسهم ﴿عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 116] من الكفر والمعاصي ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [الآية 116] أي لكن قليلاً منهم أنجيناهم من المهالك لأنهم كانوا كذلك وهم الذين أطاعوا أنبياءهم وأما غيرهم فلم ينهوا عن الفساد في البلاد وفيما بين العباد ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ﴾ [الآية 116] ما أنعموا من الشهوات واهتموا بتحصيل اللذات واللهوات/ 48/ب وأعرضوا عن ملازمة الطاعات ﴿وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [الآية 116] مصرين على ارتكاب الإجرام والسيئات، وفيه تنبيه نبيه لنبيه ﷺ وأتباعه أن السبب لاستئصال الأمم السالفة في إهلاكهم هو فشو الظلم من الكفر والمعاصي فيهم وتركهم للهدى واتباعهم للهوى.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ [الآية 117] أي بمجرد شرك وكفر ﴿وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [الآية 117] فيما بينهم لا يضمون فساداً أو بغياً إلى كفرهم وذلك لفرط رحمته ومسامحته فيما يتعلق به ولهذا قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حق العباد على حقه لأنه غني عن عبادة العبد وإيمانه وصلاحه، وقد قيل: الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم. قيل: المعنى وأهلها ينصف بعضهم بعضاً.

وقال أبو سعيد القرشي: الصلاح هو الرجوع إلى الحضرة في كل نفس وخطرة، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لم يهلك أحداً كان مصلحاً وإنما أهلك مَن كان ظالماً. ويقال: معناه لو أهلك الله أهل القرى وهم مصلحون كلهم ما كان ذلك ظلماً منه لأن الملك ملكه والعبد ملكه. ويقال: المصلح مَن قام بحق ربه دون طلب حظه. ويقال: مصلح يصلح نفسه لطاعته حسن حاله لكن لا كمصلح أصلح قلبه بمعرفة سيده أو أصلح سره لمشاهدة ربه.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الآية 118] مسلمين أجمعين ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [الآية 118] بعضهم على الحق اليقين وآخرون على الباطل المبين.

﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [الآية 119] من بينهم بأن هداهم الله من فضله فآمنوا به وبرسوله واتفقوا في دين الحق على أصوله وإن وقع لهم اختلاف في فروعه ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ [الآية 119] الاختلاف ﴿خَلَقَهُمْ﴾ [الآية 119] واللام للعاقبة كما في حديث: «لدوا للموت وابنوا للخراب»[1].

قال جنيد: خلقهم للاختلاف فرتقوا في المخالفة ولو خلقهم للموافقة لما رجعوا عن الله إلى ما سواه.

وقال الأستاذ: لجعلهم أرباب الوفاق ثم لم يوجبوا لمملكته وجماله زيناً ولو شاء لجعلهم أصحاب الخلاف ثم لم يوجبوا لسلطنته وجلاله شيئاً. ثم قال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [الآية 118] لأنه كذلك أراد بهم ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [الآية 119] في سابق حكمه فعصمه عن الخلاف في حاصل عمره ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [الآية 119] أي خلق كلاً لما / أقامهم به ونصبهم له وأثبتهم فيه من توحيد ووفاق وجحد وشقاق ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ [الآية 119] ثبت حكم وعيده فلا تبديل لقوله ولا تحويل لحكمه، أو هي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [الآية 119] أي من عصاتهما ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 119] أو منهما أجمعين لا من أحد منهما، واللام للعهد فيهما. 49/أ

﴿وَكُلًّا﴾ [الآية 120] أي كل نبأ ﴿نَّقُصُّ عَلَيْكَ﴾ [الآية 120] أي نخبرك به ﴿مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ﴾ [الآية 120] بيان للكل ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [الآية 120] بدل منه، وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص له وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على تأدية الرسالة وتسليته في احتمال تأذية أهل الضلالة ﴿وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ﴾ [الآية 120] أي في الأنباء المقتصة ﴿الْحَقُّ﴾ [الآية 120] ما هو الحق المطابق للصدق الموافق ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الآية 120] أي ونصيحة وتذكرة لأهل التبصرة وأرباب الخبرة وأصحاب العبرة الموصوفون بسكب العبرة.

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ [الآية 121] على حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ [الآية 121] على حالتنا ﴿وَانتَظِرُوا﴾ [الآية 122] ما يفعل الله بنا وبكم

---

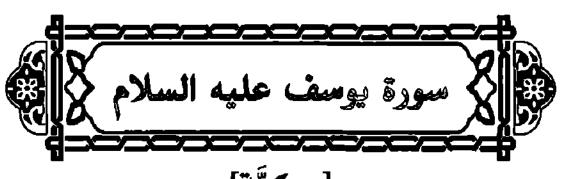
(1) جامع الأحاديث (19/ 190) رقم (20536)، والمقاصد الحسنة (1/ 528) رقم (855).

﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الآية 122] في ذلكم معكم.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 123] خاصة لا يخفى عليه مما فيهما خافية ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ﴾ [الآية 123] أي أمر الكل جميعه. وقرأ نافع وحفص بصيغة المجهول، قيل إليه مرجع الكل لأنه منه مبدأ الكل، ذكره السلمي ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 123] فإنه كافيك فيما تستعين إليه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 123] أنت وهم فيجازيكم بما تستحقون. وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالخطاب والباقون بالغيبة.

وفي تفسير السلمي: وكيف يغفل عنك مَن قدّر عليك عملك وما أنت آتيه في كل نَفَس إلى آخر أجلك.

وقال الأستاذ: أعمى على قلوبهم العواقب وأخفى دونهم السوابق، وألزمهم القيام بما كلفهم في الحال فقال: فاعبده فإن تقسيم القلب وترحم الظن وخيم فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 123] أي استدفع عنك البلاء بحسن الظن وجميل الأمل ودوام الرجاء ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الآية 123] بل أحاط بكل شيء علماً وأمضى في كل أمر حكماً.



سورة يوسف عليه السلام

[مكيَّة]

وهي مائة وإحدى عشرة آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال الأستاذ: من وسم ظواهره بسمة العبودية وسرائره بمشاهد الربوبية فقد سمت همته للمراتب العلية وقربت رتبته إلى المنازل السنية.

﴿الٓر﴾ [الآية 1] أنا الله أرى من فوق العرش إلى ما تحت الثرى وأرى في الدار الكبرى وأريد جميع ما جرى من الورى ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الآية 1] أي هذه آيات السورة الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها إنها من عند الله لبلاغة مبانيها.

وأفاد الأستاذ: إن التخاطب بالحروف المتفرقة سنّة الأحباب في سر المحاب والقرآن وإذا كان المقصود منه هو الإيضاح والبيان ففيه تلويح وتصريح ومفصل ومجمل يعرفهما الأعيان. ويقال: وقف مفهوم الخلق على مراد الحق فيما خاطب حبيبه المطلق في هذه الآية وتقييدهم على الإيمان بها في الجملة وأفرده عليه السلام بقمم هذه الإشارة فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب، يقول قائلهم:

بين المحبين سر ليس يغشيه   قول ولا قلم للخلق يحكيه[1]

وفي إنزال هذه الحروف المقطعة إشارة وهي أن من كان بعين العقل والصحو استنبط من اللغة اليسيرة ما شاء الله من المعاني الكثيرة ومَن كان في

(1) نسب إلى الشعبي. انظر تفسير الآلوسي (1/ 82)، وجامع لطائف التفسير (1/ 110).

مقام الغيبة والمحو يسمع الكثير فلا يفهم منه اليسير هذا لكمال عقله وهذا لتمام وصله، وأنزل الله هذه الحروف التي لا سبيل على الوقوف على معانيها ووجه ارتباط مبانيها ليكون للأحباب فرحة حين لم يقفوا على معانيها لعدم السبيل إليها كما عليها فلم يتوجه عليهم مطالبة بفهم ما فيها وكان ذلك لائقاً بأحوالهم إذا كانوا مستغرقين في عين الجمع بحسب جمعية بالهم ولذا قيل: استراح مَن لا عقل له.

أقول: ويحتمل ـ والله أعلم ـ أن تكون الحكمة في إيراد الحروف المقطعة إشارة إلى حصول المثوبة لمن قرأ أو سمع مبانيها ولم يفهم معانيها ولذا خصّ ﷺ حروف «ألَمّ» في قوله: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به عشر حسنات»[1]، «لا أقول «ألَمّ» حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

ثم أفاد / الأستاذ: أن قوله تعالى: ﴿تِلْكَ﴾ [الآية 1] يحتمل أن تكون إشارة إلى موعود أنجز بهذا وعده أي الذي وعدناك قبل هذا بتفريق منا لك من تخصيص وإفراد بتقريب فقد خلقناه الآن فهذه الحروف بيان الإنجاز وتحقيق الموعود والإشارة من الكتاب المبين ها هنا إلى حكمه السابق له بأن يرقيه إلى الرتبة التي لا ينالها غيره ولقد قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ [القَصَص:الآية 46] أو حين كلمنا موسى أخبرناه بعلو قدرك وإن لم تكن حاضراً وأخبرناه بأنَّا نبلغك هذا المقام الذي أنت فيه الآن من المرام وكذا كل نبي أوحينا إليه ذكرنا له قصتك وشرحنا له حالتك فالآن وقت تحقيق ما أخبرنا. وفي معناه أنشدوا: 50/أ

سقياً لمعهدك الذي لو لم يكن ... ما كان قلبي للصبابة معهدا[2]

وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء:الآية 105]

---

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (2/ 342) رقم (1983)، والترمذي في الجامع الصحيح (5/ 175) رقم (2910)، وعبد الرزاق في المصنف (3/ 375) رقم (7/ 60)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (12/ 418) رقم (4012).

(2) هذا البيت نسب إلى عبد الله بن علي البصري أبي القاسم. انظر طبقات الصوفية (1/ 99)، وورد في تاريخ دمشق (8/ 307)، وتفسير القشيري (8/ 377).

أي بعد التوراة أو بعد ذكرك لما قبله من الأنبياء ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء:الآية 105] يعني أمة محمد ﷺ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 2] أي الكتاب ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 2] وسمى البعض ﴿قُرْءَٰنًا﴾ لأنه في الأصل اسم جنس وصار علماً بالغلبة ونصبه على الحالية و﴿عَرَبِيًّا﴾ صفة له وكونه منزلاً من اللوح أو السماء أو معزواً على ألسنة القراء ومنسوباً إلى العرب العربا لا ينافي أن أصله كلام قديم نفسي إلٰهي منزَّه عن حدوث البقاء وحلول الفناء كما هو طريقة أهل السنَّة خلاف المعتزلة من أهل البدعة. وحاصل المسألة إن هذا الكلام الأمني مظهر الكلام النفسي القدسي ﴿لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 2] أي كي تفهموا مبانيه وتعلموا معانيه.

وأفاد الأستاذ: أن في إنزال الكتاب عليه فإرسال الرسل إليه تحقيق لأحكام المحبة وتأكيد لأسباب الوصلة فإن من عدم حقيقة الوصول استأنس بالرسول ومن بقي عن شهود الأحباب تسلى بوجود الكتاب كما قال قائلهم في هذا الباب:

وكتبك حولي لا تفارق مضجعي فيها شفاء للذي أنا كاتم[1]

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [الآية 3] مصدر والمعنى أحسن الاقتصاص لأنه اقتص أبدع الأساليب أو أحسن ما يقص لاشتماله على الحكم والقضاء والأعاجيب / ﴿بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الآية 3] أي بإيحائنا إليك هذه السورة التي شأنها علية وبرهانها جلية ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ﴾ [الآية 3] قبل وحينا إليك بهذه السريرة ﴿لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الآية 3] عن معرفة هذه القصة المشحونة بالفيضية حيث ما سرت على سمعك وما خطرت ببالك، وإن مخففة من الغفلة واللام هي الفارقة. 50/ب

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: أعجب القصص من بين القصص وفيه إشارة لما لقي النبي ﷺ من عشيرته فلم يخرج عليهم منتقماً لذاته بل رأى

(1) أورده القشيري في تفسيره (1/ 10) وفي رسالته (1/ 51).

ذلك كله من موارد قضاء الحق ومواجب قدرته فلما رجعوا إليه واعتذروا لديه قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 92] كيف يكون عليكم عيب فيه وكنتم المجبورون عليه، انتهى.

ولا يخفى أن التعلق بالقضاء جائز بعد الوقوع في القضية لا قبله ولا حال مباشرته في البلية كما حقق في حديث: «حجّ آدم موسى»[1].

وأفاد الأستاذ: أنه أحسن القصص لأنَّا نحن نقص وعليك نقص، وهذا الوحي بك خصّ أو لخلوه عن الأمر والنهي الذي سماعه يوجب اشتغال القلب لما هو بعرض وقوع التقصير في حكم الرب أو لأن فيه ذكر مراتب الحب أو لما فيه من ذكر ترك يوسف هواه وإعراضه عن زليخا عند مراودتها إياه أو لأن فيه بيان عفو يوسف عن إخوته في حال سكوته وكمال عظمته وأن من قبله لمن الذاهبين عن فهم هذه القصة والمعنى إنك لم تصل إليها بكدك وجهدك ولا بطلبك وجدك بل هذه مواهب لا مكاسب. فالمعنى فبعطائنا وجدته لا بعنائك ويتفضلنا لا بتعلمك وبتلطفنا لا بتكلفك وبنا لا بك.

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ [الآية 4] عبري لا عربي ولذا لم يصرف ﴿لِأَبِيهِ﴾ [الآية 4] ففي الحديث الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن إسحاق ابن إبراهيم[2] ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ [الآية 4] أصله يا أبي عوض عن الياء بالتاء لتناسبهما في الزيادة كما في نعمة ورحمة ولذا قلبها ابن كثير وابن عامر حال وقفها وكسرها الجمهور لأنها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر حيث جاء لأنها حركة أصلها أو لأنه يا أبتا فحذف الألف وأبقى الفتحة ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ [الآية 4] من الرؤيا لا من الرؤية أي أبصرت في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ/ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [الآية 4] استئناف بيان حالهم التي رآهم عليها فلا 51/أ تكرار أو كرر لزيادة تحقق أمره فيها وإنما أجريت مجرى العقلاء لوصفها

(1) أخرجه ابن منده في التوحيد (1/ 100) رقم (77) والمقدسي في الأحاديث المختارة (215).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (4688)، والحاكم في المستدرك (2/ 377) رقم (3325)، وابن حبان في الصحيح (13/ 92) رقم (5776).

بصفاتهم أو باعتبار حال ذواتهم. قيل: أعجبه حسن رؤياه حتى أعلم أباه فكان فيه أول بليته ومحنته إلى أن بلغ تحقيق ما رأى من رتبته ومحنته، كذا ذكره السلمي.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ [الآية 5] تصغير شفقة أو لأن سنه اثنتا عشرة ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [الآية 5] فيحتالوا لإهلاكك حيلة ومكراً بغياً وحسداً لما فهم من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على إخوته فخاف عليه من أذيته ولم يدر أنه من لوازم قضيته في بليته ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الآية 5] ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء وسائر المذنبين.

قيل: إن يعقوب عليه السلام دبّر ليوسف في ذلك خوفاً عليه أن يقع من إخوته شر لما هنالك فوكل إلى تدبيره ووقع به ما وقع في ضميره ولو ترك تدبيره وفوض إليه سبحانه في أمره لحظة لكان الكل بتقديره ولذا قال الأستاذ: إذا جاء القضاء والقدر لا ينفع الوعد والحذر.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 6] أي كما اجتباك لمثل هذه الرؤية الدالة على العزَّة والعظمة ﴿يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [الآية 6] للملك والنبوة.

قال ابن الحسين: اجتباه بما منحه من حسن العشرة ولطف الصحبة مع أوليائه وأعدائه وترك الانتقام لنفسه في بلائه. وقيل: اجتباه بصرف كيدهن عنه ولولا اجتبائه لورد عليه منهن ما ورد فمنهن، كذا ذكره السلمي.

﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ [الآية 6] أي من تفسير غوامض الله وكلمات الأنبياء وروايات الحكماء. أو تقديره وهو يعلمك من تعبير الرؤيا لأنها أحاديث الملك إن كانت صادقة وأحاديث النفس والشيطان إن كانت كاذبة.

وقال الأستاذ: لتقف على مقدار كل قائل بما تسمع من نطقه في لحن قوله لحدة كياستك وشدة فراستك ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [الآية 6] بالنبوَّة أو بأن يصل نعمة الدنيا بنعمة الأخرى.

وأفاد الأستاذ: أن من إتمام النعمة توفيق الشكر على النعمة وأن يعرفونك برؤية المنعم عن شهود النعمة ومن إتمامها رفع الهمة عن مساكنة التخمة ﴿وَعَلَىٰٓ/ 51/ب

ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ [الآية 6] أي سائر بنيه ولعله استدل بضوء الكواكب على نبوتهم أو ولايتهم ووقعة مخالفتهم ﴿كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ﴾ [الآية 6] جديك بالرسالة قيل على إبراهيم بالخلة وإنجائه من النار وإسحاق بالنبوة وإنقاذه من الذبح ومن النار ﴿مِن قَبۡلُ﴾ [الآية 6] أي قبلك أو قبل وقتك ﴿إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ﴾ [الآية 6] عطف بيان ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ﴾ [الآية 6] بمن يستحق الاجتباء ﴿حَكِيمٌ﴾ [الآية 6] في وضع الأشياء.

﴿لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ﴾ [الآية 7] دلالات على قدرته سبحانه وحكمته، أو علامات لنبوّتك ﴿لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [الآية 7] لمن سأل قضيتهم أو لمن طلب حقية قضيتك. وقرأ ابن كثير: آيات أي آيات عظيمة مشتملة على حكم جسيمة وقضايا وسيمة.

وقال ابن عطاء هو أن لا يسمع أحد قصته إلا استراح إليه وارتفعت غصته لديه.

وقال الأستاذ: آيات لكل ذي محنة حتى يعلم كيف يصبر ولكل ذي نعمة حتى يعلم كيف يشكر. ويقال: دلالات نطقه سبحانه لأوليائه بالعصمة وآيات على المحبة لا تخلو من المحنة. ويقال: فيها آيات على أن من صدق في رجائه تخلص يوماً من بلائه.

﴿إِذۡ قَالُواْ﴾ [الآية 8] أي إخوته العشرة ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ [الآية 8] بنيامين وتخصيصه بالإضافة لتخصيصه كلًّا من الطرفين بالآخر بخلاف بقية الإخوة ﴿أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ [الآية 8] والحال أنّا جماعة موصوفون بالقوة فنكون أحق بزيادة المحبة من صغيرين ليس فيهما لأمرهم كفاية ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الآية 8] لتفضيله المفضول عن من له الفضيلة الزائدة أو لترك التسوية في أصل المحبة ولهذا فسر الضلالة بالمحبة على وجه الكمال. قيل: ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾ [الضحى:الآية 7].

وأفاد الأستاذ: أن المراد منه الذهاب في حديث يوسف روي أنه كان أحب إليه لما يرى من لوامع الجمال ولوائح الكمال عليه فإن أنوار الصورة تدل على

أسرار السريرة ولهذا قيل: الظاهر عنوان الباطن، وكان إخوته يحسدونه لذلك فلما رأى الرؤيا ضاعف لأبيه المحبة حتى لم يصبر عنه ساعة لما هنالك فتتابع حسدهم حتى حملهم على تعرضهم له بقول بعضهم: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [الآية 9] خفية ﴿أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [الآية 9]/ منكورة بعيدة من العمارة وأو يحتمل التنويع والتخيير ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [الآية 9] يصفو لكم توجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم وينحصر ميله إليكم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ [الآية 9] قيل بعد الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [الآية 9] تائبين إلى الله عن جنايتكم أو مع أبيكم تمهيد إعذار في خيانتكم.

52/ أ

وأفاد الأستاذ: أنهم لما حسدوا يوسف في تقديم أبيهم لم يرض سبحانه حتى أقامهم بين يدي يوسف أخيهم ليعلم أن الحسود لا يسود. ويقال: أطول الناس هماً وأكثر الناس غمّاً من أراد تأخير من قدَّمه الله أو تقديم من أخّره الله فإن إخوة يوسف أرادوا أن يجعلوه في أسفل البئر فرفعه الله فوق السرير، وأيضاً قديماً ما قيل: ما طلب الكل فاته الكل. فلما أرادوا أن يكون إقبال يعقوب بالكليّة عليهم قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ [الآية 84]. ويقال: عجلوا الجرم وألغوا التوبة في التسويف والعزم فلم تمح من أجلوا من التوبة بما عجلوا من الحوبة. ويقال: لم تطلب نفوسهم أن يذهبوا بالكلية عن باب الله تعالى فدبروا الحسن الرجعي قبل ارتكاب ما دعته إليه نفوسهم من متابعة الهوى وهذا صفة أهل المعرفة والهدى.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ [الآية 10] بعد عزم القتل من أكثرهم وهو يهودا وكان أحسنهم فيه هدياً ورأياً وقيل إنه روبييل ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ﴾ [الآية 10] فإن القتل عظيم ومآله وخيم ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ [الآية 10] أي في قعر البئر، سمي لغيبوبته عن عين مَن نظر فيها. وقرأ نافع بالجمع كأنه لتلك الجب غيابات باعتبار المكانات ﴿يَلْتَقِطْهُ﴾ [الآية 10] يأخذه بطريق اللقطة ﴿بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ [الآية 10] أي السائرين من المسافرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [الآية 10] بمشورة الناصحين إذ يحصل مرادكم في تغييبه بدون سالفة في تعذيبه.

وقال الأستاذ: لما كان المعلوم لله تبليغه إياه لما قدره وقضاه لهم في قلب قائل في غيبهم ما أنهاه.

﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ﴾ [الآية 11] بالإخفاء وبالإدغام مع الإشمام لجميع القراء. وعن أبي جعفر إدغام بلا إشمام وأصله لا تأمننا والمعنى لم تخافنا ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَـٰصِحُونَ﴾ [الآية 11] أي/ لخيره مريدون وعليه مشفقون. 52/ب

وقال الأستاذ: من قبل على محبوبه حديث أعدائه لقي ما لقي يعقوب في يوسف من بلائه وعنائه.

﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ [الآية 12] إلى الصحراء وعالم القضاء لما قدّر في القضاء ﴿يَرْتَعْ﴾ [الآية 12] أي نتسع في أكل الثمرات والخضرات ﴿وَيَلْعَبْ﴾ [الآية 12] بالمسابقة والمناضلة في ميدان المغالبات. وقرأ نافع وابن كثير بكسر العين على أنه من ارتعى وأثبت الياء قنبل بخلاف عنه إلا أن نافع مع الكوفيين يقرون بالغيبة على إسناد الفعل إلى يوسف وحده والباقون بالنون لمشاركتهم فيه معه ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الآية 12] من مكروه يناله.

قال محمود بن علي: لما لم يزجرهم عن اللعب وسكت عنهم جاء من ذلك اللعب ما اتصل به الحزن والتعب.

قال ابن عطاء: لو أرسله معهم وسلمه إلى القضاء فيهم لحفظ ولكنه اعتمد على حفظهم إذ قالوا: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الآية 12] فخانوه. ولو ترك تدبيره عليهم وحفظهم له لكان محفوظاً كما حفظ الآخر حين قال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَـٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الآية 64].

وأفاد الأستاذ: أنه أطمعوا يعقوب في تمكينهم يوسف فيما فيه راحة نفسه من اللعب فطابت نفسه لإذهابهم إياه من بين يديه وإن كان يشق فراقه عليه ولكن الحب يؤثر راحة محبوبه على محبة نفسه. قلت: كما قال قائل:

أريد وصاله ويريد هجري فأترك ما أريد لما يريد[1]

﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾ [الآية 13] لشدة مفارقته عليَّ وقلّة صبري عنه وعزته لديّ ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [الآية 13] أبدل الهمزة ورش والسوسي والكسائي مطلقاً وحمزة وقفاً ﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ﴾ [الآية 13] لاشتغالكم بالرتع واللعب مما يلهيكم، أو لقلة اهتمامكم بمحافظته وأنتم عنه غافلون من مكانته.

وقال الأستاذ: لما خاف الذئب عليه امتحن بحديث الذئب لديه ونقل الكذب إليه ففي الخبر مما معناه إنما يسقط على ابن آدم ما يخافه. ويقال: لما جرى على لسان يعقوب من حديث الذئب صار كالتلقين لهم ولعلهم لو لم يسمعوه وما اهتدى إلى حديث الذئب / في تصنيف الكذب. 53/ أ

﴿قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الآية 14] ضعفاء مغبونون وجملة ونحن عصبة حالية معترضة بين القسم وجوابه.

وقال الأستاذ: حق إخوة يوسف ما وصفوا به أنفسهم من لحوق الخسران لأن من باع أخاً له مثل يوسف بمثل ذلك الثمن فالتأسف لحقيق بأن يقال: خسرت صفقته وخابت بيعته.

﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [الآية 15] أي عرضوا على إلقائه فيها واختلف في محلها فقيل إنه بيت المقدس أو بين مدين ومصر أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا من الأدنى ما فعلوا وفعلوا ما عزموا على إلقائه فيها. وقيل قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ﴾ [الآية 15] على أن الواو صلة، قيل: أوحى إليه في صغره كما أوحى إليه يحيى وعيسى ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم﴾ [الآية 15] لتحدثنهم ﴿بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ [الآية 15] بما فعلوا بك ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الآية 15] أنك يوسف لعلوّ شأنك وبُعد عهدك وذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الآية 58] بشّره بما يبدّل إليه أمره إيناساً

(1) هذا البيت منسوب لابن المنجم الواعظ. انظر الوافي بالوفيات (6/ 105) وفوات الوفيات (2/ 301).

لخاطره واطمئناناً لقلبه.

وأفاد الأستاذ: أن الإشارة في الآية أنه لما حلّ به البلوى عجلنا له تعريف ما ذكر من البشرى يكون محمولاً بالتفريق في غير ما هو متحمل له من البلوى الغيبية. ويقال: إن انقطع على يوسف مراعاة أبيه إياه فحصل له الوحي من قبل مولاه كذا سنَّته تعالى أنه لا يفتح على نفوس أوليائه باباً من البلاء إلا فتح عليهم صنوف أبواب الصفاء وفنون لطائف الولاء.

﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ١٦﴾ [الآية 16] أي متباكين آخر النهار أو أول الليل وهو أظهر ليكون حالهم أستر وفي احتيالهم أعذر. ﴿يَبۡكُونَ﴾ [الآية 16] أي متباكين.

وأفاد الأستاذ: أن تمكين الكذاب من البكاء سمة خذلان الله إياه. وفي الخبر: إنه إذا كمل نفاق المرء ملك عينه حتى يبكي متى شاء[1] ولا يبعد أن يقال: إنهم وإن جنوا عليه ندموا على ما فعلوا به فعلاً تمّ البكاء لندمهم وإن لم يظهروا لأبيهم خوفاً من عملهم بناءً على طمعهم.

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ﴾ [الآية 17] نسابق في العدو والرمي ﴿وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا﴾ [الآية 17] لئلا يقع في العناء ﴿فَأَكَلَهُ/ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ 53/ ب [الآية 17] من غير قصدنا الذنب ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا﴾ [الآية 17] بمصدق في حقنا ﴿وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [الآية 17] في قولنا لسوء ظنك بنا وفرط محبتك لأخينا.

﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ﴾ [الآية 18] أي فوقه ﴿بِدَمٖ كَذِبٖۚ﴾ [الآية 18] ذي كذب بمعنى مكذوب فيه أو وصف بالمصدر للمبالغة كرجل عدل. روي أنه لما سمع بخبر يوسف صاح من غاية التأسف وطلب قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب خده بدم القميص وقال: ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه، ولذلك الحال ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ﴾

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 406).

[الآية 18]أي سهّلت لكم وهوّنت في أعينكم أمراً عظيماً ومنكراً جسيماً ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [الآية 18] أجمل وأكمل أو فأمري صبر جميل. وفي الحديث: الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه إلى الخلق(1).

وقال يحيى بن معاذ: هو أن يتلقى البلاء بقلب رَحيب ووجه بشير، ذكره السلمي. وفي الفاء التحتية إيماء إلى نكتة جلية وهي ما أشار إليه ﷺ بقوله: «الصبر عند الصدمة الأولى»(2) على ما رواه أبو يعلى ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ﴾ [الآية 18] أي المطلوب منه المعونة ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الآية 18] أي على احتمال ما تصفونه من حلول المحنة وحصول الكربة ونزول المصيبة فإن المعونة تأتي على قدر المؤونة.

﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ [الآية 19] جماعة مسافرة من مدين إلى مصر ﴿فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ﴾ [الآية 19] الذي يرد الماء ويستقي لهم وهو مالك الخزاعي ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ [الآية 19] أرسلها في الجب ليملأها فتدلى وتعلق يوسف بها فأخرجه فلما رأى وجهه ﴿قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ﴾ [الآية 19] نادى البشرى ببشارة لنفسه أو إشارة لقومه فكأنه قال تعالى: هذا أوانك فأقبلي. وقرأ غير الكوفي: يا بشراي بالإضافة ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ [الآية 19] أي أخفاه الوارد وأصحابه من بقية أحبابه ﴿بِضَـٰعَةً﴾ [الآية 19] متاعاً للتجارة ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 19] من إسرارهم وأسرارهم.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه لما أراد خلاص يوسف من الجب أزعج خواطر السيارة في قصد المسامرة وأعدمهم الماء حتى احتاجوا إلى الاستقاء وقد قيل: الأدب تشويش في العالم والمقصود منه سكون واحد ولهذا قيل: رب ساعٍ /لقاعد. وروي أن يهوداً كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده في المقام فأخبر الإخوة فأتوا الرفقة وقالوا: هذا غلامنا أبق منا ومكث يوسف مخافة أن يقتلوه.

54/أ

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (7/ 220) رقم (10076).
(2) أخرجه البخاري في الصحيح (7154)، ومسلم في الصحيح (926/ 14).

﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [الآية 20] أي اشتروه أو باعوه بقيمة مبخوسة لكونها مزيفة أو منقوصة أو منحوسة ﴿دَرَاهِمَ﴾ [الآية 20] بدل من الثمن ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ [الآية 20] قليلة بأنهم كانوا يزنون ما بلغ الوقية وهي أربعون درهماً ويعدون البقية ﴿وَكَانُوا﴾ [الآية 20] أي الإخوة أو الوارد والرفقة ﴿فِيهِ﴾ [الآية 20] في حق يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [الآية 20] أي الراغبين عنه.

وقال ابن عطاء: لقلة علمهم بنفاسته وكل من لم يعرف قدر جوهر ومرتبة قيمته فهو زاهد في حقه كذلك الرجل يبيع آخرته بالدنيا والجنة بالهوى وربما يبيع الرجل إيمانه بأخس بقية وربما فاته الحق بلحظة فليتق الله في كل لمحة، كذا ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنهم لم يعرفوا خسرانهم في الحال ولكنهم وقفوا عليه في المآل كما قيل: كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء. ويقال: ليس العجب ممن يبيع مثل يوسف بثمن بخس إنما العجب ممن يجد مثل يوسف بثمن بخس وأعجب منهما من يبيع وقته الذي أعزّ من الكبريت الأحمر بعوض حقير من الدنيا بترك النعيم الأكبر. ويقال: إن السيارة لم يعرفوا قيمة كماله فزهدوا في شرائه بدراهم بخس والذين وقفوا على جماله وشيء من حسن حاله غالوا بمصر في ثمنه حتى اشتروا بزنته دراهم ودنانير مرات كما ذكر في خبره. وفي معناه أنشدوا:

إن كنت عندك يا مولاي مُطَّرَحاً ... فعند غيرك محمول على الحدق[1]

﴿وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ﴾ [الآية 21] وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد آمن بيوسف ومات في حياته ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾ [الآية 21] زليخا وقيل زاعيل ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [الآية 21] اجعلى مقامه كريماً وأحسني بعهده تعظيماً ﴿عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا﴾ [الآية 21] في محافظة أموالنا وملاحظة أحوالنا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [الآية 21] في مالنا حيث لا ولد لنا.

---

(1) نسب إلى أبي الفضل الدارمي. انظر نفح الطيب (3/ 115).

قال ابن عطاء: كل من اعتمدت عليه أو سكنت إليه يصيبك منه محنة لديه، ألا ترى إلى صاحب يوسف لما قال لامرأته أكرمي مثواه عسى / أن ينفعنا وركن إلى يوسف، صار يوسف محنة عليه وعليها حتى قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً، وما بعده من المحن، ذكره السلمي.

54/ب

وأفاد الأستاذ: أنه لما نودي على يوسف في مصر بالبيع لم يرض الحق سبحانه حتى أصابتهم الضرورة ومسّتهم الفاقة إلى أن باعوا من يوسف جميع أملاكهم ثم باعوا كلهم منه أنفسهم طلباً للطعام فصاروا بأجمعهم عبيده عليه السلام، ثم إنه لما ملكهم منّ عليهم فأعتقهم فلئن مر عليه بمصر يوم ظل فيه ينادى عليه بالبيع أصبح بمصر يوماً آخر وقد ملك فيه جميع أملاكهم وملك رقاب جميعهم فيوم بيوم، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشّرح: الآيتان 5،6]، يومان شتان ما هما ثم إنه أعتق جميعهم كذا الكريم إذا قدر عفا.

قلت: وقد قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عِمرَان:الآية 140]، وأنشدوا:

فيوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر[1]

ولعل فيه الإشارة إلى البشارة بما وقع له ﷺ في آخر أمره من فتح مكة عليه وإذلال قومه لديه وعفوه عنهم وقوله للقوم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 92].

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 21] أي كما مكّنا محبته في قلب سيده مكّناه في منزله ليشكر على نعم ربه ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [الآية 21] تفسير كتاب الله وتبيين أحكامه أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة في أيامه ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [الآية 21] فلا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، أو على أمر يوسف أراد به إخوة يوسف شيئاً وأراد الله غيره فلم يكن إلا ما أراده. وقد ورد في حديث قدسي وكلام أنسي: «عبدي أريد وتريد ولا يكون

(1) هذا البيت لأبي سفيان. انظر البداية والنهاية (4/ 86).

إلا ما أريد، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله البلاء»[1]. وفي رواية: «من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر على نعمائي فليلتمس ربّاً سواي»[2].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 21] صنائع حكمه وبدائع لطفه أو أن الأمر كله بيده.

وقال الواسطي: يصرفهم في تدبيره ويدبرهم في تصريفه ويُوجد منهم المفقود ويُفقد منهم الموجود، فالإضافات ضرب من الإشراك. قلت: وهذا معنى قولهم: التوحيد / إسقاط الإضافات لأن الكائنات بأسرها كما قال تعالى: 55/أ ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان:الآية 3].

وأفاد الأستاذ: أنه لا عبرة لمن يرى الخلق في الحال وإنما الاعتبار بما يظهر من سر تقدير في المآل إن أرادوا من حسده أن لا يكون له فضيلة في دار نفسه على إخوته وأهله وأراد الله أن يكون له ملك الأرض بأسره فكان ما أراد الله لا ما أراد سواه، وأرادوا أن يكون عبداً ذليلاً وأراد مولاه أن يكون سيداً عزيزاً.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الآية 22] منتهى اشتداد بنيته وسمة قوته وهو سن الوقوف فيما بين الثلاثين والأربعين ﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ [الآية 22] بين الناس أو حكمة وهي العلم المقرون بالعمل ﴿وَعِلْمًا﴾ [الآية 22] علم تأويل الأحاديث ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 22] أي كما جزيناه على إحسانه في علمه وعمله واتقائه في عنفوان أمره ﴿نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 22] من سائر المؤمنين على إحسانهم بحسب مراتب إبقائهم. قيل: لما عقل عن الله في أوامره ونواهيه واستقام معه على

(1) ورد بلفظ مختلف دون ذكر الفقرة الأولى. انظر ما أخرجه ابن ماجه في السنن (2/ 1338) رقم (4031)، والترمذي في الجامع الصحيح (4/ 601) رقم (2396).

(2) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (21/ 153) رقم (6428)، وأورده المناوي في الإتحافات السنية (1/ 68) رقم (155) والسيوطي في جامع الأحاديث (15/ 74) رقم (15013).

شروط آدابه أعطاه حكماً على الغيب في تعبير الرؤيا وعلماً بنفسه في مخالفة الهوى، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: يعني حين استوى شبابه وكمُل قوته وكان وقت استيلاء شهوته وتوفر دواعي مطالب بشريته آتاه الله الحكم الذي حبسه على الحق وصرفه عن الباطل والعلم بأن ما يعقب اتباع اللذات من هواجم القدم أشد مقاساة من كلفة الصبر في الحال للامتناع من دواعي الشهوة الموجبة للندامة في المآل فآثر مشقة الامتناع على لذة الاتباع وذلك الذي أشار إليه الحق من جميل الجزاء الذي أعطاه وهو إمداده بالتوفيق حتى استقام في التقوى والورع على سواء الطريق، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العَنكبوت:الآية 69] أي الذين جاهدوا بسلوك طريق المعاملة لنهدينهم سبيل الصبر على الاستقامة حتى يتبين لهم حقائق المواصلة.

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [الآية 23] طلبت وتحالت وتمحلت أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [الآية 23] ستراً للحال ليوافقها ﴿وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [الآية 23] أي هييات أو هيهات لأجلك، والكلمة اسم فعل بني على الفتح كأين. وقرأ ابن كثير بفتح الهاء وضم التاء تشبيهاً / له بحيث، ونافع وابن عامر بكسر الهاء وفتح التاء إلا أن هشاماً بهمز. وقد روي عنه ضم التاء أيضاً ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 23] أعوذ بالله معاذاً ﴿إِنَّهُۥ﴾ [الآية 23] أي الشأن ﴿رَبِّيٓ﴾ [الآية 23] أي سيدي ومالكي ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [الآية 23] أي مكاني ومحل تعهدي فليس من جزاء فضله أن أخونه في أهله. وقيل: الضمير لله أي إنه خلقني وأحسن تربيتي بتحسين منزلتي حيث عطّف على قلب سيدي عليَّ حتى مال إليَّ فلا أعصيه بمقابلة إنعامه لديّ ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الآية 23] المجازون الحسنى بالسيئة.

55/ب

وأفاد الأستاذ: أنها لما أغلقت عليه أبواب الغرفة فتح الله عليه أبواب العصمة والمعرفة والمروءة. وفي التفسير: إنه حفظ حرمة الرجل الذي ادعى أنه اشتراه وهو العزيز، وفي الحقيقة أشار بقوله: ﴿إِنَّهُۥ رَبِّيٓ﴾ [الآية 23] إلى

الحق تعالى فقال: ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [الآية 23] حيث خلصني من الجب وأوقع لي الحب في قلب العزيز حيث قال: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [الآية 21] فلا ينبغي أن أقدم على عصيانه وقد أفردني بجميل إحسانه. ويقال: لما حفظ حرمة المخلوق بظهر الغيب منه خوف الوبال أكرمه الحق سبحانه بالإمداد بأن عصمه في الحال ومكَّنه من مواصلتها في المآل على الوجه الحلال. وأما ما في تفسير السلمي من أنه قيل لما نظر في ترك المعصية إلى صاحبه ووليّ نعمته الأدنى ولم ينظر إلى ربّه ووليّ نعمته الأعلى عوقب بالهمّ، قيل: ﴿هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [الآية 24] ففيه نظر وبحث باهر إذ شأن الأنبياء أعلى من ذلك لوصولهم إلى مرتبة الجمع الذي لا يتصور ذلك هنالك. وعن التنزل أنه أراد بربّ العزيز إنما خاطبها بهذا الجوهر الكنيز لتنتبه عن الغفلة من إحسان زوجها إليها الموجب لإيجاب إحصان نفسها عليها، وأيضاً ورد في الحديث: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»(1). وفسر الصالح ممن جمع بين حقوق الله وحقوق ما سواه ولا يلزم ممن أنكر الخلق نسيان ذكر الحق.

﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ [الآية 24] أي قصدت مخالطته وقصد مخالطتها، والمراد بهمِّه ميل طبعه البشري لا قصده الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف الإلٰهي بل الحقيقي بالثناء الجميل والجزاء الجميل من الله سبحانه / من يكفّ نفسه عند قيام هذا الهمّ عن العقل المهتم أو المراد بهمِّه همَّ المشارفة فتكون الجملة من قبيل المشاكلة والمقابلة وقد وقف بعضهم على قوله همت به وجعل قوله وهمَّ بها متصلاً بقوله: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ [الآية 24] فلا إشكال حينئذ من جهة المعنى وإن كان هذا الإعراب ضعيفاً من نحو المبنى فقيل: تمثّل له جبريل أو يعقوب في نظره عاضاً على أصبعه، وقيل: جاءه النداء من عالم السماء أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء. 56/أ

وفي تفسير السلمي قال ابن عطاء: همَّت به همَّ شهوة وهمَّ بها همَّ

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 51) رقم (3582)، وفي المعجم الكبير (2/ 356) رقم (2501)، والترمذي في الجامع الصحيح (1955)، وأحمد في المسند (12/ 472) رقم (7504).

موعظة تزجرها عن همَّها ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [الآية 24] قال واعظاً في قلبه وهو واعظ الله في قلب كل مؤمن.

وقال جنيد: تحرك طبع البشرية في يوسف ولم يعاونه طبع العادة والعبد في تحريك الخلقة فيه غير مذموم.

وقال ابن عطاء: قالت زليخا ليوسف: اصبر إلي ساعة حتى أعود إليك، قال: فما تفعلي، قالت: أغطي وجه ذلك الصنم فإني أستحيي منه، فتذكر يوسف عند ذلك اطلاع ربه فهرب منها، فذلك البرهان. وقيل: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، وفي الآية تقديم وتأخير.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 24] مثل التثبيت ثبتناه ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [الآية 24] خيانة السيد ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ [الآية 24] الزنا، ذكره المفسرون وقيل: السوء الهم والفحشاء الموافقة، ذكره السلمي. أو السوء العزم والفحشاء مقدمة الزنا وهذا المعنى هو المناسب لمراتب الأنبياء.

وقد أفاد الأستاذ: أنه سبحانه صرف عنه السوء حتى لم يوجد منه العزم على ذلك الفعل وإن كان منه همّ لم يكن ذلك جزماً والصرف عن الطريق إذ بعد الحصول يكون كشفاً لا صرفاً ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الآية 24] الذين أخلصهم الله لطاعته. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام حيث جاء: أي الذين أخلصوا دينهم لله.

قال جنيد: أول ما يبدؤوا من الإخلاص في أحوال الأولياء خلوص سرائرهم وهممهم وإرادتهم وأحوالهم ثم خلوص أفعالهم فمن لم يخلص في سره لا ينال الإخلاص في فعله.

وأفاد الأستاذ: أنه لم يكن نجاته وخلاصه في إخلاصه ولكن في صرفه عن السوء واستخلاصه.

56/ب ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ﴾ [الآية 25] تبادرا الباب البراني وذلك أن يوسف فرّ / منها ليخلص عنها وأسرعت عنه لتمنعه الخروج بناء على أن غرضها وتعلّقت بثوبه

وأجذبته من خلفه ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ [الآية 25] شقّته من طوله ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا﴾ [الآية 25] وجدا زوجها ﴿لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [الآية 25] حاضراً فرآها معه فاستحيت منه فاحتالت في دفع التهمة عنها بإيقاعها عليه لنقصان محبتها وقلة عقلها ومروؤتها مع عدم ديانتها ﴿قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الآية 25] إيهاماً بأنها فرّت منه بترفُّع لساحتها عند زوجها وإغرائه على يوسف انتقاماً منه لحرمانها.

وفي تفسير السلمي قيل: لو فر إلى ربّه والتجأ لكفى ولكنه لما هرب منها وفرّ بنفسه عنها أحلّ نفسه محل التهمة حتى قالت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا﴾ [الآية 25]. قلت: وهذه طريقة الملامتية من السادة الصوفية عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة:الآية 54].

وقال ابن عطاء: لم تستغرق هي في محبتها بعد فلم تجب بالصدق وآثرت نفسها على نفسه فلما استغرقت في المحبة أظهرت بالحق وآثرت نفسه على نفسها وقالت: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الآية 51].

وقال الأستاذ: لم يضر يوسف ما قدّت من قميص دنياه بعدما صح عليه لباس تقواه، ويقال: لقنته حديث السجن أو العذاب الأليم لئلا يقصد قتله ففي عين ما سمعنا به نظرت له وأبقت عليه.

﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى﴾ [الآية 26] طالبتني بالمواطأة. وإنما قال ذلك دفعاً للتهمة لما عرّضته له من العقوبة ولو لم تكذب بمقالتها لسكت عن حالها ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [الآية 26] صبي في المهد من أهلها ابن عمتها أو خالها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها ليكون ألزم عليها، وقد قيل: إذا كان العبد صادقاً في نفسه لم يبال الله أن ينطق الحجر لأجله ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [الآية 26] لأنه يدل على أنها جرت قميصه من قدّامه بالدفع عن نفسها.

﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [الآية 27]

لأنه دال على أنها تبعته فجذبت ثوبه فقدّته وتسميتها شهادة لأنها أدّت موادها حيث ثبت قول يوسف وبطل / قولها. 57/أ

﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ﴾ [الآية 28] أي هذا الأمر من كيدكن والخطاب لها ولأمثالها ﴿مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [الآية 28] فإن كيد النساء ألطف من الجلب وأعلق بالقلب وأشد تأثيراً في النفس ولأنهن يمكرن الرجال مواجهة والشيطان يوسوس به مسارقة فلا ينافيه قوله سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النِّساء:الآية 76]، ولا يبعد أن يقال: إن كيد الشيطان بغير توسطهن ضعيف لما في الحديث من أن «النساء حبائل الشيطان»(1) أي شبكته في مصيدته.

وفي تفسير السلمي: أنا أخاف من النساء أكثر من الشيطان لما سبق من الآيتين.

وقال الشبلي: كيدهن عظيم على من يدركه من ربه التوفيق والرعاية فأما من كان بعين الحق فكيف يكيده كايد.

﴿يُوسُفُ﴾ [الآية 29] خذ منه حرف الغنة لكمال قربه ونقطته لحديثه ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [الآية 29] استظهر ولا تظهره ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾ [الآية 29] يا زليخا، وأسقط اسمها لجمال الإعراض عنها ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [الآية 29] من القوم المذنبين وتذكير للتغليب.

وقال الأستاذ: ليس كل إحداها البلاء إن البلاء من صنعة أرباب الولاء فأما الأجانب فتجوز عنهم ويخلى سبيلهم لا لكرامة محلهم ولكن لحقارة قدرهم. هذا يوسف عليه السلام كان بريء الساحة فظهر للكُلِّ سلامة جانبه فابتلي بالسجن وامرأة العزيز ظهر سوء فعلها ثم لم ينزل شظية من البلاء بها.

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [الآية 30] هي اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير

(1) تخريج أحاديث الإحياء (5/ 477) رقم (2777)، والمقاصد الحسنة (1/ 695) رقم (1247)، وكشف الخفاء (2/ 315) رقم (2802).

حقيقي ولذا ذكر فعله ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾ [الآية 30] أي في مصر ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [الآية 30] تطلب مواقعة غلامها إياها وتريد موافقته لها في هواها ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [الآية 30] أي من شقّ شغاف قلبها وهو حجابه كمال حبها حتى وصل إلى فؤادها. وقرأ شغفها أي أحرق حبهُ قلبها ولبّها.

وفي تفسير السلمي قال بعضهم: إشغاف في الحب حال الجمود حين لا عبرة عما به ولا الإخبار عن قلبه كما قال تعالى في قصة موسى: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى﴾ [الشُّعَرَاء:الآية 13]. وقال: جنون المحبة ألا يرى جفاء الحبيب له جفاء بل يرى جفاءه وفاء. وقيل: أدخلها حبه حتى لم تكن تعرف سواه ولم يكن للملامة عليها من الغير أثر بل ولم يكن عن غيره خبر ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 30] أي بعد أن ظهر عن صوب / الصواب حيث صارت للعبد 57/ ب من الأحباب في وراء الأبواب. وقيل: الضلال هو العشق بالكمال ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الضّحى:الآية 7].

وفي تفسير السلمي: سأل جعفر بن محمد عن العشق فقال: ضلال. ثم قرأنا: ﴿لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الآية 30] معناه في عشق ظاهر. وقال بعضهم: في غلبة العشق ضلّ فيه بصيرتها وعقلها فلم يبق عليها محل الكتمان من غلبت شوقها وكثرت ذوقها.

وأفاد الأستاذ: أن الحب لا يكتم ولا يجوز ولا يكون محبة إلا وأتيح لها لسان العذول ولما تحقق لها في يوسف مقام المحبة بسطت النسوة فيها لسان الملامة إثم كل من كان أحسن قيمة [أسرع] إلى الملامة كنَّ النسوة وكنّ من جملة خدمها بلا ملامة.

﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ [الآية 31] بنيّاتهن، وسمي مكراً لأنهن قلن ذلك توسلاً لما وصل يوسف زعماً منهن أنها ترينهن ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ [الآية 31] تدعوهن ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ [الآية 31] يتكئ عليها من الوسائد وغيرها أو مجلس طعام فيه نحو الأترنج وغيره مما يحتاج إلى الآلة في قطعه ﴿وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ [الآية 31] حتى يتكئن والسكاكين في أيديهن فإذا خرج عليهن يبهتن

ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة لديهن ﴿وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾ [الآية 31] وأشارت إلى رفعة مقامه حيث لم تقل إليهن لا سيما وقد قصدت به إضرارهن فإنها صارت كالضرة لهن لملامتهن وعدم ملاءمتهن ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ [الآية 31] عظّمنه وهِبْن حسنه. وقد ورد في الخبر عن سيد البشر أنه رآه ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [الآية 31] جَرحْنَ ما في أيديهن أي كفوف أيديهن ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [الآية 31] تنزيهاً له من عجزه وتعجباً من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو ووصلاً فحذف ألفه الأخيرة تخفيفاً ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [الآية 31] ألا إن هذا الجمال غير معهود وفي جنس البشر موجود ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 31] فإن الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة.

58/أ وقال الأستاذ: أرادت أن تقلب عليهن استحقاق الملامة / وتنفي عن نفسها أن يكون لها أهلاً بالسلامة فعملت بهن ما عملت فلما رأينه تغيرن وتحيرن ونطقن بخلاف التمييز على حسب ما تصورن فقلن: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ [الآية 31] وكان بشراً، وقلن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [الآية 31] ولم يكن ملكاً.

﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ [الآية 32] أي فهذا هو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه وفي الافتتان به قبل أن تتصورونه حق تصوره ولو تصوّرتنه بما عاينتن لعذرتنّني أو فهذا الذي لمتنني في محبته وكمال مودته.

قال النصرآبادي: العذر في طلب العشق من نقصان العشق، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما أثر في النسوة رؤية يوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن بدل الثمار ولم يشعرن عن حالهن في ذلك المقام أوضحت بذلك عذرها عندهن لدفع الملام فقالت هذا بأول لقيتهنّ له لم يتمالكن حتى قطعن أيديهن فكيف يتصور الصبر لي وهو معي في منزلي. ويقال: إن امرأة العزيز كانت أتم في حديث يوسف من النسوة فأثر رؤيته فيهن ولم يؤثر فيها لأنها بطول اللقاء قوي حالها فصارت رؤية يوسف لها غذاء معتاداً بها فلم

يؤثر فيها والتعبير صفة أهل الابتداء في الأمر فإذا دام المعنى نال التغير. قال الصديق لمن رآه يبكي وهو قريب العهد بالإسلام: هكذا كنا حين قست القلوب أي قويت وصلبت وكذا الحرق أول ما يطرح فيه الماء يسمع له نشيش[1] فإذا انفرد شراب الماء سكن فلا يسمع له صوت أصلاً.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ﴾ [الآية 32] فامتنع طالباً للعصمة في حاله، أقرّت لهن حيث عرفت أنهن يعذرنها حيث ابتلين ببلائها ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ﴾ [الآية 32] أي ما آمر به أو موجب أمري به ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الآية 32] أي الأذلين.

﴿قَالَ رَبِّ﴾ [الآية 33] يا ربي ﴿ٱلسِّجْنُ﴾ [الآية 33] أي مكان الحبس، وقرأ يعقوب بفتح السين أي احتباسي لا احتراسي ﴿أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [الآية 33] أي آثر عندي ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [الآية 33] من الموافقة نظراً إلى العاقبة التي هي حالة المعاقبة وإسناد الدعوة إليهن لأنهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها أو لأن كل واحدة منهن كانت تدعوه / إليها بلسان حالها وعرض جمالها. قيل: إنما ابتلي 58/ب بالسجن لقوله هذا وكان الأولى به أن يسأل الله العافية.

وفي «**تفسير السلمي**» قال بعضهم: توهم يوسف أن السجن ينجيه من الفتنة والبلوى فأوقعه في الفتنة الكبرى حتى قال لصاحب السجن: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42]. قال بعضهم: ترك طريق الاضطرار واختار تركه مع اختياره حتى لبث في السجن ما لبث بالتثبيت على العصمة. وقوله له من السجن تلك الخطيئة الفظيعة وهو الركن إلى غير الحق بقوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42].

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى﴾ [الآية 33] بالتثبيت على العصمة ﴿كَيْدَهُنَّ﴾ [الآية 33] في تحبيب ذلك إلي وتحسينه لدي ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [الآية 33] أمِلْ إلى إجابتهن أو إلى ذاتهن بحسب طبيعتي وموجب شهوتي وأصل الصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبي، وكذا الصبا لأن النفس تستطيبها وتميل إلى هبوبها ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾

(1) صوت اللحم عند القلاء. انظر تاج العروس (1/ 7680).

[الآية 33] من الذين لا يعلمون بما يعملون فإنهم والسفهاء سواء.

وأفاد الأستاذ: إن الاختبار مقرون بالاختيار ولو تمنى العافية بدل ما كان يدعى إليه لعله لأنه كان يعافى مما عليه. ويقال: إنه نطق عن عين التوحيد حيث قال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [الآية 33] علم أن نجاته من البلاء بصرفه سبحانه للطفه لا بتجنُّبه ولا بتكلُّفه. ويقال: لما آثر يوسف لحوق المشقة في الله على لذّة نفسه وهواه آثره على إخوته وأهل عصره حتى قيل له في آخر أمره: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 91].

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ [الآية 34] دعاءه ونداءه ورجاءه في الخلاص عنهن ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ [الآية 34] ولا بتثبيت العصمة ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ [الآية 34] لدعاء الملتجئين ﴿الْعَلِيمُ﴾ [الآية 34] بدل المضطرين.

وقال الأستاذ: لما رجع إلى الله بصدق الاستعانة تداركه سبحانه بحق الإغاثة كذلك ما اغبرّ لأحد في سبيل الله قدامه إلا لاح عليه كرمه وتوالى لديه نعمه.

﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ [الآية 35] أي هم للعزيز وأهله بعدما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف من شهادة الصبي وقدّ القميص وقطع النساء أيديهن واستقصائه عنهن، وفاعل بَدَا مضمر يفسره ﴿لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [الآية 35] وذلك لأنها خدعت زوجها وحملته/ على سجنه زماناً دفعاً للتهمة عنها. 59/أ

قال الأستاذ: لما سجن العزيز يوسف مع ظهور براءته أبقى على امرأته أن ينتهك سترها وجميل حالته حول الله ملكه وملكه إليه ثم في آخر الأمر حكم الله له بأن صارت امرأته بعد مقاساتها الضر لديه وهكذا جرى من صبر لله وفي حكم الله عليه.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ﴾ [الآية 36] أي واتفق أن دخل حال دخوله السجن خادمان من عبيد الملك شرابيه وخبازهُ ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا﴾ [الآية 36] وهو الشرابي ﴿إِنِّي أَرَانِي﴾ [الآية 36] في المنام وهي حكاية حال ماضية ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾

[الآية 36] أي عنباً، وسماه خمراً باعتبار مآله ﴿وَقَالَ ٱلْآخَرُ﴾ [الآية 36] أي الخباز ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ [الآية 36] تنهش من ذلك الخبز ﴿نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ﴾ [الآية 36] أي بتعبيره ومآل أمره ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الآية 36] أي الذين يحسنون تأويل الرؤيا. وإنما قالا ذلك لأنهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين إلى أهل السجن فأحسن إلينا بتأويل ما رأينا إن كنت تعرفه فإنك من العالمين العاملين.

وقال ابن عطاء: أي من المائلين إلى الفقراء بالإحسان إليهم والقعود معهم والأنس بهم. وقيل: من المحسنين إلى المسيئين.

وأفاد الأستاذ: إن شهود الإحسان من المحسن ذريعة بها يتوسل إلى استجلاب إحسانه.

﴿قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ﴾ [الآية 37] أي بتأويل ما قصصتما عليّ ﴿قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ﴾ [الآية 37] أي بذلك التأويل ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ﴾ [الآية 37] بالوحي والإلهام بالتكهن والتنجم والإزلام ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡآخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [الآية 37] كأنه أراد قبل أن يؤول رواياتهما أن يدعوهما إلى التوحيد القويم والطريق المستقيم كما هو سنّة الأنبياء وعادة الأولياء من علماء الأصفياء في الهداية من البداية إلى النهاية وقدم الإخبار بالغيب ليكون لهم معجزة دالة على صدقه في التعبير والدعوة.

﴿وَٱتَّبَعۡتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ﴾ [الآية 38] أظهر أنه من بيت النبوة لتقوية الرغبة في استماع الدعوة واستقبال الإجابة ولذلك جوز للخامل من العالم العامل أن يصف نفسه ليعرف حاله فيلتبس معه كماله.

وقال أبو / عثمان: أسلم الطرق من الاغترار طريق الاقتداء لأنها طريق 59/ب الأئمة الأبرار ﴿مَا كَانَ لَنَآ﴾ [الآية 38] ما صح لنا معشر الأنبياء ﴿أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الآية 38] أي أي شيء كان من الأشياء سفلياً أو علوياً أو لا شركاً جلياً ولا خفياً ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 38] التوحيد لدينا ﴿مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا﴾ [الآية 38] بالوحي إلينا ﴿وَعَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 38] سائرهم تبعثنا لإرشادهم إلى حسن معاشهم

وزاد معادهم ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 38] المبعوث إليهم ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ [الآية 38] هذا الفضل المنعم عليهم فيعرضون عن الإيمان ويسيئون في مقابل الإحسان.

قال الواسطي: رؤية الفضل حسن ورؤية التفضل أحسن ورؤية المتفضل والغنى عن رؤيته أحسن وأحسن. وقيل: أحسن الناس حالاً من رأى نفسه تحت ظل فضله ونعمه لا تحت سعيه وعمله.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ﴾ [الآية 39] أي ساكنيه ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ﴾ [الآية 39] آلهة متعددة في التفرقة متحددة ﴿خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الآية 39] أي المنفرد الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره.

﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الآية 40] أي أنتما ومن على طريقتكما ﴿مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [الآية 40] أي إلا أشياء باعتبار أسامي أطلقتم الآلهة عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها لا من جهة العقل ولا من طريق النقل ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ﴾ [الآية 40] في أمر العبادة ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الآية 40] المستحق لها بالذات المستجمع لكمال الصفات فهذا بطريق العقل وأما بطريق النقل فأشار إليه بقوله ﴿أَمَرَ﴾ [الآية 40] أي على لسان أنبيائه ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ﴾ [الآية 40] التوحيد الصدق ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الآية 40] الحق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 40] لا يميزون بين المعوج والمستقيم.

﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا﴾ [الآية 41] وهو الشرابي ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ [الآية 41] يعود إلى سقيه إياه ﴿وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ﴾ [الآية 41] على طبق ما رأياه، فقالا: كذبنا في رؤيانا فقال: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [الآية 41] قطع ما يؤول إليه أمركما وتحقق عاقبة ما نزل بكما على وفق استفتائكما.

وأفاد الأستاذ: أنهما اشتركا في دخول السجن وحصول السؤال وتباينا في المآل واحد صلب وواحد وهب له وقُرِّب، كذا قضايا /التوحيد واختيار الحق المريد لما يشاء بالعبيد فمن مرفوع فوق السماك مطلعه ومن موضوع /60أ

تحت التراب مضجعه. أقول: ولعل في الآية إشارة إلى أن الدنيا سجن الفريقين في الحال مع اختلافهما في العقبى من حيث المآل.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [الآية 42] الظانّ يوسف إن ذكر ذلك عن اجتهاد وإن ذكره عن وحي فهو الناجي إلا أن يؤول الظن باليقين ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42] أي اذكر حالي عند الملك كي يخلصني من ذلك ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [الآية 42] أي أنسى الشيطان الشرابي أن يذكر وأنسى يوسف ذكر الله في قوله حتى استعان بما سواه ويؤيده حيث رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعة بعد الخمس[1] والاستعانة بالعباد في كشف الشدة وإن كانت محمودة في الجملة لكن لا تليق بمنصب أرباب النبوة وأصحاب الولاية.

قال أبو سعيد القرشي: لما قال لصاحب السجن: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [الآية 42] نزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله يقرؤك السلام ويقول: من حببك إلى أبيك من بين إخوتك ومن قيّض لك السيارة ومن طرح في قلب من اشتراك مودّتك ومن صرف عنك وبال المعصية وعصمك، قال: هو الله سبحانه، قال: فإنه يقول: حفظتك في هذه المواضع أخشيت أن أنساك في السجن حتى استعنت بغيري أما كان ربك أقرب منك وأقدر على خلاصك لتلبثن فيه بضع سنين، قال يوسف: وربي عني راض، قال جبريل: نعم، قال: لا أبالي ولو إلى الساعة[2].

وقال أبو حفص: قال الله تعالى ليوسف: أنت الذي طلبت مني السجن لم تستشفع لغيري في الخلاص منه. وقال ابن عطاء: غار الحق على يوسف حين غلب عليه البشرية بالرجوع في حاجته إلى البرية فأدركه الحق لقطع حاجته منهم وإيصاله إلى حاجته في سر الغيب عنهم، ذكره السلمي.

---

(1) أورده الرازي في تفسيره (9/ 49)، والنيسابوري في تفسيره (4/ 366)، والسيوطي في الدر المنثور (4/ 541)، والبيضاوي في تفسيره (1/ 289)، والقرطبي في تفسيره (9/ 196).

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك (2/ 263) رقم (2948)، وأحمد في المسند (2/ 346) رقم (8535)، والطبري في تفسيره (16/ 136)، وابن كثير في تفسيره (4/ 394).

وقال الأستاذ: بين أن تعبير الرؤيا وإن كان حقاً فطريقه غلبة الظن دون القطع ولو كان صدقاً، ثم إنه عوتب يوسف عليه السلام بأن / نسي حديثه من استعان به لئلا يطلب على نشره علمه عوضاً بعده ففي بعض الكتب المنزلة: يا ابن آدم علم مجاناً كما علمت مجاناً. 60/ب

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ﴾ [الآية 43] أي رأيت ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ﴾ [الآية 43] قد انعقد حبها ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [الآية 43] وسبعاً أخر حصل كمالها فالتوت اليابسات على الخضر حين غلبن عليها وإنما استغنى عن بيان حالها بما قصّ من حال البقرة ومآلها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ﴾ [الآية 43] أي عبِّروها ﴿إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [الآية 43] إن كنتم عالمين لعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصورة الخالية إلى المعاني النفسية التي هي بمنزلة المرآة الجلية وانعكاس صور جمالها في المراتب المثالية واللام لتقوية العامل فإن الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل.

قال الأستاذ: كان ابتداء بلاء يوسف بسبب رؤيا رآها فنشرها وسبب نجاته أيضاً رؤيا رآها الملك وأظهرها ليعلم أن الله يفعل ما يشاء بالعبيد ويحكم ما يريد.

﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [الآية 44] أي هذه تخاليطها ومظنة تغاليطها ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ﴾ [الآية 44] المختلطة ﴿بِعَٰلِمِينَ﴾ [الآية 44].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا﴾ [الآية 45] من صاحبي السجن وهو الشرابي ﴿وَٱدَّكَرَ﴾ [الآية 45] أصله اذتكر من الذكر فأبدل التاء إلا وأدغم، والمعنى تذكر حال يوسف ومقاله ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [الآية 45] جماعة من الأزمنة مجتمعة أي مدة طويلة، والجملة اعتراض بين القول ومقوله ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ [الآية 45] إليّ مَن عنده علمه.

فأرسل إلى ﴿يُوسُفُ﴾ [الآية 46] فجاءه وقال له يوسف: ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [الآية 46] المبالغ في الصدق لما جربه في إخباره الحق ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [الآية 46] أي في

تعبير رؤيا ذلك ﴿لَعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 46] أعود إلى الملك ومن عنده ﴿لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 46] تأويلها أو مرتبتك.

وقال الأستاذ: لما كان المعلوم لله والمحكوم أن ملك يوسف عليه السلام يكون في ذلك الوقت قبض الله القلوب حتى خفي عليها تعبير تلك الرؤيا ولم يحصل / للملك ثلج الصدر إلا بتعبيره فإنه سبحانه إذا أراد أمراً حكم به 61/أ سهّل تمام أسبابه، ويقال: إن الله تعالى أفرد يوسف من بين أشكاله بشيئين بحسن الخلق وبزيادة العلم فصار جماله سبب بلائه وصار علمه سبب نجاته ليعلم مزية العلم على غيره، ولهذا قيل: العلم يعطي ولا يعطى. ويقال: إذا كان العلم بالرؤيا يوجب ملك الدنيا فالعلم بالمولى أولى أن يوجب الملك في العقبى.

﴿قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [الآية 47] أي على عادتكم المستمرة. وقرأ حفص بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وانتصابه على الحال أي دائبين والأظهر أن تزرعون أمراً خرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله: ﴿فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ﴾ [الآية 47] لئلا يأكله السوس ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ﴾ [الآية 47] في تلك السنين مما تحتاجون.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ﴾ [الآية 48] ما ادخرتم لأجلهن، والمراد أهلهن وللمطابقة بين المعبر والمعبر عنه أسند الأكل مجازاً إليهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ﴾ [الآية 48] تحفظون لبذور الزراعة فيما بعدهن.

﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الآية 49] ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار فيه. وقرأ حمزة والكسائي بالخطاب على تغليب المستغني في الجواب وهذه بشارة بشرهم بها بعد أن أوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة واتباع العجاف والسمان بأكل ما جمع في السنين المخصبة المجذبة، ولعله علم ذلك بوحي الرب أو بأن انتهاء الجذب يكون بالخصب أو بأن السنّة الإلٰهية على أن يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم لقوله سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البَقَرَة:الآية 245].

﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ﴾ [الآية 50] بعدما جاء الرسول بنقل تعبيره خشية تغييره في كيفية تصويره ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ﴾ [الآية 50] في طلبه ﴿قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الآية 50] خوفاً من حاسد أن يتوسل إلى تقبيح أمره ﴿فَسْـَٔلْهُ﴾ [الآية 50] أي أطلب منه أن يفتش ويفحص عن موجب الحبس من جهة التهمة ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [الآية 50] ليظهر براءة ساحته فيما أردن من كيدهن لإطلاعهن/ على امتناعه من الميل إليهن ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [الآية 50] وإنما أريد نفي التهمة كما دأب كل كريم مخافة طعن كل لئيم. وفيه وعيد لهن على كيدهن ووعد لمن احترس عن مكرهن. وعنه ﷺ في مدحه لصبر يوسف بطريق المبالغة: «لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة»[1].

61/ب

وأفاد الأستاذ: أن يوسف عليه السلام أراد أن لا يلاحظه الملك بعين الخيانة فتسقط هيبته عن قلبه فلا يؤثر فيه قوله فذلك توقف حين ظهر أمره.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ﴾ [الآية 51] ما شأنكن ﴿إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [الآية 51] لها أو لكن حتى ظهر أمره لكن ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ [الآية 51] تنزيه له وتعجيب من قدرته على خلق عفيف مثله في براءة ساحته ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [الآية 51] أي من خطيئة لا صغيرة ولا كبيرة، ومن زائدة للمبالغة في نفي قليله وكثيره.

وأفاد الأستاذ: أن الحقائق لا تكتم أصلاً ولا بد أن تبين ولو بعد حين فصلاً فصلاً لنسب يوسف إلى ما كان منه بريئاً ولبث على ذلك ملياً وكان أمره عليهم خفياً. ثم إن الله تعالى رفع التهمة ودفع المظنة وأنطق جذاله وأظهر حاله وطهر عما قذف به سرباله حيث قلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ [الآية 51]. ثم لما كانت محبة زليخا ناقصة في يوسف رمت ذنبها عليه وبعدما تناهت في محبته واستكملت في مودته أقرّت بذنبها ونظافة ساحته، فالتناهي في الحب يوجب هتك الستر وقلة المبالاة بظهور الأمر

(1) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 2930).

والسر كما قال قائلهم:

ليقل مَن شاء ما شاء فإني لا أبالي[1]

وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ [الآية 51] واستقر ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ﴾ [الآية 51] وكنت من الكاذبين ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [الآية 51] في قوله هي راودتني عن نفسي ﴿لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الآية 51].

ولما عاد إليه الرسول وأخبر بكلامهن قال: ﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 52] أي الاهتمام بإعلام أمرهن ﴿لِيَعۡلَمَ﴾ [الآية 52] العزيز وغيره ﴿أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 52] أي وأنا غائب عنه أو هو غائب عني أو مكان الغيب من وراء الأستار المعلقة والأبواب المغلقة ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ/ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الآية 52] لا ينفذ كيدهم ولا يسد مكرهم بل يرجع إليهم أمرهم كما في قوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ﴾ [فَاطِر:الآية 43]. 62/ أ

وأفاد الأستاذ: أن يوسف عليه السلام إنما أراد أن يظهر براءة ساحته لأنه علم أنهم يستحقون العقوبة بل ما يبسطون فيه من ملامته فلم ير أن يصيبهم بسببه من قبل الله آفة شفقة منه على عباده سبحانه وهذه صفة أوليائه لا يكونون خصم أنفسهم ولهذا قيل: الصوفي دمه هدر وماله مباح.

﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ [الآية 53] لا أنزهها عن ذنبي تنبيهاً على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه ولا إعجاب حاله بل إظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق بفضله وكرمه ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [الآية 53] من حيث إنها مائلة إلى الشهوات بطبعها وتستعمل القوة والجوارح في أثرها في جميع الأوقات والحالات ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [الآية 53] أي مدة رحمته وحالة عصمته أو إلا من رحمه الله من النفوس فعصمه عن السوء في الأنفاس.

وقال ابن عطاء: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ بنفسي ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ بربي ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ﴾ [الآية 53] للمسيئين ﴿رَّحِيمٞ﴾ [الآية 53] للمحسنين. وعن ابن عباس رضي

(1) لم ينسب لأحد، وقد أورده القشيري في تفسيره (1/ 307) و(3/ 431).

الله عنه أنه لما قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب قال له جبريل: ولا حين هممت[1]، فقال: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ [الآية 53] الآية.

وأفاد الأستاذ: أن قوله: ﴿لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 52] بيان الشكر لما عصمه الله. وقوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ﴾ [الآية 53] بيان العذر لما قصر في أمر الله، فاستوجب لشكره زيادة الإحسان واستحق بعذره العفو والغفران.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ [الآية 54] أجعله صاحباً خالصاً لمجلسي ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ﴾ [الآية 54] أي فلما أتوا به وشاهد الملك نظام مرامه من كلامه ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ﴾ [الآية 54] ذو مكانة وذو أمانة.

قال ابن عطاء: كيف لم يستخلصه لنفسه وقد استخلصه الحق من قبله فهو لديه من المخلصين، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه لما اتضح للملك طهارة فعله ونزاهة حاله استحضره لاستصفائه لنفسه فلما كلّمه وسمع بيانه رفع محله ومكانه وضمن برّه / وإحسانه. 62/ب

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الآية 55] أي ولّني أمر أرض مصر الموضوعة للزراعة وضبطها ﴿إِنِّي حَفِيظٌ﴾ [الآية 55] لها ممن لا يستحقها ﴿عَلِيمٞ﴾ [الآية 55] بوجوه التصرف فيها وإنما آثر هذا الكل لعلمه بما يعم فوائده ويحيل عوائده مع ما يقتضيه من البعد عن مجلس الملك والوزراء والتقرب إلى صحبة الضعفاء وخدمة الفقراء، وفيه دلالة على جواز طلب التولية وأخذها وإظهار أنه مستعد لها إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة الحق وسياسة الخلق إلا بحصولها وقبولها. وعن مجاهد أنه أسلم الملك على يده ببركة صحبته.

وقال الواسطي: مدح النفس قبيح إلا في وقت الإذن فيه، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إنما سأل جعله ليضع الحق موضعه فيوصل نصيب الفقراء

(1) أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (1/ 377) رقم (373) وابن حجر في المطالب العالية (10/ 328) رقم (3735).

إليهم فطلب حق الله في ذلك ولم يطلب حظ نفسه هنالك ولم يقل: إني حسن جميل بل قال: إني حفيظ عليم كاتب حاسب ليعلم أن الفضل في السريرة لا في مجرد الصورة.

﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 56] أرض مصر وتوابعها ﴿يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ [الآية 56] ينزل من بلادها كل بقعة يوافقه هواها. وقرأ ابن كثير: نشأ بالنون وفيه إيماء إلى أن مشيئته تابعة لمشيئة الله المقتضية لرضاه لا ما وافقه على مقتضى طبعه وهواه.

وقال الأستاذ: لما لم يكن دواعي الشهوات من نفسه مكَّنه الله من ملكه قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا﴾ [الشّورى:الآية 23]، ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [الآية 56] في الدنيا والأخرى ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 56] بل نوفي أجورهم ونحسن أمورهم عاجلاً وآجلاً. قيل: المحسن من يرى جميع ما يجري عليه من الحق.

﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [الآية 57] أي كمية وكيفية ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 57].

قال الأستاذ: أخبر عن حقيقة التوحيد وطريقة التفريد وبيَّن ما يؤتى بعض عباده من الطاعة فبفضله لا بفعلهم وبرحمته لا بحمد منهم فقال: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [الآية 56]، ثم رقى هممهم عما أولاهم من نِعَمه فقال: ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [الآية 57] ثم بيَّن أنه لمن يكون ذلك فقال: ﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [الآية 57] ليعلم أنه لا بد من متابعة التقوى / ومخالفة الهوى انتهى. وروي أنه لما 63/أ استوزره الملك أقام العدالة واجتهد في تكثير الزراعة وضبط أنواع القلة حتى دخلت السنون المجدبة وعمّ القحط مصر ونواحيها من كل قرية وتوجه الناس إليه وتذلّلوا بين يديه فباعهم أولاً بالدراهم والدنانير حتى لم يبق شيء معهم، ثم بالحلي ثم بالجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم بالرقاب حتى استرقهم جميعهم ثم عرض على الملك أمرهم ففوّض إليه حكمهم فأعتقهم ورد إليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلدان فأرسل يعقوب عليه السلام

بنيه أجمعين غير بنيامين لجلب الطعام إليه.

﴿وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ﴾ [الآية 58] حين وقفوا لديه ﴿وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾ [الآية 58] لطول مدة الغيبة وتغيير الهيئة وعظمة الهيبة.

وأفاد الأستاذ: أنه عرف إخوته وأنكر معرفته لأنهم اعتقدوا أنه في رقّ العبودية وهو قد قعد في مرتبة السلطنة فمن طلب الملك في صفة العبيد معنى يعرفه كذلك من يعتقد في صفة العبودية وهو من صفات الحادث الموجود متى يكون عارفاً بالله الودود. ويقال: لما جفوه جفاهم حجاباً بينه وبين معرفتهم إياه كذلك العاصي بخطئه وزلّته ينفع غيره على وجه معرفته.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ﴾ [الآية 59] أصلحهم بعدتهم وقام بخدمتهم وأدى حاجتهم ﴿قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ [الآية 59] وذلك لما روي أنهم لما دخلوا عليه قال: من أنتم وما أمركم لعلكم عيون طالبون فسادكم. قالوا: معاذ الله نحن بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب، قال: كم أنتم؟ قالوا: اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية وهلك، قال: فكم أنتم ها هنا؟ قالوا: عشرة، قال: فأين الحادي عشر؟ قالوا: عند أبينا يتسلى به عن المهالك، قال: فمن يشهد لكم بذلك؟ قالوا: لا يعرفنا ها هنا من يشهد لنا، قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وأتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم. فاقترعوا فأصابت شمعون. وقيل: كان يعطي/ يوسف لكل نفر حملاً من طعام فسألوه حملاً زائداً لأخ لهم من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ﴾ [الآية 59] أُتِّمه ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [الآية 59] للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم.

63/ ب

﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60] أي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري معطوف على الجزاء وهو إما نهي أو نفي في البناء. قال بعضهم: من خالف أمر سيده ضيّق الله عليه في رزقه وحرم مقام تقديره، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إن المحب غيور، ولما كان ليعقوب تسلٍّ عن يوسف برؤية ابنه بنيامين أبت المحبة إلا أن تظهر سلطانها بالكمال فغارت عن بنيامين أن ينظر

إليه يعقوب بعين يوسف. ويقال: تلطف يوسف في استحضار أخيه بالترغيب والترهيب، أما الترغيب ففي ماله الدنيء أوصله إليهم فقال: ألا ترون إني أوف الكيل، وفي إقباله بالإكرام عليهم فقال: ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [الآية 59]. وأما الترهيب فيتبع المال بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾﴾ [الآية 60]، ويمنع الإكرام والإقبال بقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُونِ﴾.

﴿قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ [الآية 61] نستمهد في طلبه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ﴾ [الآية 61] ذلك من غير تقصير فيه.

﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ﴾ [الآية 62] لغلمانه الكيالين. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: لفتيانه على جمع الكثرة ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ﴾ [الآية 62] أي شروا بها الطعام ﴿فِى رِحَالِهِمْ﴾ [الآية 62] توسيعاً لحالهم وتفضُّلاً عليهم برد مالهم وترفُّعاً من أن يأخذ ثمن الطعام من أمثالهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ﴾ [الآية 62] حق ردها أو لكي يعرفوها وينكروا كونها لهم ﴿إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ﴾ [الآية 62] وفتحوا أوعية رحالهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الآية 62] لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى رجوعهم إلينا بتحسين حالهم وتزيين مالهم.

﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ﴾ [الآية 63] وقصدوا أن يأتوا بأخيهم ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ [الآية 63] حكم بمنعه بعد هذا الحين إن لم نذهب ببنيامين ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ [الآية 63] ما نحتاج إليه ونرفع المانع من الكيل المعلق عليه. / وقرأ حمزة والكسائي يكتل بالياء على إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فيضم اكتياله إلى اكتيالنا ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الآية 63] عن أن يناله مكروه منا أو من غيرنا. 64/أ

﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [الآية 64] على حفظه ﴿إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [الآية 64] وقد قلتم في يوسف وإنا له لحافظون. وقد ورد: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»[1]، ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا﴾ [الآية 64] فأفوض أمري إليه

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6133)، ومسلم في الصحيح (2998/ 63).

ولا أتوكل إلا عليه ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الآية 64] فأرجو أن يرحمني بحفظه ولا يجمع عليّ مصيبتين من لطفه وكرمه، وانتصاب حفظاً على التمييز. وقرأ حمزة والكسائي وحفص: حافظاً وهو يحتمل التمييز والحال كقولهم: لله دره فارساً. وفي تفسير السلمي عن بعضهم قال يعقوب: جربت حفظكم في واحد حين قلتم وإنا له لحافظون واعتمدت عليكم ولم أرجع في حفظه إلى الله فلقيت فيه ما لقيت وإني في هذا أرجع إلى ربي فالله خير حافظاً، فلما استحفظه به رد إليه الأول والآخر.

وأفاد الأستاذ: إن من عرف بالخيانة لا يلاحظ بعين الأمانة ولذا لم تسكن نفس يعقوب بضمانهم لما سبق إليه من شأنهم.

﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ [الآية 65] أي أي شيء تطلب وما ذلك وهل من مزيد على ما هنالك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ [الآية 65] رحمة علينا لنستظهر بها لدينا ﴿وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [الآية 65] بالرجوع إلى من أحسن إلينا ﴿وَنَحْفَظُ أَخَانَا﴾ [الآية 65] في ذهابنا وإيابنا فإنه صغير ﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [الآية 65] باستصحاب أخينا على رضى أبينا ﴿ذَلِكَ﴾ [الآية 65] الكيل الذي اكتاله لنا من قبل ﴿كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [الآية 65] قليل لا يكفينا. وفي تفسير السلمي: قال بعضهم: الإشارة في هذه الآية إلى أن أعمال الخلق كلها مردودة إليهم فإنهم إنما عملوها بأنفسهم لأنفسهم قال الله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسرَاء:الآية 7]، قال: فمن شكر فإنما يشكر لنفسه وإن الذي يلحقهم من المثوبات والكرامات إنما هو من جهة الجزاء، ألا ترى أن النبي ﷺ قال: «ليس ينجي أحدكم عمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»[1].

64/ب ـــ وأفاد الأستاذ: أن يوسف عليه السلام بيَّن لهم أنه لم /يعاملهم محتاج

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (6463)، ومسلم في الصحيح (2816/ 73).

إلى عوض أخذه منهم مما باعهم فجمع لهم الكيل وما أعطوه من الثمن، والإشارة في هذا إلى قوله: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء:الآية 7] فكل من خطى لله خطوة كافأه الله وجازاه فيجمع له بين روح الطاعة ولذة العيش والراحة من حيث الخدمة وبين ما يعده في الآخرة من الثواب والنعمة والله سبحانه وراء كل طاعة وخدمة. قلت: وفي الحديث: «إنما هي أعمالكم أحصيها لكم»[1] أي وأردها إليكم وأجازيكم بها على وفق ما لديكم.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾ [الآية 66] إذ رأيت ما رأيت منكم ﴿حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ [الآية 66] حتى تؤتوني ما أتوثق به من عنده، أي عهداً مؤكداً بذكره، والمعنى حتى تحلفوا بالله ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ [الآية 66] في جميع أحوالكم ﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ [الآية 66] إلا أن تغلبوا هناك فلا تطيقوا ذلك ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ [الآية 66] عهدهم ﴿قَالَ﴾ [الآية 66] يعقوب ﴿اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ [الآية 66] من طلب الموثق وإثباته ﴿وَكِيلٌ﴾ [الآية 66] مطلع رقيب فلا اعتماد إلا عليه ولا استناد إلا إليه. قيل: ما اعتمد يعقوب منهم الميثاق لما سبق منهم إليه قيل ذلك من الشقاق فعلم أن مواثيقهم في حفظهم معلولة فقال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [الآية 64]، وقال: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص:الآية 28] أي هو الذي يحفظ قلوبكم ولا يكلكم على رأيكم وأهوائكم في أمركم.

وأفاد الأستاذ: أن الحذر لا يغني من القدر عمل يعقوب عليه السلام معهم في باب ابن يامين ما أمكنه من الاحتياط وأخذ الميثاق فلم يغن عنه اجتهاده وحصل على ما حكم الله مراده.

﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [الآية 67] لأنهم كانوا ذوي جمال وأبّهة مشتهرين في مصر عند الملك بالقربة والكرامة فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا في هذه الكرة فإن العين حق وتأثير صدق ويدل عليه قوله ﷺ في دعوته حال عودته: «اللهم إني أعوذ بكلمات الله

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (2577/ 55).

التامة من كل عين لامة»[1] مصيبة ملحّة ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ [الآية 67] مما قضى عليكم بما أشرت به إليكم فإنه إذا جاء القضاء ضاق الفضاء.

65/أ قال جعفر الصادق: نسي يعقوب اعتماده على / العصبية والقوة وإن التقدير يغلب التدبير بقوله: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ﴾ [الآية 67] لكن ساعده التوفيق واستدركه عن قريب بالتوحيد وتحقيق التفريد حيث قال: ﴿وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ﴾ [الآية 67] ذكره السلمي ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾ [الآية 67] لا دافع ولا مانع ولا ضار ولا نافع سواه ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ﴾ [الآية 67] ما اعتمدت على غيره ﴿وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الآية 67] إذ مدار الكل عليه ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه.

وقال ابن عطاء: كيف يرد عن غيره من لا يرد عن نفسه وكيف يقوم لكفاية غيره من هو عاجز عن كفاية أمره بل ربما يبدي الحق الأسباب والأخذ بالأسباب كالأخذ عن مسبِّب الأسباب.

وأفاد الأستاذ: أنه يحتمل أن يكون أراد بتفريقهم في الدخول قصد الحصول والوصول لعل واحداً منهم يقع بصره على يوسف إن كان الآخر لم يره. ويقال: ظن يعقوب أنهم في أمر يوسف كما هو في شدة العناية لشأنه ولم يعلم أنهم كارهون لمكانه. قلت: كان يعلم ذلك ببرهانه ولكن حديث «حبك الشيء يعمي ويصم»[2] أورده في حسن الظن بإخوانه.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم﴾ [الآية 68] أي من أبواب متفرقة حين حلولهم ﴿مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم﴾ [الآية 68] أي رأي يعقوب فيهم ولا اتباعهم له في أمرهم من الله مما قضاه عليهم ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ﴾ [الآية 68] أي شيئاً ما من أحوالهم ولذا نسبوا إلى السرقة والخيانة حتى أصابوا ما تضاعفت عليهم

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك (3/ 183) رقم (4781)، وانظر مجمع الزوائد (5/ 195) رقم (8461).

(2) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (4/ 334) رقم (4359)، والبيهقي في شعب الإيمان (1/ 368) رقم (411)، وأحمد في المسند (5/ 194) رقم (21740)، وأبو داود في السنن (4/ 496) رقم (5132).

المصيبة ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ [الآية 68] لكن حاجة ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾ [الآية 68] من شفقة عليهم وميله إليهم ﴿قَضَىٰهَا﴾ [الآية 68] أظهرها ووصاها ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [الآية 68] من أن التدبير لا يغير التقدير ولذا قال: ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الآية 67] أراده بكم من الضرّ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الآية 68] سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر.

قال يوسف بن الحسين: أجّل المعلوم ما أخذه العبد من الحق بغير واسطة الخلق، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أنه إن لم يحصل مقصود يعقوب في المآل حصل مراده في الحال وفي ذلك القدر لأرباب القلوب استغلال. ويقال: إن الأصاغر حفظ إشارات الكبائر، والقول فيما يأمرون به أن فيه فائدة أم لا فذاك الأدب في مقام الطلب. ويقال:/ إذا كان مثل يعقوب يستر على أولاده وينمي فيه 65/ب حصول مراده ثم لا يحصل مقصوده علم أنه لا ينبغي أن يعتقد في الشيوخ أن جميع ما يريدون يتفق كونه على ما أرادوا، إن الذي لا يكون إلا ما يريد واجباً وما أراد هو كائن لله الواحد القهار.

﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ [الآية 69] بنيامين على أكل الطعام أو في المنزل والمقام، روي أنه أضافهم فأجلسهم مثنى فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لجلس معي، فأجلسه معه على ما مائدته ثم قال: لينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثاني له فيكون معي، فبات معه فقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك، قال: أنّى لي بذلك ومَن يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ [الآية 69] أي حقيقة وأنتم ما تعرفون ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ [الآية 69] أي لا تحزن ﴿بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الآية 69] في حقنا.

وأفاد الأستاذ: أن حديث المحبة وأحكامها أقسام: اشتاق يعقوب إلى لقاء يوسف فبقي في بيت الأحزان سنين كثيرة، واشتاق يوسف إلى بنيامين فرزق رؤيته في مدة يسيرة، هكذا أمر أصحاب الولاء فمنهم معترفون به

ومنهم صاحب البلاء، وقيل: لئن سخنت عين يعقوب بمفارقة بنيامين فلقد قرّت عين يوسف بلقائه، كذا أمر الخلق أجمعين لا تغرب الشمس عن قوم إلا وتطلع على آخرين مصائب قومٍ عند قوم فوائد، ويقال: إن الله تعالى وفّق بنيامين لما أصابه الأسف على فقد رؤية أبيه ناله الفرح بشهود رؤية أخيه.

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [الآية 70] المشربة، وكانت من ذهب أو فضة وقد جُعلت صاعاً يكتال به ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ [الآية 70] نادى مناد ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ﴾ [الآية 70] أي القافلة ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [الآية 70] أي آخذون السقاية على وجه الحقيقة بأجمعكم أو بأخذ أحدكم. قيل: ولعله لم يقل بأمر يوسف أو كان نفيه السقاية والنداء عليها برضا بنيامين. وقيل: معناه أنكم لسارقون يوسف من أبيه والأظهر أن همزة الاستفهام مقدرة ليخرج عن وقوع الكذب في الخبر.

66/أ ﴿قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ/ عَلَيْهِم﴾ [الآية 71] أي والحال إنهم التفتوا إليهم ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [الآية 71] أي أي شيء ضاع منكم.

﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ [الآية 72] من الطعام جعلاً له ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [الآية 72] كفيل أؤديه إلى من رده.

وقال الأستاذ: لما نسب إليه من نشوء ضر هان عليه ما وجد من شؤم الوصال. ويقال: لئن نسب يوسف أخاه إلى السرقة جهل فقد تعرف إليه أنا أخوك سراً فكان محتملاً لأعباء الملامة في ظاهره محمولاً بوجدان الكرامة في سره وفي معناه أنشدوا:

أجد الملامة في هواك لذيذة حباً لذكرك فليلمني اللُّوّم[1]

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ [الآية 73] قسم فيه معنى التعجيب مختصة باسم الله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 73] بأخذ مال أهلها ﴿وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾

(1) هذا البيت منسوب لأبي الشيص الشاعر محمد بن عبد الله بن رزين. انظر فوات الوفيات (3/ 403)، والوافي بالوفيات (1/ 420).

[الآية 73] قبل وصولها، استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم مما يدل على كمال أمانتهم وفرط ديانتهم كرد البضاعة التي وُضِعَت في رِحالهم وربط أفواه دوابهم كي لا يتناول زرعاً وطعاماً لغيرهم.

وقال الأستاذ: يعني حسن سيرتنا في المعاملة يدلكم على حسن سيرتنا في المقالة.

﴿قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ﴾ [الآية 74] جزاء السارق في طريقتكم ﴿إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ [الآية 74] في دعوى براءة ساحتكم.

﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ [الآية 75] أي منزله أو عنده المسروق ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ﴾ [الآية 75] أي جزاء سرقته واستحقاقه أخذ من وجد في رحله واسترقاقه. قيل: وهكذا كان شرع يعقوب عليه السلام، ويشير إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الآية 75] بالسرقة من مال المسلمين والمستأمنين.

﴿فَبَدَأَ﴾ [الآية 76] المؤذن ﴿بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ﴾ [الآية 76] بنيامين نفياً للتهمة وبعداً عن المظنة ﴿ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا﴾ [الآية 76] أي السقاية ﴿مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾ [الآية 76].

قال الأستاذ: تجاسر أخوة يوسف على الرضا بجريان جزاء السرقة عليهم بحكم القضاء ثقة بأنفسهم أنهم لم يباشروا الزلة التي هي موجبة للذلة وكان بنيامين شاركهم في براءة الساحة فلما استخرج من وعائه السقاية بسط الأخوة فيه لسان الملامة فلم يكن له جواب البتة لأنه إن أقرّ بالسرقة لم يكن ذلك صدقاً إذ لم يصدر منه فعله، ولو قال: لم أفعل، أفشى سر يوسف إليه/ 66/ ب في بابه أنه يحتال معهم لأجله حتى يبقى هو معه فسكت لسانه وتحقق بالحال جنانه. ويقال: ساء بما ظهر عليه القالة ولكن حصل بذلك صفاء الحالة ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [الآية 76].

﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ﴾ [الآية 77] بنيامين ﴿فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [الآية 77] يعنون يوسف، قيل: كان في البيت دجاجة فأعطاها صاحب حاجة،

وقيل: كان لأبي أمه صنم فسرقه وكسره اقتداء بجده لأبيه ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ﴾ [الآية 77] أخفاها ﴿وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ [الآية 77] أي لم يظهرها وهو تأكيد لأسرّها، والضمير للقصة أو القالة أو الحالة ﴿قَالَ﴾ [الآية 77] بلسان القال أو ببيان الحال ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [الآية 77] أي منزلة في السرقة منه لسرقتكم أخاكم ومخالفتكم أباكم ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [الآية 77] أي هو يعلم أن الأمر ليس كما تقولون.

وقال الأستاذ: كان بنيامين بريئاً مما رمي به فأنطقهم الله حتى رموا يوسف بمثله واحداً بواحد ليعلم أن الجزاء واجب.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ [الآية 78] في العمر أو القدر، ذكروا له حاله استعطافاً عليه ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ [الآية 78] أي بدله فإن أباه مولع به هنالك لأن فيه رائحة أخيه الهالك ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 78] بعامة الناس فنحن أولى بذلك.

﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ [الآية 79] فإن أخذ غيره ظلم عندكم بناء على أن قولكم فلو نأخذ مكانه أحدكم ﴿إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ [الآية 79] في مذهبكم، هذا جوابه بحسب الظاهر وأراد باعتبار السر أن الله تعالى أذن لنا أن نأخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحة مقررة لديه وحكمة محررة لمرضاته عليه فلو أخذنا غير من وجد في رحله لوضعت الشيء في غير محله.

وقال الأستاذ: كثرة التنقل وما راموا به من ذكر أبيهم لانتفاء التوسل وما قبل منهم ما عرضوا عليه من أنفسهم بأخذ أحدهم على سبيل البدل كذلك كل من عند الله مطالب بفعل نفسه فيما أجرى ولا تزرو وازرة وزر أخرى، فلا أب يؤخذ بدل ولد ولا القريب يرضى به عوضاً عن أحد، ولذا قال يوسف: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ [الآية 79]. ويقال: توهموا أن الحديث معهم من حيث معاملة الأموال فعرضوا أنفسهم / أن يؤخذ واحد منهم بدل أخيهم في الخدمة والابتذال ولم يعلموا أن يوسف كادهم في تلك الحال، ومقصود ما استمكن في قلبه من حب أخيه وقربه في الاستقبال وكلًّا أن يكون

67/أ

عن المحبوب بدل أو يقوم مقامه أحد في مقام الجمال وحال الكمال، وأنشدوا في معناه:

أبى القلب إلا حب ليلى وبغضت إليّ نساءٌ ما لهنّ ذنوب[1]

﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ﴾ [الآية 80] يئسوا من يوسف وإجابته إياهم ﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗاۖ﴾ [الآية 80] انفردوا واعتزلوا متناجين ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ [الآية 80] في السن وهو روبيل أو في الرأي هو شمعون ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ﴾ [الآية 80] استفهام تقديره أي وقد علمتم ﴿أَنَّ أَبَاكُمۡ قَدۡ أَخَذَ عَلَيۡكُم مَّوۡثِقٗا﴾ [الآية 80] عهداً وثيقاً ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 80] أو بإذنه أو حلفاً أكيداً من اسمه ﴿وَمِن قَبۡلُ﴾ [الآية 80] أي قبل هذا ﴿مَا فَرَّطتُمۡ فِي يُوسُفَۖ﴾ [الآية 80] أي ما قصدتموه في شأنه وما توسمتوه في حقه ﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الآية 80] أي لن أفارق أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ [الآية 80] في الرجوع إليه ﴿أَوۡ يَحۡكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ﴾ [الآية 80] أو يقضي موتاً أو حياة بالخروج منها أو بخلاص أخي منهم فيها ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [الآية 80] لأن حكمه لا يكون إلا بالحق المبين.

﴿ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ﴾ [الآية 81] واعتذروا عن أخيكم ﴿فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ [الآية 81] أي على ما شهدنا من ظاهر أمره ﴿وَمَا شَهِدۡنَآ﴾ [الآية 81] أي وما تكلمنا عليه ﴿إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا﴾ [الآية 81] بأن رأينا السقاية أخرجت من وعائه ﴿وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ﴾ [الآية 81] أي لباطن حاله ﴿حَٰفِظِينَ﴾ [الآية 81] فلا ندري أنه سرق أو دُست السقاية في رحله.

﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [الآية 82] يعنون مصر، والمعنى أرسل إلى أهلها واسألهم عن القصة التي جرت في محلها ﴿وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾ [الآية 82] أي وكذلك اسأل أصحاب العير من القافلة التي توجهنا فيهم ورجعنا معهم ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ [الآية 82].

قال الأستاذ: ما ازدادوا إقامة حجة إلا ازداد يعقوب في قولهم شبهة،

---

(1) في تفسير القشيري (3/ 455):
أحب ليلى وبغضت إليَّ نساء ما لهنَّ ذنوب

فإن يقين الجرم في المرة الأولى أوجب التهمة في الكرة الأخرى. ويقال في الجملة مسائل الأطلال والآثار راحة القلوب للأحباب في سلوة الأسرار، وهذا الباب مما للشرح فيه مجال للأبرار/ الأحرار. 67/ب

﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [الآية 83] أي فلما رجعوا إلى أبيهم ونقلوا إليه قضية أخيهم قال: بل زينت وسهلت لكم أنفسكم أمراً رأيتموه فقررتموه وإلا فما أدرى الملك بأن السارق يؤخذ بسرقته وهذه القضية ليست من قواعد ملته ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [الآية 83] أجمل وأكمل أو فأمري صبر جميل وأجري جزاء جميل ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [الآية 83] أي بيوسف وبنيامين وأخيهما أجمعين مجتمعين فإن تضييق المخرج يوجب توسيع الفرج وقد ورد: اشتدي أزمة تنفرجي[1] ﴿إِنَّهُ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 83] بتقديره ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 83] في تدبيره.

﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ [الآية 84] أعرض عنهم كراهة ما ضاق منهم ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [الآية 84] يا أسفي وحزني هذا أوانك فتعالي وأقبلي والأسف أشد الحسرة، وألف بدل من ياء الإضافة، وفي حديث ضعيف: لم تعطِ أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون إلا أمة محمد ﷺ[2]، ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال: يا أسفي، وإنما تأسف ﴿عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [الآية 84] وحده لأنه كان في انفراده أخذ بمجامع قلبه ولأنه كان واثقاً بنجاتهما دون حياته ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ﴾ [الآية 84] لكثرة بكائه ﴿مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾ [الآية 84] أي من جهة حزن بلائه في مقام ولائه وكأن العبرة محقت سوادها، وقيل: ضعف نظره، وقيل عمي بصره، وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء لصدورهما عن الأنبياء أو لكونهما من الجبلة البشرية الصادرة عن الصفة الرحيمية فمن ضحك عند موت

---

(1) أورده السيوطي في جامع الأحاديث (4/ 415) رقم (3455) والقضاعي في المسند (1/ 436) رقم (498)، والسخاوي في المقاصد الحسنة (1/ 115) رقم (114)، والعجلوني في كشف الخفاء (1/ 127) رقم (366).

(2) أورده البيضاوي في تفسيره (1/ 304)، وأبو السعود في تفسيره (4/ 301)، والزمخشري في كشافه (3/ 207)، والنيسابوري في تفسيره (4/ 392).

ولده لا يعد من أهل الأخلاق السنية، ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم وقال: «القلب يجزع والعين تدمع، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون»[1]، ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [الآية 84] مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه غير مظهره أو مملوء من حزن يوسف ترشح منه هذا التأسف فكل إناء يرشح بما فيه، ولذا قيل: إنه عوتب فيه للتنبيه.

ففي تفسير السلمي قال أبو سعيد القرشي: أوحى الله تعالى إلى يعقوب: يا يعقوب تتأسف على غيري وعزّتي لأحزن عينيك ولا أردهما عليك حتى تنساه. وسئل أبو سعيد أيضاً: لِمَ لَمْ يذهب عين آدم وعين داود / من طول 68/أ بكائهما وذهب بِعين يعقوب في قلة زمان بكائه بالإضافة إليهما، فقال: لأن بكائهما كان من خوفه سبحانه وبكاء يعقوب كان من فَقْد ولده فحفظا وعوقب به. وقال أيضاً: بكاء الحزن يعمي البصر وبكاء الشوق يجلي النظر.

وأفاد الأستاذ: إن يعقوب لم يجد مساعداً لنفسه على تأسفه وتولى على الجميع وانفرد بإظهار أسفه، وفي معناه أنشدوا:

فريد عن الخلان في كل بلدة ... إذا عظم المطلوب قلّ المساعد[2]

قال: وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان بكاء داود أكبر من بكاء يعقوب فلم يذهب بصره وذهب بصر يعقوب لأن يعقوب بكى لأجل يوسف ولم يكن في قدرة يوسف ما يحفظ بصر من يبكي لأجله وأما داود فكان يبكي لله وفي قدرته سبحانه ما حفظ بصر الباكي لأجله وسمعته يقول: لم يقل الله عَمِيَ يعقوب لأنه لم يكن في الحقيقة عمى وإنما كان ذلك حجاباً عن رؤية غير يوسف. ويقال: كان ذهاب بصر يوسف في غيبة يوسف رفقاً من الله سبحانه بيعقوب حتى لا يحتاج إلى أن يرى غيره لأنه لا شيء أشد على الأحباب من

---

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (1303)، والحاكم في المستدرك (1/ 538) رقم (1410)، والبيهقي في شعب الإيمان (10162).

(2) نسب هذا البيت لأبي الطيب المتنبي. انظر نشوار المحاضرة (1/ 91) وشرح ديوان المتنبي (1/ 232).

رؤية غير المحبوب في بحار فراق المطلوب، وأنشدوا في معناه:

لما تيقنت أني لست أبصركم غمضت عينيّ فلم أنظر إلى أحد[1]

قال: وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: كان يعقوب يتسلى برؤية ابنه بنيامين في حال غيبته فلما بقي عن وقته قال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [الآية 84] لأنه لما مُنع من النظر كان يتسلى بالأكبر فلما بقي عن الأثر كما بقي عن النظر قال: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [الآية 84] وعمي البصر.

﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ﴾ [الآية 85] أي لا تزال ﴿تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [الآية 85] أي وتُظهر التأسُّف ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [الآية 85] مريضاً مشرفاً على الهلاك أو ضعيفاً نحيفاً كالحرض وهو الإشفاق ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾ [الآية 85] الميتين المستهلكين.

قال القرشي: كل مشتاق لا يزال يذكر أنين قلبه حتى يعيِّره الناس على حبه فإما أن يموت على بعده وإما أن يفوز بقربه، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: أن مِن أطيب الأشياء عند أهل الهدى الهلاك في حكم الهوى فكيف يخوَّف بالهلاك مَن كان أحب الأشياء إليه الإهلاك. قلت: وفي معناه أنشدوا:

اقتلوني يا ثقاتي إن في موتي حياتي[2]

68/ب / وفي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البَقَرَة:الآية 179] إشارة إلى هذا المعنى.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى﴾ [الآية 86] همِّي الذي لا أقدر عليه، الصبر من البث بمعنى النشر ﴿وَحُزْنِىٓ﴾ [الآية 86] غمِّي الذي أذاب قلبي في حب ولدي ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الآية 86] لا إلى ما سواه مع رضائي بما قضاه فخلوني وشكايتي فإنكم لم تعرفوا حكايتي ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 86] من صنعته ورحمته ﴿مَا لَا

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 460).

(2) نسب هذا البيت للحلاج. انظر آثار البلاد وأخبار العباد (1/ 66).

تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 86] من أنه يحب مَن دعاه ولا يحب من اشتكاه. وفي الحديث: «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان أي في البلوى ولا حول ولا قوة إلا بالله فإنه هو المولى»[1].

وقال السلمي: أي علمي بالله علم حقيقة الحال وعلمكم به علم الاستدلال.

وأفاد الأستاذ: أنه شكا إلى الله ولم يشكو من الله، فمن شكا إلى الله وصل ومن شكى من الله انفصل. ويقال: لما شكا إلى الله وجد السلوة من الله. ويقال: كان يعقوب متجمِّلاً بنفسه وقلبه مستريحاً محمولاً بسره وروحه لأنه علم من الله صدق حاله فقال: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الآية 86] أي من صفات كماله الجامعة لنعوت جماله وجلاله، وفي معناه أنشدوا:

إذا ما تمنى الناس روحاً وراحة تمنيت أن أشكو إليه فيسمع[2]

﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [الآية 87] فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ [الآية 87] من تقريحه وتنفيسه أو راحته ورحمته، وقرىء: من روح الله أي من رحمته التي يجتبي بها أهل محبته، ولعل فيه من إشارته إلى حديث: «إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن»[3]، ويؤيده ما روي أن يعقوب رأى ملك الموت فسأله عنه فقال: هو حي. وقيل: علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت أبداً حتى يقع خرورهم له سُجداً ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الآية 87] بذاته وصفاته، فإن الغارق بهما لا يقنط من رحمته لا في خلوته ولا في جلوته.

قال جنيد: يحقق رجاء الراجيين عند تواتر النوائب وترادف المصائب. وفي الخبر: انتظار الفرج أفضل العبادة. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 356) رقم (3394) وفي المعجم الصغير (1/ 211) رقم (339)، والبيهقي في الدعوات الكبير (1/ 247) رقم (220).

(2) نسب هذا البيت إلى المجنون العامري. انظر الكشكوك (1/ 383).

(3) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (2/ 149) رقم (1083)، وانظر المصنوع في معرفة الحديث الموضوع (1/ 69) رقم (70)، وكشف الخفاء (1/ 217) رقم (659).

ٱللَّهِ﴾ [الآية 87] الآية، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: أَمَرَهُم بطلب يوسف بجميع حواسهم ليطلبوه بالبصر لعلهم يرون وجهه وبالأذن لعلهم يسمعون ذكره وبالشم لعلهم يجدون ريحه / لظن يعقوب أنهم مثله في إرادتهم الوقوف على شأنه والاطلاع على مكانه. ويقال: لم يكن ليعقوب أحد من الأولاد بمكان يوسف أظهر من قلة الصبر عنه ما أظهر من التأسف وآثر غيبة الباقين منهم في طلبه على حضورهم في مجلسه، فشتان بين حاله معهم في حضوره وبين حاله مع يوسف عند فقده واحد لم يره فابيضت عيناه من الحزن لفرقته عنه وآخرون أمرهم باختياره لغيبتهم عنه. 69/أ

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ [الآية 88] بعدما رجعوا إليه ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 88] شدة المجاعة وكثرة الحاجة وقلة الكفاية الموجبة للقناعة ﴿وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ [الآية 88] رديئة أو قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته ودفعته، قيل: كانت دراهم زيوفى، وقيل سمناً وصوفاً ﴿فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ﴾ [الآية 88] أتمَّه لأجلنا ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [الآية 88] برد أخينا إلينا أو بالمسامحة وقبول الأمتعة الرديئة أو بالزيادة في الكمية والكيفية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [الآية 88] أحسن الجزاء، والتصدُّق، التفضُّل مطلقاً، ومنه حديثه ﷺ في قصر الصلاة في السفر: «هذه صدقة يتصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته»(1)، لكنه اختص عرفاً بما يبتغى به الثواب أو يبتغى به عن العقاب. قيل: في هذه الآية تعليم آداب الدعاء والرجوع إلى ملازمة الأصفياء ومخالطة الأسخياء فمن لم يرجع إلى سيده بالذل والافتقار ولم يعلم إنما هو من سيده إليه إنما هو من طريق الصدقة والتفضُّل عليه على سبيل الاستحقاق كان منبوذاً مطروداً بالإتفاق.

وأفاد الأستاذ: إنهم لما دخلوا على يوسف خاطبوه بذكر الضرّ ومقاساة

---

(1) أخرجه مسلم في الصحيح (686/ 4)، وأبو داود في السنن (1/ 464) رقم (1201)، وابن حبان في الصحيح (6/ 450) رقم (2741) وأبو يعلى في المسند (1/ 163) رقم (181).

الجوع والفقر ولم يذكروا حديث يوسف وما لأجله وجّههم أبوهم من أهم الأمر، ويقال: استلطفوه بقولهم ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [الآية 88] ثم ذكروا بعد ذلك حديث قلة بضاعتهم في الأمر. ويقال: نظروا إلى فقرهم فنطقوا بقدرهم فقالوا: جئنا ببضاعة مزجاة، ولما شاهدوا قدر يوسف سألوه عن قدره فقالوا: أوف لنا الكيل، ويقال: جئنا ببضاعة لا تُقبل إلا بهذه الحضرة فأوف لنا كيلاً يليق بفضلك لا بفقرنا وبكرمك لا بعدمنا، ثم/ تركوا هذا اللسان وانتقلوا من هذا العنوان وقالوا في معرض البيان: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [الآية 88]، فنزلوا أوضع منزل في حصول هذا الشأن كأنهم قالوا: إن لم نستوجب معاملة البيع والشراء فلقد استحققنا بذل العطاء على الله المكافأة والجزاء، فإن قيل: كيف قالوا وتصدّق علينا وكانوا أنبياء ولا تحل لهم الصدقة على أولاد الأنبياء وأرادوا أن من وراءنا من يجوز له الصدقة فحينئذ ينتهبون كلحم بريرة(1). 69/ب

﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ [الآية 89] أي قبح فعلكم به ﴿وَأَخِيهِ﴾ [الآية 89] أي وما فعلتم بأخيه من إفراده عنه وإذلاله في أحواله من إدباره وإقباله ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [الآية 89] قبحه أو عاقبته، قاله على طريق النصيحة حملاً لهم على التوبة لا للمعاتبة.

وأفاد الأستاذ: أن يوسف قال لهم: أنهيتم كلامكم وأكثرتم مرامكم فما كان في ألسنتكم إلا ذكر ضرورتكم فلا يخطر في ضميركم حديث أخيكم. ويقال: إن قوله لهم: هل علمتم ما فعلتم بيوسف في باب العقاب أعظم من كل عقاب حيث أخجلهم مشافهة. ويقال: لما خجلوا بعد العقاب لم يرض يوسف حتى بسط عذرهم في هذا الباب بقوله: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾ [الآية 89]، حيث لم يكن لهم غير هذا الجواب.

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ﴾ [الآية 90] استفهام تقرير وتحقيق للمرام ولذلك أكد بأن واللام، ويؤيده قراءة ابن كثير بلفظ الإخبار، ومعنى الإعلام

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (5279)، ومسلم في الصحيح (1505/ 14).

فاختلف فيما عرف به من الإعلام ﴿قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾ [الآية 90] من أبي وأمي ذكره تعريفاً لنفسه وتفخيماً لأمره وتعريضاً لغيره وإدخالاً له في قوله: ﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 90] بالسلامة والكرامة من غير الملامة ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ﴾ [الآية 90] البزي بإثبات الياء على لغة والمعنى من يخف الله يترك المعصية ﴿وَيَصْبِرْ﴾ [الآية 90] على الطاعة وفي البلية ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الآية 90] أي منَّا ومن سائر المؤمنين.

﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 91] اختارك من بيننا بجمال الصورة وكمال السيرة ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [الآية 91] والحال إن شأننا إن كنا فاعلين للخطيئة الموجبة للقطيعة. قيل: المعنى اختارك وقدمك علينا بحسن التوفيق والعصمة وترك المكافأة على الإساءة وإن كنا/ لخاطئين لمسيئين إليك فقابلت إساءتنا إليك بالإحسان إلينا بما فضّل الله عليك، ذكره السلمي. 70/ أ

﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ﴾ [الآية 92] لا تعبير ولا تغييب ﴿عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الآية 92] أي في يوم الوصل أو في وقت الفضل.

وقال جعفر الصادق: لا عيب عليكم فيما عملتم لأنكم مجبرون عليه، وذلك في سابق القضاء عليكم، ذكره السلمي ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [الآية 92] دعاء لهم بالمغفرة تصريحاً وبالرحمة تلويحاً حيث قال: ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الآية 92] فيغفر للمذنبين ويتفضّل على التائبين.

وأفاد الأستاذ ـ أعني أبا القاسم القشيري ـ: إنه سمع الأستاذ بالاستحقاق أبا علي الدقاق يقول: لما قال يوسف ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [الآية 90] وأحال في استحقاق الأجر على ما عمل من الصبر أنطقهم الله حتى أجابوه بلسان التوحيد فقالوا: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [الآية 91]، يعني إن هذا ليس بتقواك وصبرك إنما هو بإيثار الله إياك علينا فيه تقدمت علينا لا بحمدك وجدك، فقال يوسف على جهة الانقياد للحق: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ [الآية 92] أسقط عنهم اللوم لأنه كما لم يرتقبوه من نفسه حيث نبهوه عليه لم ير جفاءهم منهم فنطق عن عين التوحيد وأخبر عن شهود التقدير.

وأفاد الأستاذ: أن يوسف أسرع التجاوز عنهم ووعد يعقوب الاستغفار لهم بقوله: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ﴾، لأنه كان أشد حباً لهم فعاتبهم، وأما يوسف فلم يرهم أهلاً للعتاب فتجاوز عنهم في حال الخطاب. ويقال: ما أصابهم في الحال من الخجلة قام مقام كل عقوبة، ولذا قيل في المثل: كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء.

﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ [الآية 93] أي القميص الذي كان عليه، أو القميص الذي كان لديه مما جاء به جبريل إليه ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [الآية 93] يرجع ذا بصر ويصير مبصراً ﴿وَأْتُونِي﴾ [الآية 93] أنتم وأبي على تغليب المخاطبين ﴿بِأَهْلِكُمْ﴾ [الآية 93] من نسائكم وذراريكم ومواليكم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ [الآية 93] كلكم أو مجتمعين.

وأفاد الأستاذ: أنه لما كان سبب البلوى والعمى قميص يوسف أراد الله أن يكون سبب خلاصه أيضاً من التأسف.

﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ [الآية 94] انفصلت القافلة بأن خرجت من مصر وفارقت عماراتها ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ [الآية 94] لمن حضره ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ﴾ [الآية 94] تنسبوني إلى الفند وهو نقصان/ عقل يحدث مِنْ هَرَم وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني. 70/ب

﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [الآية 95] لفي ذهابك عن الصواب قديماً بالإفراط في محبة يوسف وفكره وإكثار ذكره وتوقع لقائه.

وأفاد الأستاذ: إنه ما دام البلاء مقبلاً كان أمر يوسف وحديثه على يعقوب مشكلاً فلما توالت المحنة انقلبت الحالة ورجعت المحنة. ويقال: كان يوسف عن يعقوب على أقل من مرحلة حيث ألقوه في الجب فاشتبه عليه خبره وحاله ولما زال البلاء وجد ريحه وبينهما مسافة ثمانين فرسخاً من مصر إلى محله. ويقال: إنما انفرد يعقوب بوجدان ريح يوسف لإيراده عند فقده بوصف التأسُّف. ويقال: إنما وجد ريح يوسف من وجد على فقد يوسف فإن ريح الأحباب لا يشمه إلا الأصحاب ومسائلة الرياح ومخالفة الأطلال سنّة

أرباب الأحوال. وفي معناه أنشدوا:

وإني لأستهدي الرياح نسيمكم إذا أقبلت من نحوكم بهبوب
وأسأله حَمْل السلام إليكم فإن هي يوماً بلّغت فأجيبوا[1]

فاستعمال لفظ الريح هذا توسع كما يقال: هبت ريح النصرة أو الفتية.

وفي تفسير السلمي قال جعفر الصادق: إنها ريح الصبا سأل الله تعالى أن يبشّره بابنه فأذن الله له في مقصده فكان يعقوب ساجداً فرفع رأسه شاهداً فقال: إني لأجد ريح يوسف، فقال له بعض أولاده: إنك لفي ضلالك القديم، أي في حبك القديم، فكان الريح ممزوجاً بالعناية والشفقة والرحمة وبزوال النقمة والمحنة والرحمة، وكذا المؤمن يريد المتحقق في حبه يجد ريح نسيم الإيمان في قلبه وروح العرفان في روحه وسرور الرضوان في سرّه لما سبقت له من السعادة الحسنى والعناية العظمى.

﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ﴾ [الآية 96] أي يهودا لما روي أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ إليه أُفرحه بحمل هذا وإلقائه عليه ﴿أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [الآية 96] أي طرح البشير على وجه يعقوب أو يعقوب ونفسه لتقر عينه ويزداد شمه فيكثر روحه ويزيد فتوحه ﴿فَٱرْتَدَّ﴾ [الآية 96] أي رجع وصار ﴿بَصِيرًا﴾ [الآية 96] لما انتعش/ فيه من نسيم الوصال روحه ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الآية 96] من وصال يوسف وزوال التأسُّف. 71/أ

﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الآية 97] واقعين في الخطيئة فاطلب لنا المغفرة. وقال السلمي: أزل اسم العقوق منا بإظهار الرضا عنا.

وأفاد الأستاذ: أن كل إنسان وهمته من الشأن وقع يعقوب ويوسف في السرور والاستبشار وأخذ أخوه يوسف في الاعتذار وطلب الاستغفار كما قيل: مصائي قوم عند قوم فوائد.

(1) أورده القشيري في تفسيره (3/ 471).

﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ [الآية 98] بي أو بمن رجع إليه وتاب عليه. روي أنه أخّره إلى السحر بعد أداء العبادة أو إلى ليلة الجمعة تحرياً لوقت الإجابة أو إلى أن يعلم استحلالهم من يوسف فإن عفو المظلوم ستره المغفرة ويؤيده ما في تفسير السلمي.

قال ابن عطاء: إن يعقوب قال: ارجعوا إلى يوسف فاسألوه أن يجعلكم في حل ثم أستغفر لكم فإن الذنب بينه وبينكم.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [الآية 99] من القحط وأصناف المضرة والمشيئة متعلقة بالدخول الموصول بالأمنية والدخول الأول كان خارج البلد حين استقبلهم الولد مع من معه من حشمه وخدمه وسائر العظماء من الملك وصحبة الوزراء. روي أنه كان أولاد يعقوب وأحفاده يوم دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلاً وامرأة وصاروا ليلة خرجوا مع موسى ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلاً مقاتلا سوى النسوة والهرمى والمرضى.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 100] أي سريره الخاص به ﴿وَخَرُّوا۟﴾ [الآية 100] أي أبوه والإخوة ﴿لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [الآية 100] تحية وتكرمة وكان جائزاً عندهم في الشريعة أو معناه خروا سجداً لله شكراً لما أولاه، أو على حياة يوسف ولقياه.

وأفاد الأستاذ: أنهم اشتركوا في الدخول ولكن تباينوا في حال الإيواء ومقام الوصول فانفرد الأبوان بالابن لبعدهما من الجفاء كذلك غداً إذا وصل المؤمنون إلى دار الغفران يشتركون فيه وفي وجود الجنان وشهود الرضوان ولكنهم يتباينون في بساط القربة/ فيختص به أهل الصفاء والوفاء دون من اتصف اليوم بالجفاء والالتواء. 71/ب

﴿وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ [الآية 100] صدقاً ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [الآية 100] أي من الحبس الشامل للجب ومن السجن تصريحاً ومن الجب تلويحاً.

وقال الصادق: ولم يقل من الجب وهو أصعب لأنه لم يرد مواجهته أخوته باللوم بعد أن قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ [الآية 92].

وقال ابن عطاء: الحكمة فيه أن السجن اختاره لنفسه بقوله: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾ [الآية 33] والجب كان موضع اضطراره ولم يكن شيء فيه باختياره وفي الاختيار آفات بخلاف الاضطرار فشكر الله على تخليصه من فتنة اختياره لنفسه وقال بعضهم: معناه إذ أخرجني من السجن حين استجرت إلى غيره ولا يكلني إلى من استجرت إليه أمره.

وأفاد الأستاذ: أنه ذكر حديث السجن دون البئر لطول مدة السجن وقلة مدة البئر. وقيل: لأن فيه تذكير جرم الآخرة المتضمن للتعبير ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [الآية 100] أي البادية فإنهم كانوا أصحاب الماشية ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الآية 100] أفسد وحرّش ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [الآية 100] في تدبيره إذ ما من صعب إلا ويسهل عند معرفة المسببية بتقديره.

وقال الأستاذ: فبلطفه عصمني وعصمهم حتى لم يقتلوني ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الآية 100] بوجود مصالح خلقه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ [الآية 100] الذي يفعل كل شيء على ما يقتضي حكمته وحكمه.

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ [الآية 101] أي بعضه وهو ملك مصر، وقال أبو عثمان: الملك هو الرضا بما كان جرى عليه القضاء من خالق الضراء والسراء. وقيل: هو القناعة وتوفيق الطاعة ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [الآية 101] أي بعض تفسير الكتب الإلٰهية وتعبير الرؤيا المنامية.

وأفاد الأستاذ: أن التأويل للخواص والتفسير والتنزيل للعوام وأن الملك على الحقيقة صفاء الخلق مع الخليقة. ويقال: الملك الذي أشار إليه قسمان: ملكه في الظاهر من حيث الولاية والإمارة، وملكه على نفسه حتى لم يعمل بما همَّ به من زلّة النفس الأمارة. أقول: وهذه هي الولاية الحقيقية بخلاف/ الأولى فإنها الولاية المجازية الإضافية الوارد فيها نعمت المرضعة 72/أ

وبئست الفاطمة[1] إذ أولها ملامة وآخرها ندامة ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 101] مبدعهما ومخترعهما ومبتدئهما، وانتصابه على أنه صفة المنادى فيتبعه أو منادى برأسه ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ [الآية 101] متولي أمري ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [الآية 101] فيما نذر لي من النعمة والمضرة ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [الآية 101] اقبضني مسلماً كاملاً أو منقاداً شاملاً كأن أكون عالماً عاملاً ﴿وَأَلْحِقْنِي﴾ [الآية 101] في الرتبة والكرامة ﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 101] من أرباب النبوة والولاية.

وأفاد الأستاذ: أن قوله: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 101] ثناء، وقوله: ﴿تَوَفَّنِي﴾ [الآية 101] دعاء، تقدم الثناء على الدعاء فإنه صفة أهل الولاء. وقوله: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾ [الآية 101] إقرار بقطع الأسرار عن الأغيار. ويقال: معناه أنت الذي تولاني في الدنيا بعرفانك وفي العقبى بغفرانك فليس لي في الدارين غيرك. قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا﴾ [الآية 101]، قيل: سأل الوفاة لأنه علم أنه ليس بعد الكمال إلا الزوال يعني الإكمال المتعال الذي لا يزال بلا زوال. ويقال: من أمارات الاشتياق في حالة المحبة تمني الموت على بساط العافية وتمام الصحة مثل يوسف عليه السلام ألقي في الجب فلم يقل توفني، وأقيم فيمن يغريه فلم يقل توفني، وحُبِس في السجن فلم يقل توفني، فلما تمَّ له المُلك والفضل واجتمع له الشمل قال: توفني، فعلم أنه كان مشتاقاً إلى لقاء المولى.

وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: قال يوسف لأبيه: قد علمت أنَّا نلتقي في الآخرة بعد الموت والفناء فلم بكيت كل هذا البكاء؟ فقال: يا بني إن هناك طريقين خفت أن تسلك طريقاً وأسلك طريقاً، فقال يوسف عند ذلك: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الآية 101].

﴿ذَٰلِكَ﴾ [الآية 102] ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب لنبينا ﷺ ﴿مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ [الآية 102] نعرضه عليك ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ﴾ [الآية 102] عندهم ﴿إِذْ أَجْمَعُوٓا۟﴾ [الآية 102] في تبعيد أخيهم عن قرب أبيهم ﴿أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [الآية 102] لإرسال أخيهم.

---

(1) أخرجه أحمد في المسند (2/ 476) رقم (10165).

﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ﴾ [الآية 103] على إيمانهم بالاستئناس ﴿بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [الآية 103] / لعنادهم وانقلابهم كالنسناس. 72/ب

﴿وَمَا تَسۡـَٔلُهُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الآية 104] على إنباء الأنباء ﴿مِنۡ أَجۡرٍ﴾ [الآية 104] جعل كما هو طريق جملة على الأبرار بخلاف ما يفعله جملة الأخبار من جملة الأخيار ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ [الآية 104] عظة ﴿لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الآية 104] عامة وهداية للعالمين خاصة.

﴿وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ﴾ [الآية 105] وكم من علامة دالة على وجود الصانع وحكمته وتوحيده وقدرته ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 105] في العوالم العلوية والسفلية كما قيل:

وفي كل شيء له شاهد　　　دليل على أنه واحد[1]

﴿يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا﴾ [الآية 105] على الآيات الآفاقية والأنفسية ويشاهدونها ولا يلتفتون إليها ﴿وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ﴾ [الآية 105] لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لغفلتهم عنها.

وأفاد الأستاذ: أن الآيات ظاهرة والعلامات ظاهرة وكل جزء من المخلوقات شاهد على أنه إلٰه واحد ولكن من غمض عينيه لم يستمتع بضوء نهاره وكذلك من نظر في نظره واعتباره لم يحظ بعرفانه واستبصاره.

﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾ [الآية 106] في إقرارهم بوجوده وخلقهم من كرمه وجوده ﴿إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [الآية 106] به لعبادة غيره وهو الشرك الأكبر وللعبادة على قصد الرياء والسمعة وهو الشرك الأصغر.

قال الواسطي: ألا وهم مشركون في ملاحظة الخواطر والحركات، يعني والتوحيد إسقاط الإضافات.

(1) نسب هذا البيت إلى أبي العتاهية. انظر الأغاني (4/ 39)، والتمثيل والمحاضرة (1/ 3). ونسب آخر إلى لبيد. انظر محاضرات الأدباء (1/ 488)، ولكن في جميع المراجع اللفظ عندهم:

وفي كل شيء له آية　　　تدل على أنه واحد

وأفاد الأستاذ: أن الشرك الجلي أن يتخذ من دونه سبحانه معبوداً، والشرك الخفي أن يتخذ بقلبه عند حوائجه من دونه مقصوداً. ويقال: شرك العارفين أن يتخذوا من دونه مشهوداً أو طالعوا سواه موجوداً. ويقال: من الشرك الخفي الحوالة على الأشكال في تحسين الأحوال والإخلاد إلى الاختيار والاحتيال عند تزاحم الأشغال.

﴿أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 107] عقوبة في الدنيا تغشاهم جملة ﴿أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ﴾ [الآية 107] فجأة بدون علامة سابقة ﴿وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الآية 107] بإتيانها ولا يستعدون لشأنها.

وقال الأستاذ: أفأمن الذي اغترّ بطول الإمهال أن يبتلى بالاستئصال أو اغترّ بطول السلامة أن يقوم للبلاء عليه القيامة. ويقال: الغاشية من العذاب وهو نوع من /الحجاب يحصل في القلب من القسوة لا يزول بالتضرع ولا يتسع بالتجمع. ويقال: الغاشية من العذاب أن يزول عن القلب شرعة الانقلاب إلى رب الأرباب ومسبِّب الأسباب حتى إن تمادى لصاحبه الغفلة استمكن من قلبه القسوة. ويقال: إذا قامت الساعة أغلق باب التوبة كذلك العبد يستقبله في هذه الطريقة ما يوجب قطونه من الأيوبة كما قيل: 73/أ

قلت للنفس إن أردت رجوعاً فارجعي قبل أن يسد الطريق[1]

﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ﴾ [الآية 108] الطريقة ﴿سَبِيلِيٓ﴾ [الآية 108] وهو الدعوة إلى الحقيقة من توحيد رب العباد وإعداد الزاد للمعاد ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 108] حبه وقربه ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [الآية 108] بيِّنة لائحة وحجة واضحة ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ [الآية 108] أدعوا أنا وأتباعي من غير مخالفة، وفيه إيماء إلى أنه ليس له وأتباعه إلا الدعوة وأما مفتاح الهداية ففي قبضة رب العزة في البداية والنهاية.

قال الواسطي: أيقن له أنه ليس إليه من الهداية شيء. وقال محمد بن علي: أي أنا على معاينة وكذا من اتبعني قلباً وقولاً وفعلاً.

---

(1) نسب إلى المتنبي. انظر الكشكول (1/ 136).

وأفاد الأستاذ: أن الدعاء على البصيرة أن يكون صاحبه ملاطفاً بالتوفيق جهراً ومكاشفاً بالتحقيق سراً ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 108] أنزِّهه تنزيهاً عن الشركاء ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الآية 108] فإني وأتباعي منهم براء.

وفي تفسير السلمي: أي أنزّه الحق عن أن يتصل أحد إليه إلا به وما أنا من المشركين أي أرى الهداية من غيره.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ [الآية 109] بإظهار النبوة فيه رد لقولهم: لو شاء ربك لأنزل ملائكة ﴿نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ [الآية 109] كما أوحي إليك وتميزوا عن غيرهم بذلك. وقرأ حفص: نوحي أي نحن نوحي إليهم ونظهر الأمور لديهم ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [الآية 109] لأن أهلها أعلم وأحلم من سكان الصحراء وقد ورد في بدائنا ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 109] بالأقدام وبالأفهام ﴿فَيَنظُرُوا۟﴾ [الآية 109] فيبصروا ويتبصروا ويتأملوا ويتدبروا ﴿كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 109] من المكذبين حيث كفروا وأدبروا فيحذروا عن تكذيبك ويتظفروا بتقريبك أو من المشقوقين في الدنيا المشغولين بها المتهالكين عليها فينقلبوا عن حبها ويعرضوا إلى حب مولاها ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 109] بحذف موصوفها من الحياة أو الحالة أو الساعة ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟﴾ [الآية 109] / باجتناب المعصية واكتساب الطاعة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الآية 109] إن ما عند الله أبقى وأتقى لمن اتقى. وقرأ نافع وابن عامر وعاصم للالتفات بالخطاب أو قصد العموم في هذا الباب. 73/ب

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [الآية 110] غاية الجملة مقدرة أي لا يعذرهم تمادي آبائهم في ارتكاب آثامهم فإن من قبلهم أمهلناهم على حالهم حتى آيس الرُّسل عن النصر عليهم في دنياهم أو يئسوا عن إيمانهم لانهماكهم في كفرهم وطغيانهم ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [الآية 110] أي وظن المرسل إليهم أن الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا واختلفوا فيما وعدهم الله من النصرة. فالمراد بالظن ما يهجس في البال من الخطرة على طريقة الوسوسة وفيه إفادة المبالغة في الإمهال مع عدم الإهمال فالآية كقوله سبحانه: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ

ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ﴾ [البَقَرَة:الآية 214].

وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أي وظن الرسل أن القوم قد كذبوهم فيما أوعدوهم من حصول النصرة أو حلول العقوبة ﴿جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الآية 110] في تلك الحالة ﴿فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾ [الآية 110] من المؤمنين والأنبياء متى نشاء. وقرأ ابن عامر وعاصم فننجي بالماضي المبني للمفعول ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا﴾ [الآية 110] لا يدفع عذابنا ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الآية 110] الذين تعلق بهم غضبنا.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه حكم بأنه لا يفتح للمريدين شيئاً من الأحوال إلا بعد يأسهم منها كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ﴾ [الشورى:الآية 28] وينشر رحمته فكما أنه ينزل المطر بعد اليأس فكذلك يفتح الأحوال بعد اليأس منها والرضا فالإفلاس عنها.

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ﴾ [الآية 111] في قصص الأنبياء مع أممهم بل في كل قصة من قصصهم ومنها قصة يوسف وإخوته وخصصهم من غصصهم ﴿عِبْرَةٌ﴾ [الآية 111] ما يعتريه في جميع الأبواب ﴿لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِۗ﴾ [الآية 111] لذوي العقول السليمة المبرأة عن الأخلاق الذميمة.

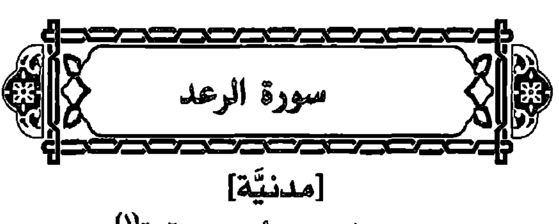
وأفاد الأستاذ: إن في قصة هذه السورة أنواع من العبرة منها للملوك في بسط العدل على الرعية والإحسان إلى البرية، ومنها لأرباب التقوى أن يوسف لما ترك هواه رقّاه الله إلى ما رقّاه، ومنها لأهل الهوى في اتباع الهوى أن زليخا/ لما تبعت هواها لقيت ما لقيت من شدة بلواها، ومنها 74/أ للمماليك في حفظ حرمة السادة كيوسف حيث حصل له مرتبة السعادة، ومنها العفو عند القدرة كما وقع له التجاوز عن الإخوة، ومنها ثمرة الصبر كيعقوب في تحمُّله على الضر إلى أن ظفر بوصول المراد وحصول الأجر ﴿مَا كَانَ﴾ [الآية 111] القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن﴾ [الآية 111] كان ﴿تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الآية 111] موافقاً لما تقدمه من الكتب الإلٰهية ومطابقاً لما سبقه من الأحاديث النبوية الأولية ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الآية 111] يحتاج إليه في الأمور الدينية والدنيوية إذ ما من قضية إلا ولها مستند معتمد من الآيات القرآنية

من غير واسطة أو بواسطة بيان الأحاديث المصطفوية أو استنباط العلماء التفسيرية ولذا قال ابن عباس:

جميع العلم في القرآن لكن تقاصر عنه أفهام الرجال[1]

وهذا من الضلالة والجهالة للعامة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [الآية 111] ينال بها كل نعمة ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 111] خاصة في الدنيا بالسلامة وفي العقبى بالكرامة.

(1) ذكره البخاري علاء الدين في كشف الأسرار (1/ 45) و(3/ 401).



سورة الرعد

[مدنيَّة]

وهي خمس وأربعون آية[1]

74/ ب

/ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أفاد الأستاذ: أن بسم الله كلمة سماعها يورث لقوم حلياً ثم طرباً، ولقوم حرباً ثم هرباً، فمن سمع بشاهد الرجاء طلب وجود رحمته فإذا نالها طرب، ومن سمع بشاهد الرهبة حزب من خوف عقوبته ثم إليه هرب.

﴿الٓمٓرۚ﴾ [الآية 1] أي أنا الله أعلم وأرى جميع الورى، والوراء ووراء الوراء مما فوق العرش وما تحت العرش ﴿تِلْكَ﴾ [الآية 1] أي هذه الآيات ﴿ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِۗ﴾ [الآية 1] القرآن أي الجامع للأبواب أو السورة الكاملة في فصل الخطاب ﴿وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 1] أي مجموع ما نزل عليك ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [الآية 1] أي من عنده بكرمه وجوده ﴿ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 1] هو الثابت الصدق ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 1] لا حلاء لهم بالنظر ولما سبق عليهم من القضاء والقدر.

وقال الشبلي: ما من حرف من الحروف إلا وهي تسبح بلسان وتذكر بلغة وبيان، لكل لسان منها حرف ولكل حرف لسان وبرهان وهو سر الله في خلقه بالعموم وبه يقع زوائد الفهوم وزيادات الأذكار والعلوم، ذكره السلمي.

وأفاد/ الأستاذ: إن الألف تشير إلى اسم الله واللام إلى اللطيف والميم إلى المجيد والواو إلى الرحيم أي بسم الله اللطيف المجيد الرحيم إن هذه آيات الكتاب الذي أخبرت المتقدمين أني أنزله على محمد الأمين، وهذا الكتاب الذي أُنزل إليك حق وصدق لأنه سبحانه أنزله على نبيه وحبيبه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾ [الآية 1] من الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الآية 1] به فهم الأكثرون عدداً والأقلون مدداً.

---

(1) كذا في الأصل المخطوط.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الآية 2] مبتدأ وخبر ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [الآية 2] أي من دون عماد ولا اعتماد باستناد ﴿تَرَوْنَهَا﴾ [الآية 2] أي السموات مرفوعة كذلك مصنوعة ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 2] استواء يليق به على الطريقة المشروعة لا على وفق اللغة الموضوعة ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [الآية 2] ذلّلهما بما أدار منهما من الحركة المستمرة على غاية من السرعة تنفع في حدوث الكائنات وبقاء الموجودات ﴿كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الآية 2] لمدة معيّنة وغاية مبينة بقوله سبحانه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التّكوير: الآيتان 1،2]، ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [الآية 2] أمر الملك والملكوت من الإيجاد والإعدام وسائر القضايا والأحكام ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ فينزلها مفصلة ويبينهما مجملة ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الآية 2] لكي تتفكروا فيها فتعلموا أن من قدر على تقدير هذه الأشياء قدر على تقدير الإعانة والجزاء.

وقال السلمي: لعلكم تتيقنون أن الذي يجري عليكم هذه الأحوال لا بد لكم من الرجوع له في المآل.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه دلّ على ذاته وصفاته بما أخبر به من آياته ومن جملتها رفع السماء وليس تحتها عماد يشدها ولا بجنبها ستار يسدها وقد أخبر في آية أنه زيَّن السماء بكواكبها وحسَّن الأرض بجوانبها ومناكبها و﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الآية 2] استواء قهر وتسخير ومعناه أنه احتوى على ملكه احتواء قدر وتدبير، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى﴾ [الآية 2] في فلك ويدل على جراء ذلك أنه فعل ملك ملكه غير مشترك.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 3] بسطها بالطول والعرض ليثبت عليها الأقدام ويتقلّب فيها الأنام ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ﴾ [الآية 3] جبالاً/ ثوابت جمع راسية والتاء للمبالغة ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾ [الآية 3] ثمراً وأشجاراً وأزهاراً وأظهر أثماراً. قال بعضهم: كما جعل فيها أوتاداً من أوليائه وسادة من عبيدهم وإليهم الملجأ فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز وطاب ومن كان سعيه بغيرهم هلك وخاب، ذكره السلمي ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية 3] متعلق بقوله ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [الآية 3]

75/أ

أي وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والأسود والأبيض والصغير والكبير ونحو ذلك يغشى اليل النهار ويليه مكانه ويغير شأنه، ويعين زمانه فيصير الجو مظلماً بعدما كان مضيئاً ومضيئاً بعد كونه مظلماً. وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بالتشديد للمبالغة والتأكيد ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ [الآية 3] المذكور من المصنوعات ﴿لَآيَٰتٍ﴾ [الآية 3] دلالات وعلامات على فعل وجب الوجود من ذات المستجمع لكمال الصفات ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الآية 3] في تكوُّن الموجودات وتخصصها بالكميات والكيفيات واختلاف الأوقات.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الآية 4] بعضها طيبة وبعضها سيئة وبعضها رخوة وبعضها صلبة مع اشتراك تلك القطع في الطبيعة الأرضية وما يلزمها بتوسط ما يعرض لها من الأسباب السماوية ففيه رد على الحكمة الطبيعية ﴿وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ [الآية 4] أي وفيها بساتين أنواع الأشجار المثمرة لأصناف الأزهار والأثمار ولعل تخصيص الأعناب والنخيل باعتبار كثرة وجودهما في بعض الديار وتوحيد الزرع لأنه مصدر في أصله وقلة اختلاف المقصد في مورده ومصدره. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص برفعهما عطفاً على جنات أو قطع متجاورات وعلى هذا الخلاف ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الآية 4] أي نخلان أصلهما متحد ومتفرقاً فإن أصلهما متعدد ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [الآية 4] أي تستقي المذكورات بمادة واحدة في الكل. وقرأ عاصم بالتذكير على تأويل ما ذكر ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الآية 4] أي في الثمر صفة وقدراً ورائحة وطعماً ولوناً وطبعاً مع أن أجزاؤها/ متماثلة وأبعاضها متشاكلة. وقرأ حمزة والكسائي يفضل على طبق يبدل الأمر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الآية 4] يستعملون عقولهم بالنظر والفكر. 75/ ب

قال السلمي: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «العاقل مَن عقل عن الله أمره»[1]. وقال الواسطي: العاقل ما عقلك عن المجازي.

﴿وَإِن تَعْجَبْ﴾ [الآية 5] يا محمد أو أيها المخاطب من إنكارهم البعث

(1) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (4/ 166) رقم (4683).

﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ [الآية 5] خبر ومبتدأ، أي فقولهم حقيق بأن يتعجب منه فإن من الآيات المعدودة على الطريقة المشهودة بجملتها المشهودة دالة على وجود المبدأ الحقيقي المفيدة للتوحيد الإلٰهي حيث يبدي ويعيد ففيهما شهادة على تحقيق الإعادة من حيث إنها تدل على كمال علمه وقدرته وسائر صفاته وقيود المواد لأنواع تصرفاته.

وقال الأستاذ: أي فهذا موضع أن يتعجب منه للخلق والعجب لا يجوز في صفة الحق لأن التعجب هو الاستبعاد وهو لا يستبعد شيئاً مما أراد، حسن ما قالوا إنما تعجب من حجب فإن مَن لم ينل عيون بصيرته لم يتعجب من شيء صدر عن قدرته، وقوم أطلقوا اللفظ بأن هذا من باب الموافقة أي المشاكلة والمقابلة أي إنك إن تعجبت فهذا عجب موافقة لك فإطلاق هذا لا يجوز وإن كان فيه إشارة لطيفة إذا الأدب هو السكوت عن مثل هذه العبارة الموهمة ولو منفية، والقوم عبروا عن ذلك بقولهم: أعجب العجب قول مَن لا يجوز في وصفه العجب . . . وإن تعجب فعجب قولهم.

ثم قوله سبحانه: ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا﴾ [الآية 5] بدل من قولهم، أو هو مقولهم والعامل في إذا محذوف دل عليه قوله: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الآية 5] والتقدير أئذا كنا تراباً نُبعث، والمعنى أنعود إذا صرنا تراباً، فعجبوا مما لا يقتضي استعجاباً فإن مبدأهم إذا كان تراباً فلا يبعد أن يصير معادهم تراباً.

وأفاد الأستاذ: استبعادهم النشأة الثانية مع إقرارهم بالخلق الأول وهما في معنى واحد موضع للتعجب إذ هو صريح في المناقضة، وكان القوم أصحاب تمييز وتحصيل / فالتباس مثل هذا عليهم موضع العجب فلولا أن الله 76/أ سبحانه لبس عليهم كما قال: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:الآية 9] وإلا ما كان ينبغي لهم أن يخفى عليهم جواز هذا مع وضوحه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ [الآية 5] أي بقدرته على بعثهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ﴾ [الآية 5] مقيدون بأنواع الضلال من غير رجاء خلاصهم وعدم قصور مناصبهم أو يفعلون يوم القيامة بأثقال أنكال أعمالهم ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [الآية 5] ملازموها

﴿هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الآية 5] لا ينفكون عنها، وتوسيط الفصل لتخصيصهم بدوامها.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أخبر أنهم وإن جزوا في فج المهلة واغتروا بسلامتهم في الحال لما عليهم من الغفلة، ففي مضمار الهلاك ما يجرون، وإلى سواء المآل ما يصيرون.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [الآية 6] بالعقوبة قبل العافية، وذلك إنهم استعجلوا على سبيل الاستهزاء بما هدَّدهم سيد الأنبياء من عذاب الدنيا قبل عقاب العقبى ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ﴾ [الآية 6] مضت عقوبات أمثالهم من المكذِّبين لأنبيائهم فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوِّزوا حلول مثلها.

وأفاد الأستاذ: أنهم لفرط غيهم استقبلوا بتمنيهم حلول حينهم وكم من أقوام درجوا وكانوا على منهاجهم، ركضوا في ميادين الجهل فعثروا في أشكال المقت ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الآية 6] أي ظلمهم لأنفسهم وفي التقييد به دلالة على جواز العفو قبل التوبة لمن تعلق المشيئة في حقه بالمغفرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النِّساء:الآية 48]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الآية 6] للكفار ولمن شاء من الفجار، والآية جامعة بين الوعد والوعيد كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: الآيتان 49،50]. وقد ورد: لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحداً العيش الرغد ولولا وعيده وعتابه لاتكل كل أحد[1].

وقال أبو عثمان: إنما يرجوا المغفرة من الله من يرتكب الذنوب على خطر وخوف وحذر عنهما لا من يقتحم فيها من غير مبالاة بها، ذكره السلمي. وهذا باعتبار الحالة اللاحقة وأما البناء على الملاحظة السابقة / 76/ب فكما أفاد الأستاذ أنه سبحانه يغفر لمن سبق له الحكم بالسعادة والولاية ويعذِّب لمن سبق له الحكم بالشقاوة والعداوة.

(1) انظر تخريج أحاديث الإحياء (8/ 281) رقم (3781).

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ﴾ [الآية 7] لعدم اعتذارهم بالآيات المنزلة من عنده ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ [الآية 7] مرسل للإنذار وما عليك إلا تبليغ الأخبار والإيقان بما يصح به نبوّتك من المعجزات لا بما يقترحه عليك الكفار من خصوص الآيات ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الآية 7] قادر على هدايتهم وهو الله سبحانه لكن لا يهدي إلا من شاهد آيته وسبقت عنايته وتعلقت به إرادته وفيه إيماء بأن اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وإلا فقدرته ثابتة على وجه الكمال وعلمه محيط للخلق بجميع الأحوال.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه أتاهم بأوضح البرهان وأوضح البيان فعمُوا عن شهود الحق وزلّت أقدام فكرهم عن نهج الصدق فاقترحوا بتتميمهم أموراً بعدما أزيحت عليهم وما ذاك إلا لما استولت عليهم غفلتهم. ثم قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ﴾ [الآية 7] وليس إليك ولا بك إلا الإنذار وهو الإعلام بما يتضمن معنى التخويف، والحق سبحانه منفرد بالقدرة على الهداية والتقريب.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ﴾ [الآية 8] أي ما تنقصه وما تزداده في الحبة والعدد والمدة، وأقصى مدة الحمل سنتان عند أبي حنيفة، وقيل خمسة، وقيل لا حد له. وجاز جعل الفعلين لازمين فما مصدرية وإسنادها إلى الأرحام مجازية ﴿وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ﴾ [الآية 8] بقدر ولا يجاوزه ولا يجوز نقصه. قال بعضهم: كل شيء بوزن ومقدار ومن لم يزن أنفاسه فهو من الغافلين ومن لم يعرف مقداره وقدر عظيم النعمة عنده فهو من المعجبين.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الآية 9] السر والعلانية أو ما غاب عن العباد وظهر في البلاد ﴿ٱلۡكَبِيرُ﴾ [الآية 9] العظيم الشأن في صنعته وحكمته ﴿ٱلۡمُتَعَالِ﴾ [الآية 9] المستعلي في كل شيء بقدرته أو كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عن وصف المحدثين.

وقال السلمي: الكبير في ذاته المتعالي في صفاته.

وقال الأستاذ: أحاط الحق سبحانه بالمعلومات علماً وأمضى بالكائنات

حكماً فلا معلوم يعزب عن علمه/ ولا مخلوق يخرج من حكمه تعالى قدره 77/أ عن سمات النقص وتقدّس وصفه عن صفات العيب.

﴿سَوَآءٌ مِّنكُم﴾ [الآية 10] في علمه بكم ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ﴾ [الآية 10] في نفسه ﴿وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الآية 10] لغيره ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ﴾ [الآية 10] طالب للخفاء في مختبأ من الليل مخافة ظهور الويل ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الآية 10] أي ظاهر لكل ناظر، وهو عطف على من، وقيل على مستخف، والآية معذرة لكمال علمه وشمول حلمه.

وقال الأستاذ: سيان منكم من خاطبنا بوصف الدعاء جهراً ومن خاطبنا بقلبه ببيان النجوى سراً فإن لكل واحد منهما إجابة منهما في الدعاء إذا ساعدته المشيئة والقضاء. ويقال: سواء منكم مَن أخفى ما به من الحال إشفاقاً وغيره وإخفاء من الرقيب لئلا يطلع على سره ومَن كان مغلوباً بجهر ويبدي ما به ولا باختياره أو لأنه لا يشهد غيراً في العيان فيتكلف الكتمان أو يكون النطق موجوداً منه وهو في ذلك مأخوذ عنه، أو يكون مستنطق الإشراق له على ما يبديه بل الحق سبحانه ينطقه بذلك ويجزيه فالكل منه له أصل ومبنى وهو صاحب معنى وهو كذلك سواء في علم الله ورؤيته وسمعه المستتر، والذي يجهر والذي يكمن والذي يظهر فالبصر للكل متفائل والعلم للجميع شامل إلا من أسر أو جهر أو استخفى وظهر.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ [الآية 11] ملائكة تعتقب في حفظه والتاء للمبالغة أو لإرادة الجماعة ﴿مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ [الآية 11] من جوانبه ﴿يَحْفَظُونَهُۥ﴾ [الآية 11] من المضار له أو يراقبون أحواله ﴿مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 11] أي بأمره وإرادته كما قضاه أو من أجل أمر الله. وقد قرىء به.

وقال ابن عطاء: الأسباب بحفظك من أمره فإذا جاء القضاء خلى بينك وبينه وكيف يكون محفوظاً من هو غير محفوظ من حافظه، والمحفوظ على الحقيقة من هو محفوظ بالحافظ الحقيقي، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إن الكناية في قوله: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ﴾ [الآية 11] فهم الملائكة

77/ب الذين تعقب بعضهم بعضاً بالليل والنهار ويحفظون هذا المكلف أو/ هذا العبد من أمر الله أي البلاء الذي قدَّره الله يحفظونهم من أمر الله وذلك أن الله سبحانه وكّل لكل من الخلق ملائكة يدفعون عنهم البلاء إذا قاموا وعقلوا ولا يقف عليه كثير أحد فإذا نام العبد تحفظه الملائكة وإذا انتبه وقام ومشى وفي جميع أحواله.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ [الآية 11] من العافية والنعمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الآية 11] من الأحوال السنية بالأموال الدنية ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الآيـة 11] لأن خـلاف مـراد الله مـحـال ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الآية 11] مما يلي أمرهم فيدفع السر عنهم.

قال القاسم: إذا أراد إهلاك قوم حسَّن في أعينهم موارد هلاكهم حتى يمشوا إليه بأرجلهم وتدبيرهم وهو الذي أتى بهم، ذكره السلمي.

وأفاد الأستاذ: إنهم إذا غيروا ما بهم من الطاعة غيَّر الله ما بهم من منة المنة والإحسان والنعمة إذا كانوا في نقمة فغيّروا ما بهم من الشكر بالعبادة فإن الله يغيِّر عليهم ما منَّ به من الأنعام والسعة فيسلبهم من ذلك ما وهبهم، وإذا كانوا في شدة فلا يغيِّر ما بهم من البلية حتى يغيروا ما بأنفسهم من السكون والسكوت، وإذا أخذوا في التضرُّع وأظهروا العجز فيهم غيَّر ما بهم من المحنة بالتبديل والتحويل. ويقال: أو غيروا ما بألسنتهم من الذكر غير الله ما بقلوبهم من الحضور فأبدلهم به النسيان والغفلة، فإذا كان عبد في بسط وتقريب وكشف بالقلب ووقت وترحيب فإن الله لا يغيِّر ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم بترك أدب أو إخلال بحق أو إلمام بذنب. ويقال: لا يسلب ما قدّره سبحانه لعبد من نعمه الظاهرة والباطنة حتى يترك ويغيِّر العبد ما هو به من الشكر والحمد على النعمة فإذا قابل النعمة بالكفران وأبدل حضور القلب بالنسيان وما يطيع ببدنه بالعصيان أبدل الله تعالى ما به من النعمة بالحرمان والخذلان وسلب ما كان يعطيه من الإحسان، وإذا أراد الله بقوم بلاء وفتنة فما تعلقت به المشيئة يجري لا محالة.

78/أ ويقال: إذا أراد الله بقوم سوءاً وفر دواعيهم حتى يعلموا أو يختاروا ما فيه/ بلاؤهم فيمشون إلى هلاكهم بقدمهم وفي الحقيقة يسعون بدمهم كما قيل:

إلـى حـتـفـي مـشـى قـدمـي أرى قـدمـي أراق دمـي[1]

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ [الآية 12] من أذية المطر ومضرته ﴿وَطَمَعًا﴾ [الآية 12] في إغاثته ومنفعته.

وقال ابن عطاء: خوفاً للمسافر وطمعاً للمجاور. وقيل: يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه.

وأفاد الأستاذ: إنه سبحانه كما يريهم البرق في الظاهر فيردهم بين خوف من احتباس المطر وطمع في مجيئه كذلك يريهم البرق في أسرارهم بما يبدي فيها من اللوائح ثم اللوامع ثم كالبروق في الضياء من الهوامع وهذه أنوار المحاضرة ثم أنوار المكاشفة خوف من أن ينقطع ولا يبقى وطمعاً في أن يدوم ولا يفنى فيرتقي صاحبه عن المحاضرة إلى المكاشفة ثم من المكاشفة إلى المشاهدة ثم إلى الوجود ثم من دوام الوجود إلى تمام الجمود. ﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ﴾ [الآية 12] الغيم المنسحب في الهواء ﴿ٱلثِّقَالَ﴾ [الآية 12] جمع ثقيلة وصف به السحاب لأنه اسم جنس في معنى الجمع.

وأفاد الأستاذ: أنه إذا أنشأت السحابة في السماء أظلم في الوقت الجو والخلاء ولكنه يعقبه بعد ذلك ضحك الرياض وما لم تبك السماء لم يضحك الرياض ولم تمثل الحياض كما قيل:

ومـأتـم فـي الـسـمـاء يـبـكـي والأرض مـن تـحـتـهـا عـروس

كذلك تنشأ في القلب سحابة الطلب فيحصل تردد الخاطر في القلب ثم يلوح وجه التحقيق فتضحك الروح بفنون راحات الأنس وصنوف أزهار القرب.

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ﴾ [الآية 13] قيل: وعن ابن عباس سئل النبي ﷺ فقال: «ملك موكّل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب»[2]، ﴿بِحَمْدِهِۦ﴾

---

(1) نسب هذا البيت إلى أبي الفتح البستي. انظر زهر الآداب وثمر الألباب (1/ 151).

(2) أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح (5/ 294) رقم (3117)، والنسائي في السنن الكبرى (5/ 336) رقم (9072)، وابن منده في التوحيد (1/ 59) رقم (44).

[الآية 13] أي معه أو متلبساً به ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ [الآية 13] أي من خوف الله وعظمته، وقيل من خشية الرعد وهيبته ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 13] فتهلكه ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ [الآية 13] في صفاته من كمال العلم والقدرة الأزلية والتفرُّد بالألوهية ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الآية 13] المماحلة والمكابدة والمعاقبة لأعدائه. وقيل: إنه مثل في القوة والقدرة كقوله ﷺ: «فساعد الله أشد ومواساته أحد»[1].

78/ب وأفاد الأستاذ: أن الصواعق في الحقيقة / هي الفترات في هذه الطريقة يصيب بها مَن يشاء من عباده أن يقع في الفترة ويعقل عن العثرة.

﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ﴾ [الآية 14] أي الدعاء الحق والنداء الصدق فإنه الذي يحق أن يعبد ويليق به أن يُسجد له أو يُدعى إلى عبادته دون غيره من خليقته، أو له الدعوة المجابة فإن من دعاه أجاب ومن حشر داعيه ما خاب، والحق بمعنى الثابت المستقل ضد الباطل المماطل أو الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق. قال ابن عطاء: أصدق الدعاوي دعاوي الحق فمن أجاب داعي الحق بلغه إلى الحق، ومن أجاب دواعي النفس رمي به إلى الهلاك المطلق والضلال المحقق. وقال بعضهم: داعي الحق مَن يدعو بالحق إلى الحق.

وقال جعفر الصادق: مَن دعا لنفسه فإلى نفسه دعاه وهو الكفر والضلال.

وأفاد الأستاذ: إن دواعي الحق صارخة في القلوب من حيث البرهان فتدعو العبد بلسان الخواطر في البيان فمن استمع إليها بسمع التفهم استجاب ببيان العلم وفي مقابلتها دعاوي الشيطان وهي هاتفة بالعبد بتزيين المعاصي الموجبة للعبد، فمن أصغى إليها بسمع الغفلة استجاب بصوت الغي والضلالة ومعها دواعي النفس من الجهالة وهي فائدة للعبد بزمام الحظوظ ومانعة له من قيام الحقوق فمن ركن إليها ولاحظها في جميع الباب وقع في الحجاب ومن الدواعي داعي الحق لا بواسطة ملك ولا بدلالة عقل ولا بإشارة علم ونقل

(1) أخرجه أحمد في المسند (4/ 136) رقم (17267).

فمن أسمعه الحق ذلك استجاب لا محالة بالله لله.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ﴾ [الآية 14] الأصنام، فحذف المفعول لإشارة المقام إليه ولدلالة قوله: ﴿مِن دُونِهِۦ﴾ [الآية 14] عليه ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ [الآية 14] من المطلوبات ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ [الآية 14] الاستجابة كاستجابة من بسط كفيه مائلاً ﴿إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [الآية 14] في بئر عميق أو مكان سحيق داعياً إياه ﴿لِيَبۡلُغَ فَاهُ﴾ [الآية 14] ليبلغ الماء يواصله ولا يحاصله فإنه جماد لا يشعر بندائه ولا يقدر على إجابة دعائه، وهذا تمثيل من الله لما سواه من شركائه ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الآية 14] أي ضياع وخسار ليس في الدار غيره ديار.

وأفاد / الأستاذ: إن هواجس النفس ودواعيها تدعو إلى ما في الطريقة شرك وذلك لشهود شيء منك وحسبان أمرك وتعريج في أوطان الفرق والعمي عن حقائق معنى الجمع. 79/أ

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الآية 15] من الملائكة والمؤمنين ﴿طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾ [الآية 15] حالة الشدة والرخاء ذكرها من الكفرة والمنافقين حال البلاء والرياء.

قال جنيد: العارف طوعاً والمعرض كرهاً ﴿وَظِلَٰلُهُم﴾ [الآية 15] تبعاً لهم ﴿بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الآية 15] في طرفي الأيام. والمراد بهما الدوام أو حال من الضلال وتخصيص الوقتين لأن الامتداد والتقلص فيهما أظهر من غيرهما. والغدو جمع غداة وهي أول النهار، والآصال جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب. وقيل: المراد بالسجود الانقياد لإحداث ما أراد من العباد شاؤوا أو كرهوا.

وأفاد الأستاذ: إن الكافر يسجد حالة الضرورة تواضعاً مختاراً طائعاً ولكن لما كان سجوده لطلب كشف الضر قال الله: إنه يسجد كرهاً، فعلى مقتضى هذا كل مَن يسجد لابتغاء عرض أو لدفع شر أو كشف محنة فهو ممن يسجد كرهاً والساجد طوعاً فهو من يسجد لأجل الأمر لا لملاحظة عوض أو انتفاء محنة وغير ذلك. ويقال: السجود على قسمين: ساجد بنفسه وساجد

بقلبه، فسجود النفس هو المعهود، وسجود القلب من حيث الوجود. وفرق بين مَن يكون بنفسه ساجداً وبين من يكون بقلبه واحداً، وأعزهم مَن جَمَعَ بين الوصفين فيكون ساجداً بنفسه وواجداً بقلبه. ويقال: الكل يسجدون لله إما من حيث الأفعال بالاختيار وإما من حيث الأحوال بنعت الانكسار والاستئثار، وسجود الأحوال من حيث الدلالة على الوحدانية وكل جزء من عين أو أثر فعلى الوحدانية شاهد وعلى هذا المعنى لله ساجد. وسجود الظلال من حيث الشهادة على قدرة الصانع واستحقاقه بصفات الجمال والجلال والكمال.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 16] خالقهما ومتولي أمرهما ومربّي أهلهما ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 16] إذ لا جواب سواه ﴿قُلْ/ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الآية 16] أنكرهم عما يعد من أنكرهم فإن اتخاذهم أولياء من غير مولاهم أشد منكر صدر منهم لعدم عقلهم وقلّة فكرهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الآية 16] لا يقدرون على جلب نفع إليها ولا دفع ضر عنها فكيف يستطيعون شيئاً من ذلك لغيرها. 79/ب

وأفاد الأستاذ: أنه التحق في المعنى بها كل مَن هو موسوم برقم الحدوث من عبد الأصنام ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ [الآية 16] المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والعالم المحقق لطريق السعادة أو المعبود الغافل عن أعمالكم والمعبود المطلع على أحوالكم.

وقال أبو حفص: الأعمى مَن يرى الله بالأشياء ولا يرى الأشياء بالله والبصير مَن يكون نظره من الكون إلى المكونات.

وقال الأستاذ: أي فهما لا يستويان، والأعمى مَن على بصيرته غشاوة وحجبته، والبصير مَن كحل الحق بصيرة سره بنور الوحدة ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِى﴾ [الآية 16] وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بالتأنيث أي لا تستوي ﴿ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾ [الآية 16] ظلمات الشرك ونور التوحيد.

وأفاد الأستاذ: أن من جملة الظلمات السكون في أوطان التدبير ومن جملة النور الخروج إلى ضياء شهود التقدير ﴿أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ﴾

[الآية 16] صفته لشركاء شريكه معها في نعت الإنكار ﴿فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ﴾ [الآية 16] أي خلق الله وخلقهم ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الآية 16] على عائديهم، والمعنى أنهم ما اتخذوا شركاء له سبحانه خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولون: هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها خالق العباد ولكنهم اتخذوا شركاء أعجز عن جميع الأشياء ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الآية 16] لا خالق غيره فيشاركه في العبادة كما هم مقرون بهذه العبارة، وقد أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ﴾ [الزمر:الآية 38] ويقولون ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر:الآية 3] فهذا مقول من عقول أضلّها الله باريها.

وأفاد الأستاذ: إن المخاطب بعين التكلُّم لا يدخل في الخطاب أي في عموم الكلام، وهذا مبني على تجويز إطلاق الشيء عليه سبحانه بمعنى الموجود، وأما إذا كان بمعنى الشيء فلا مدخل له في هذا الباب والله / أعلم بالصواب ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ﴾ [الآية 16] المتوحِّد بالألوهية ﴿ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الآية 16] الغالب على كل شيء كما تقتضيه الربوبية. 80/أ

وأفاد الأستاذ: أن الواحد الذي في فضله غنية عن فضل كل أحد هو المستغني عن كل أحد والقهّار الذي لا يجري نفس في ملكه بخلاف حكمه.

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الآية 17] من جانبها ﴿مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الآية 17] أي بمقدارها الذي قدِّر لها أو بقدرها في صغرها وكبرها ﴿فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا﴾ [الآية 17] رفعه وهو وسخ الغليان ﴿رَّابِيٗاۖ﴾ [الآية 17] مرتفعاً عالياً ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ﴾ [الآية 17] أنتم ﴿عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ﴾ [الآية 17] وتعم الغليان كالذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها، ذكرها على وجه التهاون بها إظهاراً لكبريائه وإشعاراً باستغنائه ﴿ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ﴾ [الآية 17] لطلب حلي بقصد الزينة ﴿أَوۡ مَتَٰعٖ﴾ [الآية 17] كالآنية المقصود بيان منافعها العرفية ﴿زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ﴾ [الآية 17] أي ومما توقدون عليه يحصل أوساخه مثل زبد الماء، ومن للتبعيض أو الابتداء. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على أن ضميره للناس وإضماره للعلم به ﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ﴾ [الآية 17] أي مثلهما على حذف مضاف فإنه مثل الحق في تمام إفادته

ودوام ثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل به الأودية على قدر الحاجة والمصلحة والطريق المعتدلة المستقيمة فينتفع به أنواع المنافع الدينية والدنيوية وبالفلذ الذي ينتفع به في صنوع الجلية لتحصل الزينة واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم كل منهما مدة متطاولة ومثل الباطل في سرعة زواله وقلة نفعه في حاله يؤيدهما كما بينهما بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾ [الآية 17] أي جفاء كما قرء به أي حال كونه يرمي به السيل والفلذ المذاب ﴿وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [الآية 17] كالماء الخالص وخلاصة الفلذ فيمكث في الأرض ينتفع به أهلها ﴿فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 17] أي للناس لعلهم يتذكرون وما يعقلها إلا العالمون.

قال الواسطي: خلق الله درة صافية فلاحظها بعين الجمال فذابت حباً فسالت ما صفا القلوب من وصول ذلك المطلب وضياء الإسرار من نزول ذلك المشرب. وقال أيضاً: أنزل من السماء ماءً هو القرآن فاحتمل السيل زبداً رأينا رؤيتك لأعمالك وصولك بها على خيراتك/ وأما الزبد فيذهب جفاء عند التوحيد وأما ما ينفع الناس وهو اليقين في معرفة الرب فيثبت في أرض القلب. 80/ب

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه شبَّه القرآن المنزل بالماء من السماء وشبَّه القلوب بالأودية وشبَّه وساوس الشيطان وهواجس النفس بالزبد الذي يعلو الماء وشبَّه الحق بالجواهر الصافية من الأوساخ الرديئة كالذهب والفضة والصفر وغيرها، وشبَّه الباطل بخبث هذه الجواهر وإن الأودية مختلفة في صغرها وكبرها فبقدرها يحتمل الماء في القلة والكثرة كذلك القلوب تختلف في الإحمال على حسب الضعف والقوة، وكما أن السيل إذا حصل في الوادي يحتمل الزبد فيلقطه ويرميه فكذلك القرآن إذا حصل حفظه في القلب نفى الوساوس والهواجس عنها، وكما أن الماء قد يصحبه ما يكدره وقد يخلص بعضه عما يشوبه فكذلك فهم القرآن في قلوب أهل الإيمان قد تحفظ به النزغات الدنية الشيطانية والخواطر الرديئة النفسانية فمن بين صاف وكدر فيظهر في نظر معتبر وكما أن الجواهر التي يتخذ منها الأواني إذا أدنيت خلص من الخبث كذلك الحق يميز بين الباطل ويبقي الحق ويضمحل الباطل

ويبقى التائب الثابت ويفني الزائل. ويقال: الأنوار إذا تلألأت في القلوب نفت آثار الظلمة، فنور اليقين ينفي ظلمة الشك ونور العلم ينفي عتمة الجهل ونور المعرفة ينفي أثر الفكرة ونور المشاهدة ينفي آثار البشرية وأنوار الجمع تنفي آثار التفرقة وعند أنوار الحقائق يتلاشى آثار حظوظ الخلائق وأنوار طلوع الشموس من حيث عرفان الآثار تبقي ظلمة الليل من حيث حسبان آثار الأغيار، ثم الجواهر الذي يُتخذ منها الأواني مختلفة فمن إناء يتخذ من الذهب وآخر من الرصاص إلى غير ذلك، كذلك القلوب تختلف هنالك وفي الخبر: «إن لله أواني وهي القلوب»[1]. فمريد قاصد ومحب واجد وعائد خائف وموحِّد عارف ومتعبِّد متقشف ومتهجد متصوِّف. وأنشدوا في معناه:

ألوانها شتى الفنون وإنما تسقى بماء/ واحد من منهل[2] 81/أ

وقد ورد: الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا.

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الآية 18] أي المثوبة الحسنى ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ [الآية 18] من المنكرين وهو مبتدأ خبره ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ﴾ [الآية 18] ليتخلصوا من العقاب، ولو للتمني وهو المحال في هذا الباب ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 18] فقد ورد من نوقش في الحساب عُذِّب ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾ [الآية 18] مرجعهم أو مثواهم ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الآية 18] مستقرهم.

وأفاد الأستاذ: أن الحسنى الموعودة على الاستجابة قبول استجابتهم وذلك أجّل الأشياء عنهم ولا شيء أعز على المحب من قبول محبوبه منه شيئاً ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الآية 18] ثم ما أنفقوا غداً لا يقبل منهم ولهم سوء الحساب ثم مأواهم بدوام العذاب.

---

(1) تخريج أحاديث الإحياء (4/ 286) رقم (1786)، وجامع الأحاديث (9/ 221) رقم (8288).

(2) ذكره القشيري في تفسيره (3/ 499).

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الآية 19] فيستجيب ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الآية 19] عمى القلب فلا يستبصره فيستجيب، والهمز بالإنكار وقوع شبهة في تشابههما بعد حصول قرب أمثالهما ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الآية 19] ذوو العقول الخالصة المميزة للأشياء المختلطة.

وأفاد الأستاذ: أن الاستفهام بمعنى النفي في هذا المقام أي لا يستوي البصير والضرير والمقبول بالوصلة والقربة والمردود بالغفلة والحجبة والمؤهل للتقريب والمعرَّض للتعذيب والذي أقصيناه عن شهودنا والذي هديناه بوجودنا إنما يتعظ من العقل له موجب أدناه وتشريف دون من عقله له سبب إقصاء وتعنيف.

﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 20] بما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بوحدانية ربهم ﴿وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الآية 20] بما وثقوه من المواثيق الكائنة بينهم وبين الله وبين عباده فهو تفهيم وللكمال تتميم. قال بعضهم: الموفون بعهدهم القائمون بشرط العبودية من اتباع الأوامر الشرعية.

وقال ابن عطاء: أي الميثاق الأول في قولهم بلى بأنه لا رب لهم غيره تعالى فلا يخافون غيره ولا يرجون سواه ولا يسكنون إلا إليه ولا يعتمدون إلا عليه.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الآية 21] من الرحم وموالاة المؤمنين والإيمان بجميع النبيِّين ومراعاة/ حقوق المسلمين. قيل: هم المتحابون في ذات الله، ذكره السلمي. 81/ب

وقال الأستاذ: أي الذين يصلون أنفاسهم بعضها ببعض فلا يتخللهم نفس لغير الله ولا في شهود غير الله. ويقال: يسرون بسراهم في إقامة العبودية والتبري من الحلول والقوة ويخشون ربهم خشية تعظيم ومهابة.

وقال الأستاذ: الخشية لجام يقف المؤمن عن الركض ميادين الهوى وزمام يجره إلى استدامة حكم التقوى ويخافون سوء الحساب من المناقشة في

المحاسبة الموجبة للعقوبة فيحاسبون أنفسهم قبل القيامة.

وقال الأستاذ: هو أن يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون.

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [الآية 22] على الطاعة وعن المعصية في المصيبة ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الآية 22] طلباً لرضاه لا لرضى سواه.

قال أبو عثمان: صبروا على المناهي لا لخوف النار بل لسبب النهي من عظمة الناهي.

وأفاد الأستاذ: أن الصبر يختلف باختلاف الأعراض التي لأجلها يصبر الصابر، فالعباد يصبرون لخوف العقوبة، والزهاد يصبرون طمعاً للمثوبة، وأصحاب الإرادة هم الذين صبروا ابتغاء وجه ربهم، وشرط هذا النوع من الصبر رفض ما يمنع من الوصول واستدامة التقوي عن كل حصول فيدخل فيه ترك الشهوات والتجرد عن جميع الشواغل والعلاقات فيصبر على القلّة والذلّة وعن كل شيء يُغفل عن الوصلة. ومما يجب عليهم الصبر عليه هو الوقوف على حكم تقدير الحق فإنه سبحانه يتفضل على الكافة من المحتملين وينفرد خصوصاً على المريدين فيمتحنهم بالصبر في أيام إرادتهم فإذا صدقوا في صبرهم جاد بتحقيق ما طلبوا عليهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الآية 22] التي هي أم العبادات البدنية ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ [الآية 22] وهو أصل الطاعات المالية ﴿سِرًّا﴾ [الآية 22] لمن يعرف بالمال ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ [الآية 22] لمن عرف بعين الحال أو بحسب ما اتفق لهم وما يليق بالمنفق عليهم.

وأفاد الأستاذ: أن الأغنياء ينفقون أموالهم والعباد ينفقون أنفسهم فيحمّلون نفوسهم فنون الاجتهاد ويصبرون على أداء الفرائض وقضاء الأوراد، والمريدون ينفقون قلوبهم فيتجرعون / كاسات الصبر والصبر كاسمه أي المر إلى أن يلوح علم من الإقبال عليهم، وأما المحبون فينفقون أرواحهم وهي كما قيل: 82/ أ

ألست لي خلفاً مني كفى شرفاً فما وراءك لي قصد ومطلوب[1]

(1) أورده القشيري في تفسيره (4/ 4).

﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الآية 22] أي يدفعونها بها فيجازون الإساءة بضدها أو يدفعون بالطاعة والتوبة المعصية فيمحوها.

وأفاد الأستاذ: أنهم يعاشرون الخلق يبذلون الإنصاف ولا يطلبون الانتصاف إن عاملهم أحد بالجفاء قابلوه بالوفاء وإن أذنب قوم إليهم اعتذروا عنهم، وإن مرضوا عادوهم، كما قيل:

إذا مرضتم أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر[1]

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الآية 22] عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها إلى العقبى وهي الجنة المأوى.

﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ [الآية 23] أي بساتين يقيمون فيها ولا يبغون حولاً عنها ﴿وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ [الآية 23] أي يلحق بهم من صلح من أهلهم وإن لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعاً لمكانتهم وتعظيماً لشأنهم وزيادة لأنفسهم في دخول الجنة لما بينهم من القرابة وحصول الوصلة والقربة، وفيه دلالة على أن الدرجة تعلو بالشفاعة وفي التقييد بالصلاح إشارة إلى عدم منفعة مجرد الأنساب.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه يكمل النعمة عليهم بأن يجمع بينهم وبين من يحبون صحبته من أقاربهم وأزواجهم، والخبر ورد بقوله: «المرء مع مَن أحب[2] فمن كان محبوبه أمثاله وأقاربه حُشر معهم ومن كان اليوم بقلبه مع الله فهو غداً مع الله»، وفي الخبر: «أنا جليس من ذكرني»[3] فهذا في العاجل وأما في الآجل ففي الخبر: «الفقراء الصابرون جلساء الله يوم القيامة»[4].

---

(1) نسب إلى الشاعر المؤمّل بن أميل. انظر المنتحل للثعالبي (1/ 25)، واللطف واللطائف (1/ 17).

(2) أخرجه البخاري في الصحيح (6169)، ومسلم في الصحيح (2640/ 165).

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (1/ 451) رقم (680)، وابن أبي شيبة في المصنف (1/ 108) رقم (1224).

(4) أورده القشيري في تفسيره (4/ 5).

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الآية 23] من أبواب الفرقان أو أبواب التحفات قائلين: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ [الآية 24] بشارة بدوام السلامة وتمام الكرامة ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الآية 24] من غير الأغيار.

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [الآية 25] أوثقوه به من القبول والإقرار نقض العهد. وقال بعضهم: هو لزوم التدبير والاختيار وترك التفويض والتسليم والانكسار بعد أن أخبرك أن ليس/ لك من الأمر شيء. 82/ ب

وأفاد الأستاذ: أن من كفر بعد إيمانه نقض عهد الإسلام في الظواهر ومن رجع إلى أحكام العادة بعد سلوك طريق الإرادة فقد نقض عهده في السرائر فالمرتد جهراً عقوبته قطع رأسه والمرتد سراً عقوبته قطع سره. ويقال: نقض العهد هو الاستعانة بالأغيار. ويقال: هو الرجوع إلى الاختيار والتدبير بعد شهود الأقدار وملاحظة التقدير. ويقال: هو أن يقول بترك نفسه ثم يعود إلى ما قال بتركه ﴿وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الآية 25] أي بوصله من صلاح العباد ﴿وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 25] بأنواع الفساد في البلاد والله لا يحب الفساد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ﴾ [الآية 25] الطرد والإبعاد ﴿وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الآية 25] أي دار البوار.

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الآية 26] يوسّعه من فضله ﴿وَيَقْدِرُ﴾ [الآية 26] يضيّقه له أو لغيره من عدله أو لأجل حكمة في حكمه كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء:الآية 30].

قال الأستاذ: يبسط الرزق للأغنياء ويطالبهم بالشكر ويضيّق على الفقراء ويطالبهم بالصبر، ثم وعد الزيادة للشاكرين والمعية للصابرين ﴿وَفَرِحُواْ﴾ [الآية 26] أي الكفار والفجار ﴿بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 26] بما بسط لهم من الجاه والمال وغفلوا عن تقبيح الحال في المآل.

قال الأستاذ: فرح الأغنياء بزكاة أموالهم وفرح الفقراء بضعف أحوالهم ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 26] في جنب حياة العقبى ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [الآية 26] إلا

منفعة لا يدوم لها انتفاع كعجالة الماشي وزاد الراعي.

قال الأستاذ: فأموال الأغنياء وإن كثرت قليلة بالإضافة إلى ما وعدهم من جود أفضاله، وأحوال الفقراء وإن صعبت قليلة بالنسبة إلى ما وعدهم من شهود جماله وجلاله.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [الآية 27] لعدم اعتبارهم بما نزل من قبله ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾ [الآية 27] باقتراح الآيات بعد افتضاح المعجزات ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الآية 27] أقبل عليه بقلبه وتاب. قال جعفر: يضل عن إدراكه ووجوده عن قصده بنفسه ويهدي إلى حقائقه من طلبه به.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الآية 28] أي المهتدون هم الذين صدقوا أو أيقنوا ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 28] بكلام ربهم أو بمطلق ذكر أنسابه أو بذكر رحمته بعد/ ذكر خشيته أو بذكر أدلته الدالة على وجوده ووحدانيته ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الآية 28] أي تسكن به وتميل إليه ولا تميل عنه. 83/ أ

وقال الأستاذ: قوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله ففي الذكر وجدوا سكونهم وبالذكر وصلوا إلى صفوتهم، وقوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله لهم فذكرهم الله بلفظه وأثبت الطمأنينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم. ويقال: إذا ذكروا أن الله ذكرهم استراحت قلوبهم واستبشرت أرواحهم واستأنست أسرارهم فإذا كان عبد لا يطمئن قلبه بذكر ربه فلخلل في قلبه ولأن قلبه بين القلوب الصحيحة قلب. قلت: وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾ [ق:الآية 37] أي قلب سليم كما في قصة إبراهيم، أي سالم عن غير حب الرب.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ [الآية 29] أي حالة طيبة في الدنيا ﴿وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ [الآية 29] منزلة حسنة في العقبى.

قال الحريري: طوبى لمن طاب قلبه مع الله لحظة من عمره ورجع بقلبه إلى ربه في جميع دهره، ذكره السلمي.

وقال الأستاذ: طابت أوقاتهم فطابت أنفاسهم وحالاتهم. ويقال: طوبى لمن قال له الحق طوبى له، ويقال: طوبى لهم في الحال ولهم حسن مآب في المآل.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ [الآية 30] مثل إرسال الرسل قبلك ﴿أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ﴾ [الآية 30] جماعة مجتمعة أو معدودة مقصودة ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ﴾ [الآية 30] طوائف مختلفة متعددة أرسلوا إليهم فليس يدع إرسالك إلى أمتك ﴿لِّتَتْلُوَا۟﴾ [الآية 30] لتقرأ ﴿عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الآية 30] أي الكتاب الذي أنزلناه عليك ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الآية 30] الذي علَّم القرآن فلم يعرفوا برحمته ولم يشكروا نعمته ﴿قُلْ هُوَ﴾ [الآية 30] أي الرحمٰن ﴿رَبِّى﴾ [الآية 30] خالقي ومتولي أمري ومربي حالي ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الآية 30] لا مستحق للعبادة غيره ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ [الآية 30] لا على مَن سواه ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الآية 30] مرجعي في المآب أو رجوعي في كل باب.

وقال الأستاذ: أي إن كفروا بنا فآمن أنت فإنك أنت المقصود من البرية بحسن الإقبال عليه وجميل النظر إليه، كما قيل في هذا المعنى:

وكنت أطالب الدنيا بحر ... فأنت الحر وانقطع الكلام[1]

83/ب / ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا﴾ [الآية 31] عند قراءته ﴿سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ﴾ [الآية 31] حركت به عن مقارها ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الآية 31] تصدّعت من خشية ربّها ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الآية 31] فتقرأه أفتسمعه وتجيب لكان هذا القرآن لأنه الغاية في الإعجاز والنهاية في البيان مع الإيجاز أو لما آمنوا به كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ [الأنعام:الآية 111]، ﴿بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الآية 31] أي بل له القدرة على كل شيء شاءه.

وقال الأستاذ: ولو كان شيء من المخلوقات يظهر بغيرنا في الإيجاد لكان يحصل بهذا القرآن ولكن المنشيء الله والخير والشر جملته من الله

---

(1) نسب هذا البيت إلى النابغة الذبياني. انظر يتيمة الدهر (2/ 51)، وقرى الضيف (4/ 249) وفي تفسير القشيري (فكنت الحب) بدل (فأنت الحر).

والأمر لله فإذا لم يكن شيء من الحدثان بالقرآن والقرآن كلام الرحمٰن فكيف يكون مظنة وذرة من النفي والإثبات لمخلوق، كلا إن ذلك محال.

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الآية 31] من إيمانهم مع ما رأوا من شدة طغيانهم علماً منهم ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۗ﴾ [الآية 31] إلى طريق إيقانهم، أو معناه أفلم يعلم كما هو قول أكثر المفسرين لما روي أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤوا: أفلم يتبين، أي إن لم يظهر لهم أن نفي هداية بعضهم لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم.

وقال الأستاذ: أفلم ييأسوا من إيمانهم وقد علموا أنه من يهده الحق فهو المهتدي ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ﴾ [الآية 31] من المعصية ﴿قَارِعَةٌ﴾ [الآية 31] داعية تقرعهم ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الآية 31] فيقلقون منها ويضطربون بها حيث لا محيص لهم عنها ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِۚ﴾ [الآية 31] القيامة الصغرى أو الطامة الكبرى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الآية 31] أي وعده ووعيده لا في المبدأ ولا في المعاد لامتناع الخلف في إخبارهم برب العباد.

وأفاد الأستاذ: أن شؤم كفرهم لا يزال واصلاً إليهم ولوم فعلهم دائماً لاحق بهم ونازل عليهم.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية 32] فيه تسلية لنبيه النبيه وتنبيه على وعيد مَن وقع فيه ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الآية 32] أي فأمهلتهم لكن ما أهملتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْۖ﴾ [الآية 32] أي عذّبتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [الآية 32] أي عقابي إياهم، وفيه تعجيب لحسن وقوع التعذيب.

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ﴾ [الآية 33] رقيب دائم ﴿عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾ [الآية 33] من خير أو شر لا يخفى عليه شيء من أعمالهم/ وأحوالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره: كمن ليس كذلك من شركائهم. 84/أ

قال جنيد: بالله قامت الأشياء وبه فنيت وبتجليه حسنت المحاسن

وباستتاره قبحت ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾ [الآية 33] الأظهر أنه عطف على الخبر المقدر أي أفمن بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء آلهة عبدوها مع أنها ليس لها إلا مجرد شركة الأسماء لا حقيقة لمسمياتها ولجعلهم إياها شركاء معبودين تركوا منزلة العاقلين في قوله سبحانه: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الآية 33] بأي اسم شئتم وبأي صفة ذكرتم فإنهم لا يستحقون العبادة ولا يستأهلون الشركة فإنهم أحقر من ذلك وأخس من أن يذكروا هنالك فأرني أي تأثير منهم وأي نفع لكم فيهم وأي ضرر يتصور منهم ﴿أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ﴾ [الآية 33] بل تخبرونه ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الآية 33] من شركاء يستحقون العبادة أو من صفات لم يستوجبونها لها وهو العالم بالكائنات علويها وسفليها وكليها وجزئيها.

وقال الأستاذ: أتقولون ما لم يعلم الله بخلافه ﴿أَم بِظَٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الآية 33] أي أم تسمونهم شركاء بظاهر من المبنى من غير ملاحظة إلى حقيقة المعنى كتسمية الزنجي كافوراً وهذا احتيال بليغ على أسلوب عجيب في غاية من الإيجاز ينادي على نفسه بالإعجاز ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ﴾ [الآية 33] فلم يلتفتوا إلى الدليل ﴿وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الآية 33] أي منعوا عن سبيل الحق وطريق الصدق. وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بفتح الصاد أي منعوا أنفسهم أو غيرهم عن الإيمان الذي يوجب خيرهم ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ [الآية 33] يود وقوع ضلالته ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الآية 33] أحد يقدر على هدايته. قال بعضهم: زيَّن الله طرق الهلاك في عين من قدَّر عليه الإهلاك فيراه رشداً ليوصله إلى المقضي عليه هنالك.

وقال أبو يزيد: اجتنب مكر النفس وانتبه له فإنه أخفى من كل خافية وهو أهلك كل مَن هلك.

وقال الأستاذ: صاروا مصروفين عن الحق مسدودة عليهم الطرق فإن من أضلّه حكماً لا يهديه أحد قطعاً.

84/ب ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الآية 34] بالقتل والأسر ونحوه ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأٓخِرَةِ أَشَقُّ﴾ [الآية 34] لشدّته ودوامه ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الآية 34] أي عقوبته

﴿مِن وَاقٍ﴾ [الآية 34] مانع ولا دافع ولو في بعض مدته.

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الآية 35] صفة الجنة التي وعد المتقون بها مبتدأ خبره ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [الآية 35] وهو تمثيل لما غاب بما شاهدنا بالمشاركة الاسمية لا بحقيقة المسماة في الكمية والكيفية لما ورد من الحديث القدسي والكلام الأنسي: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[1]. ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الآية 35] لا ينقطع ثمرها ﴿وَظِلُّهَا﴾ [الآية 35] كذلك أثرها كما بيّنها بقوله: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣)﴾ [الواقعة: الآيات 30،33].

وقال الأستاذ: أي صفة الجنة التي وعد المتقون هي أنها جنة تدوم اللذات فيها متصلة وأنها جنتان معجلة ومؤجلة، فالمؤجلة ما ذكره الله سبحانه في نص القرآن، والمعجلة جنة الوقت بالجنان فالراحات من حيث البسط فيها متصلة ونفحات الأنس لأربابها بالسر دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة.

﴿تِلْكَ﴾ [الآية 35] الجنة الموصوفة ﴿عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [الآية 35] مآلهم الذي يتم به آمالهم ﴿وَّعُقْبَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الآية 35] وهي أولى لهم، وفي ترتيب الجملتين إيماء إلى أحوال الفرقتين من أطماع المتقين وإقناط الكافرين.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الآية 36] كابن سلام من علماء اليهود وأمثاله من الأصحاب ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الآية 36] لصدق يقينهم بما رأوا من نعتك في كتبهم ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [الآية 36] أي وبعض كفرة أهل الكتاب ممن هو وراء الحجاب ﴿مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ﴾ [الآية 36] بعض المنزل عليك وهو ما لا يوافق ما حرّفوه من التوراة أو ما يخالف شرائعهم المختصة ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ﴾ [الآية 36] وحده ﴿وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ [الآية 36] غيره ﴿إِلَيْهِ﴾ [الآية 36] لا إلى غيره ﴿أَدْعُوا۟﴾ [الآية 36] غيري ﴿وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الآية 36] مرجعي أو رجوع أمري وهذا مما اتفق عليه الرسل من قبلي.

(1) أخرجه البخاري في الصحيح (3244)، ومسلم في الصحيح (2824/ 4).

وأفاد الأستاذ: أن العبودية هي المبادرة إلى ما أُمرت به والمجاوزة عن ما زجرت عنه ثم التبري عن الحول والمنة والتفرد للاعتراف بالطول والمنة. وأصل العبودية القيام / بالوظائف ثم الاستقامة عند لوح اللطائف. 85/أ

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ [الآية 37] أي مثل هذا الإنزال المشتمل على أصول الأعمال ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الآية 37] أي القرآن ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الآية 37] يحكم في القضايا والأحكام بما تقتضيه الحكمة بحسب اختلاف الأنام ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم﴾ [الآية 37] التي يدعونك إليها ويحضرونك عليها ﴿بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [الآية 37] بدأبهم ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ﴾ [الآية 37] يدفع العقاب ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ [الآية 37] يرفع الحجاب.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ﴾ [الآية 38] بشراً مثلك لا من جنس الملك ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الآية 38] نساء وأولاداً كما هي لك فلم يك ذلك قادحاً في صحة رسالتهم ولا تلك العلاقات كانت شيئاً غلة لهم عن عبادتهم.

وأفاد الأستاذ: أن من اشتغل بالله فكثرة العيال وتراكم الأشغال لا يؤثر في حاله ولا يضره بنقص كماله وبضعف الأحوال يتأثر بكثرة الاشتغال لا يؤثر في حاله ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ [الآية 38] وما صحَّ له ولم يكن في وسعه ﴿أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ [الآية 38] بمعجزة تقترح عليه أو بحكم يلتمس منه ﴿إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الآية 38] بمشيئته وأمره ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الآية 38] لكل وقت حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه اصطلاحهم عن الفساد.

وقال الصادق: للرؤية. وقال ابن عطاء: لكل علم بيان ولكل بيان لسان ولكل لسان عبارة ولكل عبارة طريقة ولكل طريقة أهل فمن لم يميز بين الأحوال فليس له أن يتكلم في مقامات الرجال.

وقال الأستاذ: لكل شيء أجل وهو وقت قسم له وكل أجل مثبت في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ لأنه لا تفاوت في علمه ولا افتتان لأحد على حكمه.

﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [الآية 39] ينسخ ما يستصوب نسخه ﴿وَيُثْبِتُ﴾ [الآية 39] ما تقتضيه حكمته وحكمه أو يمحو أسباب التأويل عن ديوان عمله بمقتضى عدله ويثبت الحسنات مكانها من فضله. وقيل: يمحو قوماً ويثبت قوماً. وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي: يثبت بالتشديد للمبالغة والتأكيد ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 39] وهو اللوح المحفوظ إذ ما من كائن إلا وهو مكتوب فيه. وعن ابن عباس: يمحو ما يشاء إلا الشقاوة والسعادة والحياة والممات[1].

85/ب وعن كثير من السلف كعمر وابن/ مسعود وغيرهم: أنهم كانوا يدعون بهذا الدعاء: اللهمَّ إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه واكتبنا سعداء وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب[2]. فالمراد بأم الكتاب هو علم الله تعالى عن التغيير والتحويل في جميع الأبواب.

وقال سهل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الآية 39] من الأسباب ويثبت الأقدار. وقال الواسطي: منهم من أخذ بهم الحق بلطفه ومحاهم عن نفوسهم بنفسه.

وأفاد الأستاذ: أن صفات ذات الحق سبحانه من كلامه وعلمه وقوله وحكمه لا تدخل تحت المحو والإثبات، وإنما المحو والإثبات من صفات فعله، فالمحو يرجع إلى الإعدام والإثبات إلى الإيجاد وإذا تقدّر هذا الحال فللمقال في تفصيل المحو والإثبات مجاله فيقال: يمحو من قلوب الزهاد حب الدنيا ويثبت بدله في قلوبهم حب الأخرى، ويمحو عن قلوب العارفين اختيار الحظوظ ويثبت بدلها إيثار الحقوق، ويمحو عن قلوب الموحدين شهود الخلق ويثبت بدله شهود الحق، ويمحو إيثار البشرية ويثبت أنوار الأحدية. ويقال: يمحو العبد فلا يجري عليه حكم التقدير ويكون محوٌ تحت جريان أحكام التقدير. ويقال: يمحو أنس وقت كان أصفى من اللآلىء ويثبت أياماً هي أشد من

(1) تفسير الطبري (12/ 410).
(2) تفسير الطبري (16/ 481) وتفسير ابن كثير (4/ 469).

الليالي. ويقال: يمحوا العارفين بكشف جلاله ويثبتهم في وقت بلطف جماله.

﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [الآية 40] قبل أن نعذِّبهم، والمعنى كيف ما دارت الحال سواء أريناك بعض ما أوعدناهم أو توفيناك قبل ما عذبناهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الآية 40] التبليغ البليغ فقط ﴿وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الآية 40] للجزاء والعقاب لا عليك شيء من هذا الباب فلا تحتفل بحجابهم ولا تستعجل بعذابهم فإنه كائن لا محالة ولا شبهة في هذه المقالة.

وأفاد الأستاذ: أنه سبحانه نفى عنه الاستعجال أمراً وحقق في قلبه أنه يوشك أن يجعل الموعود جهراً.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ﴾ [الآية 41] أرض الكفرة ﴿نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا/ ﴾ 86/أ [الآية 41] بما نفتحه على المسلمين من أماكنها. وقيل: المراد بالأرض معمورتها وأخذها بنقص طرفها ونفحها من أرض معرفتها ولذا قيل: موت العالِم فوت العالَم.

وقال محمد بن علي: تخرب الأرض بذهاب أهل الولاية من بينهم فلا يكون لهم مرجع إلى ولي في نوائبهم ومحنهم فيتواتر عليهم النائبات وتتتابع المصيبات فلا يكون فيهم من يكشف الله بدعائه عنهم فيخرب الكائنات.

وأفاد الأستاذ: أن الآية قرأت عند أهل التفسير بموت العلماء، وفي كلام أهل المعرفة والتأويل بفوت الأولياء الذين إذا أصاب الناس بلاء ومحنة فزعوا إليهم فيدعون ربهم فيكشف البلاء عنهم. ويقال: هو ذهاب أهل المعرفة حتى إذا جاء مسترشد في طريق الله لم يجد من يهديه إلى الله. ويقال: ننقصها من أطرافها بخراب البلدان. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرَّحمٰن:الآية 26] فموعود الحق خراب العالم وفناء أهله من بني آدم ووعده حق لأن كلامه صدق.

﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾ [الآية 41] لا مطيل له يرده ولا بتغييره،

والمعنى أنه حكم للإسلام بالإقبال وعلى الكفرة بالإدبار والاضمحلال وذلك كائن لا يمكن تغيره لا في الحال ولا في الاستقبال ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الآية 41] في جزاء الأعمال على حسب الأحوال.

قال ابن عطاء: أحكام الحق ماضية على الخلق في ما ساء وسر ونفع وضر وضلّ وهدى، زاد الأستاذ: فلا ناقض لما أبرمه ولا مبرم لما نقضه ولا قابل لما رده ولا رادٌ لمن قبله ولا معزّ لمن أهانه وأذلّه ولا مذلّ لمن أعزّه وأدلّه وهو سريع الحساب في الدنيا لأن أولياؤه إذا ألمُّوا بمحظور أو هموا بمزجور عوتبوا في الوقت وطولبوا حسن الرجعى خوفاً من المقت.

﴿وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الآية 42] بأنبيائهم والمؤمنين من علمائهم ﴿فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الآية 42] إذ لا يوجد مكر عند مكره فإنه القادر على ما هو المقصود منه دون غيره فيعاملهم به ويجازيهم عليه.

86/ب قال الحسين: لا مكر أبين من مكر الله لعباده حيث أوهمهم أن/ لهم سبيل وصول إليه.

وأفاد الأستاذ: أن مكرهم إظهار الموافقة مع أشرار كفرهم ومكر الله تعالى بهم توهمهم أنهم محسنون في أعمالهم وحسبانهم أن بهم شيئاً من أحوالهم وظنهم أنه لا يلحق بهم مكرهم وتخليته إياهم مع مكرهم من أعظم مكره بهم.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الآية 43] من المشركين أو اليهود ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ﴾ [الآية 43] من الحق إلى الخلق ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الآية 43] فإنه أظهر من الآيات الدالة على كوني من أهل الرسالة ما ينفي عن شاهد بين حالي وحالكم من الهداية والضلالة ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الآية 43] علم القرآن وما اشتمل عليه من بيان البرهان على وجه أعجز جميع أفراد الإنسان أو علمهم التوراة وهو ابن سلام وأخبر به فإنهم يشهدون بما شاهدوا في كتابهم

من نعت محمد ﷺ وصفة كتابة وأحوال المؤمنين من أصحابه كما وقع هذا الشرح في آخر سورة الفتح.

وقال سهل: علم الكتاب عزيز والعمل بعلمه أعزّ والعمل عزيز والإخلاص في العمل أعزّ والإخلاص عزيز والمشاهدة في الإخلاص أعزّ والمشاهدة عزيز والواقعة في المشاهدة أعزّ والموافقة عزيز والأنس في الموافقة أعزّ والأنس عزيز وآداب محل الأنس أعزّ.

فهرس المحتويات

سورة الأنعام 3
سورة الأعراف 101
سورة الأنفال 226
سورة [التوبة] براءة 277
سورة يونس عليه السلام 359
سورة هود عليه السلام 414
سورة يوسف عليه السلام 468
سورة الرعد 527